

تراثنا

صنعة الإنشئة

في
صناعة الإنشئة

تأليف
أبي العباس أحمد بن علي الفلّافشندي

١٨٩١ هـ - ١٤١٨ م

الجزء الرابع

نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية
ومعدلة
بتصويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية
مع دراسة وافية

وزارة الثقافة والارشاد القومي

المؤسسة المصرية العامة

للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطالعہ کوستانس و شکرگاہ

• شارح وقت فکر برمل بالنظر - ۱۸-۱۹۰۹
الناشر

فهرست

الجزء الرابع

من كتاب صبح الأعشى للقلقشنديّ

- مضمه
- الحالة الثالثة - من أحوال المملكة ما عليه ترتيب المملكة من ابتداء
 الدولة الأيوبية وإلى زماننا ٥
- ويتعلق القول من ذلك بعشرة مقاصد ٦
- المقصد الأول - في ذكر رسوم الملك وآلاته ؛ وهو أنواع كثيرة انتم ... ٦
- المقصد الثاني - في حواصل السلطان ٩
- المقصد الثالث - في ذكر أعيان المملكة وأرباب المناصب ، الذين بهم
 انتظام المملكة وقيام الملك ؛ وهم على أربعة أضرب ١٤
- الضرب الأول - أرباب السيوف ؛ والنظر فيهم من وجهين ١٤
- الوجه الأول - مراتبهم على سبيل الاحمال ؛ وهي على نوعين ١٤
- النوع الأول - الأمراء ؛ وهم على أربع طبقات ١٤
- النوع الثاني - الأجناد ؛ وهم على طبقتين ١٥
- الوجه الثاني - في ذكر أرباب الوظائف من أرباب السيوف المتقدم
 ذكرهم ؛ وهم على نوعين ١٦
- النوع الأول - من هو بمحضرة السلطان ١٦
- النوع الثاني - ما هو خارج عن المحضرة السلطانية ؛ وهم
 على ثلاث طبقات ٢٤
- الطبقة الأولى - رؤساء السلطنة ٢٤
- الطبقة الثانية - الكشاف ٢٥
- الطبقة الثالثة - الولاة بالوجهين : القبلي ، والبحري ... ٢٦
- الضرب الثاني - من أعيان المملكة وأرباب المناصب حملة الأقاليم ؛
 وهم على نوعين ٢٨

صفحة

- ٢٨ النوع الأول — أرباب الوظائف الديوانية ...
- ٣٤ النوع الثاني — أرباب الوظائف الدينية؛ وهم صنفان ...
- ٣٤ الصنف الأول — من له مجلس بالحضرة السلطانية بدار العدل الشريف
- ٣٧ الصنف الثاني — من لا مجلس له بالحضرة السلطانية ...
- ٣٩ المقصد الرابع — في زى أعيان المملكة؛ وهم أربع طوائف ...
- ٣٩ الطائفة الأولى — أرباب السيوف ...
- ٤١ الطائفة الثانية — أرباب الوظائف الدينية؛ من القضاء وسائر العلماء ...
- ٤٣ الطائفة الثالثة — مشايخ الصوفية ...
- ٤٣ الطائفة الرابعة — أرباب الوظائف الديوانية ...
- المقصد الخامس — في هيئة السلطان في ترتيب الملك؛ وله ثلاث
- ٤٤ (سيم) هيئات ...
- ٤٤ الهيئة الأولى — هيئته في جلوسه بدار العدل؛ خلاص المظالم ...
- ٤٥ الهيئة الثانية — هيئته في بقية الأيام ...
- ٤٦ الهيئة الثالثة — هيئته في صلاة الجمعة والعيدين ...
- ٤٧ الهيئة الرابعة — هيئته للعب الكرة، بالميدان الأكبر ...
- ٤٧ الهيئة الخامسة — هيئته في الركوب لكسر الخيل، عند وفاء النيل ...
- ٤٨ الهيئة السادسة — هيئته في أسفاره ...
- ٤٩ الهيئة السابعة — في النوم ...
- ٥٠ المقصد السادس — في عاداته في إجراء الأرزاق؛ وهو على ضربين ...
- ٥٠ الغرب الأول — الجارى المستمر؛ وهو على نوعين ...
- ٥٠ النوع الأول — الإقطاعات ...

صفحة

- النوع الثاني - رزق أرباب الأقاليم ... ٥١
- النوع الثاني - الإنعام وما يجزى مجراه، مما يقع في وقت دون وقت ؟
- وهو على خمسة أنواع ... ٥٢
- النوع الأول - الخلع والتشريف ... ٥٣
- النوع الثاني - الخيول ... ٥٤
- النوع الثالث - الكسوة والحوائص ... ٥٥
- النوع الرابع - الإنعام والأوقاف ... ٥٥
- النوع الخامس - المأكول والمشروب ... ٥٦
- المقصد السابع - في اختصاص صاحب هذه المملكة بأماكن داخلية في نطاق مملكته يمتاز بها على ملوك الأرض من المسلمين ، وغيرهم
- المقصد الثامن - في انتهاء الأخبار إليه ؛ وهو على ثلاثة أنواع ... ٥٨
- النوع الأول - أخبار الملوك الواردة عليه مكاتبات منهم ... ٥٨
- النوع الثاني - الأخبار التي ترد عليه من جهة قوابله ... ٥٩
- النوع الثالث - أخبار حاضرتة ... ٦٠
- المقصد التاسع - في هيئة الأمراء بالديار المصرية وترتيب إمرتهم ... ٦٠
- المقصد العاشر - في ولاية الأمور من أرباب السيوف بأعمال الديار المصرية ؛ وهم على أربع طبقات ... ٦٣
- الطبقة الأولى - التواب ... ٦٣
- الطبقة الثانية - الكشاف ... ٦٥
- الطبقة الثالثة - الولاة بالوجهين : القبلى والبحرى ... ٦٦
- الطبقة الرابعة - أمراء العربان بنواحي الديار المصرية ... ٦٧

منه

الفصل الثاني — من المقالة الثانية في المملكة الشامية، وما يتصل بها من بلاد الأرمن والروم وبلاد الجزيرة بين الفرات والجلية مما هو

مضاف الى هذه المملكة؛ وفيه أربعة أطراف... ٧٢ ...

الطرف الأول — في فضل الشام وخواصه وعجائبه، وفيه مقصدان ... ٧٢ ...

المقصد الأول — في فضل الشام... ٧٢ ...

المقصد الثاني — في خواصه وعجائبه... ٧٣ ...

الطرف الثاني — في حدوده، وابتداء عمارته، وتسميته شاما؛ وفيه مقصدان ٧٥ ...

المقصد الأول — في حدوده... ٧٥ ...

المقصد الثاني — في ابتداء عمارته، وتسميته شاما، وما يلحق بذلك ٧٨ ...

الطرف الثالث — في أنهاره، وبحيراته، وبيالاه المشهورة، وزروعه، وفواكهه، ورياحينه، ومواشيه، ووحوشه، وطيوره؛

وفيه ستة مقاصد... ٧٩ ...

المقصد الأول — في ذكر الأنهار العظام بالشام... ٧٩ ...

المقصد الثاني — في ذكر بحيراته... ٨٣ ...

المقصد الثالث — في ذكر جباله المشهورة... ٨٥ ...

المقصد الرابع — في ذكر زروعه وفواكهه ورياحينه... ٨٦ ...

المقصد الخامس — في ذكر مواشيه ووحوشه وطيوره... ٨٨ ...

المقصد السادس — في ذكر النخيل من مطعوماته... ٨٨ ...

الطرف الرابع — في ذكر جهاته وكوره القديمة وقواعده المستنقعة وأعمالها؛

وفيه مقصدان... ٨٨ ...

صفحة

المقصود الأول — في ذكر جهاته وكوره القديمة	٨٨
المقصود الثاني — في ذكر قواعده المستقرة وأعمالها ؛ وهي ست قواعد	٩١
القاعدة الأولى — دمشق ؛ وفيها جملتان	٩١
الجملة الأولى — في حاضرتها	٩١
الجملة الثانية — في نواحيها وأعمالها وتشتمل على بر وأرج صفقات	٩٧
الصفحة الأولى — الساحلية والجبلية ؛ ولها جهتان	٩٨
الجهة الأولى — الساحلية ؛ وهي التي بساحل بحر الروم	٩٨
الجهة الثانية — الجبلية	١٠٠
الصفحة الثانية — القبلية	١٠٣
الصفحة الثالثة — الشمالية	١٠٨
الصفحة الرابعة — الشرقية ؛ وهي على ضرين	١١٢
الضرب الأول — ما هو داخل في حدود الشام	١١٢
الضرب الثاني — ما هو من بلاد الجزيرة	١١٥
القاعدة الثانية — حلب ؛ وفيها جملتان	١١٦
الجملة الأولى — في حاضرتها	١١٦
الجملة الثانية — في نواحيها وأعمالها ؛ وهي على ثلاثة أقسام	١١٨
القسم الأول — ما هو داخل في حدود بلاد الممالك الشامية	١١٩
القسم الثاني — البلاد المتصلة بذيل البلاد المتقدم ذكرها من الشمال ؛	
وهي المعروفة ببلاد الأرمن ؛ وهو على ضرين	١٣٠
الضرب الأول — الأعمال الكبار ؛ وهي ساحلية وجبلية	١٣١
الضرب الثاني — الأعمال الصغار	١٣٥

صفحة

- القسم الثالث - البلاد المجاورة للفرات من شرقيه ... ١٣٧
- القاعدة الثالثة - من قواعد المملكة الشامية حماة؛ وفيها جملتان ... ١٣٩
- الجملة الأولى - في حاضرتها ... ١٣٩
- الجملة الثانية - في نواحيها وأعمالها ... ١٤١
- القاعدة الرابعة - من قواعد المملكة الشامية أطرابلس؛ وفيها جملتان ... ١٤٢
- الجملة الأولى - في حاضرتها ... ١٤٢
- الجملة الثانية - في نواحيها وأعمالها؛ وهي على قسمين ... ١٤٤
- القسم الأول - الأعمال الكبار؛ وهي على ضربين ... ١٤٤
- الشرب الأول - مضافاتها نفسها ... ١٤٤
- الشرب الثاني - قلاع الدعوة ... ١٤٦
- القسم الثاني - الأعمال الصغار ... ١٤٧
- القاعدة الخامسة - من قواعد المملكة الشامية صفد؛ وفيها جملتان ... ١٤٩
- الجملة الأولى - في حاضرتها ... ١٤٩
- الجملة الثانية - في نواحيها وأعمالها ... ١٥٠
- القاعدة السادسة - من قواعد المملكة الشامية الكرك؛ وفيها جملتان ... ١٥٥
- الجملة الأولى - في حاضرتها ... ١٥٥
- الجملة الثانية - في نواحيها وأعمالها ... ١٥٦
- الطرف الثاني - من الفصل الثاني من الباب الثالث من المقالة الثانية فيمن
- ملك البلاد الشامية؛ وملوكها على قسمين ... ١٥٨
- ١ القسم الأول - ملوكها قبل الإسلام؛ وهم على أربع (خمسة) طبقات ... ١٥٨
- ٢ الطبقة الأولى - ملوكها من الكنعانيين ... ١٥٨

صفحة	
٥٩	الطبقة الثانية — ملوكها من بني إسرائيل
٦١	الطبقة الثالثة — ملوكها من الفرس
٦١	الطبقة الرابعة — ملوكها من اليونان
٦١	الطبقة الخامسة — ملوكها من الروم
٦٢	القسم الثاني — من ملوك الشام ملوكه في الإسلام، وهم على ضربين ...
	الضرب الأول — عمال الصحابة فمن بعدهم من نواب الخلفاء الى حين
١٦٢	استيلاء الملوك عليها
١٦٣	الضرب الثاني — من وليها ملكا
	الطرف الثالث — من الفصل الثاني من الباب الثالث من المقالة الثانية
١٨٠	في ذكر أحوال المملكة الشامية؛ وفيه مقصدان ...
١٨٠	المقصد الأول — في ترتيب نياباتها
١٨٠	النيابة الأولى — نيابة دمشق؛ وفيها جملتان (ثلاث جمل) ...
١٨٠	الجلة الأولى — في ذكر أحوالها
١٨٣	الجلة الثانية — في ترتيب مملكتها؛ وهو ضربان
١٨٣	الضرب الأول — في ترتيب حاضرتها
	الضرب الثاني — في بيان أرباب الوظائف بدمشق على تباين
١٨٤	مراتبهم؛ والوظائف على خمسة أصناف ...
١٨٤	الصف الأول — وظائف أرباب السيوف
١٨٨	الصف الثاني — الوظائف الديوانية
١٩٢	الصف الثالث — الوظائف الدينية
١٩٤	الصف الرابع — وظائف أرباب الصناعات

صفحة

١٩٤ ... الصف الخامس - وظائف زعماء أهل الذمة بها ...

١٩٤ ... الجلة الثلاثة - في ترتيب النيابة بها ...

المقصود الثاني - في ترتيب ماهو خارج عن حاضرة دمشق ؛ وهو

١٩٧ ... على ضربين ...

١٩٧ ... الضرب الأول - ماهو خارج عن حاضرتها من النواب والولايات ...

٢ ... الضرب الثاني - من الخارج عن حاضرة دمشق العربان ، والإمرة بها

٢٠٣ ... في بطون من العرب ...

٢٠٣ ... البطن الأول - آل ربيعة من طيء من كهلان من القحطانية ...

٢١١ ... البطن الثانية - جرم ...

٢١٢ ... البطن الثالثة - ثعلبة ...

٢١٢ ... البطن الرابعة - بنو مهدي ...

٢١٣ ... البطن الخامسة - زبيد ...

النيابة الثانية - من نيابات السلطنة بالممالك الشامية نيابة حلب ؛

٢١٥ ... وفيها جملتان ...

٢١٥ ... الجلة الأولى - في ذكر أحوالها في المعاملات ونحوها ...

٢١٦ ... الجلة الثانية - في ترتيب مملكتها ، وهي على ضربين ...

الضرب الأول - في ترتيب حاضرتها ؛ ووظائفها على أربعة

٢١٦ ... (ثلاثة) أصناف ...

٢١٧ ... الصف الأول - وظائف أرباب السيوف ...

٢٢١ ... الصف الثاني - الوظائف الدينية ...

٢٢٢ ... الصف الثالث - وظائف أرباب الصناعات ...

- صفحة
الجملة الثانية — (الثالثة) في ترتيب ما هو خارج عن حاضرة حلب ؛
٢٢٦ وهو ثلاثة أنواع (نوعان)
النوع الأول — ولاية الأمور من أرباب السيوف ؛ وهم
٢٢٦ ثلاثة أصناف
الصف الأول — النواب ؛ وهم على ضربين
٢٢٦ الضرب الأول — ما هو داخل في حدود البلاد الشامية ...
الضرب الثاني — النيابات الخارجة عن حدود البلاد الشامية ؛
٢٢٨ وهي على قسمين
القسم الأول — بلاد الثغور والعواصم وما والاها
٢٢٩ القسم الثاني — ما هو في حدود بلاد الجزيرة شرق الفرات
الصف الثاني — من أرباب السيوف بخارج حلب الولاية ... ٢٣٠
النوع الثاني — مما هو خارج عن حاضرة حلب العربان ... ٢٣١
النيابة الثالثة — نيابة أطرابلس ، وفيها جملتان ٢٣٣
الجملة الأول — في ذكر أحوالها ومعاملاتها ٢٣٣
الجملة الثانية — فيما هو خارج عن حاضرتها ؛ وهو على ضربين ... ٢٣٥
الضرب الأول — النواب ؛ وهم على قسمين ٢٣٥
القسم الأول — النيابات بمضافات نفس أطرابلس ... ٢٣٥
القسم الثاني — نيابات قلاع الدعوة ٢٣٥
الضرب الثاني — الولاية ٢٣٦
النيابة الرابعة — نيابة حماه ؛ وفيها جملتان ٢٣٦
الجملة الأول — في ذكر أحوالها ومعاملاتها ٢٣٦
الجملة الثانية — في ترتيب نياباتها ؛ وهي على ضربين ... ٢٣٧

صفحة

الضرب الأول — ما بمحاضرتها ... ٢٣٧

الضرب الثاني — ما هو خارج عن حاضرتها ... ٢٣٩

النيابة الخامسة — نيابة صفد؛ وفيها جملتان ... ٢٤٠

الجملة الأولى — فيما هو بمحاضرتها ... ٢٤٠

الجملة الثانية — فيما هو خارج عن حاضرتها ... ٢٤٠

النيابة السادسة — نيابة الكرك؛ وفيها جملتان ... ٢٤١

الجملة الأولى — فيما هو بمحاضرتها ... ٢٤١

الجملة الثانية — فيما هو خارج عن حاضرتها؛ وهو على ضربين ... ٢٤٢

الضرب الأول — الولايات ... ٢٤٢

الضرب الثاني — العرب ... ٢٤٢

الفصل الثالث — من الباب الثالث من المقالة الثانية في المنكحة الحجازية؛

وفيه سبعة أطراف ... ٢٤٣

الطرف الأول — في فضل الحجاز وخواصه وعجائبه ... ٢٤٣

الطرف الثاني — في ذكر حدوده، وأبتهاء عمارته، وتسميته حجازا ... ٢٤٤

الطرف الثالث — في آبتداء عمارته وتسميته حجازا ... ٢٤٥

الطرف الرابع — في ذكر مياهه وعيونته وجباله المشهورة ... ٢٤٦

الطرف الخامس — في زروعه وفواكهه ورياحيته ومواشيه ووحوشه وطيوره ... ٢٤٧

الطرف السادس — في قواعده وأعماله؛ وفيه ثلاث قواعد ... ٢٤٨

القاعدة الأولى — مكة المشرقة؛ وفيها جملتان ... ٢٤٨

الجملة الأولى — في حاضرتها ... ٢٤٨

الجملة الثانية — في نواحيها وأعمالها؛ وهي على ضربين ... ٢٥٥

- صفحة
- الضرب الأول — الحرم ومشاعر الحج الخارجة عن مكة ... ٢٥٥ -
- الضرب الثاني — قراها وغاليفها ... ٢٥٧
- الطرف السابع — في ذكر ملوك مكة ؛ وهم عليّ ضرين ... ٢٦١
- الضرب الأول — ملوكها قبل الإسلام ... ٢٦١ -
- الضرب الثاني — ملوكها في الإسلام ؛ وهم عليّ طبقات ... ٢٦٥
- الطبقة الثالثة — (مكنا) عمال النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ... ٢٦٥
- الطبقة الرابعة — عمال بني أمية ... ٢٦٥
- الطبقة الخامسة — عمال بني العباس ... ٢٦٦
- الطبقة السادسة — السليمانيون من بني الحسن ... ٢٦٧
- الطبقة السابعة — المواسم ... ٢٧٠
- الطبقة الثامنة — بنوقصادة ... ٢٧٥
- الطرف السابع — (الثامن) في ترتيب مكة المشرفة ؛ وفيه جملتان ... ٢٧٥
- الجملة الأولى — فيما هو بحاضرتها ... ٢٧٥
- الجملة الثانية — فيما هو خارج عن حاضرتها ... ٢٨٤
- القاعدة الثانية — المدينة الشريفة النبوية ؛ وفيها ثلاث جمل (أربع) ... ٢٨٩
- الجملة الأولى — في حاضرتها ... ٢٨٩
- الجملة الثانية — في نواحيها وأعمالها ؛ وهي عليّ ضرين ... ٢٨٩
- الضرب الأول — حماها ومراقفها ... ٢٨٩
- الضرب الثاني — في غاليفها وقراها ... ٢٩٠
- الجملة الثالثة — في ذكر ملوك المدينة وأمرائها ؛ وهم عليّ ضرين ... ٢٩٣

صفحة

٢٩٣ ... من قبل الإسلام؛ وهم ثلاث طبقات ...

٢٩٣ ... الطبقة الأولى — التابعة ...

٢٩٣ ... الطبقة الثانية — العاقلة من ملوك الشام ...

٢٩٣ ... الطبقة الثالثة — ملوكها من بني اسرائيل، ومن انضم اليهم من

٢٩٤ ... الأوس والخزرج ...

٢٩٥ ... الضرب الثالث — من في زمن الإسلام؛ وهم أربع طبقات ...

٢٩٥ ... الطبقة الأولى — من كان بها في صدر الإسلام ...

٢٩٥ ... الطبقة الثانية — عمال الخلقاء من بني أمية ...

٢٩٧ ... الطبقة الثالثة — عمالها في زمن خلفاء بني العباس ...

٢٩٨ ... الطبقة الرابعة — أمراء الأشراف من بني حسين ...

٣٠٢ ... الجلة الثالثة — (الرابعة) في ترتيب المدينة المنورة ...

الباب الرابع — من المقالة الثانية في الممالك والبلدان المحيطة بمملكة

٣٠٥ ... الديار المصرية؛ وفيه أربعة فصول ...

الفصل الأول — في الممالك والبلدان الشرقية عنها، وما ينفرد في سلكها

٣٠٥ ... من شمال أو جنوب؛ وفيه أربعة مقاصد ...

٣٠٥ ... المقصد الأول — في الممالك الصائرة إلى بيت جنكرخان؛ وفيه جملتان ...

٣٠٥ ... الجلة الأولى — في التعريف باسم جنكرخان ومصدر الملك اليه ...

الجلة الثانية — في عقيدة جنكرخان وأتباعه في الديانة إلى أن أسلم من

٣١٠ ... أسلم منهم ...

— (لعله المقصد الثاني) في ذكر ممالك بني جنكرخان على

٣١٣ ... التفصيل؛ وهي مملكتان ...

صفحة

٣١٣ المملكة الأولى — مملكة إيران ولها جانبان : جنوبي وشمالى

٣١٤ الجانب الأول — الجنوبي ويشتمل على ستة أقاليم

٣١٤ الإقليم الأول — الجزيرة الفراتية

٣٢٧ الإقليم الثاني — العراق وله قواعد ومدن

٣٢٨ القاعدة الأولى — بابل

٣٢٩ القاعدة الثانية — المدائن

٣٣٠ القاعدة الثالثة — بغداد

٣٣٢ القاعدة الرابعة — سر من رأى

٣٣٨ الإقليم الثالث — خوزستان والأهواز

٣٤٣ الإقليم الرابع — فارس

٣٤٨ الإقليم الخامس — كرمان

٣٥٠ الإقليم السادس — محبتان والرخج

٣٥٢ الجانب الثاني — من مملكة إيران — الشمال ويشتمل على عدة أقاليم

٣٥٣ الإقليم الأول — أرمينية

٣٥٦ الإقليم الثاني — أذربيجان ولها ثلاث قواعد

٣٥٦ القاعدة الأولى — أردبيل

٣٥٧ القاعدة الثانية — تبريز

٣٥٨ القاعدة الثالثة — السلطانية وأسمها قنغزلان

٣٦٠ الإقليم الثالث — أزن ولها قاعدتان

٣٦١ القاعدة الأولى — برده

سنة	
٣٦١ ...	القاعدة الثانية - تخلص
٣٦٥ ...	الإقليم الرابع - بلاد الجبل
٣٧٩ ...	الإقليم الخامس - بلاد الديلم
٣٨٠ ...	الإقليم السادس - الجبل ؛ وفيه قواعد
٣٨٢ ...	القاعدة الأولى - بومن
٣٨٢ ...	القاعدة الثانية - قولم
٣٨٣ ...	القاعدة الثالثة - كسكر
٣٨٤ ...	الإقليم السابع - طبرستان
٣٨٦ ...	الإقليم الثامن - مازندران
٣٨٨ ...	الإقليم التاسع - قومس
٣٨٩ ...	الإقليم العاشر - نراسان
٣٩٦ ...	الإقليم الحادي عشر - زابلستان
٣٩٨ ...	الإقليم الثاني عشر - الغور
٣٩٩ ...	الجزء الثالثة - في الأنهار المشهورة
٤٠٢ ...	الجزء الرابعة - في الطرق الموصلة إلى قواعد هذه المملكة
٤٠٥ ...	الجزء الخامسة - في بعض مسافات بين بلاد هذه المملكة
	الجزء السادسة - فيما بهذه المملكة من الثغائن العلية القدر، والعجائب الغريبة الذكر، والمتنزهات المرتفعة
٤٠٨ ...	الصيت
	الجزء السابعة - في ذكر من ملك مملكة إيران جاهلية وإسلاما
٤١١ ...	وهم على ضربين

مقدمة

الفرد الأول - ملوكها قبل الإسلام؛ وهم على أربع طبقات ٤١١

الطبقة الأولى - الفيشداذية ٤١١

الطبقة الثانية - الكجانية ٤١٢

الطبقة الثالثة - الاشعانية ٤١٣

الطبقة الرابعة - الأكاسرة ٤١٤

الفرد الثاني - ملوكها بعد الإسلام؛ وهم على ثلاث طبقات ٤١٦

الطبقة الأولى - عمال الخلفاء ٤١٦

الطبقة الثانية - خلفاء بني العباس ٤١٧

الطبقة الثالثة - ملوكها من بني جنكركخان ٤١٩

الجملة الثامنة - في معاملتها وأسعارها ٤٢٢

الجملة التاسعة - في ترتيب هذه المملكة، على ما كانت عليه، في زمن

بني هولاءكو ٤٢٣

الجملة العاشرة - في لأرباب المناصب والجند، من الرزق على

السلطان ٤٢٥

الجملة الحادية عشرة - في ترتيب أمور السلطان، بهذه المملكة ٤٢٦

الجملة الثانية عشرة - فيما يتعلق بترتيب ديوان الإنشاء بهذه المملكة ٤٢٨

المملكة الثانية - مما بيد بني جنكركخان، مملكة توران؛ وفيما سيج حمل ٤٢٩

الجملة الأولى - في ذكر حدودها وطولها؛ وعرضها وموقعها من الأقاليم

السبعة ٤٣٠

الجملة الثانية - فيما يدخل في هذه المملكة من الأقاليم العرفية؛ وهي

سبعة ٤٣١

صفحة	
٤٣١	الإقليم الأول — ماوراء النهر
٤٣٩	الإقليم الثاني — تركستان
٤٤٢	الإقليم الثالث — طخارستان
٤٤٣	الإقليم الرابع — بدخشان
	الجزء الثالث — في الطرق الموصلة إليها ، وبعض المسافات
٤٤٤	الواقعة بين بلادها ...
	الجزء الرابع — في عظام الأنهار الواقعة في هذا القسم من مملكة
٤٤٤	توران
٤٤٥	الجزء الخامس — في معاملاتها وأسمائها
	الجزء السادس — في من ملك هذا القسم من مملكة توران، وملوكها
٤٤٥	في الإسلام على طيقتين ...
٤٤٦	الطبقة الأولى — ما هو عقيب الفتح ...
٤٤٩	الطبقة الثانية — ملوكها من بني جنكخان ...
٤٥٠	الجزء السابع — في ترتيب هذه المملكة، وحال عساكرها ...
٤٥١	القسم الثاني — من مملكة توران: خوارزم والقبچاق؛ وفيه ثمان جمل ...
٤٥٢	الجزء الأول — في ذكر حدود هذه المملكة ومساقها ...
٤٥٣	الجزء الثانية — فيما اشتملت عليه من الأقاليم ...
٤٦٧	الجزء الثالثة — في ذكر الأنهار العظام والبحيرات الواقعة في هذه المملكة
٤٦٩	الجزء الرابعة — في الطرق الموصلة الى هذه المملكة ...
٤٧٠	الجزء الخامسة — في الموجود بها ...
٤٧٠	الجزء السادسة — في المعاملات والأسعار بها ...

- منه
 ٤٧١ في ذكر ملوك هذه المملكة ...
 ٤٧٥ في مقدار عسكر هذه المملكة ...
 القسم الثالث — بين مملكة توران مملكة القان الكبير، وفيها خمس
 (ست) جمل
 ٤٧٧
 ٤٧٨ فيما اشتملت عليه هذه المملكة من الأقاليم ...
 ٤٧٩ الإقليم الأول — الصين ...
 ٤٨٣ الإقليم الثاني — بلاد الخطا ...
 ٤٨٤ في معاملة هذه المملكة وأسعارها ...
 ٤٨٤ في الطريق الموصل إلى هذه المملكة ...
 ٤٨٥ في ذكر ملوكها ...
 ٤٨٦ في عسكره ...
 ٤٨٦ في ترتيب هذه المملكة ...

(تم فهرست الجزء الرابع من كتاب صبح الأعشى)

ويليه الجزء الخامس

وأوله المقصد الثاني

في ممالك جزيرة العرب الخارجة عن مضافات الديار المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

صل الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحالة الثالثة

من أحوال المملكة ، ما عليه ترتيب المملكة

(من ابتداء الدولة الأيوبية وإلى زماننا)

وأعلم أن الدولة الأيوبية لما طرأت على الدولة الفاطمية وحلقتها في الديار المصرية ، خالفتها في كثير من ترتيب المملكة ، وغيّرت غالب معالمها ، وجرّت على ما كانت عليه الدولة الأتابكية عماد الدين زنكي بالموصل ، ثم ولده الملك العادل نور الدين محمود بالشام وما معه ؛ وكان من شأنهم أنهم يلبسون الكلوات الصفر على رؤوسهم مكشوفة بنير عمام ، وفوائب شعورهم مُرَخَّاةً تحتها سواء في ذلك المماليك والأمرأ وغيرهم . حتى يحكى عن الملك المعظم عيسى بن العادل أبي بكر صاحب دِمَشَق في أطراح التكلف : أنه كان يلبس الكلوة الصفراء بلا شاش ، ويخترق الأسواق من غير أن يُطَرِّق بين يديه كغيره من الملوك ، وكان سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي حين ملك الموصل بعد أبيه أحدث حمل السُّنَجَق على رأسه ، فتبعه الملوك على ذلك ؛ وألزم الأجناد أن يشدوا السيوف في أوساطهم ، ويعملوا الدبابيس تحت رُكَبِهِمْ عند الركوب كما حكاه السلطان عماد الدين صاحب حَمَاقَة في تاريخه .

فلما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله الديار المصرية،
جرى على هذا المنهج أو ما قاربه، وجاءت الدولة التركية، وقد تنقحت المملكة
ورثت، فأخذت في الزيادة في تحسين الترتيب وتضيق الملك وقيام أبيته،
ونقلت عن كل مملكة أحسن ما فيها، فسلكت سبله ونسجت على منواله حتى
نهضت وترتبت أحسن ترتيب، وفاقت سائر الممالك، وقصر ملكها على سائر الملوك .
ولم ينزل السلطان والجند يلبسون الكتوتة الصفراء بغير عمامة إلى أن ولي السلطان
"الملك الأشرف خليل" بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون السلطنة،
فأحدث الشاش عليها بغمامت في نهاية من الحسن، وصاروا يلبسونها فوق الدواشب
الشعر المُرَخَّاة على ما كان عليه الأمر أولاً إلى أن حج السلطان الملك الناصر محمد
أبن قلاوون في سلطته الثالثة، فخلق رأسه وخلق الناس رموسهم، وأستدماوا
خلق رموسهم وتركوا دواشب الشعر إلى الآن .
ويتعلق القول من ذلك بعشرة مقاصد .

المقصد الأول

(في ذكر رسوم الملك وآلاته، وهو أنواع كثيرة، بعضها عام في الملوك
أو أكثرهم، وبعضها خاص بهذه المملكة)
منها - (سرير الملك) ويقال له تحت الملك . وهو من الأمور العامة للوك،
وقد تقدم أن أول من اتخذ مرتبة الجلوس عليها في الإسلام معاوية رضي الله عنه
حين بدن، ثم تنافس الخلفاء والملوك بعده في الإسلام في ذلك حتى اتخذوا الأُسرة،
وكانت أُسرة خلفاء بني العباس ببغداد يبلغ علوها نحو سبعة أذرع . وهو في هذه
المملكة مثير من رُخام بصدر إيوان السلطان الذي يجلس فيه، وهو على هيئة منابر

الجوامع إلا أنه مستند إلى الحائط ، وهذا المنبر يجلس عليه السلطان في يوم مهم كقدوم رُسل عليه ونحو ذلك ؛ وفي سائر الأيام يجلس على كرسي من خشب مغشى بالحرير ، إذا أرحى رجليه كادتا أن تلتحقا الأرض ، وفي داخل قصوره يجلس على كرسي صغير من حديد يحمل معه إلى حيث يجلس .

ومنها - (المقصورة) للصلاة في الجامع . وقد تقدم في الكلام على ترتيب الخلافة أن أول من اتخذها في الإسلام معاوية ، وقد صارت سنة ملوك الإسلام بعد ذلك تمييزا للسلطان عن غيره من الرعية ، وهي في هذه المملكة مقصورة بجامع قلعة الجبل على القرب من المنبر متخذة من شبك حديد محكة الصنعة ، يصلى فيها السلطان ومن معه من أخصاء خاصيته يوم الجمعة .

ومنها - (نقش اسم السلطان) على ما ينسج ويرقم من الكسوة والطرز المتخذة من الحرير أو الذهب بلون مخالف للون القماش أو الطرز لتصير الثياب والطرز السلطانية مميزة عن غيرها ، تنويها بقدر لابسها : من السلطان أو من بشرقه بلبسها عند ولاية وظيفة أو إنعام أو غير ذلك . ولذلك دار مفردة بعمله بالإسكندرية تعرف بدار الطراز ، وعلى ذلك كانت خلفاء الدولتين : بنى أمية وبنى العباس حين كانت الخلافة قائمة .

ومنها - (الناشية) . وهي غاشية سرج من أديم مخروزة بالذهب ، يتألفها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب ، تحمل بين يديه عند الركوب في المواكب الحفلة كالميادين والأعياد ونحوها ، يحملها الركاب دارية ، رافعا لها على يديه يفتها يميناً وشمالاً ، وهي من خواص هذه المملكة .

ومنها - (المظلة) . ويعبر عنها بالحقير (بجيم مكسورة) ، قد تبدل شينا معجمة ، وتاء مثناة فوق) ، وهي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب ، على أعلاها طائر من فضة

مُطَلَّية بالذهب، تحمل على رأسه في العيدين . وهي من بقايا الدولة الفاطمية، وقد تقدم الكلام عليها مبسوطا في الكلام على ترتيب مملكتهم .

ومنها - (الرَّقِبة) . وهي رقبة من أطلس أصفر مزركشة بالذهب بحيث لا يرى الأطلس لتراكم الذهب عليها، تجعل على رقبة الفرس في العيدين والميادين من تحت أذن الفرس إلى نهاية عنقه، وهي من خواص هذه المملكة .

ومنها - (الجبنة) . وهما اثنتان من أوشاقية لصطيله قريان في السن، عليهما قباآن أصفران من حرير بطراز من زركش، وعلى رأسيهما قُبَعَتَان من زركش، وتحتهما فرسان أشهبان بربعتين وصدّة، نظير ما للسلطان راكب به كأنهما معذّان لأن يركبهما، يركبان أمامه في أوقات مخصوصة كالركوب للعب الكرة في الميدان الكبير ونحو ذلك، وهما من خواص هذه المملكة .

ومنها - (الأعلام) . وهي عدة رايات، منها راية عظيمة من حرير أصفر مطوّزة بالذهب، عليها ألقاب السلطان وأسمه، وتسمى المصّابة، وراية عظيمة في رأسها خُصْلَةٌ من الشعر تسمى الجاليش، ورايات صُفْر صغار تسمى السّناجق .

قال السلطان عماد الدين صاحب حمّة في تاريخه : وأول من حمل السّنجق على رأسه من الملوك في ركوبه غازي بن زنكي، وهو أخو السلطان نور الدين محمود ابن زنكي صاحب الشام .

ومنها - (الطلبخانة) . وهي طبول متعدّدة معها أبواق وزمر تحتف بأصواتها على إيقاع مخصوص، تدقّ في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب، وتكون صحنبة الطلب في الأمصار والحروب، وهي من الآلات العاتية لجميع الملوك . ويقال إن الإسكندر

كان معه أربعون رجلاً طلبخانا، وقد كتب أرسطو في "كتاب السياسة" الذى كتبه للإسكندر أن السرّ فى ذلك إرهاب العدو فى الحرب . والذى ذهب إليه بعض المحققين أن السرّ فى ذلك أن فى أصواتها تهييجا للنفس عند الحرب وتقوية الجأش كما تفعل الإبل بالحداء ونحو ذلك .

ومنها - (الكوسات) . وهى صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير ، يدقُّ بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص ، ومع ذلك طبولٌ وشبابة ، يدق بها مرتين فى القلعة فى كل ليلة ، ويُدأَرُ بها فى جوانبها مرةً بعد العشاء الآخرة ، ومرةً قبل التسبيح على الموائد^(١)، وتسمى الدّورة بذلك فى القلعة، وكذلك إذا كان السلطان فى السفر تدور حول خيامه .

ومنها - (الخيام والقساطيط) فى الأسفار . ولهذا السلطان من ذلك المدد الكبير، تتخذ له الخيام العظيمة الشأن المختلفة المقادير والصنعة من القطن الشامى الملون بالأبيض والأحمر والأزرق وغيرها، وكذلك من الجوخ المختلف الألوان مما يُنْهَشُ بحسنه العقول: لينوب مناب قصورهم فى الإقامة، وسيأتى ذكر أمور أخرى من آلات الملك سوى ما تقدمت مفردة فى أماكنها إن شاء الله تعالى .

المقصود الثانى

(فى خواصل السلطان ، وهى على أربعة أنواع)

النوع الأول

(الخواصل المعبر عنها بالبيوت)

وذلك أنهم يضيفون كل واحد منها إلى لفظ خاناه كالطشت خاناه، والشراب خاناه

(١) صوابه الموائد وكثيرا ما يجارى لغة العامة .

(٢) يظهر أن هذا التنوين من النسخ فإنه فى النص لم يذكر التنوين وإنما قسم الخواصل الى البيوت الثمانية فقط ثم أتبعها بالمقصد الثالث .

ونحوهما، وخانه لفظ فارسيّ معناه البيت، والمعنى بيت كذا إلا أنهم يؤخرون
المضاف عن المضاف إليه على عادة العجم في ذلك، وهي ثمانية بيوت .

الأول - (الشَّرَابَخَانَة) . ومعناها بيت الشراب، وتشتمل على أنواع الأثيرة
المُرَصَّدة لخاص السطان، والمشروب الخااص من السكر والأقيما وغير ذلك، وفيها
يكون السكر المخصوص بالمشروب، وبها الأواني النفيسة من الصّينيّ الفانر من
الألّزوردى وغيره مما تساوى السُّكُّجَة الواحدة اللطيفة منه ألف درهم فما حوله .
ووظيفة الشاذ بها تكون لأمر من أكابر أمراء الميئين الخااصكية المؤمنين، وط
مِهتار يعرف بمهتار الشراب خاناه متسلّم لحواصلها، له مكانة طية، وتحت يده غلّبان
عنده برسم الخليفة، يُطلق على كل منهم شراب دار، وسيأتى في الكلام على الألقاب
في المقالة الثالثة معنى الإضافة إلى الدار في ذلك ونحوه .

الثاني - (الطُّشْتَخَانَة) . ومعناه بيت الطشت، سميت بذلك لأن فيها يكون
الطُّشْت الذي تفسل فيه الأيدي والطُّشْت الذي يُفْسَل فيه القماش، وقد غلب
عليهم استعمال لفظ الطشت بسين معجمة مع كسر الطاء، وصوابه بالسين المهملة مع
فتح الطاء، وأصله طُسّ بسين مشددة فأبدلت من إحدى السينين تاء للاستتقال .
فإذا جُمع أو ضُفّر، ردت السين إلى أصلها، فيقال في الجمع طُاس وطُوس،
وفي التصغير طُيس . قال الجوهريّ: ويقال فيه أيضا طُسة، ويجمع على طُسات،
والناس الآن يقولون طاسة ويجمعونه على طاسات، ويعملون الطُست أسماء لنوع
خاص، والطاسة أسماء لنوع خاص .

وفي الطُّشْت خاناه يكون ما يليه السطان من الكلوثة والأقيمة وسائر الثياب
والسيف والخفّ والسُرْموزة وغير ذلك .

وفيها يكون ما يجلس عليه السلطان من المقاعد والمخاد والسجادات التي يصلُّ عليها وما شاكل ذلك، ولها أيضاً مهتارٌ من كبار المهتارية، يعرف بمهتار الطشت خاناه، وتحت يديه عدة غلمانٍ بعضهم يعرفون بالطشت دارية، وبمعهم يعرف بالرختوانية. وله التحدث في تفرقة اللحم على الممالك السلطانية من الخوامج خاناه وإقامة قباض اللحم، ويطلق على كلٍّ من غلمان الطشت خاناه وقباض اللحم باباً، وهى لفظة رومية بمعنى الأب، أطلقوها على مهتار الطشت خاناه تعظيماً له، ثم غلبت على من عداه، ولتاسانها دُرْبَةٌ بترتيب الأحمال التي تحمل على ظهور البغال للزينة في المواكب العظيمة ونحوها، يأتون فيها من بديع الصنعة والتعاليق الغريبة بكل عجيب، وهم يقباهون بذلك، ويساى بعضهم بعضاً فيه.

الثالث - (الفرّاش خاناه). ومعناها بيت الفرّاش، وتشتمل على أنواع الفرّاش من البُسْط والخيّام؛ ولها مهتارٌ يعرف بمهتار الفرّاش خاناه، وتحت يده جماعة من الغلمان مستكثرة مرصّدون للخدمة فيها في السفر والحضر يعبر عنهم بالفرّاشين، وهم من أمهر الغلمان وأنقضهم، ولهم دُرْبَةٌ عظيمة في نصب الخيام حتى إن الواحد منهم ربما أقام الخيمة العظيمة ونصبها وحده بغير معاون له في ذلك، ولهم معرفة تامة بشدّ الأحمال التي تحمل في المواكب على ظهور البغال، يبلغ الحمل منها نحو خمسة عشرة ذراعا.

الرابع - (السلاح خاناه). ومعناها بيت السلاح، وربما قيل الزرد خاناه ومعناها بيت الزرد لما فيها من الدروع الزرد؛ وتشتمل على أنواع السلاح: من السيوف، والقبسيّ العربية، والنشاب، والرماح، والدروع المتخذة من الزرد الماتع، والفرقات المتخذة من صفائح الحديد المُغشاة بالديباغ الأحمر والأصفر. وغير ذلك

من الأطيار وسائر أنواع السلاح ، ويقُلُّ بها قسَى الرَّجُلِ وَالرَّكَّابِ لعدم معاناتها بالديار المصرية ، وإنما تكثر بالثغور كالإسكندرية وغيرها ، وفي كل سنة يحمل إليها ما يعمل بخزائن السلاح من الأسلحة ، يجعل على رؤوس الحمالين ويُرْف إلى القلعة ويكون يوما مشهودا ، وفي هذه السلاح خاناه من الصُّنَّاع المقيمين بها لإصلاح العُدَد وتجديد المستعملات جماعة كثيرة ، ويسمى صانع ذلك الزردكاش ، وهي لفظة عجمية وكان معناها صانع الرزد ، ولها غلمان أخرى وفواشون بسبب خدمة الصَّمَّاش وأفتقاده .

الخامس - (الرَّكَّاب خاناه) . ومعناها بيت الركاب ، وتشتمل على عُدَد الخيل من السروج ، والهمم ، والكنايش ، وعصى المراكيب ، والعصى الإصطبلات ، والأجلال ، والمخالي وغير ذلك من الأصناف التي يطول ذكرها ، وفيها من السروج المغشاة بالذهب والفضة المطلية والساذجة والكنايش المتخذة من الذهب المزركش المزهرة بالريش ، وغير المزهرة ، والعصى المتخذة من الحرير وصوف السبك ، وغير ذلك من نفائس العُدَد والمراكيب ما يحير العقول ويدهش البصر ، مما لا يقدر على مثله إلا عظماء الملوك . ولها مهتار متسلم لحواصلها يعبر عنه بمهتار الركاب خاناه ، وتحت يده رجال لمعاضدته على ذلك .

السادس - (الحوائج خاناه) . ومعناها بيت الحوائج ، وليست على هيئة البيوت المتقدمة مشتملة على حاصل معين ، وإنما لها جهة تحت يد الوزير منها يصرف القم الراتب للطبخ السلطاني والدور السلطانية ورواتب الأمراء والمماليك السلطانية وسائر الجند والمتمتعين ، وغيرهم من أرباب الرواتب الذين تملأ

(١) لم نثر على حيوان بهذا الاسم ولعله مصحف عن السند .

أسماءهم الدفاتر، وكذلك تَوَابِلُ الطعام للطبخ السلطاني والصور السلطانية، ومن له تَوَابِلُ مرتبة من الأمراء وغيرهم، والزيت للوقود، والحبوب، وغير ذلك من الأصناف المتعددة، ولها مباشرون منفردون بها يضبطون أسماء أرباب المستحقات ومقادير استحقاقهم، وهي من أوسع جهات الصرف حتى إن ثمن اللحم وحده يبلغ ثلاثين ألف درهم في كل يوم خارجا عما عداه من الأصناف، وربما زاد على ذلك.

الساج - (المطبخ). وهو الذي يُطبخ فيه طعام السلطان الراتب في الغداء والعشاء والطائر في الليل والنهار والأسمطة التي تمتد بالإيوان الكبير بدار العدل في أيام المواكب، ويحمل إليه اللحم والتوابل وسائر الأصناف من الحوائج خاناه المتقدمة الذكر بقدر معلوم مرتب؛ يستهلك فيه في كل يوم قناطير مقطرة من اللحم والدجاج والإوز والأطعمة الفاخرة؛ وله أمير من الأمراء يحكم عليه يسمى أستاذ الصعبة وتحت يده آخر يعبر عنه بالمُشرف؛ وله طبّاخ كبير معتبر يعبر عنه بأسباسلار.

الثامن - (الطبليخانه). ومعناه بيت الطبل، ويشتمل على الطبول والأبواق وتوابعها من الآلات؛ ويحكم على ذلك أمير من أمراء العشرات يعرف بأمر علم، يقف عليها عند ضربها في كل ليلة، ويتولى أمرها في السفر؛ ولها مهتار متسلم لحواصلها يعرف بمهتار الطبليخانه؛ وله رجال تحت يده ما بين دسدار؛ وهو الذي يضرب على الطبل، ومُتَمَرّ وهو الذي يضرب بالبوق، وكُوسِيٌّ؛ وهو الذي يصرب بالصنوج النحاس بعضها على بعض وغير أولئك من الصنّاع.

المقصود الثالث

(في ذكر أعيان المملكة وأرباب المناصب الذين بهم انتظام المملكة
وقيام الملك ، وهم على أربعة أضرب)

الضرب الأول

(أرباب السيوف ، والنظر فيهم من وجهين)

الوجه الأول

(مراتبهم على سبيل الإجمال ، وهي على نوعين)

النوع الأول

(الأمراء ، وهم على أربع طبقات)

الطبقة الأولى - أمراء المؤمنين مقدمو الألو ، وعدة كل منهم مائة فارس .
قال في "مسالك الأبحار" : وربما زاد الواحد منهم العشرة والعشرين ؛
وله التقدمة على ألف فارس ممن دونه من الأمراء ، وهذه الطبقة هي أعلى مراتب
الأمراء على تقارب درجاتهم ، ومنهم يكون أكابر أرباب الوظائف والتواب .
ثم الذي كان أسستقر عليه قاعدة المملكة في الزوكة الناصري محمد بن قلاوون ،
وما بعده إلى آخر الدولة الأشرفية شعبان بن حسين ، أن يكون بالديار المصرية أربعة
وعشرون مقدما ، ولما استجدت في الدولة الظاهرية الديوان المفرد لخاص السلطان
وأفرد له عدة كثيرة من المالك السلطانية والمستخدمين ، نقصت عدة المقدمين
عما كانت عليه ، وصارت دائرة بين الثمانية عشر والعشرين مقدما بما في ذلك من
نائب الإسكندرية ونائحي الوجهين : القبلي والبحري .

الطبقة الثانية - أمراء الطليخانة ، وعدة كل منهم في الغالب أربعون فارسا . قال في "مسالك الأبصار" : وقد يزيد بعضهم على ذلك إلى سبعين فارسا ، بل ذكر في "التعريف" في أواخر المكتوبات أنه يكون للواحد منهم ثمانون فارسا . قال في "مسالك الأبصار" : ولا تكون الطليخانة لأقل من أربعين ، وهذه الطبقة لاضابط لعدة أمرائها بل تتفاوت بالزيادة والنقص لأنه مهما فرقت إمرة الطليخانة بطلعت إمرة عشرين أو أربع عشرات ، أوضم بعض العشرات ونحوها إلى بعض وجعلت طليخانة ، ومن أمراء الطليخانة تكون الرتبة الثانية من أرباب الوظائف والكشاف بالأعمال ، وأكابر الولاة .

الطبقة الثالثة - أمراء العشرات ، وعدة كل منهم عشرة فوارس . قال في "مسالك الأبصار" : وربما كان فيهم من له عشرون فارسا ولا يعد إلا في أمراء العشرات ، وهذه الطبقة أيضا لاضابط لعدد أمرائها بل تزيد وتنقص كما تقدم في الكلام على أمراء الطليخانة ، ومن هذه الطبقة يكون صغار الولاة ونحوهم من أرباب الوظائف .

الطبقة الرابعة - أمراء النخعات . وهم أقل من القليل خصوصا بالديار المصرية ، وأكثر ما يقع ذلك في أولاد الأمراء المندرجين بالوفاة رعاية لسلفهم ، وهم في الحقيقة أكابر الأجناد .

النوع الثاني

(الأجناد ؛ وهم على طبقتين)

الطبقة الأولى - الممالك السلطانية . وهم أعظم الأجناد شأنا ، وأرفعهم قدرا ، وأشدهم إلى السلطان قربا ، وأوفرهم إقطاعا ، ومنهم تؤمّر الأمراء رتبة بعد رتبة ،

وهم في العدة بحسب ما يؤثّر السلطان من الكثرة والقلّة ، وقد كان لهم في زمن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم في أيام السلطان الملك الظاهر برفوق العدد الجُم والمدد الوافر لطول مدة ملكهما وأعتائهما يجلب الممالك ومشتراها .

الطبقة الثانية - أجناد الحلقة . وهم عدد جُم وخلق كثير، وربما دخل فيهم من ليس بصفة الجند من المتعممين وغيرهم ، بواسطة النزول عن الإقطاعات ، وقد جرت عادة ديوان الجيش عدم الجمع على الجند كي لا يُحاط بعدته ويطلع إليه . قال في "مسالك الأبصار" : ولكل أربعين نفسا منهم مقدم منهم ، ليس له عليهم حكم إلا إذا خرج العسكرية سيتون بالقلة وحول دهايز السلطان في السفر كالخمس . طائفة ثالثة يقال لهم البحرية سيتون بالقلة وحول دهايز السلطان في السفر كالخمس . وأول من رتبهم وسماهم بهذا الاسم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ٥

الوجه الثاني

(في ذكر أرباب الوظائف من أرباب السيوف المتقدم ذكرهم ؛ وهم على نوعين)

النوع الأول

(من هو بحضرة السلطان ، وهي خمسة وعشرون وظيفة)

الأولى - النيابة . ويعبر عن صاحبها بالنائب الكافل ، وكافل الممالك الإسلامية . قال في "التعريف" : وهو يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ويعلم في التقاليد والتواقيع والمناشير ، وغير ذلك مما هو من هذا النوع على كل ما يعلم عليه السلطان ؛ وسائر التواب لا يعلم الرجل منهم إلا على ما يتعلق بخامسة نيابته . قال : وهذه رتبة

لا ينبغي ما فيها من التمييز . قال في "مسالك الألبصار" : وجميع ثواب المحالك
تكتابه نيا تكتاب فيه السلطان ويراجعونه فيه كما يراجع السلطان ، ويستخدم الجند
من غير مشاورة السلطان ، ويعين أرباب الوظائف بليلة كالوزارة وكتابة السر ،
وقل أن لا يجاب فيمن يُعينه ؛ وهو سلطان مختصر بل هو السلطان الثاني . وعادته
أن يركب بالعسكر في أيام المواكب ويتزل الجميع في خدمته . فإذا مثل في حضرة
السلطان ، وقف في ركن الإيوان . فإذا أُنقضت الخدمة ، خرج إلى دار النيابة بالقلة
والأمراء معه ويجلس جلوسا عاما للناس ، ويحضره أرباب الوظائف ، ويقف قدامه
المجتاب ، وتقرأ عليه القصص ، ثم يمد السياط للأمرأ كما يمد لهم السلطان فيا كلون
وينصرفون . وإذا كانت النيابة قائمة على هذه الصورة ، لم يكن السلطان يتصدى
لقراءة القصص ، وسماع الشكاوى بنفسه ، ويأمر في ذلك بما يرى من كتابة مثال
ونحوه ، ولكنه لا يستبد بما يكتب من الأبواب السلطانية بنفسه بل يكتب بإشارته
وينبه على ذلك ، وتشملة العلامة الشريفة بعد ذلك .

أما ديوان الجيش فإنه لا يكون له خدمة إلا عنده ولا اجتماع إلا به . ولا اجتماع
لهم بالسلطان في أمر من الأمور ، وما كان من الأمور المفضلة التي لا بد من إحاطة
علم السلطان بها فإنه يعلم بها تارة بنفسه وتارة بمن يرسله إليه . هذا آخر كلامه
في "المسالك" غير أن هذا النائب تارة يُنصب وتارة يُعزل جيد المملكة منه ؛ وعلى
هذا كان الحال في الأيام الناصرية ابن قلاوون تارة وتارة وكذا الحال في زماننا .
وإذا كان متعبا ، آخض بإخراج بعض الإقطاعات دون بعض ، ويكون صاحب
ديوان الجيش هو الملازم له وناظر الجيش ملازم السلطان .

قال في "التعريف" : أما نائب القيسية : وهو الذي يترك إذا غاب السلطان^(١)

(١) كذا في النص . أيضا ومراحه يترك وشأنه في الحكم .

والتائب الكافل، وليس إلا لإتمام التوابع وخلاص الحقوق، فحكه في رسم الكتابة إليه رسم مثله من الأمراء.

« الثانية - الأتابكية . ويعبر عن صاحبها بأتابك الساكر . قال السلطان عماد الدين في " تاريخه " : وأصله أتابك ومعناه الولد الأمير ، وأول من لقب بذلك نظام الدولة وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي حين فوض إليه ملكشاه تدبير المملكة سنة خمس وستين وأربعمائة ، ولقبه بألقاب منها هذا ؛ وقيل أتابك معناه أميراب ، والمراد أبو الأمراء ، وهو أكبر الأمراء المتقدمين بعد التائب الكافل ، وليس له وظيفة ترجع إلى حكم وأمر ونهى ، وغايته رِفْعَةُ الْمَحَلِّ وعلو المقام .

الثالثة - وظيفة رأس نوبة . وموضوعها الحكم على الممالك السلطانية والأخذ على أيديهم ، وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة أمراء : واحدٌ مقدم ألف وثلاثةٌ طليخاناه .

الرابعة - إمرة مجلس . وموضوعها ^(١) وهو يتحدث على الأطباء والكهّالين ، ومن شاكلهم ، ولا يكون إلا واحدا .

الخامسة - إمرة سلاح . وأصل موضوعها حمل السلاح للسلطان في المجامع الجامعة ، وصاحبها هو المقدم على السلاح دارية من الممالك السلطانية والمتحدث في السلاح خاناه السلطانية ، وما يستعمل لها ويقدم إليها ، ولا يكون إلا واحدا من الأمراء المتقدمين .

السادسة - إمرة أخورية . وموضوعها التحدث على إصطبل السلطان وخيوله ، وعادتها مقم ألف يكون متحدثا فيها حديثا طاما ، وهو الذي يكون ساكنا

(١) يباض بالأصل وله موضوعها تولّى أمور مجلس السلطان .

بإصطبل السلطان، ودونه ثلاثة من أمراء الطليخاناه . أما أمراء العشرات والجنود،
فغير محصورين ،

السابعة - الدوادرية . قال في "مسالك الأبصار" : وموضوعها تبلغ الرسائل
عن السلطان وإبلاغ عاتمة الأمور، وتقديم القصص إليه، والمشاورة على من يحضر
إلى الباب الشريف وتقديم البريد، هو وأمير جندار وكاتب السر، ويأخذ الخط على
طاعة المناشير والتواقيع والكُتب . وإذا خرج عن السلطان بكتابة شيء بمرسوم،
حمل رسالته وعيئت فيها يكتب ، وسيأتي بيان ذلك فيما يكتب بالرسائل في الكلام
على قوانين ديوان الإنشاء إن شاء الله تعالى .

وفي هذه الوظيفة عتة من الأمراء والجنود ، وقد كانت في أيام الناصر محمد بن
قلاوون وما تلاها ليس فيها أمير مقدم ألف ، ثم آل الأمر إلى أن صار الأعلى منهم
مقدم ألف ، ونائبه طليخاناه . وأول من استقر في وظيفة الدوادرية من الأمراء
الألوف طغتمر النجمي في الدولة الناصرية حسن ، ثم صار غالب من إليها ألوف ،
وربما كان طليخاناه أحياناً .

الثامنة - المجبئية . قال في "مسالك الأبصار" : وموضوعها أن صاحبها
يُنصف بين الأمراء والجنود تارة بنفسه وتارة بمراجعة النائب إن كان ، وإليه تقديم
من يعرض ومن يرد، وعرضُ الجنود وما ناسب ذلك، والذي جرت به العادة خمسة
مُجَّاب ، آثان من مقدمي الألوف : وهما حاجب المُجَّاب^(١) هو المشار إليه من الباب
الشريف ، والفاقم مقام النائب في كثير من الأمور . وأعلم أن هذا الاسم أول
ما حدث في الدولة الأموية في خلافة عبد الملك بن مروان، وكان موضوعها إذ ذلك
تَحَبُّب السلطان عن العاتقة، وتُعْلَقُ بابهُ دونهم أو يفتحهُ لهم على قدره في موافقته،

(١) في الكلام سقط ظاهر يدل الأصل "حاجب الجباب ونائبه وخائب الجباب عزراخ" تأمل .

ثم يعمهم بنو العبّاس على ذلك . وقد ذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة : أنه كان لقتدر سبعة حاجب . هذا وكانت الخلافة قد أخذت في الضعف ، وهو خلاف موضوعها الآن ، وفيها يملك المغرب معانٍ أخرى يأتي ذكرها عند الكلام على ممالكها إن شاء الله تعالى .

التاسعة - إمرة جاندار . وموضوعها أن صاحبها يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان . قال في "مسالك الألبار" : ويقدم البريد مع النوادر وكتاب السر . قال : وصاحبها كالتمسك للباب ، وله به البردارية وطوائف الركابة والحازندارية . وإذا أراد السلطان تزييراً أحد أوقته كان ذلك على يد صاحب هذه الوظيفة ، وهو المتمسك للزبدخاناه التي هي أرفع قدراً في الاعتقالات ، ولا تطول مدة المعتقل بها ، بل إما يسجل بخليّة سبيله أو إتلاف نفسه ، وصاحب هذه الوظيفة هو الذي يطوف بالزفة حول السلطان في سفره ، وقد جرت العادة أن يكون فيها أميران : مقدم ألف ، وطلبخاناه ، والمشار إليه هو المقدم .

العاشر - الاستدارية . قال في "مسالك الألبار" : وموضوعها التحدث في أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشرابخاناه والحاشية والعلمان ، وهو الذي يمشي بطلب السلطان ، ويحكم في غلباته وباب داره ، وإليه أمر الجاشنكيرية ، وإن كان كبيرهم نظيره في الإمرة من ذوي الميكن ، وله حديث مطلق وتصرف تام في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من الثغقات والكساوى وما يجري مجرى ذلك للإليك وغيرهم . وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة : واحد مقدم ألف وثلاثة طلبخاناه ، وربما قصّبوا عن ذلك .

(١) جمع الكهنة كَمَا وَكَّاهُ . فإِذَا جَارِعَ اصطلاح العامة .

الحادية عشرة - الجاشنكيرية . وموضوعها التحدث في أمر السباط مع الاستادار على ما تقدمت الإشارة إليه ، ويقف على السباط مع استادار الصحة ، وأكبرهم يكون من الأمراء المقدمين .

الثانية عشرة - الخازندرية . وموضوعها التحدث في خزائن الأموال السلطانية من نقد وفكاش وغير ذلك ، وكانت عاداتها طليخاناه ، ثم استغزت مقدمة ألف ، ويطلبه في حساب ذلك ناظر الخصاص الآتى ذكره .

الثالثة عشرة - شدّ الشراب خاناه . وموضوعها التحدث في أمر الشراب خاناه السلطانية وما عمل إليها من السكر والمشروب والفواكه وغير ذلك ، وتارة يكون مقدما ، وتارة يكون طليخاناه .

الرابعة عشرة - استادارية الصحة . وموضوعها التحدث على المطبخ السلطاني والإشراف على الطعام والمشى أمامه والوقوف على السباط، والعادة أن يكون صاحبها أمير عشرة .

الخامسة عشرة - مقدمة الماليك . وموضوعها التحدث على الماليك السلطانية والحكم فيهم ، ولا يكون صاحبها إلا من الخدام، والعادة أن تكون لامرة طليخاناه ، وله نائب أمير عشرة .

السادسة عشرة - زمامية النور السلطانية . وصاحبها من أكبر الخدام ، وهو المعبر عنه بالزمام ، وطدته أن يكون أمير طليخاناه .

السابعة عشرة - رقابة الجيوش . قال في "مسالك الأبحار" : وهي موضوعة لتحلية الجند في عرضهم ، ومعه يمشى الثقباء . وإذا طلب السلطان أو النائب

أو الحاجب أميراً أو غيره، أحضره . قال : وهو كأحد المجنّاب الصغار، وله التطلب بالحراسة في الموكب والسفر .

الثامنة عشرة - المهمندارية . وموضوعها تلقى الرسل الواردين وأمراء العربان وغيرهم ممن يرث من أهل المملكة وغيرها .

التاسعة عشرة - شدة الدواوين . وموضوعها أن يكون صاحبها رفيقاً للوزير متحدثاً في استخلاص الأموال، وما في معنى ذلك؛ وطاقتها إمرة عشرة .

المشرون - إمرة طبر . وموضوعها أن يكون صاحبها حاملاً الطبر في المواكب، ويحكم على من دونه من الطبردارية؛ وطاقتها إمرة عشرة أيضاً .

الحدايدة والمشرون - إمرة علم . وموضوعها أن يكون صاحبها متحدثاً على الطليعات السلطانية وأهلها، متصرفاً في أمرها؛ وطاقتها إمرة عشرة .

الثانية والعشرون - إمرة شكار . وموضوعها أن يكون صاحبها متحدثاً في الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها والصيود السلطانية وأحواش الطيور وغيرها؛ وهي إمرة عشرة .

الثالثة والعشرون - حراسة الطير . وموضوعها أن يكون صاحبها متحدثاً على حراسة الطيور من الكراكي التي هي بصدد أن يصيدها السلطان في الأماكن التي تنزل بها الطيور من المزارع وغيرها؛ وهي إمرة عشرة .

الرابعة والعشرون - شدة الهائر . وموضوعها أن يكون صاحبها متكلماً في الهائر السلطانية عما يختار السلطان إحداثه أو تعجيد من التصوير والمنازل والأسوار؛ وهي إمرة عشرة .

الخامسة والعشرون - الولاية . والولاية بالحاضرة على صنفين .

الصف الأول

(وَلَاةُ الشَّرْطَةِ، المعروفون في الديار المصرية بولاة الحرب ؛ وهم ثلاثة ،
بالقاهرة ، والقُسْطَاطُ المعروف بمصر ، والقَرَافَة)

فأما وإلى القاهرة ، فيحكم في القاهرة وضواحيها ، وهو أكبر الثلاثة وأعلام
رتبة ؛ وعادته إمرة طبلخاناه .

وأما وإلى القُسْطَاط ، فيحكم في خاصّة مصر على نظير ما يحكم وإلى القاهرة
في بلده ؛ وعادته إمرة عشرة .

وأما وإلى القَرَافَة ، فيحكم في القَرَافَة التي هي تربة هاتين المدينتين بمراجعة وإلى
مصر ، وعادته إمرة عشرة . وقد أضيف الآن القَرَافَة إلى مصر ، وصارت ولاية
واحدة وجعلت إمرة طبلخاناه ولكنها لا تبلغ شأوا القاهرة .

الصف الثاني

(وَلَاةُ الْقَلْعَةِ ، وهم اثناث)

أحدهما - وإلى القلعة ، وهو أمير طبلخاناه ، وله التحث على باب القلعة الكبير
الذي منه طلوع صامّة المسكر وزولم في الفتح والنلق ونحو ذلك .

الثاني - وإلى باب القلعة ، وهو أمير عشرة ، وله التحث على الباب المذكور
وأهله كما لو إلى القلعة التحث على الباب الكبير المتقدم ذكره .

النوع الثاني

(ما هو خارج عن الحضرة السلطانية، وهم على ثلاث طبقات)

الطبقة الأولى

(نواب السلطنة)

والذي يهمل الآن ثلاث نيابات، جميعها مستجدة عن قرب.

الأولى - نيابة الإسكندرية. وهي نيابة جيلة تُضاهي نيابة طرابلس وحماة وصقند من المملكة الشامية الآتي ذكرها، وبها كرسى سلطنة ونجاء سلطانية توضع على الكوس، ونائبها من الأمراء المقسمين يركب في المواكب بالنيابة السلطانية، ومعه أجناد الحلقة المرتبون بها، ويخرج في موكبه إلى ظاهر الإسكندرية خارج باب البحر، ويجتمع إليه الأمراء المسيرون بها هناك، ثم يعود وهم معه إلى دار النيابة، ويمتد السباط السلطاني، ويأكل عليه الأمراء والأجناد، ويمحضره القضاة، وتقرأ القصص على عادة النيابات ثم يتصرفون.

وكان ابتداء ترتيب هذه النيابة في سنة سبع وستين وسبعائة في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين حين طرّق العدو المغنول من الفرنج الإسكندرية وقتلوا أهلها وقتلوا منهم الخلق العظيم ونهبوا الأموال الجمة، وكانت قبل ذلك ولاية تُمدّ في جملة الولايات، وكان لوالها الرتبة الجيلة والمكانة العالية من أكابر أمراء الطليخان.

الثانية - نيابة الوجه القليل. وهي مما استحدثت في الدولة الظاهرية برفوق، وهو في رتبة نيابة الوجه البحري بل أعظم خطراً منه، ومقر نيابته مدينة أسبوط المتقدم ذكرها، يحكمه نواب جميع بلاد الوجه القليل بأسرها، وهي في الترتيب على

ما تقدم من نيابة الوجه البحرى ، وكانت قبل ذلك كاشفا يطلق عليه والى الولاية كما كان فى الوجه البحرى .

الثالثة - نيابة الوجه البحرى . وهي مما استحدثت فى الدولة الظاهرية أيضا ، ونائبها من الأمراء المقلتين ، وهو فى رتبة مقدم السكر بفرقة الآتى ذكرها ، ومقر نائبها دمنهور مدينة البحيرة المتقدم ذكرها ، وليس على قاعدة النيابات بل هى فى الحقيقة ولاية حرب كبيرة ، وقد كان القائم بها قبل ذلك كاشفا يطلق عليه والى الولاية ولم يكن له مقررة خاصة .

الطبقة الثانية (الكشاف)

قد تقدم أنه قبل النيابة بالوجهين القبلى والبحرى كان بهما كشافان ، ولما استقرت النيابة بهما جعل للوجه البحرى كاشف من أمراء الطبليخاناه على العادة المتقدمة ، يتحدث فى بلاده ما عدا عمل البحيرة لقربه من نائب الوجه البحرى ، وجعل كاشف آخر من رتبته لعمل الفيوم وعطلى من والى ، وأضيف إليه عمل البهنسى أيضا ، وسائر الوجه القبلى أمره راجع إلى نائبه المتقدم ذكره .

الطبقة الثالثة

(الولاية بالوجهين : القيل والبحرى)

وقد تقدم ذكر أعمالها . ومراتب الولاية بهما لا تخرج عن مرتبتين .

المرتبة الأولى

(^(١) أمراء الطليخانة ؛ وهى سبع ولايات بالوجهين : القيل والبحرى)

فأما الوجه القيل فيه أربع ولاة من هذه الرتبة .

الأول - والى البهنسى ، وهى أقرب ولاية الطليخانة بهذا الوجه الآن إلى القاهرة .

الثانى - والى الأشمونين .

الثالث - والى قوص وإنجيم ، وهو أعظم ولاية الوجه القبلى حتى إنه يركب

في المواكب بالشبابة السلطانية أسوة النواب بالممالك .

الرابع - والى أسوان ، وهو محنت في الدولة الظاهرية بقوق . وكانت قبل

ذلك مضافة إلى والى قوص ، وكانت ولاية القيوم طليخانة أسست كمشغا على

ما تقدم .

أما أسبوط ، فلم يكن بها ولاية لكونها كانت مستقر إلى الولاية بالوجه القيل ،

ثم صارت مستقر النائب به ، وسيأتى بيان ما كان ولاية طليخانة ، ثم هل إلى

العشرات .

وأما الوجه البحرى فيه أربعة ولاة من هذه الرتبة .

(١) لعل محمان ولايات كما يظهر من عد الولاية بالوجهين .

الأول - وإلى الشرقية وهو وإلى بليس .

الثاني - وإلى متوف .

الثالث - وإلى الغربية ، وهو وإلى المحلة ، ورتبته في الوجه البحرى - في رفعة
التقدر تضاهى رتبة وإلى قوص في الوجه القبلى .

الرابع - وإلى البحيرة ، وهو وإلى دمنهور .

وقد تقدم أن الإسكندرية قبل أن تستقر نيابة كانت بها وال من أمراء
الطليخاناه .

المرتبة الثانية

(من الولاية أمراء العشرات ، وهى سبعة ولاية بالوجهين)

فأما الوجه القبلى ففيه ثلاثة ولاية .

الأول - وإلى الجيزة ، وقد كان قبل ذلك طليخاناه ، ثم نقل إلى العشرات .

الثاني - وإلى إطفح ، ولم يزل عشرة .

الثالث - وإلى متغلوط ، وهو وإن كان الآن أمير عشرين فقد تقدم أن من دون
الأربعين معدود في العشرات . على أنها كانت قبل ذلك ولاية طليخاناه وحطت
عن ذلك .

وقد كانت بعينذاب في الايام الناصرية وإلى أمير عشرة يولى من قبل السلطان
يراجع وإلى قوص في الأمور المهمة .

وأما الوجه البحرى ، ففيه أربعة ولاية من هذه الرتبة .

الأول - وإلى قَلْبُوبَ، ولم تزل ولايتها إمرة عشرة .

الثاني - وإلى أَمُومَ، ولم تزل عشرة أيضا .

الثالث - وإلى دِيَاطَ .

الرابع - وإلى قَطْيَا، وكان قبل ذلك طبلخاناه .

الضرب الثاني

(من أعيان الملكة وأرباب المناصب حملة الأعلام، وهم على نوعين)

النوع الأول

(أرباب الوظائف الديوانية، وهي كثيرة للغاية لا يسع استيفائها

وللمعتبر منها مما يجب الاختصار عليه تسع وظائف)

الأولى - الوزارة . وهي أجل الوظائف وأرفعها رتبة في الحقيقة لولم يخرج عن موضوعها ويُعَدَّلَ بها عن قاعدتها . قال في "مسالك الأبصار" : ورَبَهَا ثاني السلطان لو أنْصِفَ وعُرفَ حقُّه، لكنها لما حَدَثَ عليها النيابة تأنرت وقَعَدَ بها مكثُها حتى صار المتحدث فيها كاظِرَ المال لا يَتَعَدَّى الحديث فيه، ولا يتسع له في التصرف مجال، ولا تمتد يده في الولاية والمزل لِتَطْلُعَ السلطان إلى الإحاطة بجزئيات الأحوال . قال : وقد صار يليها أناسٌ من أرباب السيوف والأعلام بأرزاق على قدر الإنفاق، وقطيعتها أشهر من أن تذكر .

قال : وكان هذا السلطان (يعني الناصر محمد بن قلاوون رحمه الله) قد أبطلها ، وصار ما كان يتحدث فيه الوزير بمقبحها إلى ثلاثة : ناظر المال، ومعه شاذ الدواوين

(١) أرسلها في العدد الست وعشرين و مراده أن المهم منها تسع وإن كان قد ذكر أكثر .

لتحصيل المال وصرف النفقات، وناظر الخا^ص لتدبير الأمور العامة وتعيين المباشرين، وكتب السر للتوقيع في دار العدل مما كان يوقع فيه الوزير مشاوراً واستقلالاً . قلت : ولما عادت الوزارة بعد ذلك، صارت إلى ما كانت عليه من الاختصار على التحدث في المال ، وبقيت كتابة السر على ما صارت إليه من التوقيع على القصص بدار العدل وغيرها . ثم إن كان الوزير صاحب قلم ، فهو المستقل بمباشرة الوظيفة نظراً وتنفيذاً ومحاسبة على الأموال، وإن كان صاحب سيف، كان مقتصرًا على النظر والتنفيذ، وكان أمر الحساب في الأموال راجعاً إلى ناظر الدولة معه .

ثم لو وظيفة الوزارة أتباع كثيرة أجلاها نظر الدولة واستيفاء الص^{حبة} واستيفاء الدولة . فأما نظر الدولة : وهو المعبر عنه في مصطلح الدواوين المعمورة بالص^{حبة} الشريفة فموضوعها أن صاحبها يتحدث مع الوزير في كل ما يتحدث فيه ويشاركه في الكتابة في كل ما يكتب فيه ، ويوقع في كل ما يوقع فيه الوزير تبعاً له . وإن كان الوزير صاحب سيف ، كان ناظر الدولة هو المتحدث في أمر الحسابات ، وما يتعلق بها والوزير مقتصر على النظر والتنفيذ .

وأما استيفاء الص^{حبة} - فهي وظيفة جليلة رفيعة القدر ، قال في "مسالك الأبصار" : وصاحبها يتحدث في جميع المملكة مصرًا وشامًا ، ويكتب مراسيم^{دروس} يعلم عليها السلطان ، تارة تكون بما يُمسَل في البلاد، وتارة بإطلاقات، وتارة باستخدامات كبار في صفار الأعمال ، وما يجري مجراه .

قال : وهذا الديوان هو أرفع دواوين الأموال ، وفيه ثبتت التواقيع والمراسيم السلطانية ، وكل من دواوين الأموال فهو فرعُ هذا الديوان وإليه يرجع حسابه وينتهي أسبا^{به}ه .

وأما استيفاء الدولة - فهي وظيفة رئيسية، وعلى متوليها مدار أمور الدولة في الضبط والتحرير ومعرفة أصول الأموال ووجوه مصارفها، ويكون فيها مستوفيان فأكثر .

الوظيفة الثانية - كتابة السر . قال في "مسالك الأبصار" : وموضوعها قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها وأخذ خط السلطان عليها وتسقيها، وتصريف المراسم ورودا وصودا ، والجلوس لقراءة القصص بدار العدل والتوقيع عليها . وقد تقدم في الكلام على الوزارة أنه صار يوقع فيما كانت يوقع عليه بقلم الوزارة مع مراجعة السلطان فيما يحتاج إلى المراجعة فيه، في أمور أخرى من التحدث في أمر البريد وتصريف البريدية والقصاص، ومشاركة النوادر في أكثر الأمور السلطانية مما تقدم ذكره مفصلا . وبدوياته تكتب التت : وهم الذين يحيطون معه في دار العدل ويقرءون القصص على السلطان ويقومون عليها بأمر السلطان ، وتكتب الدريج : وهم الذين يكتبون الولايات والمكتبات ونحوها مما يكتب عن الأبواب الشريفة ، وربما شاركهم تكتب التت في ذلك .

الوظيفة الثالثة - نظر الخاص . وهي وظيفة محدثة، أحدثها السلطان الملك الناصر "محمد بن قلاوون" رحمه الله حين أبطل الوزارة على ما تقدم ذكره ، وأصل موضوعها التحدث فيما هو خاص بمال السلطان . قال في "مسالك الأبصار" : وقد صار كالوزير لقربه من السلطان وتصرفه ، وصار إليه تدبير جملة الأمور وتعيين المباشرين يعني في زمن تعطيل الوزارة . قال : وصاحب هذه الوظيفة لا يقدر على الاستقلال بأمر إلا بمراجعة السلطان ، ولناظر الخاص أتباع من تكتب ديوان الخاص كستوفي الخاص ، وناظر خزانة الخاص ونحو ذلك مما لا يسع استيعابه .

الوظيفة الرابعة - نظر الجيش . وموضوعها التحدث في أمر الإقطاعات بمصر والشام والكتابة بالكشف عنها ومشاوره السلطان عليها وأخذ خطه ؛ وهي وظيفة

جليلة رفيعة المقدار ، وديوانها أول ديوان وُضِعَ في الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم في خلافة عمر . قال الزُّهري : قال سعيد بن المسيب : وفلك في سنة عشرين من الهجرة ، وسيأتي الكلام على ما يتعلق بها في الكلام على كتابة المناشير في المقالة السادسة إن شاء الله تعالى . ولناظر الجيش أتباع يديوانه يُؤلَّون عن السلطان ، كصاحب ديوان الجيش وكتّابه وشهوده ، وكذلك صاحب ديوان المال ، وكتب المال ، وشهود المال . فإن المال كسلطانية فرع من الجيش ونظيره راجع إلى ناظر الجيش .

الوظيفة الخامسة - نظر الدواوين المعمورة والصحبة الشريفة . وهو المعبر عنه بناظر الدونة . وموضوعها التحدث في كل ما يتحدث فيه الوزير . وكل ما كتب فيه الوزير كتب فيه هو ، يكتب فيه بمثل ما رسم به .

الوظيفة السادسة - نظر الخزانة . قال في "مسالك الأبصار" : وكانت أولا كبيرة الوضع لأنها مستودع أموال المملكة . فلما أُسْتُحْدِثَتْ وظيفة الخالص ، صُغِرَ أمر الخزانة ، وسميت بالخزانة الكبرى ، وهو اسم فوق مسماه . قال : ولم يكن بها الآن إلا خلع تخلع منها أو ما يحضر إليها ويصرف أولا فأولا ، وفي الغالب يكون ناظرها من القضاة أو من يلحق بهم ، ولناظر الخزانة أتباع يُؤلَّون عن السلطان كصاحب ديوان الخزانة .

الوظيفة السابعة - نظر البيوت والحاشية . وهو نظر جليل ، وكل ما يتحدث فيه الأسادار له فيه مشاركة في التحدث فيه ، وقد تقدم تفصيل حال وظيفة الأسادارية .

الوظيفة الثامنة - نظريت المال . وموضوعها حمل حول المملكة إلى بيت المال والتصرف فيه تارة قبضا وصرفا وتارة بالتسوين محضرا وصرفا . قال في "مسالك الأبصار" : ولا يليها إلا ذو العدالة البارزة من أهل العلم والديانة .

الوظيفة التاسعة - نظر الإصطبلات السلطانية. وموضوعها مباشرة إصطبلات السلطان والتحدث في أنواع الخيول والبغال والدواب والجمال السلطانية؛ وعليها وعُدتها، وما لها من الاستعمالات والإطلاقات، وكل ما يتناع لها أو يباع منها، وأرزاق المستخدمين بها ونحو ذلك .

الوظيفة العاشرة - نظر دار الضيافة والأسواق . وموضوعها التحدث في أمر ما يتحصل من سوق الخيل والرقيق ونحوهما، وصرف ذلك في كلفة من يرد إلى الأبواب السلطانية من رُسل الملوك ونحوهم، وصرف مرتبات مقررة لأناس في كل شهر، والتحدث فيها ولايةً وعزلاً وتفيذاً راجعاً إلى الدوادار؛ وللوزير المشاركة معه في المتحصل في شيء مخصوص .

الوظيفة الحادية عشرة - نظر خزائن السلاح . وموضوعها التحدث على كل ما يستعمل من السلاح السلطاني، وعادته أن يجمع ما يتحصل من عمل كل مستنة ويجهز في يوم معين، ويحمل على رؤوس الخيالة إلى خزائن السلاح بالقلمة المحروسة، ويضع عليه وعلى رُفقه من المباشرين .

الوظيفة الثانية عشرة - نظر الأملاك السلطانية . وموضوعها التحدث على الأملاك الخاصة بالسلطان من ضياع ورياع وغير ذلك .

الوظيفة الثالثة عشرة - نظر البهار والكاري^(١) . وموضوعها التحدث على وأصل التجار الكاريمة من اليمن من أصناف البهار وأنواع المتجر، وهي وظيفة جليلة تارة تضاف إلى الوزارة ويجعل تبعاً لها، وتارة تضاف إلى الخالص ويجعل تبعاً لها، وتارة تفرد عنها بحسب ما يراه السلطان .

(١) ربح في الضوء الكافي باليون وقال انه نسبة الى الكلام فرقة من السودان كان منهم طائفة عقيمة بمصر يهربون في البهار من القفل والقرقل ونحوهما مما يجب من الهند واليمن فصرف ذلك بهم الى أكثر ما قال فراجعه .

الوظيفة الرابعة عشرة - نظر الأهرام بمصر بالصناعة . وهى شؤنة الغلال السلطانية التى يتكلم عليها الوزير ، وموضوعها التحدث فيما يصل إليها من النواحى من الغلال وغيرها ، وما يُصرف منها على الإصطبلات الشريفة والمنآخات السلطانية وغير ذلك .

الوظيفة الخامسة عشرة - نظر الموارث الحشرية . وموضوعها التحدث على ديوان الموارث الحشرية ممن يموت ولا وارث له ، أو وله وارث لا يستغرق ميراثه ، مع التحدث فى إطلاق جميع الموتى من المسلمين وغيرهم .

الوظيفة السادسة عشرة - نظر الطواحين السلطانية بمصر بالصناعة أيضا . وهو مغلق عظيم فيه عشرة حجارة يخرج منها فى كل يوم نحو خمسين تليسا .

الوظيفة السابعة عشرة - نظر الحاصلات . وهو المعبر عنه بنظر الجهات ؛ وموضوعه التحدث فى أموال جهات الوزارة من متحصل ومصروف أو حمل لبیت المال وغيره .

الوظيفة الثامنة عشرة - نظر المرتجعات . وموضوعها التحدث على ما يرجع من يموت من الأمراء ونحو ذلك ؛ وقد رُفِضت هذه الوظيفة وتعلّلت ولايتها فى الغالب وصار أمر المرتجع موقوفا على مستوى المرتجع ، وهو الذى يحكم فى القضايا الديوانية ويفصلها على مصطلح الديوان ، وهو المعبر عنه بديوان السلطان .

الوظيفة التاسعة عشرة - نظر الجزية . وموضوعها التحدث على ما يتحصل من عمل الجزية التى هى خاص السلطان ، وهى فرع من فروع الدواوين .

الوظيفة العشرون - نظر الوجه القبلى . وموضوعها التحدث على بلاد الصعيد بأسرها بما يتحصل فيها من ميراث وغيره .

الوظيفة الحادية والعشرون - نظر الوجه البحرى . وموضوعها كوضوح نظر الوجه القبلى المتقدم ذكره .

الوظيفة الثانية والعشرون - صحابة ديوان الجيش . وموضوعها التحدث فى كل ما يتحدث فيه ناظر الجيش من أحر الإقطاعات .

الوظيفة الثالثة والعشرون - صحابة ديوان البيارستان . وموضوعها التحدث فى كل ما يتحدث فيه ناظر البيارستان .

الوظيفة الرابعة والعشرون - صحابة ديوان الأحياس . وصاحبها يكتب فى كل ما يكتب فيه ناظر الأحياس إلا أنها بطلت .

الوظيفة الخامسة والعشرون - استيفاء الصعبة .

استيفاء الدولة (١)

النوع الثانى

(أرباب الوظائف الدينية ، وهم صفان)

الصف الأول

(من له مجلس بالحضرة السلطانية بدار العدل الشريف ،

وهو منحصر فى خمس وظائف)

الوظيفة الأولى - قضاء القضاة . وموضوعها التحدث فى الأحكام الشرعية وتنفيذ قضايها ، والقيام بالأوامر الشرعية ، والفصل بين الخصوم ، ونصب التواب

(١) تخدم الكلام عليهما فى الكلام على توابع الوظيفة الأولى من هذا النوع وهو الوزارة فرأى أنه لا داعى الى الإعادة فلا سقط كما قد يتوهم .

للتحدث فيما عسّر عليه مباشرته بنفسه ، وهى أرفع الوظائف الدينية واعلاها قدرا وأجلها رتبة .

وأعلم أن الأمر، فى الزمن الأول كان قاصرا على قاض واحد بالديار المصرية من أىّ منهب كان ، بل كان فى الدولة الفاطمية قاض واحد بالديار المصرية ، وأجناد الشام ، وبلا المغرب ، مضاف إليه اتحدث فى أمر الصلاة ودور الضرب وغير ذلك على ما استقف عليه فى تقاليد بعض قضاتهم فى الكلام على تقاليد القضاة إن شاء الله تعالى ، ثم استقر الحال فى الأيام الظاهرية ببيرس فى سنة ثلاث وستين وستائة على أربعة قضاة من مذاهب الأئمة الأربعة : الشافعى ومالك وأبى حنيفة وأحمد بن حنبل رضى الله عنهم ، وكان السبب فى ذلك فى ذكره صاحب "نهاية الأرب" أن قضاء القضاة بالديار المصرية كان يومئذ بيد القاضى تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعرز بمفرده ، وكان الأمير جمال الدين ايدغدى أحد أمراء السلطان الملك الظاهر المتقدم ذكره يعانده فى أموره ، ويغض منه عند السلطان ، لتبته فى الأمور وتوقفه فى الأحكام . فبينما السلطان ذات يوم جالس بدار العدل إذ رُفعت إليه قصة بسبب مكان باعه القاضى بدر الدين السنجارى ، ثم أذعى ذريته بعد وفاته أنه موقوف ، فأخذ الأمير ايدغدى يغض من القضاة بحضرة السلطان ، فسكت السلطان لذلك ، ثم قال للقاضى تاج الدين : ما الحكم فى ذلك ؟ قال : إذا ثبتت الوقفية يستعاد الثمن من تركة البائع ، قال : فإن عجزت للتركة عن ذلك ، قال : يوقف على حاله ، فأمتمض لها السلطان وسكت ، ثم جرى فى المجلس ذكر أمور أخرى توقف القاضى فى تمثيتها ، وكان آخر الأمر أن الأمير ايدغدى حسن للسلطان نصب أربعة قضاة من المذاهب الأربعة ففعل ، وأقر القاضى تاج الدين ابن بنت الأعرز فى قضاء الشافعية ، وولى الشيخ شهاب الدين أبو حفص عمر بن عبد الله بن صالح

السبكي - قضاة المالكية ، والقاضي بدر الدين بن سلمان قضاء الحنفية ، والقاضي شمس الدين محمد بن الشيخ عماد الدين إبراهيم القدسي - قضاء الحنابلة ، وجعل لهم الأربعة أن يؤلوا التواب بأعمال الديار المصرية ، وأفرد القاضي تاج الدين بالنظر في مال الأيتام والأوقاف ، وكتب له بذلك تقليدٌ من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر أوله " الحمد لله مجرد سيف الحق على مَنْ أعدى " ، ثم كل من الأربعة له التحدث فيما يقتضيه مذهبه بالقاهرة والقُسْطَاطِ ، ونصب التواب ، وإجلاس اليهود ، ويستقل الشافعي منهم بتولية التواب بنواحي الوجهين القبلي والبحري - لا يشاركه فيه غيره .

الوظيفة الثانية - قضاء العسكر . وهي وظيفة جليلة قديمة كانت في زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وكان قاضي عسكره بهاء الدين بن ^(١) وموضوعها أن صاحبها يحضر بدار العدل مع القضاة المتقدم ذكرهم ، ويسافر مع السلطان إذا سافر ، وهم ثلاثة نفر : شافعي ، وحنفي ، ومالكي ، وليس للحنابلة منهم حظ ، وجلسهم في دار العدل دون القضاة الأربعة المتقدمي الذكر على ما أتى بيانه إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثالثة - إفتاء دار العدل . وموضوعها على نحو ما تقتسم في قضاء العسكر ، وبها أربعة نفر ، من كل مذهب واحد ، وجلسهم دون قضاة العسكر على ما أتى ذكره .

الوظيفة الرابعة - وكالة بيت المال . وهي وظيفة عظيمة الشأن رفيعة القدر ، وموضوعها التحدث فيما يتعلق بعمليات بيت المال ومشترياته من أراض وأذر وغير ذلك ، والمعاقدة على ذلك وما يجري هذا المجرى . قال في "مسالك الأبصار" :

ولا يليها إلا أهل العلم والديانة ، ومجلسه بدار العدل : تارة يكون دون المحتسب ، وتارة فوقه بحسب رتبة قدر كل منهما في نفسه .

الوظيفة الخامسة - الحسبة . وهي وظيفة جليلة رفيعة الشأن ، وموضوعها التحدث في الأمر والنهي ، والتحدث على المعاش والصنائع ، والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته وصناعته . وبالحضرة السلطانية محتسبان : أحدهما بالقاهرة ، وهو أعظمهما قدرا وأرفعهما شأنا ؛ وله التصرف بالحكم والتولية بالوجه البحرى بجماله خلا الإسكندرية ، فإن لما محتسبا يُخصما ، والثاني بالقسطنطينية ومرتبته منقطة عن الأول ؛ وله التحدث والتولية بالوجه القبلى بجماله ، والذي يجلس منهما بدار العدل في أيام الموابك محتسب القاهرة فقط دون محتسب مصر ؛ ومحل جلوسه دون وكيل بيت المال ، وربما جلس أعلى منه إذا كان أرفع منه بعلم أو نحوه .

الصنف الثانى

(من أبواب الوظائف الدينية من لا يجلس له بالحضرة السلطانية)

وهذه الوظائف لاحصر لمدىها على التفصيل ، ولا سبيل إلى استيفاء ذكرها على تفاوت المراتب فوجب الاقتصاد على ذكر المهم منها .
ثم هذه الوظائف منها ما هو مختص بشخص واحد ، ومنها ما هو عام في أشخاص .
فأما التي هى مختصة بشخص واحد .

فمنها (رقابة الأشراف) وهي وظيفة شريفة ، ومرتبته نفيسة ؛ موضوعها التحدث على ولد على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهم المراد بالأشراف ، في الفحص عن أنسابهم والتحدث في أفعالهم

والأخذ على يد المعتدى منهم ونحو ذلك ، وكان يعبر عنها في زمن الخلفاء المتقدمين بنقابة الطالبين .

ومنها (مشيخة الشيوخ) والمراد بها مشيخة الخلقاء التي أنشأها الملك الناصر محمد ابن قلاوون بسرياقوس من ضواحي القاهرة .
أما مشيخة الخلقاء الصلاحية بالقاهرة المعروفة بسعيد السعداء ، فإنها وإن قدم زمنها وعظم قدرها دون تلك في المشيخة .

ومنها (نَفَرُ الأَحْبَاسِ المبرورة) وهي وظيفة عالية المقدار ، وموضوعها أن صاحبها يتحتم في رِزْقِ الجوامع والمساجد والرُّبَط والزوايا والمدارس من الأرضين المفردة لذلك من نواحي الديار المصرية خاصة ، وما هو من ذلك على سبيل البرّ والصدقة لأناس معينين ، وأصل هذه الوظيفة أن اللّيّ بن سعد رحمه الله اشترى أراضى من بيت المال في نواحي من البلدان وحسبها على وجوه البرّ ، وهي المسماة بديوان الأَحْبَاس بوجوه العين ، ثم أضيف إلى ذلك الرِّبَاع والدور المعروفة بالقُسطاط وغيره ، ثم أضيف إليها رِزْقُ الخطابات ، ثم كثرت الرِّزْق من الأرضين في الدولة الظاهرية بمرس بواسطة الصاحب بهاء الدين بن حنا وأخذت في الزيادة إلى زماننا ؛ وهي تارة يتحتم فيها السلطان بنفسه ، وتارة النائب ، وفي غالب الوقت يتحتم فيها الدُّوَادار الكبير على ما استقر عليه الحال آنحوا .

ومنها (نظر البيارستان) والمراد البيارستان المنصوريّ الذي أنشأه المنصور قلاوون بين القصرين ، وكان داراً لِسِتِّ الملك أخت الحاكم الفاطميّ فغير معاملة وزاد فيه ، وليس له نظير في الدنيا في برّه ومعروفه ؛ وهي من أجل الوظائف وأعلاهها ؛ وعادة النظر فيه من أصحاب السيوف لأكبر الأمراء بالديار المصرية .

وأما التي هي عامة في أشخاص .

فمنها (الخطابة) وهي في الحقيقة أجل الوظائف وأعلاها رتبة ، إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعلها بنفسه ، ثم فعلها الخلفاء الراشدون فمن بعدهم ، وهي على كثرة الجوامع بالديار المصرية بحيث إنها لا تحصى كثرة - لا يتعلق منها بولاية السلطان إلا القليل النادر : بكامع القلعة إلا إذا كان مفردا عن القضاء ونحو ذلك مما لا ناظر له خاص .

ومنهم (التداريس) وهي على اختلاف أنواعها من الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة وغير ذلك لا يولى السلطان فيها إلا فيما يعظم خطره ويرتفع شأنه مما لا ناظر له خاص كالمدرسة الصلاحية بجوار تربة الإمام الشافعي رضي الله عنه ، والزاوية الصلاحية بالجامع العتيق بالقسطنطين ، وهي المعروفة بالخشابية ، والمدرسة المنصورية بالبيارستان المنصورية المتقدم ذكره بين القصرين ، ودرس الجامع الطولوني ونحو ذلك .

المقصود الرابع

(في زى أعيان المملكة من أرباب المناصب السلطانية بالديار المصرية)

في ليسهم وركوبهم ، وهم أربع طوائف)

الطائفة الأولى

(أرباب السيف ، وزيتهم راجع إلى آخرين)

الأمر الأول (لبسهم) . ويختلف الحال فيه باعتبار مواضع اللبس من البدن . فاما ما به تغطية رؤوسهم ، فقد تقدم أنهم كانوا في الدولة الأيوبية يلبسون كؤوتات صغر بغير عمامتهم ، وكانت لهم ذوائب شعر يرسلونها خلفهم ، فلما كانت الدولة

الأشرفية "خليل بن قلاوون" رحمه الله، غير لو أنها من الصفوة إلى الحرمة وأمر بالعام من فوقها، وبقيت كذلك حتى حج الملك الناصر محمد بن قلاوون رحمه الله في أواخر دولته فخلق رأسه خلق الجميع رؤسهم، واستمروا على الخلق إلى الآن، وكانت عمامتهم صغيرة فزيد في قدرها في الدولة الأشرفية "شعبان بن حسين" فحسنت هيئتها وجادت، وهي على ذلك إلى زماننا.

١٧ وأما ثياب أبدانهم فيلبسون الأقمية التتيرية والتكلاوات فوقها ثم القباء الإسلامي فوق ذلك، يشد عليه السيف من جهة اليسار والصولق والكرك من جهة اليمين.

قال السلطان عماد الدين صاحب حجة في تاريخه: "وأول من أمر بذلك غازي بن زنكي أخو العادل نور الدين الشهيد حين ملك الموصل بعد أبيه، ثم الأمراء والمقدمون وأعيان الجند تلبس فوقه أقمية قصيرة الأكمام أقصر من القباء التحتاني بلا ثغرات كبير في قصر الكم وطوله، مع سعة الكم القصير وضيق الأكمام الطويلة."

ثم إن كان زمن الصيف كان جميع القماش من فوقاني وغيره أبيض من النصاف ونحوه، وتشد فوق القباء الإسلامي المنطقة، وهي الحياصة، ومعظم مناطقهم من الفضة المطلية بالذهب، وربما جملت من الذهب، وقد رصع باليشم. قال في "مسالك الأبصار": "ولا رصع بالجوهر إلا في خلع السلطان لأكابر أمراء المميين."

وإن كان زمن الشتاء كانت فوقانياتهم ملونة من الصوف النفيس والحرير الفاخر، تحته قرأ السجباب الفض. ويلبس أكابر الأمراء السُمُور، والوشق، والقائم والفنك، ويعمل في المنطقة منديلا لطيفا مُسدلا على الصولق، ومعظمهم يلبس

المطرز على الكُكَيْنِ من الزركش أو الحرير الأسود المرقوم . قال في "مسالك" : ولا يلبس المطرز إلا مَنْ له إقطاع في الحَلَقَةِ ، أمانٌ هو بعدُ بالجامكية ، فلا يتعاطى ذلك . وأما ما يجعل في أرجلهم ، فإن كان في الصيف لَبَسُوا الخفاف البيض العلوية ، وإن كان في الشتاء لبسوا الخفاف الصفر من الأديم الطافى ، ويشتون المهاميز المسقطة بالفضة في القدم على الخف . قال في "مسالك الأبصار" : ولا يَكْفَتُ مَهْمَا زَهْ بالذهب إلا مَنْ له إقطاع في الحَلَقَةِ على ما تقدم في لبس المطرز .

الأمر الثانى (ركوبهم) . أما ما يركبون ، فالحيل المَسُومَةُ النفيسة الأمان خصوصا الأمراء ومن يُلْحَق بِشَأْوِهِمْ ، ولا يركبون البغال بحال بل تركبها غلمانهم خلفهم بالتأش النفيس والهيئة الحسنة والقوالب المحلاة بالفضة ، وربما عُشِّيَ جميعها بالفضة بل ربما عُشِّيَ جميعها بالنعْب للسلطان وأعيان الأمراء ، ومعها العِي السابلة الملونة من الصوف الثاق ، وربما جعلت من الحرير لأعيانهم ، وقد يتخذ بذلك الكنايش بالحواشى المخايش ، وربما كانت زركشا للسلطان والأمراء ، وتحلى بجمعهم وتُسَقَطُ بالفضة بحسب اختيار صاحبها ، ويجعل الدُّبُوسُ في حَلَقَةٍ متصلة بالسرَج تحت ركبتة اليمنى . قال صاحب حمة : وأول من أمرهم بذلك غازى بن زكى حين أمرهم بشد السيوف في أوساطهم على ما تقدم ذكره . قال في "مسالك الأبصار" : وعلى الجملة فزيهم ظريف وعُدَّتْهم فائقة نفيسة .

الطائفة الثانية

(أرباب الوظائف الدينية من القضاة وسائر العلماء ؛

وزيهم راجع أيضا إلى أمرين)

الأمر الأول (ملبوسهم) . ويختلف ذلك باختلاف مراتبهم ، فالقضاة والعلماء

منهم يلبسون العمام من الشاشات البكار للغاية ، ثم منهم من يرسل بين كتفيه ذؤابة تلحق قَرَبُوسَ سرجه إذا ركب ، ومنهم من يجعل عَوَضَ الذُّؤَابَةِ الطليسانَ القائق ، ويلبس فوق ثيابه دلقاً منسج الأكام طولها مفتوحاً فوق كتفيه بغير تفريج ، سابل على قدميه . ويمتاز قضاة القضاة الشافعي والحنفي بلبس طرحة تستر عمامته وتسدل على ظهره ، وكان قبل ذلك غنصاً بالشافعي ، ومن دون هذه منهم تكون عمامته ألطف ، ويلبس بدل الدلق قُرْجِيَّةً مفرجة من قدامه من أعلاها إلى أسفلها مززرة بالأزرار ، وليس فيهم من يلبس الحرير ، ولا ما غلب فيه الحرير ، وإن كان شتاء كان القوقاني من ملبوسهم من الصوف الأبيض الملطى ، ولا يلبسون الملون إلا في بيوتهم ، وربما لبسه بعضهم من الصوف في الطرقات ، ويلبسون الخفاف من الأديم الطائفي بغير مهاييز .

الأمر الثاني (مركوبهم) . أما أعيان هذه الطائفة من القضاة ونحوهم فيركبون البغال النفيسة المساوية في الأثمان لمُسَوَّمَاتِ الخيول ، بلُجْمٍ يقال وسروج مدهونة غير محلاة بشيء من الفضة ، ويعملون حول السرج قرقيشياً من جوخ . قال في "مسالك الأبحار" : وهو شبه بثوب السرج مختصر منه ، ويعملون بدل العبي الككايش من الصوف المرقوم محاذية لكفل البغلة ، ويمتاز قضاة القضاة بأن يعمل بدل ذلك الزنار من الجوخ ، وهو شبه بالعباة مستدير من وراء الكفّل ولا يعلوه بردنب ولا قوش ، وربما ركبوا بالككايش . وأما من دون هؤلاء من هذه الطائفة فرموا ركبوا الخيول بالككايش والعبي .

الطائفة الثالثة

(مشايخ الصوفية)

وهم مُضَاهُونَ لطائفة العلماء في لبس الدلق إلا أنه يكون غير سابل، ولا طويل الكُم، وُيُرْخُون ذَوَابَةَ لطيفة على الأذن اليسرى لا تكاد تلتحق الكتف، ويركبون البغال بالكابيش على نحو ما تقدم .

الطائفة الرابعة

(أرباب الوظائف الديوانية)

أما أعيانهم كالوزراء وَمَنْ ضاهاهم ، فيلبسون القراحي المضاهية لقراحي العلماء المتقدمة الذكر، وربما لبسوا الحُجَّابَ المفرجة من ورائها . وقد ذكر في "مسالك الأبصار" : أن أكابرهم كانوا يجعلون في أكمامهم بادهنجات مفتوحة ، وقد صار ذلك الآن قاصراً على ما يلبسونه من التشاريف . وَمَنْ دُونَ هؤلاء يلبسون الفرجيات المفرجة من ورائها على ما تقدم .

وأما ركوبهم فيضاهي ركوب الجند أو يقاربه . قال في "مسالك الأبصار" : وتجمل هذه الطائفة بمصر أكل مامهم بالشام في زيَّهم وملبوسهم ، إلا ما يحكى عن قبط مصر في بيوتهم من اتساع الأحوال والتفقات، حتى إن الواحد منهم يكون في ديوانه بادئ اللباس وياكل أدنى المأكَل ، ويركب الحمار ، حتى إذا صار في بيته آتقل من حال إلى حال ونخرج من عدم إلى وجود . قال : ولقد تبلغ الناس فيما تحكى من ذلك منهم .

المقصود الخامس

(في هيئة السلطان في ترتيب الملك ، وله ثلاث ^(١) هيئات)

الهيئة الأولى

(هيئته في جلوسه بدار العدل لخلاص المقاليم)

عادةً هذا السلطان إذا كان بالقلمة في غير شهر رمضان أن يجلس بكرة يوم الاثنين بياوانه الكبير المسمى بدار العدل المتقّم ذكره مع ذكر القلمة في الكلام على حاضرة الديار المصرية ؛ ويكون جلوسه على الكرسي الذي هو موضوع تحت سرير الملك . قال في "مسالك الأبصار" : ويجلس على يمينه قضاة القضاة من المذاهب الأربعة ، ثم ويكل بيت المال ، ثم الناظر في الحسبة . ويجلس على يساره كاتب السر ، وقدامه ناظر الجيش وجماعة الموقعين تكلمة حلقة دائرية . قال : وإن كان الوزير من أرباب الأقاليم ، كان بينه وبين كاتب السر ، وإن كان من أرباب السيوف ، كان واقفا على بُعد مع بقية أرباب الوظائف . وكذلك إن كان ثم نائب وقف مع أرباب الوظائف . ويقف من وراء السلطان مماليك صغار عن يمينه ويساره من السلاح دارية والجدارية والخاصكية ؛ ويجلس على بُعد بقدر خمسة عشر ذراعا من يمينه ويسارته ذوو السن من أكابر أمراء الميكن ، وهم أمراء المشورة ؛ ويلهم من أسفل منهم أكابر الأمراء ، وأرباب الوظائف وقوف ، وباقي الأمراء وقوف من وراء المشورة ؛ ويقف خلف هذه الحلقة المحيطة بالسلطان المجاب والدوادارية لإحضار قصص أرباب الضرورات وإحضار المساكين ، وتقرأ عليه القصص فاحتاج فيه إلى مراجعة القضاة راجعهم فيه ، وما كان متعلقا بالسكر تحلّت فيه مع الحاجب وناظر الجيش ، ويأمر في البقية بما يراه .

(١) الصواب سبع كما يره في الضوء ، وهي في العدد أيضا سبع كما استراه .

قلت : وقد أمتنقز الحال لما أن يكون عن يمينه قاضيان من القضاة الأربعة :
وهما الشافعي والمالكي ، وعن يساره قاضيان وهما الحنفي ثم الحنبلي ؛ وعلى القاضي
المالكي من الجانب الأيمن قضاة السكر الثلاثة المتقدم ذكرهم الشافعي ثم الحنفي
ثم المالكي ؛ ويليهم مفتو دار العدل على هذا الترتيب ؛ ويليهم وكل بيت المال إذا علا
قدره عليه يعلم أو رئاسة . كل هؤلاء صف واحد عن يمين السلطان مستدبرين
جدار صدر الإيوان مستقبليين بابه ، والقاضيان الحنفي والحنبلي كذلك من الجانب
الأيسر ، والوزير إن كان من أرباب الأقلام إلى جانب الكرسي من الجانب الأيسر
بالخفاف ، وكاتب السريه ، وتستدير الحلقة حتى يصير المجلس بها مستديرا باب
الإيوان على ما تقدمت الإشارة إليه في كلام "مسالك الأبصار" .

الهيئة الثانية

(هيئة في بقية الأيام)

عادته فيما عدا الاثنين والخميس من الأيام أن يخرج من قصوره الجوانية المتقدم
ذكرها إلى قصره الكبير المشرف على اصطبلاته ، ثم تارة يجلس على تخت الملك الذي
بصدرة ، وتارة يجلس على الأرض ، ويقف الأمراء حوله على ما تقدم في الجلوس
في الإيوان ، خلا أمراء المشورة والفرهاء منه فليس لهم عادة بحضور هذا المجلس
إلا من دعت الحاجة إلى حضوره ، ثم يقوم في الثالثة من النهار فيدخل إلى قصوره
الجوانية لمصالح ملكه ، ويصبر عليه خاصته من أرباب الوظائف كالوزير ، وكاتب
السر ، وناظر الخصاص ، وناظر الجيش في الأشغال المتعلقة به على ما تدعو الحاجة إليه .

الهيئة الثالثة

(هيئة في صلاة الجمعة والعيد)

أما صلاة الجمعة فإن عاداته أن يخرج إلى الجامع المجاور لقصره المتقدم ذكره من القصر، ومعه خاصة امرائه، فيدخل من أقرب أبواب الجامع للقصر، ويصلي في مقصورة في الجامع عن يمين المحراب خاصة، ويصلي عنده فيها أكابر خاصته، ويحيى بقية الأمراء : خاصتهم وعاقبتهم فيصلون خارج المقصورة عن يمينها ويسارها على مراتبهم ، فإذا فرغ من الصلاة دخل إلى دور حريمه وذهب الأمراء كل أحد إلى مكانه .

وأما صلاة العيد ، فعاداته أن يركب من باب قصره ويتزل من متفذة من الإصطبل إلى الميدان الملاصق له ، وقد ضرب له فيه دليز على أكل ما يكون من الهيئة . ويخضر خطيب جامع القلعة إلى الميدان فيصلي به العيد ويخطب ، فإذا فرغ من سماع الخطبة ركب ونخرج من باب الميدان والأمراء والمسالك يمشون حوله ، وعلى رأسه العصائب السلطانية ، والفانشية محمولة أمامه ، والحر وهو المظلة محمول على رأسه مع أحد أكابر الأمراء المتقدمين وهو راكب فرسا إلى جانبه ، والأوشاقيان اللفنة المتقدم ذكرهما راكبان أمامه ، وخلفه الجنائب ، وعلى رأسه العصائب السلطانية ، وأرباب الوظائف من السلاح دارية كلهم خلفه ، والطبّردارية أمامه مشاة بأيديهم الأطبار ، ويطلع من باب الإصطبل ويطلع إلى الإيوان الكبير المتقدم ذكره ، ويمد السباط ويخضع على حامل الحر ، وأمير سلاح ، والأستادار ، والباشكير ، وجماعة من أرباب الوظائف ممن لهم خدمة في مهم العيد كتواب أستاذار ، وصغار الجاشنكيرية ، وناظر البيوت ونحوهم .

(١) لم يذكر هذه الجملة في النص ، وعلم ذكرها أولى لأنها سبقت .

الهيئة الرابعة

(هيئته لليب الكرة بالميدان الأكبر)

عادته أن يركب لذلك بعد وفاء النيل ثلاثة مواكب متوالية في كل سبت يتزل من قصره أول النهار من باب الإصطبل، وهو راكب على الهيئة المذكورة في العيد ماعدا الاحترفانه لا يحمل على رأسه، وتحمل العاشية أمامه في أول الطريق وآخره، ويصير إلى الميدان فيتزل في قصوره، ويتزل الأمراء منازلهم على قدر طبقاتهم، ثم يركب للعب الكرة بعد صلاة الظهر والأمراء معه، ثم يتزل فيستريح، ويستمر الأمراء في لعب الكرة إلى أذان العصر، فيصلى العصر ويركب على الهيئة التي كان عليها في أول النهار ويطلع إلى قصره .

الهيئة الخامسة

(هيئته في الركوب لكسر الخليج عند وفاء النيل)

واعلم أن السلطان قد يركب لكسر الخليج، ولم تخرج العادة بركوبه فيه بمظلة ولا رقية فرس . ولا غاشية، ولا ما في معنى ذلك مما تقدم ذكره في ركوب الميدان والعُيدين . بل يقتصر على السناجق، والطُردارية، والجاوشية ونحو ذلك، ويركب من القلعة عند طلوع صاحب المقياس بالوفاء في أى وقت كان، ويتوجه إلى المقياس فيدخله من بابه ويمد هناك سِمْطًا يأكل منه من معه من الأمراء والمالِك، ثم يذّاب زعفران في إناء ويتناوله صاحب المقياس ويتسبّح في فسقية المقياس حتى يأتى العمود والإناء الزعفران بيده فيخلق العمود، ثم يعود ويخلق جوانب الفسقية وتكون حِزَاقَة السلطان قد زُيِّت بأنواع الزينة، وكذلك حراريق الأمراء، وقد فُخ شُبَّاك المقياس المطل على النيل من جهة القُسطاط وعُلّق عليه ستر، فيؤتى بحِزَاقَة

السلطان إلى ذلك الشاب فيزل منه ويسبح وحراريق الأمراء حوله وقد شجن البحر بمراكب المتخرجين ، يسرون خلف الحراريق حتى يدخل إلى فم الخليج ، وحرقة السلطان العظمى المعروفة بالذهبية وحراريق الأمراء يلعب بها في وسط امتدادها ، ويرعى بمداخل النقط على مقدمها ، ويسير السلطان في حرقة الصغيرة حتى يأتي السد فيقطع بحضوره ، ويركب وينصرف إلى القلعة .

الهيئة السادسة

(هيئة في أسفاره)

ولم تجر العادة فيها باظهار ما تقدم من الزينة في موكب العيد والميدان ، بل يركب في عدة كبيرة من الأمراء : الأكابر والأصاغر ، والخواص ، والفرباء ، وخواص مماليك . ولا يركب في السير رقية ولا عصائب ، ولا تقيع جنائب ، ويقصد في الغالب تأخير التزول إلى الليل . فإذا دخل الليل حلت أمامه فوانيس كثيرة ومشاعل ، فإذا قارب تحييمه ، تلى بالشموع المركبة في الشمعدانات المكففة ، وصاحت الحلويشية بين يديه ، وترجل الناس كافة إلا حملة السلاح والأوشاقية وراعه ، ومشيت الطبردارية حوله حتى يدخل الدهليز الأول من تحييمه فيزل ويدخل إلى الشقة ، وهي خيمة مستديرة متسعة ، ثم منها إلى شقة مختصرة ، ثم إلى لاجوق . وبدأ كل خيمة من جميع جوانبها من داخلها سور حركاه من خشب ، وفي صدر الألاجوق قصر صغير من خشب ينصب للبيت فيه ، وينصب بإزاء الشقة حمام بقدر من رصاص وحوض على هيئة الحمامات بالمدن إلا أنه مختصر . فإذا نام طافت به الممالك دائرة وظاف بالجميع الحرس ، وتدور الزفة حول الدهليز في كل ليلة مرتين : عند نومه وعند استيقاظه من النوم ، ويطوف مع الزفة أمير من أكابر الأمراء وحوله

القوانين والمشاعل، ويبيت على باب الدهليز أو باب الوظائف من النقاء وغيرهم .
فإذا دخل إلى المدينة، ركب على هيئة ركوبه لصلاة العيد بالمظلة وغيرها ، هذا
ما يتعلق بخاصته .

أما موكله الذى يسير فيه جمهور ممالكه ، فشماره أن يكون معهم مقدم الممالك
والاستادار ، وأمامهم الخزان والجنائب والجن ، ويكون يصحبته فى السفر من كل
ما تدعو الحاجة إليه من الأطباء والكهالين والجراحية وأنواع الأدوية والأشربة
والمقاهير وما يجرى مجرى ذلك ، يُصرف ذلك لمن يعرض له مرض بالطريق .

الهيئة السابعة

(النوم)

وقد جرت العادة أنه يبيت عنده خواص ممالكه من الأمراء وأرباب الوظائف
من الجندارية وغيرهم ، يَسْهَرُونَ بالنوبة بقسمة بينهم على بناكم الرمل ، كلما انقضت
نوبة قوم أيقظوا أصحاب النوبة الذين يلونهم ، ويتعافى كل منهم ما يشاغله عن
النوم فقوم يقرءون فى المصاحف ، وقوم يلعبون بالشطرنج والأكل وغير ذلك .

(١) أى يقوم يتعافون بالأكل الخ .

المقصود السادس

(في عاداته في إجراء الأرزاق ؛ وهو على ضربين)

الضرب الأول

(الجارى المستقر ؛ وهو على نوعين)

النوع الأول

(الإقطاعات)

والإقطاعات في هذه المملكة تجرى على الأمراء والجند ، وعانة إقطاعاتهم بلاد وأراض يستغلها مقطاعها ويتصرف فيها كيف شاء ، وربما كانت فيها نقد يتناوله من جهات وهو القليل ، وتختلف باختلاف حال أربابها .

فأما الأمراء بالديار المصرية فقد ذكر في " مسالك الأبصار " أن أكابر الأمراء يبلغ إقطاع الواحد منهم مائتي ألف دينار جوشية ، وربما زاد على ذلك . ويتناقص باعتبار انحطاط الرتبة إلى ثمانين ألف دينار وما حوله ، ويبلغ إقطاع الواحد من أمراء الطبقة ثلثين ألف دينار فأكثر ، وينقص إلى ثلاثة وعشرين ألف دينار ، ويبلغ إقطاع الواحد من أمراء العشرات تسعة آلاف دينار إلى مائة ألف ، ويبلغ إقطاع الواحد من مقدمي الحلقة إلى ألف وخمسمائة دينار ، وكذلك أعيان جند الحلقة إلى مائتين وخمسين ديناراً .

وأما إقطاعات الشام فلا تُقارب هذا المقدار بل تكون بقدر الثلثين في جميع ما تقدم . خلا أكابر الأمراء المقدسين بالديار المصرية ، فليس بالشام من يبلغ شأهم إلا نائب الشام فإنه يقاربهم في ذلك . قال في " مسالك الأبصار " : وليس للتراب في الممالك مدخل في تأمير أمير عوَض أمير بل إذا مات أمير صغير أو كبير طولج به

السلطان فأمر مكانه مَنْ أراد ممن في خدمته، ويخرجه إلى مكان الخدمة، وأما مَنْ كان في مكان الخدمة أو ينقل إليه من بلد آخر فعلى ما يراه في ذلك .

أما جُند الحَلَقَة، فمن مات منهم أستخدم النائب عَوَضَه، وكتب بذلك رُقعة في ديوان جيش تلك المملكة، ويجهز مع بريدى إلى الأبواب السلطانية فيُقابل عليها من ديوان الجيش بالحضرة، ثم إن أمضاها السلطان كتب عليها (يكتب) ويكتب بها مربعة من ديوان الجيش، ويكتب عليها منشور .

ولجميع الأمراء بحضرة السلطان الرواتبُ الجاريةُ في كل يوم: من اللحم، والتوابل، والخبز، والعليق، والزيت، ولأعيانهم الكسوة والشَّمْع، وكذلك الممالك السلطانية وذوؤ الوظائف من الجند مع تفاوت مقادير ذلك بحسب مراتبهم وخصوصيتهم عند السلطان وقربهم إليه . قال في "مسالك الأبصار" : وإذا نشأ لأحد الأمراء ولد، أطلق له دنائير وخزولم وعليق إلى أن يتأهل للإقطاع في جملة الحَلَقَة، ثم منهم من ينقل إلى العشرة أو الطلخاناه على حسب الحظوظ والأرزاق .

النوع الثاني

(رزق أرباب الأقاليم)

وهو مبلغ يصرف إليهم مُشَاهرة . قال في "مسالك الأبصار" : وأكبرهم كالوزير له في الشهر مائتان وسمسون ديناراً جيشية، ومن الرواتب والفلّة ما إذا بسط وثنى كان نظير ذلك . ثم دون ذلك ودون دونه . ولأعيانهم الرواتب الجارية: من اللحم، والخبز، والعليق، والشَّمْع، والسكر، والكسوة ونحو ذلك . إن غير ذلك مما هو جار على العلماء وأهل الصلاح من الرواتب والأراضي المؤبدّة . وما يجري مجراها مما يتوارثه الخلف عن السلف مما لا يوجد مملكة من الممالك . ولا مصر من الأمصار .

الضرب الثاني

(الإتمام وما يجرى مجراه : مما يقع في وقت دون وقت ، وهو على خمسة أنواع)

النوع الأول

(الجلع والتشريف)

قال في "المسالك" : وإصاحب مصر في ذلك اليد الطولى حتى بقي بابه سوقاً يتفق فيه كل مجلوب ، ويحضر الناس إليه من كل قطر حتى كاد ذلك ينهك المملكة ويودي بمحصلاتها عن آخرها . قال : وغالب هذا مما قرره هذا السلطان ، ولقد أتعب من يئبه بعده من كثرة الإحسان ، وهي على ثلاثة أصناف .

الصنف الأول

(تشريف أرباب السيف)

وهي على طبقات ، أعلاها ما هو مختص بالأمرء المقدمين من التواب وغيرهم فوقاني أطلس أحمر بطرز زركش ، مفرى بسنجاب ، بدائره يحف من ظاهره مع غشاء قندس ، وتحت قباء أطلس أصفر ، وكلوتة زركش بكلايب ذهب ، وشاش رفيع موصول به طرفان من حرير أبيض ، مرفومان بالقباب السلطان مع نقوش باهرة من الحرير الملون ، ومنطقة ذهب مرعبة على حاشية حرير تشد في وسطه ، ويختلف حال المنطقة بحسب المراتب ، فأعلاها أن يعمل من عمدتها [بواكير^(١)] وسطاً ومحبيين ، مرصعة بالبخش والأزمرد واللؤلؤ ، ثم ما كان بيكارية واحدة مرصعة ، ثم ما كان بيكارية واحدة من غير ترصيع ، فإن كان التشريف لتقليد ولاية مُبَخَّمة ، زيد سيقاً محلياً بذهب وفرنساً مشرجاً ملجأ بكنبوش زركش ، ودجا زيد أكار التواب كائب الشام

(١) الزيادة عن سنن الصبح .

تركية زركش على الفوقاني، وشاش حرير سكندري مموج بالذهب. ويعرف ذلك بالتممر. وعلى ذلك كان شاش صاحب حمة، ويكون عوض كنبوشه زناري-أطلس أحمر، ودون ذلك من التشاريف أقبية طرد وحش من عمل الإسكندرية ومصر والشام، مموج : جاخات مكتوبة بالقباب السلطان، وجاخات صور وحوش أو طيور صفار، وجاخات ملونة مموجة بقصب مذهب، يفصل بين جاخاته نقوش، يركب على القباء طراز زركش، وعليه السنجاب والقدس كما تقدم، وتحت قباء من الطرح السكندري المفرج، وكلوة زركش بكلايب وشاش كما تقدم، وحياسة ذهب تارة تكون بيكارية وتارة لا تكون، وهذه لأصاغر أمراء المئين ومن يلحق بهم. وكذلك أصحاب الوظائف المختصة بذلك كالجوكندار والولاء ومن يجرى مجراهم. ثم للتشاريف أماكن.

منها إذا ولي أمير أو صاحب منصب وظيفة فإنه يلبس تشريفا يناسب ولايته التي وليها على حسب ما تقتضيه الرتبة علوا وهبوطا.

ومنها عيد الفطر، يخلع فيه على جميع أرباب الوظائف : من الأمراء وأرباب الأقاليم كالأسنادار والتوادار وأمير سلاح والوزير وكاتب السر وناظر الخالص وناظر الجيش ونحوهم، كل منهم بما يناسبه.

قال في "مسالك الأنصار" : ومن عادة السلطان أن يعمد لكل عيد خلعة على أنها للمبوسه من نسبة خلع أكابر المئين فلم يلبسها، ولكن يختص بها بعض أكابر المئين يخلعها عليه.

ومنها الميادين، يخلع فيها على أكابر الأمراء كل ميدان يختص بأمير أو أكثر يلبس فيه خلعة من المفترج المذهب.

(١) لم يذكر في الأصل الصف الثاني والثالث وهما تشاريف الوزراء والكتاب وتشاريف القضاة والعلماء. وقد تكلم عليها في المتن، فأنظره.

ومنها دوران الحمل في شوال ، يخلع فيه على أرباب الوظائف بالحمل كالقاضي والناسخ والمحاسب والشاهد والمقدمين والأئمة وناظر الكسوة ومباشرها ومن في معانهم .

النوع الثاني

(الخيول)

قد جرت عادة صاحب مصر أن ينعم على أمرائه بالخيول مرتين في كل سنة : المرة الأولى عند خروجه إلى مرابط خيوله على القُرط في أواخر ربيعها ، فينعم على الأخصياء من أمرائه بما يختاره من الخيول على قدر مراتبهم ، وتكون خيول المقدمين منهم مُسَرَّجَة مُلَجَّمة بكأيش من زركش ، وخيول أمراء الطلبانات عُمرًا من غير قَاش . المرة الثانية عند لَعيه الكُرَّة بالميدان ، وتكون خيول المقدمين والطلبانات مُسَرَّجَة مُلَجَّمة بفضة بسيرة بلا كأيش ، وكذلك يرسل إلى نواب الممالك الشامية كل أحد بحسبه ، وليس لأمرء العشرات في ذلك حظ إلا ما يتفقدون به على سبيل الإنعام .

قال المقر الشهابي بن فضل الله : وللخاصة المقربين من الأمراء المقدمين والطلبانات زيادات كثيرة في ذلك بحيث يصل بعضهم إلى مائة فرس في كل سنة ؛ وله أوقات أخرى يفرق فيها الخيل على ممالكهم وربما أعطى بعض مقدمي الحلقة ؛ وكل من مات له فرس من ممالكه دفع إليه عوضه ، وربما أنهم بالخيول على ذوي السن من أكابر الأمراء عند الخروج إلى الصيد ونحوه .

والخيول الأمراء في كل سنة إطلاقات أراض بالأعمال الجيزية لزراع القُرط والحيول من غير تحراج ، وللمالك السلطانية البرسيم المزدرع على قدر مراتبهم ، وما يدفع

إليهم من القرط يكون بدلا من علق الشعير المرتب لهم في غير زمن الربيع عوضا عن كل عقيقة نصف فدان من القرط الفائم على أصله في مدة ثلاثة أشهر .

النوع الثالث

(الكسوة والحوافض)

قد جرت عادة السلطان أنه ينعم على مماليكه وخواص أهل المناصب من حملة الأعلام في كل سنة بكسوة في الشتاء وكسوة في الصيف على قدر مراتبهم، ومن عاداته أنه إذا ركب للعب الكرة بالميدان فرق حوائص من ذهب على بعض الأمراء المقدمين، يفزق في كل موكب ميدان على أميرين بالتوبة حتى يأتي على آخرهم في ثلاث سنين أو أربع بحسب ما تقع توبته في ذلك . قال في "المسالك" : أما أمراء الشام فلا حظ لهم من الإنعام في أكثر من قباء واحد يلبس في وقت الشتاء إلا من تعرض لقصد السلطان فإنه ينعم عليه بما يقتضيه حاله .

النوع الرابع

(الإنعام والأوقاف^(١))

وأكثر الأوقات لا ضابط لعطائه إنما يكون بحسب منزلة المتعم عليه عند السلطان وقربه منه . قال في "مسالك الأبصار" : ولخاصة الأمراء المقدمين أنواع من الإنعامات كالعقار والأبنية الضخمة التي ربما أنفق على بعضها فوق مائة ألف دينار، وكساوى القماش المتنوع، وفي أسفارهم في وقت خروجهم إلى الصيد وغيره الملوقات والأموال .

(١) في الضوء "والإدارة" .

النوع الخامس

(الماكول والمشروب)

أعظم أسطة هذا السلطان تكون بالإيوان الكبير أيام المواكب . إذا خرجت القضاة وسائر أرباب الأقلام من الخدمة ، مُدَّ السباط بالإيوان الكبير من أوله إلى آخره بأنواع الأطعمة المنوعة الفاتحة . ويجلس السلطان على رأس الخوان والأمراء بمنّة وسيرة على قدر مراتبهم في القرب من السلطان ، فيأكلون أكلا خفيفا ثم يقومون . ويجلس من دونهم طائفة بعد طائفة . ثم يُرفع الخوان . وأما في بقية الأيام فيمد الخوان في طرفي النهار لعامة الأمراء خلا البرتانيين فإنه لا يحضره منهم إلا القليل النادر .

ففي أول النهار يمد سباط أول لا يأكل منه السلطان شيئا ، ثم سباط ثان بعده قد يأكل منه السلطان وقد لا يأكل . ثم سباط ثالث بعده يسمى الطارئ ، ومنه ماكول السلطان .

وفي آخريات النهار يمد سباطان الأول والثاني المسمى بالخاص ، ثم إن استدعى بطارئ حضر ، وإلا فيحسب ما يؤمر به . وفي كل هذه الأسطة يسبق بعلمها المشروب من الأقسام السكرية عقب الأكل . وأما في الليل فيبيت بالقرب من ميته أطباق من أنواع المأكول المختلفة والمشروب الفائق ليتشاغل أصحاب التوب بالماكول والمشروب عن النوم . قال في "مسالك الأبصار" : ولكل ذي إمرة بمصر من خواص السلطان عليه السكر والجلاوى في شهر رمضان ، والضحية على مقادير رتبهم .

المقصود السابع

(في اختصاص صاحب هذه المملكة بأماكن داخلية في نطاق مملكته ، يتنازها

على ملوك الأرض من المسلمين وغيرهم)

منها الكعبة المعظمة داخلية في نطاق هذه المملكة ، واختصاصه بكسوتها ودوران المحمل في كل سنة .

أما كسوة الكعبة ، فإنها كانت في الزمن الأول مخصصة بالخلفاء ، وكانت خلفاء بني العباس يجهزونها من بغداد في كل سنة ، ثم صارت إلى ملوك الديار المصرية يجهزونها في كل سنة ، واستقرت على ذلك إلى الآن . ولا عبرة بما وقع من استبداد بعض ملوك اليمن في بعض الأعصار بذلك في بعض السنين ، وهذه الكسوة تُنسج بالقاهرة المحروسة بمشهد الحسين من الحرير الأسود مطرزة بكثابة بيضاء من نفس النسيج ، فيها : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ۚ ﴾ الآية . ثم في آخر الدولة الظاهرية برقوق استقرت الكثابة صفراء مشعرة بالذهب . وهذه الكسوة ناظر مستقل بها ، ولها وقف أرض يسوس من ضواحي القاهرة يُصرف منها على استعمالها .

وأما دوران المحمل ، فقد جرت العادة أنه يدور في السنة مرتين : المرة الأولى في شهر رجب بعد النصف منه ، ويجعل وينادي لأصحاب الحوانيت التي في طريق دورانه بترتين حوانيتهم قبل ذلك بثلاثة أيام ، ويكون دورانه في يوم الاثنين أو الخميس لا يتمددا ، ويجعل المحمل على جمال وهو في هيئة لطيفة من تحركه وعليه غشَاء من حرير أطلس أصفر ، وبأعلاه قبة من فضة مطلية وبيوت في ليلة دورانه داخل باب النصر بالقرب من باب جامع الحاكم ، ويجعل بعد الصبح على الجبل المذكور

ويسير إلى تحت القلعة، فيركب أمامه الوزير والقضاة الأربعة والمحاسب والشهود وناظر الكسوة وغيرهم، ويركب جماعة من المماليك السلطانية الرماحة ملبسين المصفقات الحديد المغطاة بالحرير الملون، وخبولهم ملبسة البركتوانات والوجوه الفولاذ كما في القتال، وبايديهم الرماح، عليها الشطافات السلطانية فيلمبون تحت القلعة كما في حالة الحرب، ومنهم جماعة صفار بيد كل منهم رمحان يديرهما في يده وهو واقف على ظهر الفرس، وربما كان وقوفه في ثقل من خشب على دُكَّاب سيفين من كل جهة، وهو يفعل كذلك ويهتوا من أزيار النقط وغيرها جملة مستكثرة، ويطلق تحت القلعة في خلال ذلك، ثم يذهب إلى القُسطاط فيتمزق وسطه، ثم يعود إلى تحت القلعة ويفعل كما في الأول إلا أنه أقل من ذلك، ثم يجعل من جامع الحاكم ويوضع في مكان هناك إلى شوال؛ وفي خلال ذلك كله العلبخانات والكوسات السلطانية تضرب خلفه، ويخفق فيه على جماعة مستكثرة، وكذلك يفعل في نصف شوال إلا أنه يرجع من تحت القلعة إلى باب النصر ويخرج إلى الرِّيدانية للسفر ولا يتوجه إلى القُسطاط.

المقصود الثامن

(في آتياه الأخبار إليه، وهو على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(أخبار الملوك الواردة عليه مكتبات منهم)

وقد جرت العادة أنه إذا وصل رسول من ملك من الملوك إلى أطراف مملكته كاتَّب نائب تلك الجهة السلطان عزفه بوقوده، وأستأذنه في إخصاصه إليه، فتمرَّز المراسيم السلطانية بحضوره فيحضر، فإذا وقع الشعور بحضوره فإن كان مرسله

ذا مكانة عظيمة من الملوك : كأحد القانات من ملوك الشرق ، نخرج بعض أكابر
الأمراء كالثائب وحاجب الجُحَاب ونحوهما للقائه . وأُنزل بقصور السلطان بالميدان
الذى يلعب فيه بالكرة . وهو أعلى منازل الرسل . وإن كان دون ذلك لقاء
المهمندار وأسأذن عليه الدوادار وأُنزله دار الضيافة أو ببعض الأماكن على قدر
رتبته . ثم يرتقب يوم موكب فيجلس السلطان بإيوانه ، وتحضر أعيان المملكة الذين
شأنهم الحضور من أرباب السيوف والأقلام ، ويحضر ذلك الرسول ومحبته
الكتاب الوارد معه . فيقبل الأرض ويتناول الدوادار الكتاب منه فيمسحه بوجه
الرسول . ثم يدفعه إلى السلطان فيقبضه ويدفعه إلى كاتب السر فيقرؤه على السلطان
ويأمر فيه أمره .

النوع الثاني

(الأخبار التي تردُّ عليه من جهة نوابه)

عادة هذا السلطان أن يطالعه نوابه في مملكته بكل ما يجتهد عندهم من مهمات
الأمر أو ما قاربها ، وتؤخذ أوامره وتعود أجوبته عليهم من ديوان الإنشاء بما
يراد في ذلك ، أو يتدشّم هو بما يقتضيه رأيه ، وينفذ على البرد أو أجنحة الحمام
الرسائل على ما يأتي ذكره في المقالة الثالثة من الكتاب إن شاء الله تعالى .

وقد جرت العادة أنه إذا ورد برّيد من بلد من بلاد المملكة أو عاد المجهز من
الأبواب الشريفة بجواب . أحضره أمير جاندار والدوادار وكاتب السر بين يدي
السلطان فيقبل الأرض . ثم يأخذ الدوادار الكتاب فيمسحه بوجه البريدي ، ثم
يناوله للسلطان فيقبضه ويجلس كاتب السر فيقرؤه عليه ويأمر فيه بأمره .

وأما بطائق الحمام ، فإنه إذا وقع طائر من الحمام الراسلى ببطاقة أخذها البتراج وأنى بها الدوادار، فيقطع الدوادار البطاقة عن الحمام بيده ، ثم يحملها إلى السلطان ويحضر كاتب السر فيقرأها كما تقدم .

النوع الثالث

(أخبار حاضره)

جرت العادة أن والى الشرطة يستعلم متجندات ولاياته من قتل أو حريق كبير أو نحو ذلك في كل يوم من توابه ، ثم تكتب مطالعة جامعةً بذلك وتعمل إلى السلطان صبيحة كل يوم فيقب عليها . قال في "مسالك الأبصار" : وأما ما يقع للناس في أحوال أنفسهم فلا .

المقصود التاسع

(في هيئة الأمراء بالديار المصرية وترتيب إمرتهم)

وأعلم أن كل أمير من أمراء المئين أو الطبلخانات سلطان مختصر في غالب أحواله ، ولكل منهم بيوت خدمة كبيوت خدمة السلطان من الطشت خاناه ، والقراش خاناه ، والركاب خاناه ، والأزرد خاناه ، والمطبخ ، والطبلخاناه ، خلا الحوائج خاناه فإنها مختصة بالسلطان ، ولكل واحد من هذه البيوت مهتار متسلم حاصله ، وتحت يده رجال وغلمان لكل منهم وظيفة تخصه ، وكذلك لكل منهم الحواصل من إصطبلات الخيول ومناخات الجمال وشون الغلال ؛ وله من أجناده أستاذار ، ورأس توبة ، ودوادار ، وأمير مجلس ، وجمدارية ، وأمير اخور ، وأستاذار محبة ، ومشرف . وتوصف البيوت في دواوين الأمراء بالكرمة ، فيقال البيوت الكريمة كما يقال في بيوت السلطان البيوت الشريفة ، وكذلك كل فرد منها فيقال : الطشت خاناه الكريمة والقراش خاناه

الكرمة ، وكذا في الباقي ؛ ويوصف الإصطبل بالسعيد فيقال : الإصطبل السعيد ، وكذلك المناج ، وتوصف الشئون بالمعمورة فيقال : للشئونة المعمورة . قال في "مسالك الأبصار" : ومن رسم الأمراء أن يركب الأمير منهم حيث ركب وخلفه جنيب مسرج ملجم ، وربما ركب الأمير من أكابرهم بمجنيين سواء في ذلك الحاضرة والبر . قال : ويكون لكل منهم طلب مشتمل على أكثر مما يليك ، وقدامهم نيزانة محمولة للطلبغاناء على جمل واحد ، يجزءه راكب على جمل آخر ، والألف على جملين وربما زاد بعضهم على ذلك . وأمام النيزانة عتة جنانب تُجَزَّ على أيدي عماليك رُكَّاب خيل وِجَن ، ورُكَّابة من العرب على وِجَن ، وأمامهم الهِجَن بأكوارها مجنونة ، للطلبغاناء قطار واحد وهو أربعة ، ومركوب المجَّان والألف قطاران وربما زاد بعضهم . قال : وعدد الجنائب في كثيرتها وقتها إلى رأى الأمير وسعة نفسه ، والجنائب المذكورة منها ماهو مسرج ملجم ، ومنها ماهو بعباءة لا غير . انتهى كلامه .

ومن عاداتهم أيضا أن الأمير إذا ركب يكون أكابر أجناده من أرباب الوظائف : كراس نوبة والوداد ، وأمير مجلس ، ومشاة الخدمة أمامه ؛ وكل من كان منهم أكبر كان إليه أقرب ؛ وتكون الجندارية من عماليكه الصغار خلفه وأمير اخوره خلف الجميع ، ومعه الجنائب والأوشاقية على قاعدة السلطان في ذلك .

ومن عادة أكابر مجالس بيوتهم أنه ينصب للأمير بشتميخ خلف ظهره من الخوخ الأحمر المزهر بالخوخ الملون ، يرك ذلك الأمير وطرار فيه ألقابه ، ويجلس على مقعد مُسْنِدًا ظهره إلى البشتميخ ، وربما جلس أكابرهم على مدقورة من جلد ورجلاه على الأرض ، وتكون الناس في مجلسه في القرب إليه على حسب مراتبهم .

ومن عادة كل أمير من كبير أو صغير أن يكون له رنك يخصه ما بين هتاب أو دواة أو بقجة أو فرنسية ونحو ذلك ، بشطفة واحدة أو شطفتين ، بألوان مختلفة ، كل

أمير بحسب ما يختاره ويؤثره من ذلك، ويجعل ذلك دهانا على أبواب بيوتهم والأماكن المنسوبة إليهم كطابخ السكر، وشون النسلال، والأملك والمراكب وغير ذلك، وعلى قماش خيولهم من جوخ ملون مقصوص، ثم على قماش جمالهم من خيوط صوف ملونة تنقش على العبي والبلاسات ونحوها، وربما جعلت على السيوف والأقواس والبركسطوانات الخيل وغيرها.

ومن عوائد أسراء العسكر بالحضرة السلطانية أنهم يركبون في يومى الاثنين والخميس في الموكب متضمين على نائب السلطنة الكافل إن كان، وإلا فعلى حاجب الحجاب، ويسبرون تحت القلعة صراخاً، ثم يقفون بسوق الخيل وتعرض عليهم خيول المتادة، وربما نودى على كثير من آلات الخيل والحليم والحركاوات والأسلحة. قال في "مسالك الأبحار": وقد ينادى على كثير من العقارات، ثم يطلمون إلى الخدمة السلطانية على ما تقدم.

ومن عادة هذه الملكة أن أجناد الأمراء كافة تعرض بديوان الجيوش السلطانية وتثبت أسماءهم مفصلة فيه، وكانوا فيما تقدم يحلون بالديوان. أما الآن، فقد ترك ما هنالك واكتفى بأوراق تكتب من دواوين الأمراء بأسماء أجناده وتخلد بديوان الجيوش، ثم كلب مات واحد منهم أو فصل من الخدمة، عرض بديوان الجيش واحد مكانه يسير فيه عرض من ديوان ذلك الأمير.

ومن عاداتهم أن من مات من الأمراء والجند قبل استكمال سنة خدمته حوسب في مستحق إقطاعه على مقدار مدته، وكتب له بذلك محاسبة من ديوان الجيوش، ويكون ما يتحصل من المال شركة بين المستحق وبين الميت أو المفصل على حسب استحقاق القراريط، كل شهر من السنة بتبراطين.

ومن عادة الأمراء أنه إذا مر السلطان في متصيداته بإقطاع أمير كبير، قدم له من الإوز والدجاج وقصب السكر والشعير ما تسمو إليه مئة مثله فيقبله منه ، ثم ينعم عليه بخلعة كاملة يلبسها ، وربما أمر لبعضهم بشيء من المال فيقبضه .

المقصود العاشر

(في ولاة الأمور من أرباب السيوف بأعمال الديار المصرية .

وهم على أربع طبقات)

الطبقة الأولى

(الثواب ، والمستخر بها ثلاث نيات)

الأولى - نيابة الإسكندرية : وهي نيابة جليسة ، نائبا من الأمراء المقدمين يضاهاى في الرتبة نيابة طرابلس وما في معناها أو يقاربها ، وبها حاجب أمير عشرة ، وحاجب جندى ، ووال للدينة ، وأجناد حلقية عدتهم مائتا نفر ، يعبر عنهم بأجناد المائتين ، وبها قاضى قضاة مالكي ، وقاض حنفى مستحدث . وربما كان بها قاض شافعى ، والمالكي أكبر الكل بها ، وهو المتحدث في أموال الأيتام والأوقاف . على أنه ربما ولي قضاة قضائيا في الزمن الماضى شافعى ، وبها موقع يعبر عنه في البلد بكتاب السر ، ونظر مستحدث في الأموال الديوانية ، ومعه مستوف ، وتحت يده كُتاب وشهود ، وبها محاسب ، وليس بها قضاة عسكر ولا مفتو دار عدل . ويكيل بيت المال بها نائب عن نائب بيت المال بالقاهرة ، وترتكز بها أمراء المقدمين والطلبغايات في غير الزمن الذى يمنع سير المراكب الحربية والبحر بشدة الريح منها . ووال للتركيز يسمى الحاجب . وقد مر القول على معاملتها . وذكر أحوالها في الكلام على قواعد الديار المصرية المنسقة فغنى عن إعادته هنا .

وهذه النيابة مع جلالة قدرها ورقعة محلها ليس لها عمل يحكم فيه نائبها ولا قاضيا ومحسبها، بل حكمهم قاصر على المدينة وظواهرها لا يتعدى ذلك، بخلاف غيرها من سائر نيابات المملكة؛ وبها كرمى سلطنة بدار النيابة؛ وعادة الخليفة السلطانية بها في أيام الموابك أن يركب نائب السلطنة من دار النيابة وفي خدمته مماليكه وأجناد الماشئين المتقدم ذكرهم، ويخرج من دار النيابة عند طلوع الشمس، ويسير في مركبه والشباب السلطانية بين يديه حتى يخرج من باب البحر، ويخرج الأمراء المركبون على حذيتهم أيضا، ويمتصون في الموكب ويسرون خارج باب البحر ساعة ثم يعودون، ويتوجه النائب إلى دار النيابة في مماليكه وأجناد الماشئين، وقد فارقه الأمراء المركبون وتوجه كل منهم إلى منزله. فإذا صار إلى دار النيابة: فإن كان في ذلك الموكب سماء، وضع الكرمي في صدر الإيوان مغشى بالأطلس الأصفر ووضع عليه سيف نجاة سلطانية ومُد السباط تحته وأكل ممالك النائب وأجناد الماشئين وجلس النائب بجمعة من الإيوان والشباك مُعل على مينا البلد، ويجلس القاضي المالكي عن يمينه، والقاضي الحنفي عن يساره، والناظر تحته، والموقع بين يديه، ورؤوس البلد على قدر منازلهم، وترفع القصص فيقرأها الموقع على النائب فيفصلها بحضرة القضاة ثم ينصرف الموكب.

قلت: وهذه النيابة مستحدثة، وكان ابتداء ترتيبها في سنة سبع وستين وسبعمائة في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين حين طرقها الفرنج وقتلوا بأهلها وقتلوا ونهبوا وأسرُوا، وكانت قبل ذلك ولاية قسد في جملة الولايات الطليخاناه، وكان لواليتها الرتبة الجليلة والمكانة العلية.

الثانية - نيابة الوجه البحري. وهي بما استحدثت في الدولة الظاهرية برقوق، ونائبها من الأمراء المتقدمين، وهو في رتبة مقدم السكر بقرّة الآتي ذكره في المالك

الشامية، ومقر نيابتها مدينة دَمَهُورَ بالبحرية، وحكه على جميع بلاد الوجه البحرى المتقدم ذكرها فى الكلام على أعمال الديار المصرية المستنقزة خلا الإسكندرية، وليست على قاعدة النيابةات فى ركوب المواكب وما فى معناها، بل نائبها فى الحقيقة كاشفٌ كبير، وليس فيها من رسوم النيابة سوى لبس التشرىف وكتابة التقليد والمكتابة بما يكتب به مثل نائبها من التواب، وقد كان القائم بها فى الزمن الأول قبل استقرارها نيابةً يهرعته بوالى الولاية .

الثالثة - نيابة الوجه القبلى . وهى مما استحدثت فى الدولة الظاهرية برقوق أيضاً، وكان مقر نائبها مدينة أسبوط، وحكه على جميع بلاد الوجه القبلى، وهى فى الترتيب والرتبة على ما تقدمت من نيابة الوجه البحرى، غير أنها أعظم خطراً فى النفوس وكان القائم بها قبل ذلك يسمى والى الولاية كما تقدم فى الوجه البحرى .

الطبقة الثانية

(الكشاف)

قد تقدم أنه قبل استحداث النيابة بالوجهين القبلى والبحرى كان بهما كاشفان يهرعن كل منهما بوالى الولاية، ولما استقرا نيابتين جعل للوجه البحرى كاشفٌ من أمراء الطبلخانة على العادة المتقدمة، وهو فى الحقيقة تحت أمر نائب الوجه البحرى، ومقرته منية قمر من الشرقية، وجعل كاشف آخر للبهناوية والقيوم، وعُطِّلَ القيوم من الوالى، وباقى الوجه القبلى أمره راجع إلى نائبه، ولجيزية كاشفٌ يتحدث فى جسورها وسائر متعلقاتها، ولا يتعدى أمره إلى غيرها من النواحى .

الطبقة الثالثة

(الولاية بالوجهين القبلي والبحري)

وقد تقدم ذكر أعمالها، ومراتب الولاية بهما لا يخرج عن مرتبتين :
'المرتبة الأولى' - الولاية من أمراء الطليخانة. وهي سبع ولايات بالوجهين القبلي والبحري على ما استقر عليه الحال .

فأما الوجه القبلي ففيه أربع ولايات من هذه الرتبة : وهي ولاية البهنسي، وولاية الأشموين، وولاية قوص، وهي أعظمها حتى إن واليا كلن يركب بالشبابه أسوة التواب بالمالك، وولاية أسوان : وهي مستحبة في الدولة الظاهرية برقوق، وكانت قبل ذلك مضافة إلى والي قوص يجعل فيها نائباً من تحت يده، وكانت ولاية الفيوم طليخانة، ثم استقرت كشفا على ما تقدم .

أما أسيوط، فلم يكن بها والي لكونها مقر نائب الوجه القبلي - ومقر والي الولاية من قبله، وسيأتي ما كان ولاية طليخانة من الوجه القبلي - ثم نقل .

وأما الوجه البحري ففيه أربع ولايات من هذه الرتبة، وهي ولاية الشرقية، ومقر واليا بليسي، وولاية المنوفية ومقر واليا مدينة منوف، وولاية الغربية، ومقر واليا المحلة الكبرى، وهي تضاهي ولاية قوص من الوجه القبلي إلا أن واليا لم يركب بالشبابه قط، وولاية البحيرة، ومقر واليا مدينة دمهور، وربما عطلت ولايتها لكونها مقرزة النائب، وقد تقدم أن ولاية النائب قبل أن تستقر نيابة كانت ولاية طليخانة .

المرتبة الثانية - من الولاية أمراء العشرات . وهي سبع ولايات بالوجهين :
فأما القبلي ففيه من هذه الرتبة ثلاث ولايات : ولاية الحيرة، وكانت قبل ذلك طليخانة، وولاية الخفيع ولم تزل عشرة، وولاية مغلوط ولايتها عشرون، وكانت

قبل ذلك ولاية طبلخاناه، وقد كان بَيْنَابَ في الأيام الناصرية ابن قلاوون وما بعدها
وال أمير عشرة يوثى من قِبَلِ السلطان ويراجع والى قُوصَ في الأمور المهمة .
وأما الوجه البحرى ، ففيه أربع ولايات من هذه الرتبة ، ولاية مَنُوفَ ، وولاية
أَشْمُومَ ، وولاية دِمِيَّاطَ ، وولاية قَطِيَا ، وكانت قبل ذلك طبلخاناه .

الطبقة الرابعة

(أمراء العُربان بنواحي الديار المصرية)

قد تقدم في الكلام على ما يحتاج إليه الكاتب في المقالة الأولى ذكر أصول أنساب
العرب ، وأقسامهم إلى قَحْطَانِيَّةٍ وهم العاربة ، وإلى عَدْنَانِيَّةٍ وهم المستعربة ، وبيان
رجوع كل بطن من بطون العرب الموجودين الآن بالديار المصرية وغيرها إلى قبيلتهم
التي إليها ينسبون ، وبيان من يوجهى الديار المصرية القبلى والبحرى من القبائل ،
وأخذ كل قبيلة المنتسبة منها . والمقصود هنا بيان أمراء العُربان بالوجهين
المذكورين في القديم والحديث .

فأما الوجه القبلى ، فقد ذكر الحمداني أن الإمرة كانت بالوجه القبلى في ثلاثة أعمال :
العمل الأول - لِمَمل قُوصَ ، وكانت الإمرة به في يدين من بلى من قُصَاعَةَ بن
حَمِيرَ بن سَبِيٍّ من القَحْطَانِيَّةِ .

الأول - بنو شاذي المعروفون بنى شاذي . وكانت منازلهم بالقصر الخركاب المعروف
بقصر بنى شاذي بالأعمال القُوصِيَّةِ ، وتقدم هناك أنه قيل إنهم من بنى أُمَيَّةَ بن
عبد شمعن من قَرَيْشٍ .

الثاني - السَّجَالَةُ . وهم بنو السَّجَلِ بن الذئب منهم أيضا ، وكانوا معهم هناك .

العمل الثاني - عمل الأثويين . وكانت الإمارة به في بني ثعلب من السلاطنة ،
وهم أولاد أبي جحيش من الحيادة من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق ، من عقب
الحسين السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وكانت منازلهم
بدرزوت سرّام ، وغلب عليها الشريف حصن الدين بن ثعلب فعرفت بدرزوت الشريف
من يومئذ ، وأستولى عليها وعلى بلاد الصعيد . وقد تقدم أنه كان في آخر الدولة
الأيوبية . فلما ولي المعز أيبك التركاني : أول ملوك الترك بالديار المصرية السلطنة ،
أنف من سلطته وسمت نفسه إلى السلطنة فجهاز إليه المعز جيوشا ، بغرت بينهم
حروب لم يظفروا به فيها ، وبقي على ذلك إلى أن كانت دولة الظاهر يبسر ،
فنصب له جبال الحبل وصاده بها وشقه بالإسكندرية .

العمل الثالث - البهنسي ، وكانت الإمارة فيه في يتين .

الأول - أولاد زعازع . (بضم الزاي) من بني جديدي من بني بلاد من لوائة^(١)
من البربر أو من قبس حيلان على الخلاف السابق عند ذكر نسبهم في المقالة الأولى .
قال الحماني : وهم أشهر من في الصعيد .

الثاني - أولاد قريش . قال الحماني : وهم أمراء بني زيد ، ومساكنهم
نويّة دلاص .

قال : وكان قريش هذا عبدا صالحا كثير الصدقة ، ومن أولاده سعد الملك
المشهور بنوه هناك .

وذكر المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" : أن الإمارة بالوجه القبلي
في زمانه (وهو سلطنة الناصر محمد بن قلاوون وما وليها) كانت لناصر الدين عمر بن
فضل ، ولم يذكر مقره ولا من أمى العرب هو ، وذكر أيضا أن الإمارة فيما فوق

(١) تقدم لنا في الجزء الأول (ص ٣٦٥) نبيلها بالفتح والصواب ما هنا .

(٢) نبيلها المؤلف فما تقدم بالهاء المخطئة ولكن المجد ذكرها في باب التاء المقتضية .

أسوان كانت في عرب يقال لهم الحِمْيَرِيَّة في سميرة بن مالك . قال : وهو ذو عَدَد جَمٍّ وشوكة مُنَكِّية ، يغزو الحبشة وأثم السودان ، وآتى بالنهاب والسبايا ، وله أثر محمودٌ وفَضْلٌ مانور ، وفد على السلطان فأكرم مشواه ، وعقد له لواء وشرف بالثَّشْرِيف ، وفلَّد ، وكتب إلى ولاية الوجه القبلي عن آخرهم وسائر العربان بمساعدته ومعاذته والركوب للغزو معه متى أراد ، وكتب له منشور بما يفتح من البلاد ، وتقليدُ بِإِمارة عربان القبلة مما يلي قُوص إلى حيث تصل غايته ، وتركَ رايته .

قلت : أما في زماننا فذو وجهت عرب هَوَّارة وجوهها من عمل البعيرة إلى الوجه القبلي ونزلت به انتشرت في أرجائه انتشار الجراد ، وبسطت يدها من الأعمال البهناوية إلى منتهاه حيث أسوان وما والاها ، وأذعنتم لهم سائر العربان بالوجه القبلي قاطبة ، وانحازوا إليهم وصاروا طَوْعَ قيادهم .
والإمرة الآن فيهم في بيتين .

الأول - بنو عمر : محمد وإخوته . ومنازلهم بجرنا ومنشأة إنعيم ، وأمرهم نافذ إلى أسوان من القبلة وإلى آخر بلاد الأتُمُونِيَّين من بحري .
الثاني - أولاد غريب . ويقيمهم بلاد البهنسي ، ومنازلهم دَهْرُوط وما حولها .



وأما الوجه البحري ، فقد ذكر المحمدي أن الإمرة فيهم في خمسة أعمال .
العمل الأول - الشرقية . قال : والإمرة فيها في قبيلتين .
الأولى - ثعلبة ، وذكر أن الإمرة كانت فيهم في شَقِير بن جرجي من المصافحة من بني ذُرَيْق ، وفي عمر بن نضيلة من العَلِيَّيين .
الثانية - جُدَام : وقد ذكر أن الإمرة كانت فيهم في خمسة بيوت .
الأول - بيت أبي رُشد بن حبشي ، بن تَجَم ، بن إبراهيم من العَقِيلِيَّين : بني عَقِيل

ابن قُزَّة، بن موهوب، بن هُيَّيد، بن مالك، بن سُويد، بن يحيى زيد بن حَرَام،
ابن جُدَام، أُمَرُ بِالْبُوقِ وَالْعَلَمِ .

الثاني - طَرِيف بن مَكُون^(١)، من بني الوليد، بن سُويد المقدم ذكره، وإلى
طَرِيف هذا يُنسب بنو طَرِيف من بلاد الشرقية . قال الحمداني : وكان من
أكرم العرب، كان في مَقْبَلَتِهِ أَيَّامُ الْفَلَاءِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا تَأْكُلُ عَنْده، وكان يَتَّيَمُ
التَّيْرِد في المراكب . قال : ومن بنيه فَضْل بن سَمْع بن كُثُومَة، وإِبْرَاهِيم بن عَلِي،
أُمَرُ كُلِّ مِنْهُمَا بِالْبُوقِ وَالْعَلَمِ .

سدد
الثالث - بيت أولاد منازل من ولد الوليد المذكور، كان منهم مَعْبِد بن مُبَارَك،
أُمَرُ بِالْبُوقِ وَالْعَلَمِ .

الرابع - بيت نَمِي بن خَتَم من بني مالك، بن هَلْبَا بن مالك بن سُويد، أَتَّطَعَ خَتَمُ
أَبْنِ نَمِي المذكور وَأُمَرُ، وَأَقْبَحَى عِلْدًا مِنْ الْمَالِكِ الْأَثَرَاكِ وَالرُّومِ وَغَيْرِهِمْ، وَبَلَغَ
مِنَ الْمَلِكِ الصَّالِحِ أَيُّوبَ مَنَزَلَةً، ثُمَّ حَصَلَ عِنْدَ الْمَلِكِ الْمَعَزِ أَيْكُ التُّرْكَايَ عَلَى الدَّرَجَةِ
الرَّفِيعَةِ، وَقَتَّمَهُ عَلَى عَرَبِ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ غِلْمَانُهُ، فَبَعَلَ
الْمَعَزُ أَبْنِيَهُ سُلَيْمَى وَدَغَشَ عَوْضَهُ، فَكَانَا لَهُ نَيْمٌ أَخْلَفَ، ثُمَّ قَدِمَ دَغَشَ دِمَشْقَ فَأَمَرَهُ
الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَاحِبُ دِمَشْقَ يَوْمئِذٍ مِنْ بَنِي أَيُّوبَ بُبُوقَ وَعَلَمَ، وَأَمَرَهُ الْمَلِكُ أَيْكُ
أَخَاهُ سُلَيْمَى كَذَلِكَ .

الخامس - بيت مُفَرِّج بن سَالِم بن رَاضِي من هَلْبَا بَصَجَةَ، ابن زيد، بن سُويد،
ابن بَصَجَةَ، من بني زيد بن حَرَام بن جُدَام، أَمَرَهُ الْمَعَزُ أَيْكُ التُّرْكَايَ بِالْبُوقِ وَالْعَلَمِ .
وَذَلِكَ أَنَّهُ حِينَ أَرَادَ الْمَعَزُ تَأْمِيرَ سُلَيْمَى بن خَتَمِ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ أَمْتَنَعَ أَنْ يُؤَمَّرَ حَتَّى
يُؤَمَّرَ مُفَرِّجُ بْنُ غَالِمٍ^(٢) فَأَمَرَ .

(١) تقدم في الجزء الأول (ص ٣٢٢) ابن يَكُونُ . (٢) له سَالِمُ :

العمل الثاني - المنوية . والإمارة فيها لأولاد نصير الدين من لواتة ، ولكن
لمرتج في معنى مشيخة العرب .

العمل الثالث - الغريبة . والإمارة فيه في أولاد يوسف من الخزاعلة من
سيس . من طي عن كهلان من الصحطانية ، ومقرتهم مدينة سخا من الغريبة .

العمل الرابع - البحيرة . وقد ذكر في " التعريف " : أن الإمارة في الدولة
الناصرية ابن قلاوون كانت لخالد بن أبي سليمان وفائد بن مقدم . قال في " مسالك
الأبصار " : وكان أميرين سيدين جليلين ذوي كرم وإفضال وشجاعة وثبات
رأى وإقدام .

العمل الخامس - برقة . قال في " التعريف " : ولم يبق من أمراء العرب ببرقة
يعنى في زمانه إلا جعفر بن عمر ، وكان لا يزال بين طاعة وعصيان ، ومخاشنة ولئان ،
والجور في كل وقت تمتد إليه ، وقيل أن تغفر منه بطائل أو رجعت منه بمنم ،
وإن أصابته نوبة من الدهر . قال : وأخبر أنه ركب طريق الواح حتى خرج
من القيوم وطرق باب السلطان لاكتنا بالعفو ، ووصل ولم يسبق به خبر ، ولم يعلم
السلطان به حتى استأذن المستأذن له عليه وهو في جملة الوقوف بالباب ، فأكرم
أم الكرامة وشرف بأجل التشريف ، وأقام مدة في قرى الإحسان وإحسان القرى
وأحله ليعلمون ماجرى ، ولا يعلمون أين يم ولا أى جهة سما ، حتى انتهت وافدات
البشائر وجاءت منه . فقال له السلطان : لم لا أصليت أهلك بقصيدك إلينا؟ قال :
خفت أن يقولوا : يفتك بك السلطان فأتبسط ، فاستحسن قوله ، وأفاض عليه طوله ،
ثم أعيد إلى أهله ، فأقلب نعمة من الله وفضل لم يحسمه سوء ولا رأى له صاحب
ولا شئت به علو .

قلت : والإمارة اليوم في بركة في عمر بن حريش ؛ وهو رجل دين وكان أبوه [عريف ذا دين متين رأيته] في الإسكندرية بعد التمانين والسبعائة ، وأجتمعت به فوجدت آثار الخير ظاهرة عليه .

الفصل الثاني

من المقالة الثانية

(في المملكة الشامية ، وما يتصل بها : من بلاد الأرمن والروم وبلاد الجزيرة بين القُرَاتِ والدَّجَلَةِ بما هو مضاف إلى هذه المملكة ؛ وفيه أربعة أطراف)

الطرف الأول

(في فضل الشام وخواصه وعجائبه ؛ وفيه مقصدان)

المقصد الأول

(في فضل الشام)

أعظم شاهد لذلك ما أخرجه الترمذي من حديث زَيْدِ بْنِ أَبِي رَبِيعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : " مُكِّنَا يَوْمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُؤَلَّفُ الْقُرَّاءُ مِنَ الرِّقَاعِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : طُوبَى لِأَهْلِ الشَّامِ . فَقُلْتُ : لِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَاسِطَةً أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهِ " . هَذَا وَقَدْ بُعِثَ بِهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَفِيهِ ضَرَائِحُهُمُ الشَّرِيفَةُ ، وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى الَّذِي هُوَ أَحَدُ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تُسَبِّحُ فِيهَا الرَّحَالُ ، وَهُوَ أَوَّلُ الْقِبْلَتَيْنِ ؛ وَبِهِ يَقْرَأُ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَنَارَةِ جَامِعِ دِمَشْقٍ ؛ وَبِهِ يَقْتُلُ الدَّجَالُ بِمَدِينَةِ لُدٍّ . وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ بَارَكُ فِيمَا بَيْنَ الْعَرِيشِ إِلَى الْقُرَّاتِ وَخَصَّ فَلَسْطِينَ بِالْتَّقْدِيرِ " .

المقصود الثاني

(في خواصه وعجائبه)

أما خواصه فإنَّ به الأماكن التي تعظمها الأمم على اختلاف عقائدهم كالصخرة التي هي قبلة اليهود، والقمامة التي يحجها النصارى من سائر أقطار الأرض، وطورنا بلس الذي تحجبه السامرة، وبمدينة صور كنيسة تمتد طائفة من النصارى أنه لا يصح تملك ملوكهم إلا منها، على ما سيأتي ذكره في الكلام على أعمال صفد إن شاء الله تعالى، وغير ذلك مما تنقاد به الأمم إلى صاحب هذه الملكة وتعلن لمسلته .
وأما عجائبه فكثيرة .

منها - (حمة طبرية) المشهورة : وهي عين تبسُّ ماء شديد الحرارة يكاد يساقى اليَصْبَة، يقصدها المتردِّدون للاستشفاء بالاعتسال فيها . قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : وليس فيها حمام يوقد فيه النار إلا الحجام الصغير .

ومنها - (قبة العقارب) بمدينة حصص . وهي قبة بالقرب من مسجد جامع، إذا اخذ شيء من تراب حصص وجبل بالماء والعرق بداخل تلك القبة وترك حتى يجف ويسقط بنفسه من غير أن يلقيها أحد ثم أخذت ووضع منها شيء في بيت لم يدخله عقرب، أو في قماش لم يقربه، وإن دُر على عقرب منه شيء أخذها مثل السكر فرما زاد عليها فقتلها، بل قيل إن ذلك لا يختص بالقبة بل عانة أرض البلد كذلك حتى لا يدخلها عقرب إلا مات، بل لا يقرب ثيابا ولا أمتعة عليها غبارها، وإلى ذلك أشار القاضي الفاضل في البشري بفتوحها بقوله : " ودبت إليها عقارب الجنان فخالفت عادة حصص في العقارب ، ورُميت الحجارة بالحجارة فوقعت المداوة المعروفة من الأفاعيل " .

ومنها - (عين فواره) داخل البحر الملح على القرب من ساحل مدينة طرابلس على قدر مئة حجر عن البئر، تباع ماء عذبا يطفو على وجه الماء قدر ذراع أو أكثر يتبين عند سكون الرياح .

ومنها - (وادي القوار) وهو وادٍ بالقرب من حصن الأكراد من عمل طرابلس غربا عنه بشمال على الطريق السالكة . قال في "مسالك الأبصار" : وهي صفة بئر قائمة في الأرض ، وفي سفلى الأرض سردابٌ يمتد إلى الشمال يهوى في كل أسبوع يوما واحدا لاغير ، تسمى به أرض ومزدرعات ، ويزل عليه الترحان ويردونه ، ويسمى له قبل فواره دوى كالرعد ، وهو في بقية الأيام يابس لا ماء فيه . قال : وذكر لي من دخل السرداب أن في نهايته نهرا كبيرا آخذا من الغرب إلى الشرق تحت الأرض ، له جريان قوي ، وبه موج وريح عاصف ، لا يعرف إلى أين يجري ولا من أي جهة يأتي .

ومنها - (حمام القندوس) من قلاع الدعوة من عمل طرابلس يخرج منها أنواع كثيرة من الحيات تظهر من أنابيب مائها وتدخل في ثياب داخلها ، ولم يشتر أنها أضرت أحدا قط على تمت الدهور وتطاول الأزمنة ، حكاه في "مسالك الأبصار" . ومنها - (صدع) في سور الخواوي من قلاع الدعوة من عمل طرابلس أيضا . إذا لدغ أحد بحية فاقى إلى ذلك الموضع فشاهده بعينه أو أرسل رسوله فشاهده ، سلم من تلك اللدغة ، ولم يضره السم . إلى غير ذلك من العجائب الظاهرة والمندرسة بمرور الزمان عليها .

قال ابن الأثير : وبقرى حلب قرية تسمى براق ، يقال إن بها معبدا يقصده أصحاب الأمراض ويبيتون به . فلما أن رأى المريض من مئامه من يقول له استعمل كذا وكذا

فيراً، أو يمسح عليه بيده فيراً . قال في تاريخه : وبقرية مبرون من قرى صَفَد مَقَارَة يظهر فيها الماء في يوم من السنة يجتمع إليه اليهود في ذلك اليوم، ويحلبون منه الماء إلى البلاد البعيدة، وبادى دلسه من عملها عين تعرف بعين الجن تنور لحظة كالنهر ثم تنور حتى لا يبقى فيها ماء، ثم تنور كذلك ليلاً ونهاراً، وبقرية بكوزا من قرى صَفَد عَنَبٌ داخل العنبة عنبَةٌ أخرى، وبقرية عد شيب من قراها بلوطٌ يؤخذ الواحد منه من الشجرة فيوجد حضنها حجر، وبقرية عياض تراب الجير إذا عمل منه كوزٌ وسُقِيَ فيه الكثير من آدمى أو غيره، جُبرَ عظمه، وبالناصره من أعمالها كنيسة بها عمود إذا اجتمع عنده جماعة وعملوا سماعاً عَرِقَ العمود حتى يظهر عرقه .

الطَّرَفُ الثَّانِي

(في حدوده، وأبتداء عمارته، وتسميته شاماً، وفيه مقصدان)

المقصد الأول

(في حدوده)

وقد اختلف في تحديده، فذكر في "التعريف" أن حده من القبلية إلى البرّ المقفّر: **تِيَسَ** بنى إسرائيل وبرّ المجاز والسّماوة إلى مَرَمَى الفرات بالعراق . قال : وهذه المَحَاذَاتُ كُلُّهَا من جزيرة العرب .

وحده من الشرق طَرَفُ السّماوة والْفُرَات .

وحده من الشمال البحر الرومى .

وحده من الغرب حد مصر المتقدم ذكره، وذكر في "تقويم البلدان" : أن حده من الجنوب من أول رَمَحَ التي في أول الخفّارين مِصْرَ والشام إلى حدود **تِيَسَ** بنى إسرائيل إلى ما بين الشّوَبَكِ وأَيْلَةَ من البلقاء، وحده من الشرق من البلقاء

إلى مشاربي صَرْشَدَ، أَخَذَا عَلَى أَطْرَافِ القُوْطَةِ، إِلَى السَّكْمِيَّةِ، إِلَى مَشَارِيقِ حَلَبَ، إِلَى بَاسِلَ، وَحَدَّهُ مِنَ الشِّمَالِ مِنَ بَالِسَ مَعَ الْغُرَاتِ إِلَى قَلْعَةِ نَجْمَ، إِلَى الْيَبْرِ، إِلَى شَمْسَاطَ إِلَى حَصْنِ مَنْصُورَ، إِلَى بَهْسَنَ، إِلَى مَرَعَشَ، إِلَى بِلَادِ مَيْسَ، إِلَى طَرَسُوسَ، إِلَى بَحْرِ الرُّومِ، وَحَدَّهُ مِنَ الْغَرْبِ مِنَ طَرَسُوسَ الْمَذْكُورَةِ أَخَذَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ إِلَى وَقْعِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرِ حَيْثُ وَقَعَ الْإِبْتِدَاءُ .

قلت : وَانْخَلَفَ بَيْنَهُمَا فِي شَيْئَيْنِ .

أحدهما - أنه في "التعريف" جعل حدَّه الشِّمَالِيَّ إِلَى الْبَحْرِ الرُّومِيِّ، وَحَدَّهُ الْغَرْبِيَّ حَدَّ مِصْرَ الْمُتَقَدِّمِ ذَكَرَهُ، وَفِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" جَعَلَ حَدَّهُ الشِّمَالِيَّ الْبِلَادَ الَّتِي بَيْنَ الْغُرَاتِ وَالْبَحْرِ الرُّومِيِّ، وَحَدَّهُ الْغَرْبِيَّ الْبَحْرَ الرُّومِيَّ مِنْ طَرَسُوسَ إِلَى رَجَّعٍ فَيَدْخُلُ حَدَّ مِصْرَ الَّذِي حَدَّهُ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ فِي "التعريف" فِي هَذَا الْحَدِّ، وَكَأَنَّ الْمَوْقِعَ لَهَا فِي ذَلِكَ أَنَّ الْبَحْرَ الرُّومِيَّ عَنِ الشَّامِ غَرْبًا بِشَمَالٍ، فَجَنَحَ كُلُّ نِهَايَةٍ إِلَى جِهَةٍ .

الثَّانِي - أنه في "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" أَدْخَلَ بِلَادَ الْأَرْمَنِ الْمُتَّصِلَةَ بِأَنْحَرِ بِلَادِ حَلَبَ مِنَ الشِّمَالِ فِي حُدُودِ الشَّامِ، وَفِي "التعريف" أَنْزَجَهَا وَهُوَ التَّحْقِيقُ . وَقَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ فِي "التعريف" فَيَا بَعْدُ فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أَفْرَدَ الْفَتْوحَاتِ الْجَاهَانِيَّةَ الَّتِي هِيَ أَوَّلُ بِلَادِ الْأَرْمَنِ مِنْ جِهَةِ حَلَبَ بِالذِّكْرِ : وَأَتَيْتُ بِهَا هَهُنَا لِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لَهَا تَعَلُّقٌ بِمَمْلَكَةِ تَزَكَرْفِيَا، وَلَيْسَتْ مِنَ الشَّامَاتِ فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ بِلَادِ الْأَرْمَنِ الْمَسَاةِ قَدِيمًا بِبِلَادِ الْوَصَّامِ وَالنُّفُورِ، وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى بِلَادِ الْأَرْمَنِ بِمُفْرَدِهَا فِي جُمْلَةِ أَعْمَالِ حَلَبَ فِي الْكَلَامِ عَلَى قَوَاعِدِ الْمَمْلَكَةِ الشَّامِيَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

على أن ما ذكره من التحديد في "التعريف" و"تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" لَا يَخْلُوعُ عَنْ تَسَاهُلٍ . فَقَدْ قَالَ فِي "التعريف" : بَعْدَ ذِكْرِ الْحُدُودِ الَّتِي أَوْرَدَهَا : وَهَذِهِ الْحُدُودُ هِيَ الْجَامِعَةُ عَلَى مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَإِذَا فُصِّلَتْ تَحْتَاجُ إِلَى زِيَادَةِ إِيضَاحٍ . وَقَالَ

في "تقويم البلدان" : بعد ذكر الحدود التي أوردها أيضا : وبعض هذه الحدود قد تقع شرقية عن بعض الشام وهي بينها جنوبية عن بعض آخر، مثل البقاء فإنها جنوبية عن حلب وما على سمتها، وشرقية عن مثل غزّة وما على سمتها فليعلم العذر في ذلك . قال ابن حوقل : وطول الشام من مَلَطِيَّة إلى رَفَح خمس وعشرون مرحلة . فمن مَلَطِيَّة إلى مَنبِج أربع مراحل ، ومن مَنبِج إلى حَلَب مرحلتان ، ومن حَلَب إلى خِصْص خمس مراحل ، ومن خِصْص إلى دِمَشْق خمس مراحل ، ومن دِمَشْق إلى طَبْرِية أربع مراحل ، ومن طَبْرِية إلى الرملة ثلاث مراحل ، ومن الرملة إلى رَفَح مرحلتان .

قال التيفاشي في "سرور النفس" : وطوله أكثر من شهر . قال ابن حوقل : وأعرض ما فيه طَرَفاه . فأحد طرفيه من الفرات من جسر منبج على منبج على قُورُس في حدِّ قَيْسَرِيَّة ، ثم على العوامم في حدِّ انطاكية ، ثم يقع على جبل اللكّام ، ثم على المَصِيصَة ، ثم على أذنة ، ثم على طَرَسُوس ، وذلك نحو عشر مراحل وهذا هو السُّنْتُ المستقيم . والطرف الآخر يأخذ في البحر من حدِّ يافا من جُندِ فلسطين حتى ينتهي إلى الرملة إلى بيت المقدس ، ثم إلى أريحا ، ثم إلى زَغَرَ ، ثم إلى جبل الشّراة إلى أن يأتي إلى مَعَانَ ، وتقدير ذلك ست مراحل . ثم قال : أما ما بين هذين الطرفين من الشام فلا يكاد بين الأردنّ ودمشق وخِصْص يزيد على أكثر من ثلاثة أيام ، لأن من دِمَشْق إلى طَرَابُلُس على بحر الروم غربا يوما وإلى أقصى النُوطَة شرقا حتى يتصل بالبادية يوما ، ومن خِصْص إلى أنطَرُكُوس على بحر الروم غربا يومين ، ومن خِصْص إلى سَلْمِيَّة على البادية شرقا يوما ، ومن طَبْرِية من جُندِ الأردنّ إلى صُور على البحر الرومي غربا يوما ، ومنها إلى أريحا على حدود بني قَزَّازة شرقا يوما .

المقصود الثاني

(في ابتداء عمارته وتسميته شاما وما يتحقق بذلك)

أما ابتداء عمارته ، فقد روى الحافظ بن عساكر في تاريخ الشام عن هشام بن محمد عن أبيه : أن نوحا عليه السلام لما قسم الأرض بين بنيه لحق قوم من بني كنعان ابن حام بن نوح عليه السلام بالشام فسميت الشام ، حين نساءوا إليها ، يعني من أرض بابل كما جاء في الرواية الأخرى . قال : فكانت الشام يقال لها لذلك أرض كنعان . وجاء بنو إسرائيل فاجلّوهم عنها ، وبقيت الشام لبني إسرائيل إلى أن غلب عليه الروم وأتبعوه منهم فاجلّوهم إلى العراق إلا قليلا منهم ، ثم جاء العرب فغلبوا على الشام (يعني في الفتح الإسلامي) ثم الشام مهموز مقصور . قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات^{١٤} وفيه : ويجوز فيه فتح الشين والمذ . قال : وهي ضعيفة وإن كانت مشهورة قال الجوهري : ويجوز فيه التذكير والتأنيث . قال النووي : والمشهور التذكير . وقد اختلف في سبب تسميته شاما ف قيل لتشاؤم بني كنعان إليه كما قلتم في كلام ابن عساكر ، وقيل سمى بسام بن نوح لأنه نزل به ، وأسمه بالسرمانية شام بشين مصحمة ، والعرب تنقلها إلى السين المهملة . وقيل لأن أرضه مختلفة الألوان بالحمرة والسود والبياض فسمى شاماً لذلك كما يسمى الخلال في بدن الإنسان شامة . وقيل سميت شاما لأنها عن شمال الكعبة ، والشام لغة في الشمال . قال أبو بكر بن محمد : ويجوز فيه وجهان . أحدهما أن يكون من اليد الشؤمي وهي اليسرى . والثاني أن يكون قفلا من الشؤم .

(١) كلنا في معجم البلدان أيضا في القاموس في مادة (ك ن ح) كنعان بن سام .

الطَّرَف الثالث

(في أنهاره وبحيراته وجباله المشهورة وزروعه وفواكهه ورماحيه
ومواشيه، ووحوشه وطوره، وفيه ستة مقاصد)

المقصد الأول .

(في ذكر الأنهار العظام بالشام وماهو مضاف إليه مما يتكرر ذكره
بذكر البلدان، وهي أربعة أنهار^(١))

الأول - نهر الفرات وهو أعظمها، وقد تقدم في الكلام على النيل أنه شقيقه
في الخروج من الجنة . وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) !
قال : " لا تقوم الساعة حتى يحسّر الفرات عن جبل من ذهب فيقتل الناس عليه
فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ، ويقول كل رجل منهم لعل أنا الذي أئجويه " .
وأول أبتدائه من شمالي مدينة (أرزن الروم) وشرقيها، وهي آخر بلاد الروم من جهة
الشرق حيث الطول أربع وستون درجة والعرض اثنتان وأربعون درجة ونصف،
ثم يأخذ إلى قريب (ملطية) ثم يأخذ إلى (شميساط) ثم يأخذ مشرقا ويتجاوز (قلعة الروم)
من شماليها وشرقيها، ثم يسير إلى (البيرة) من جنوبيها، ثم يمر مشرقا حتى يجاوز (أليس) .
ثم قلعة جمر ويتجاوزها إلى الرقة، ثم يسير مشرقا ويتجاوز الرقة من شماليها ويسير
إلى عنة، ثم يمتد إلى حيث، ويمتد حتى يجاوز مخرج (نهر كوفي) الآتي ذكره، فينقسم
قسمين ويمر أحدهما : وهو الجنوبي إلى (الكوفة) ويتجاوزها، ويصب في بطن
العراق، ويمر الآخر : وهو أعظمها بإزاء (قصر ابن هبيرة) ويعرف هذا القسم بنهر
سورا (يضم السين المهملة وآخره ألف يمد ويقصر) وهي قرية على النهر تسمى إليها،

(١) الصواب ستة أنهار كما ينفع مما ساق .

وتجاوز قصر آبن هُبَيْرَة ويسير جنوبا إلى (مدينة بابل) القديمة، ويتفرع منه بعد أن يجاوز بابل عدّة أنهر، ويتزعموده إلى (مدينة النيل) ويجاوزها حتى يصب في دجلة ويسمى من بعد مجاوزة النيل (نهر الصّراة) . وعلى الفرات أنهار تصب فيه وأنهار تخرج منه ليس بنا حاجة إلى تفصيلها .

الثاني - نهر حَمَاحَة : ويسمى العاصي لأن غالب الأنهر تسقى الأرض بنهر دواليب ولا نواصير بل ترتكب البلاد بأنفسها، ونهر حماة لا يسقى إلا بنواصير تنزع الماء منه . ويسمى أيضا النهر المقلوب : لحرية من الجنوب إلى الشمال، وغالب الأنهر إنما تجري من الشمال إلى الجنوب، وأسمه القديم نهر الأُرَنْطُ^(١)، وأوله نهر صغير من ضبعة قريبة من بعلبك في الشمال عنها على نحو مرحلة، تسمى الرأس، ويمتد من الرأس شمالا حتى يصل إلى مكان يسمى قائم الهرمل بين قرية جوسية والرأس، ويتفرع من هناك ويتبع من هناك أكثر ماء النهر من موضع يسمى مغارة الراهب، ويمتد شمالا حتى يتجاوز (جوسية) ويمتد حتى يصب في (بحيرة قدس) غربي مخمس، ويخرج من البحيرة ويتجاوز حصص إلى الرستن، ويمتد إلى حماة، ثم إلى شير، ثم إلى بحيرة أفامية، ثم يخرج من بحيرة أفامية، ويتفرع على دركوش، ويمتد إلى جسر الحديد، وذلك جميعه شرق جبل اللكّام . فلذا وصل إلى جسر الحديد أقطع الجبل المذكور هناك، ويستدير النهر المذكور ويرجع ويسير جنوبا غربا ويتفرع على سور أظاكية، ويسير كذلك غربا بجنوب حتى يصب في بحر الروم عند السويدية ويصب في العاصي عدّة أنهر :

منها - نهر متبعه من تحت أفامية يسير مقربا حتى يصل إلى بحيرة أفامية ويتخلط بالعاصي .

(١) أوردته باتوت في سبع البلدان بالمال المهمة .

ومنها - نهر في شمال أفامية على نحو ميلين يُعرف بالنهر الكبير يسير مدى قريبا
ويصب في بحيرة أفامية، ويخرج منها مع العاصي .

ومنها - النهر الأسود، يجري من الشمال ويمر تحت درّ بَسَاك ويمتد حتى يصب
في بحيرة أنطاكية ويخرج منها ويصب في العاصي .

ومنها - نهر يفر - بفتح الياء المثناة تحت وسكون الفين المعجمة وفتح الراء المهملة
ثم ألف مقصورة - بلدة هناك يمر عليها ويصب في النهر الأسود المذكور .

ومنها - عفرين - بكسر العين المهملة وسكون الفاء وكسر الراء المهملة ثم ياء مثناة
تحت ونون في الآخر - وهو نهر يأتي من بلاد الروم ويمر على الرّؤندان إلى الجومة
ويمر في الجومة إلى العمق ويختلط بالنهر الأسود .

الثالث - نهر الأرذد . والأرذد بضم الهمزة وسكون الراء المهملة وضم الدال
المهملة أيضا وتشديد النون . كذا ضبطه السمعاني في "اللباب" قال : وهي بلدة
من بلاد القور من الشام نسب إليها النهر ويسمى الشريعة أيضا ، وأصله من أنهار
تصب من جبل الثلج إلى بحيرة باتياس ، ثم يخرج من البحيرة المذكورة ويصب
في بحيرة طبرية ، ويمتد جنوبا ، وهناك يصب في نهر البرموك بين بحيرة طبرية
المذكورة وبين القصير ، ويمتد في وسط القور جنوبا حتى يجاوز بيسان ، ويمتد
في الجنوب كذلك إلى أريحا ، ولا يزال يمتد في الجنوب حتى يصب في بحيرة زُغَر
وهي البحيرة المنيئة المعروفة ببخيرة لوط .

الرابع - نهر العوجاء - بفتح العين المهملة وسكون الواو وفتح الجيم وبعدها
ألف - ويسمى نهر أبي فطرس (بضم الفاء وبالطاء والراء والسين المهملات) وهو نهر
شمالى مدينة الرملة من فلسطين باثني عشر ميلا، ومنبعه من تحت جبل الخليل

عليه السلام مقابل قلعة خراب هناك تسمى مجد اليابا، ويمر هذا النهر من الشرق إلى الغرب، ويصب في بحر الروم جنوب غابة أرسوب، ومن منبعا إلى مصبه دون مسافة يوم. قال في "العزري": وما التقى عليه جيشان إلا غلب الغربى وأنهزم الشرق، وسبأى الكلام على أنهار دمشق في الكلام على حاضرتها إن شاء الله تعالى إذ لا يمتدأها إلى غيرها من البلاد.

الخامس - نهر جيجان. بفتح الجيم وسكون الياء المثناة تحت وفتح الحاء المهملة وبعد الألف نون - وتسميه العامة جهان - يجم وهاء مفتوحتين وألف ثم نون، وربما زادوا ألفا بعد الجيم فقالوا ججآن، وإليه تنسب الفتوحات الجاهلية الآت ذكرها. قال: في "رسم المعمور": وأوله عند طول ستين درجة ومرض أربعين درجة، وهو نهري يقارب القرات في الكبير، ويتربيس، ويسير من الشمال إلى الجنوب بين جبال في حدود الروم حتى يبلغ المصبصة من شمالها حيث الطول تسع وخمسون وكسر والعرض ست وثلاثون درجة، وعرض خمس عشرة، وبحر يأنه عندها من المشرق إلى المغرب، ويتجاوز المصبصة ويصب بالقرب منها في بحر الروم.

السادس - نهر سينان. بفتح السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الحاء المهملة وبعدها ألف ثم نون. قال في "رسم المعمور": وأوله عند طول ممان وخمسين، وعرض أربع وأربعين، ويتربلاد الروم إلى الجنوب عند مجرى جيجان المتقدم ذكره، ويسير حتى يتربلاد الأري، ويتربلاد على سور أذنه من شرقها حيث الطول تسع وخمسون بكسر، والعرض ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة،

(١) أوردنا في المصمم مكانا "تجدلياً".

(٢) في تعريف أبي الفداء: "وحسن حشرة دقيقة".

ويتجاوز أذنة ويلقى مع جيحان المتقدم ذكره ويصيران نهرا واحدا ، ويصبان
في بحر الروم بين آيأس وطرسوس على ما تقدم ذكره

المقصد الثاني

(في ذكر بحيراته ، وهي ثمان بحيرات)

الأولى - بحيرة طبرية . قال الزجاجي : سميت طبرية بطباري ملك من ملوك
الروم . وهي في أول القفور ، يدخل إليها نهر الشريعة المنصب من بحيرة بانياس التي
ذكرها ، ودورها نحو مسيرة يومين . ووسطها حيث الطول ثمان ونمسون درجة .
والعرض اثنتان وثلاثون ، وهي قرعاء . ليس بها قصب نبات ، وطبرية مدينة خراب
على شاطئ البحيرة المذكورة من جانبها الغربي الجنوبي ، قال العثاني في " تاريخ
صفد " : ويقال إن قبر سليمان بن داود عليهما السلام بهذه البحيرة .

الثانية - بحيرة زغر وتعرف بحيرة سدوم وبحيرة لوط . وهي بحيرة منتنة ليس
لها سمك ولا يأوى إليها طير ، وفيها مصب نهر الأردن المسمى بالشريعة عند
نهايته ، ويتبيض الماء فيها ولا يخرج منها شيء من الأنهار ، وهي في آخر القفور من
جهة الجنوب ، ودورها فوق مسيرة يومين ، ووسطها حيث الطول تسع ونمسون
درجة والعرض إحدى وثلاثون .

الثالثة - بحيرة بانياس . وهي بحيرة بالقرب من بانياس من مقابلة دمشق
قصب فيها عدة أنهار من جبل هناك ، ويخرج منها نهر الشريعة ويصب في بحيرة
البرية المتقدم ذكرها ، وبها غابة قصب .

الرابعة - بحيرة القناع . وهي مستنقع ماء في جهة الغرب عن بعلبك على مسيرة
يوم منها . بها هيش وغابات قصب .

الخامسة - بحيرة دِمَشَقْ . وهى بحيرة فى شرق غُوطَةِ دِمَشَقْ بِمِثْلَةِ يسيرة إلى الشمال يصب إليها فضلة نهر بَرْدَى وغيره، وتوسع فى أيام الشتاء وتضيق فى أيام الصيف، وبها غابات قَصَب، وفيها أماكن تَحْمَى من العدو .

السادسة - بحيرة قَدَسْ : بفتح القاف والدال وفى آخرها سين مهملة .

وهى بحيرة فى أرض مستوية، عن حِمَصْ فى جهة الغرب على بعض يوم منها، وطولها من الشمال إلى الجنوب نحو ثلث مرحلة وفى طرفها الشمالى سِدْ تمتد فى طولها مبنى بالحجر من بناء الأتراك ينسب بناؤه إلى الإسكندر طوله شرقا وغربا ألف ومائتان وسبعة وثمانون ذراعا، وعرضه ثمانية عشر ذراعا ونصف ذراع، وعلى وسط السد بُرْجَان من حجر أسود .

السابعة - بحيرة أَفَامِيَّة . وهى مَدَّة بطائع فى الغرب بِمِثْلَةِ إلى الشمال عن أَفَامِيَّة بين غابات من القَصَب، يصب فيها النهر العاصى من جهة الجنوب . وبها بحيرتان جنوبية وشمالية يصاد فيها السمك، فالجنوبية منهما بَحِيرَةُ أَفَامِيَّة المذكورة، وسعتها بالتقريب نحو نصف فرسخ، وقعرها قريب قامة، وأرضها موحلة لا يقدر الإنسان على الوقوف فيها، وبوسطها جَم قَصَب وَرْدَى وحولها القصب والصقاصف، وبها من أنواع الطير ما لا يحصى كثرة، وينبت بها فى زمن الربيع اللَّيْتُونُفُ الأصفر حتى يستر الماء عن آخره بَوَرَقَه وَزَهْرَه . والبحيرة الشمالية من عمل حصن بَرَزَوِيَّة بقدر بحيرة أَفَامِيَّة أربع مرات، ووسطها مكشوف، وينبت اللَّيْتُونُفُ بجانبيها الجنوبى والشمالى وبينها وبين بحيرة أَفَامِيَّة المذكورة زَفَاق تسير فيه المراكب من إحداها إلى الأخرى . قال فى "تقويم البلدان" : "يعتبر طول هذه البطائع وعرضها بأفامية ."

الثامنة - بحيرة أَنْطَاكِية . وهى بحيرة بين أَنْطَاكِية وبَرَكْس وسارم فى أرض تعرف بالعمق (بفتح العين المهملة وسكون الميم) من معاملة حَلَب شمالاً أَنْطَاكِية على

مَسِيرَةُ يَوْمَيْنِ مِنْ حَلَبَ فِي جِهَةِ الْغَرْبِ عَنْهَا . وَفِيهَا مَصَبُ نَهْرِ عَفْرَيْنَ وَالنَّهْرِ الْأَسْوَدِ وَنَهْرٍ يَقْرَأُ الْمُتَقَدِّمُ ذِكْرَهَا . وَتَوْرُهَا نَحْوُ مَسِيرَةِ يَوْمٍ ، وَأَجَامُ الْقَصْبِ مُحِيطَةٌ بِهَا وَفِيهَا مِنَ الطَّيْرِ وَالسَّمَكِ نَحْوُ مَا تَقْتَضِي ذِكْرُهُ فِي بَحْرَةِ أَقَامِيَّةَ . قَالَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" : وَطُولُهَا طَوْلُ أَنْطَاكِةَ تَقْرِيْبًا ، وَعَرْضُهَا أَكْثَرُ مِنْ عَرْضِهَا بِدَقَاقٍ .

المقصود الثالث

(فذكر جباله المشهورة التي يتعلق بها كثير من المقاصد، وهي عدة أجبل منها) - (جبل التلج) بالثاء المثلثة والجيم، وما يتصل به . قال في "تقويم البلدان" : والطرف الجنوبي لهذا الجبل بالقرب من صفد . قال في "رسم المعمور" حيث الطول تسع وخمسون درجة وخمسة وأربعون دقيقة، والعرض اثنتان وثلاثون درجة . قال : في "تقويم البلدان" : ثم يمتد إلى الشمال ويتجاوز دِمَشْقَ . فإذا صار في شَمَالِيهَا، سَمِيَ جَبَل (سَيَر) ويسمى جانبه المطل على دِمَشْقَ جَبَل (قَامِسِيُون) ويتجاوز دِمَشْقَ ويمر غربي بَلْبَكَ، ويسمى الجبل المقابل لبَلْبَكَ جَبَل (لَبْنَان) بلام مكسورة وباء موحدة ساكنة ونون مفتوحة بعدها ألف ونون ثانية - وإذا تجاوز بَلْبَكَ وصار شرق طَرَابُلُسَ سَمِيَ جَبَل (عَكَّار) بين مهمل مفتوحة وكاف مشددة وراء مهمل في الآخر - إضافة إلى حصن بأعلاه يسمى عَكَّارًا، ثم يمر شمالًا ويتجاوز طَرَابُلُسَ إلى حصن الأكراد من عمل طَرَابُلُسَ، ويسامت حصن من غربيها على مسيرة يوم ويمتد حتى يجاوز سَمَتَ حماة، ثم سَمَتَ شَيْزَرَ، ثم سَمَتَ أَقَامِيَّةَ، ويسمى قبالة هذه البلاد جَبَل (الْكَاكِم) بضم اللام . قال في "رسم المعمور" : وجبل الْكَاكِمِ يمتد إلى أن يصير بينه وبين جبل تَحْسَبُو، آسأه نصف يوم حتى يتجاوز صِهْيُون والشَّغَرِ وَبَكَّاسَ وَالْقَصِيرَ، وينتهي إلى أَنْطَاكِةَ فينقطع هناك ويصير قبالة جبال الأرمن .

قال في "تقويم البلدان" : ويقابل جبل اللكام المذكور عند مسامته لأقامية
 المتقدمة الذكر جبل آخر من شرقه . يسمى جبل (تَحْشَبُو) بشين معجمة مفتوحة
 وحاء مهملة ساكنة وشين ثمانية مفتوحة بعدها باء موحدة مضمومة ثم واو - إضافة
 إلى قرية هناك تسمى بذلك ، ويبرئ من الجنوب إلى الشمال على غربي المعرة وسريرين
 وحلب . ثم يأخذ غربا ويتصل بجبال الروم .

ومنها - (جبل عاملة) وهو جبل ممتد في شرق ساحل بحر الروم وجنوبيه . حتى
 يقرب من مدينة صور . وعليه شقيف أرنون ، نزله بنو عاملة بن سبيل من عرب
 اليمن عند تفزقهم بسيل التريم فعرف بهم .

ومنها - (جبل عوف) وهو جبل بالقرب من عجلون . كان يتزله قوم من بني عوف
 من حرم قصاعة لعريف بهم . وكانوا عصاة لا يدخلون تحت طاعة حتى بنى عليهم أسامة
 أحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قلعة عجلون فدخلوا تحت الطاعة
 على ما سيأتي ذكره .

ومنها - (جبل الصلت) إضافة إلى مدينة الصلت الآتي ذكرها في أعمال دمشق .
 وهو جبل في شرق جبل عوف وشماله ، كان أهله عبادة حتى بنى عليهم المعظم عيسى
 ابن العادل حصن الصلت فدخلوا في الطاعة .

المقصد الرابع

(في ذكر زروعه وفواكه ورياحيته)

أما زروعه فغالبها على المطر . قال في "مسالك الأبصار" : ومنها ماهو على سقى
 الأنهار وهو قليل ، وفيه من الحبوب من كل ما يوجد في مصر من البر والشعر والذرة
 والأرز والباقلات والبسلة والحبان ، واللوزياء والخلبة ، والسّمسم والقرطم ، ولا يوجد فيه

الكَثْلُ وَالْبَرْسِيمُ، وبه من أنواع البَطِيخِ وَالْقَتَاءِ مَا يُسْتَطَابُ وَيُسْتَحْسَنُ، وكذلك غيرها من المزدروعات كالتَقْلَاقِيسِ وَالْمُلُوحِيَا وَالْبَازِئِجَانِ وَاللَّفْتِ وَالْجَزْرِ وَالْمِلْبُونِ وَالْقُنَيْطِ وَالرَّجَلَةِ وَالْبَقْلَةِ يَمَانِيَّةٌ، وغير ذلك من أنواع الخضراوات المأكولة؛ وقصب السكر في أغواره إلا أنه لم يبلغ في الكثرة حد مطر.

وأما فواكهه، ففيه من كل ما يوجد في مصر كالنَّيْنِ وَالْعِنَبِ وَالزَّيْتَانِ وَالْقَرَّاصِيَا وَالْبَرْثُوقِ وَالْمِشْمِشِ وَنَخْلُوحٍ - وهو المسمى بالدَّرَاقِنِ - وَالْتَوْتِ وَالْفِرَّصَادِ؛ ويكثر بها التُّفَاحُ وَالْكُثْمِرُ وَالسَّفَرْجُلُ مع كونها أكثر أنواعها وَابْتِجَ مَنْظَرًا. ويزيد عليه فواكه أندر لا توجد بمصر، وربما وجد بعضها في مصر على الندور الذي لا يعتد به كالجوز والبُنْدُقِ وَالْإِجَاصِ وَالْعُنَابِ وَالزَّعْرُورِ. وَالزَّيْتُونُ فيه الغاية في الكثرة. ومنه يصدر الزيت وينقل إلى أكثر البلدان وغير ذلك. وباغوارها أنواع المحمضات كالأترجج والأيسون والكاد والنارنج ولكنه لا يبلغ في ذلك حد مصر، وكذلك الموز ولا يوجد البَلَحُ وَالرُّطَبُ فيه أصلاً. قال في "مسالك الأبصار": وفيه فواكه تأتي في الخريف وتبقى إلى الربيع كالسَّفَرْجَلِ وَالتُّفَاحِ وَالْعِنَبِ.

وأما رباحيته، ففيه كل ما في مصر من الآس والورد والزعجس والبَنَفَسَجِ وَالْيَاسْمِينِ وَالنَّسْرِينِ. ويزيد على مصر في ذلك خصوصاً الورد حتى إنه يستقطر منه ماء الورد وينقل منه إلى سائر البلدان. قال في "مسالك الأبصار": وقد نبئني به ما كان يذكرون من ماء ورد جورّ وتصيين.

(١) في الشام رأيت باعتبار الشمة أو البلاد وقوله ويزيد عليه أي على مصر.

المقصد الخامس

(في ذكر مواشيه ووحوشه وطيوره)

أما مواشيه ففيه جميع ما تهتم من مواشى مصر من الإبل والبقر والغنم والخيول واليغال والحمر، إلا أن أبقاره لا تبلغ في العظم مبلغ أبقار مصر، وأغنامه لا تبلغ في طيبة اللحم مبلغ أغنامها، وحيرته لم تبلغ في القراءة مبلغ حيرتها .
وأما وحوشه ، ففيه الفيلان والأرانب والأسود وكثير من أنواع الوحوش المختلفة مما لا يوجد مثله في مصر .

وأما طيوره، ففيه الإوز والدجاج والحمام وأنواع طيور الماء المختلفة الأنواع .
قال في "مسالك الأبصار": ولا تكون الفراخ فيها إلا بحضنة ولا تنجح فيها المعامل التي تُعمل لإخراج الفراخ في مصر . قال : ويذكر أن رجلا من أهل مصر عمل فيها معملا في حاضرة العقبة فصعد له العمل فيه في الصيف دون الخريف .

المقصد السادس

(في ذكر النفيس من مطبوخاتها)

فيها العسل بقدر متوسط ، ويعمل فيها السكر الوسط والمكرر ، والشراب موجود فيها دون مصر ، وأكثر حلواها من العسل والماء .

الطَّرَف الرابع

(في ذكر جهاته وكوره القديمة وقواعده المستقرة وأعمالها ؛ وفيه مقصدان)

المقصد الأول

(في ذكر جهاته وكوره القديمة)

قد قسم المتقدمون الشام إلى خمسة أجناد - جمع جند بضم الجيم وإسكان النون ودال مهمل في الآخر كما ضبطه الجوهري وغيره .

الأول - (جُنْدُ فَلَسْطِين) وفِلَسْطِينُ بكسر الفاء وفتح اللام وسكون السين وكسر الطاء المهملتين وسكون الياء المثناة تحت ونون في الآخر . قال الزجاجي : سميت بفِلَسْطِين بن كُثْنُوم من ولد فلان بن نوح ، بلدة كانت قديماً نسبت الكورة إليها . قال ابن حوقل : وهو أول الأجناد الخمسة من جهة الغرب من رَحْإ إلى حدّ البُؤُون . وعَرَضَهُ من يافا إلى أَرِيحَا نحو يومين . قال ابن الأثير : هي كُورَةٌ كبيرة تستعمل على بلاد المقدس وغَزَّة وعَسَقَلَان . قال ابن حوقل : وهي أرض بلاد الشام .

الثاني - (جُنْدُ الْأُرْدُنِّ) والأُرْدُنُّ بلدة قديمة من بلاد القَوَرِ نسبت الكُورَةُ إليها ، وقد مرَّ ضبطها في الكلام على نهر الأُرْدُنِّ عند ذكر الأنهار ، وقد نسبت الكُورَةُ إليها كما نسب إليها النهر المتقدم ذكره . قال ابن حوقل : وديار قوم لُوطٍ والبحيرة المُنْتَنَةُ وَزُغَيْرُ إِلَى يَسَّانَ وإلى طَبْرِيةَ تسمى القَوَرُ : لأنه بين جبلين ، وسائر بلاد الشام مرفوعةٌ عليه . قال : وبعضها من الأُرْدُنِّ وبعضها من فِلَسْطِين .

الثالث - (جُنْدُ دِمَشْقَ) وسيأتي الكلام عليها في قواعد الشام المستقرة .

الرابع - (جندِ حِمَصَ) وسيأتي الكلام عليها في الصفقة الشرقية من صَفَقَاتِ دِمَشْقَ .

الخامس - (جُنْدُ قَلْسِيرِينَ) . قال في " اللُّبَاب " : بكسر القاف وفتح النون المشددة وسكون السين وكسر الراء المهملتين ثم ياء مثناة من تحت ما كنة ونون في الآخر . قال الزجاجي : وقد روى أنها سميت برجل من قَيْسٍ يقال له ميسرة ، نزلها فتر به رجل . فقال له : ما أشبه هذا الموضعَ بِهِنَّ سِيرِينَ ! فبنى منه اسم للكان فقليل : قَلْسِيرِينُ . وقيل : دنا أبو عبيدة مَهْمَرَةَ بن مسروق القيسية فوجهه في ألف فارس

(١) في معجم البلدان لياقوت : برجل من عيس .

(٢) » » » : البقي .

في أثر المدوّ فتر على قَنَسْرِينَ فجعل ينظر إليها فقال : ماهذه ؟ فسميت له بالزُّومية . فقال : والله كأنها قَنَسْرِينُ . قال : وهذا يدل على أن قَنَسْرِينَ اسم مكان آخر عرفه ميسرة فُسِّبَ به هذا فسميت به .

قال ابن الأثير : وفي إعرابها قولان .

أحدهما - أنها تجرى مجرى قولك الزيدون فتجعلها في الرفع بالواو فيقول هذه قَنَسْرُونُ وفي الخفض والنصب بالياء فتقول مررت بقَنَسْرِينَ ودخلت قَنَسْرِينَ .

الأول الثاني - أن تجعلها بالياء على كل حال وتجعل الإعراب في النون ولا تصرفها . وهي قاعدة من قواعد الشام القديمة على القرب من حلب ؛ كان الجند يتزما في ابتداء الإسلام ، ثم ضَعُفَتْ بحلب وتغربت وصارت قرية على ماسيأى ذكره في الكلام على حلب إن شاء الله تعالى .

قال ابن الأثير : وكل جُندٍ منها عَرَضُهُ من ناحية الفُراتِ إلى ناحية فلسطين . وطوله من الشرق إلى البحر ، وحكاه في "التعريف" على وجه آخر فقال : للناس في الشام أقوال ، فمنهم من لا يجعله إلا شاما واحداً ومنهم من يجعله شامات ، فيجعلون بلاد فلسطين والأرض المقدسة إلى الأردن شاماً [ويقولون الشام الأعلى ؛ ويعملون دمشق وبلادها من الأردن إلى الجبال المعروفة بالطوال شاما ، ويقع على قرية التَّيْك وما هو على خطها ؛ ويعملون سُورِيَا ؛ وهي حصّ وبلادها إلى رَحْبَة مابك بن طوق شاما ، ويعملون حماة وشيْر من مضافاتها . وهم من يجعل منها حماة دون شيْر ، ويعملون قَنَسْرِينَ وبلادها وحلب مما يدخل في هذا إلى جبال الروم وبلاد المواسم والنُّبُور ؛ وهي بلاد سِيس شاماً . ثم قال : أما عكا وطرابلس وكل

ما هو على ساحل البحر فكل ما قابل منه شيئا من الشامات حبيب منه . قال :
ونبها على ذلك كله ليعرف . ثم قال : أما ما هو في زماننا وعليه قانون ديواننا فإنه إذا
قال سلطاننا بلاد الشام ونائب الشام لا يريد به إلا دمشق ونائبها . وسيأتى الكلام
على حدود ولايته في الكلام على نيابة دمشق إن شاء الله تعالى .

المقصود الثاني

(في ذكر قواعد المستقرة وأعمالها ، وهي ست قواعد ، كل قاعدة منها تعد مملكة
بل كانت كل قاعدة منها مملكة مستقلة بسلطان في زمن بنى أيوب)

القاعدة الأولى

(دمشق ٢ وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

وهي بكسر الدال المهملة وفتح الميم وسكون الشين المعجمة وقاف في الآخر . وتسمى
أيضا جلق - بيم مكسورة ولام مشددة مفتوحة وقاف في الآخر . وبذلك ذكرها
حسن بن ثابت رضي الله عنه في مدحه لبنى غسان : ملوك العرب بالشام بقوله :
لله در عصاية نأتمتهم • يوما بجلق في الزمان الأول

وحكى في "الروض المطار" تسميتها جبرون - بفتح الجيم وسكون الياء المثناة تحت
وضم الراء المهملة وسكون الواو ونون في الآخر - وسماها في موضع آخر العلراء - بفتح
العين المهملة وسكون الدال المعجمة وفتح الراء المهملة وألف بعدها - وموقعها
في أواخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : وطولها ستون درجة
وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وقد اختلف في بانها : فقبل بناها

فُوحٌ عليه السلام؛ وذلك أنه لما نزل من السفينة أشرف فأرأى ثل حراف بين نهري حراف وديصاف، ^(١١) فأناه فيني حراف، ثم سار فيني دِمَشْقَ، ثم رجع إلى بابل فبناها . وقيل بناها جَيْرُونُ بن سعد بن عاد، وبه سميت جَيْرُون . ويقال إن جَيْرُون و بَرِيدَا كانا أَخَوَيْنِ وهما أبنا سعد بن لقمان بن عاد، وبهما يعرف باب جِرون وباب البريد من أبوابها . وقيل بناها العازر : غلام إبراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام، وكان حَبَشِيًّا وبه له مُمَرُّوذ بن كَثَمَان حين نرج إبراهيم من النار، وكان اسمه دِمَشْقَ فسمها باسمه .

وفي "كتاب فضائل القُرَيْش" لأبي حنيفة أن بيوراسب ملك القُرَيْش بناها . وقيل إن الذي بناها ذو القُرَيْن عند فراغه من السدِّ ووَكَّلَ بعمارها غلاما له اسمه دِمَشْقَش وسكنها دِمَشْقَش ومات فيها فسميت به . وهي مدينة عظيمة البناء ذات سور شاهق ولها سبعة أبواب : باب كَيْسَانَ، وبابُ شَرْقَى، وبابُ ثُوما، وباب الصغير . وباب الجابية، وباب القُرَادِيس، وباب المسدود .

وروى الحافظ بن عساكر عن أبي القاسم تمام بن محمد : أنبأنيما جعل كل باب من هذه لِكُوكَيْبٍ من الكواكب السبعة ، وصوِّرَ عليه صُورَتَهُ ، فجعل باب كَيْسَانَ لِرُحْلٍ ، وباب شَرْقَى لِلشَّمْسِ ، وباب ثُوما لِلزُّهْرَةِ ، وباب الصغير لِلشُّتْرِى ، وباب الجابية لِلْمَرْجِ ، وباب القُرَادِيس لِعُطَارِدَ ، وباب المسدود للقمر . وعلى كل حال فهي مدينة حسنة القريب ، جليلة الأبنية ، ذات حواجز بنيت من جهاتها الأربع ، وغُوطُها أحد مستزعات الدنيا العجيبة المفضلة على سائر مستزعات الأرض ، وكذلك الرِّبْوَةُ وهي كَهْفٌ في قم وادها الغربي . عنده تنقسم مياهها ، يقال إن به مَهْدَ عِيسَى عليه السلام . وفيها الجوامع والمدارس ، والخانات والرِّبْدُ - بالرواية والأصواق المرتبة ^(١) كذا في النسخة . أيضا ولم نصل إلى طين الاسمين .

والديار الجبلية المذهبة السقف المفروشة بالرخام المتنوع، ذات البرك والماء الجاري .
 وربما جرى الماء في الدار الواحدة في أماكن منها والماء مُحْكَمٌ عليها من جميع نواحيها
 باتقان محكم، وهي في وطأة مستوية من الأرض بارزة عن الوادي المنحط عن منتهى
 ذيل الجبل، مكتوفة الجوانب نحو الهواء إلا من الشمال فإنه محجوب بجبل قاسيون،
 وبذلك تُعَاب وتنسب إلى الوخامة . قال في "مسالك الأبصار" : ولولا جبلها
 الغربي الملبس بالتلويح صيفا وشتاء، لكان أمرها في ذلك أشد، وحال سُكَّانها أشق؛
 ولكنه يرياق ذلك السم، ويدواء ذلك الداء . وهي مستديرة به من جميع نواحيه .
 قال في "مسالك الأبصار" : وغالب بنائها بالجمر ودورها أصغر مقادير من دور
 مصر لكنها أكثر زخرفة منها وإن كان الرخام بها أقل . وإنما هو أحسن أنواعا .
 قال : وعناية أهلها بالمباني كثيرة، ولهم في بساطتهم منها ما توفق به وتحسن
 بأوضاعه، وإن كانت حَلَبٌ أجل بناء لعنايتهم بالجمر، فدمشق أزين وأكثر رونقا
 لتحكم الماء على مدينتها وتسلطه على جميع نواحيها، ويستعمل في عماراتها خشب
 الحور - بالحاء والراء المهملتين - بدلا من خشب النخل إلا أنه لا يُغشَى بالياض
 ويكتفى بحسن ظاهره . وأشرف دورها ما قرب، وأجل حاضرتها ما هو في جانبيها :
 الغربي والشمال .

١٦٠ فأما جانبها الغربي ففيه قلعتها، وهي قلعة حسنة سرجلة على الأرض، تحيط بها
 والمدينة جميعا أسوار عالية، يحيط بها خندق يطوف الماء منه بالقلعة . وإذا دعت
 الحاجة إليه أطلق على جميع الخندق المحيط بالمدينة فمعناها : تحت القلعة ساحة
 فسحة بها سوق الخيل، على جانب وإد يتهى فيه مما على القلعة إلى شرفين محيطين
 به في جهتي القبلة والشمال . في ذيل كل منهما ميدان تمتزج بالتعجل الأخضر، والوادي
 يشق بينهما . وفي الميدان القليل منهما القصر الألبق - وهو قصر عظيم مبنى من أسفل

إلى أعلاه بالبحر الأسود والأصفر بتأليف غريب، وإحكام عجيب؛ بناء الظاهر ببيرس
الْبُنْدُقْدَارِيّ في سلطته، وعلى مثاله بنى الناصر محمد بن قلاوون القصر الأبقى بقلة
الجل بمصر، وأمام هذا القصر دركاه يُدخَلُ منها إلى دِهْلِيز القصر، وهو دِهْلِيز
فسيحٌ يشتمل على قاعات ملوكة مغروشة بالرَّخَامِ الملون البديع الحُسن، مؤزَّر بالرَّخَامِ
المفصل بالصَّنَدَفِ والقَصَصِ المُنْتَهَبِ إلى مُجَبِّفِ السَّقُوفِ، وبالدار الكبرى به
إيوانان متقابلان تُطلُّ شبائيك شرقيهما على الميدان الأخضر، وعربيهما على شاطئ
وادي أخضر يجري فيه نهر، وله رُقَارِفُ عالية تناغى الشَّجَرُ. تُشْرِفُ من جهاتها الأربع
على جميع المدينة والقوطة .

والوادي كامل المنافع بالبيوت الملوكية والإصطبلات السلطانية والحمام وغير ذلك
من سائر ما يحتاج إليه؛ وبالدكاية التي أمام القصر المتقدم ذكرها جَسْرٌ معقود على
جانب الوادي يُتَوَصَّلُ منه إلى إيوان براني يُطلُّ منه على الميدان القليل، استجده
أقروش الأفرم في نيابته في الأيام الناصرية ابن قلاوون، وتُجَاهَ باب القصر باب
يُتَوَصَّلُ من رجبته إلى الميدان الشمالي؛ وعلى الشرفين المتقدم ذكرهما أبنيةٌ جليلةٌ
بن بيوت ومناظر وساجد ومدارس ورُيُوط وخَوَائِقَ وزَوَايَا وحمامات ممتدة على
جانين ممتدين طول الوادي .

ولهذه القلعة نائبٌ بمفردها غير نائب دمشق يحفظها السلطان ولا يُمكنُ أحدا من
طلوعها من النائب أو غيره . وإذا دخل السلطان دمشق نزل بها . وبها تحثُّ ملك
لغيرها من ديار الملك .

وأما جانبها الشمالي ويسمى القُصْبِيَّة، فهو مدينة مستقلة بذاتها ذات أبنية جليلة
عمائر خضمة، يسكنها كثير من الأمراء والجنود، وبازاء المدينة في سفح جبل قاسيون
مدينة الصالحية؛ وهي مدينة ممتدة في سفح الجبل بازاء المدينة في طول مدنى تُشْرِفُ

على دِمَشْقَ وشوطها، ذاتُ بيوت ومدارس وربط وأسواق وبيوت جليظة، وبأعلىها مع ذيل الجبل مقابر دِمَشْقَ العامة . ولكل من دِمَشْقَ والصاحلية البساتين الأنيقة بتسلي جداولها وتفتي دوحاتها، وبمقابل أغصانها وتفرّد أطيارها، وفي بساتين التّزه بها العائر الضّخمة، والجوّاسق العليّة، والبرك العميقة، والبحيرات الممتدة، لتقابل بها الأواوين والمجالس . وتُحَفُّ بها الفِراس والنصوب المطرزة بالسرو المثلث، والحور الممشوي لفنّ الرّيلحين المتأرجحة الطيب، وإلفواكه الجنيّة، والثمرات الثّمينة . والأشياء البديعة، التي تُفني شهرتها عن الوصف . ويقوم الإيجاز فيها مقام الإطّاب .

وسمى دِمَشْقَ وبساتينها من نهر يسمى بردى - بفتح الباء الموحدة والراء والدال المهمتين وبآخره ألف . أصل مخرجه من عيين: البعدهُ منهما دون قرية تسمى الرّبذاني . ودونها عينٌ بقرية تسمى الفيحة . بذيل جبل يخرج الماء من صدع في نهاية سفله قد عقد على مخرج الماء منه عقْد روميّ البناء، ثم ترّفده منابع في مجرى النهر؛ ثم يقسم النهر على سبعة أنهر: أربعة غربية: وهى نهر داريّا، ونهر المزة، ونهر القنوت، ونهر باناس . وأثنان شرقية وهما نهر يزيد، ونهر فورّا، ونهر بردى ممتد بينهما . فاما نهر باناس ونهر القنوت، فهما نهر المدينة حاكمان عليها ومسلطان على ديارها، يدخل نهر باناس القلعة، ثم ينقسم قسمين: قسم للجامع وقسم للقلعة، ثم ينقسم كلّ قسم منهما على أقسام كثيرة ويتفرق في المدينة بأصابع مقدرة معلومة، وكذلك ينقسم نهر القنوت في المدينة، ولا مدخل له في القلعة ولا للجامع، ويمر في فني مدفونة في الأرض إلى أن يصل إلى مستحقاتها بالدور والأماكن على حسب

التقسيم، ثم تصبُّ فضلات الماء والبرك ومجاري الميضات إلى تقيٍّ معقودة تحت الأرض، ثم تجتمع وتتهرَّب وتخرج إلى ظاهر المدينة لسقي البساتين .
 وأما نهر يَزِيد، فإنه يجرى في ذيل الصالحية المتقدم ذكرها ويشقُّ في بعض عمارتها .
 وأما بقية الأنهار، فإنها تنصرف إلى البساتين والنيطان لسقيها، وعليها القصور والبينان خصوصا تورا فإنه نيل دِمَشق، عليه جُلُّ مبانيها وبه أكثر تنزهات أهلها، من يخاله يراه زُمرَّة خضراء، لاكتفاف الأشجار عليه من الجانبين .

وهي (جامع بن أمية) وهو جامع عظيم بناه الوليد بن عبد الملك بن مروان في سنة ثمان وثمانين من الهجرة، وأُنقِ في أموالا جمَّة حتى يقال إنه أنفق فيه أربعمائة صنوق في كل صنوق ثمانية وعشرون ألف دينار، وإنه أجمع في تزيينه اثنا عشر ألف مَرَّحَم. قال في "الروض المطار": ودَّعه في الطول من المشرق إلى المغرب مائتا خطوة وهي ثلثمائة ذراع، وعرضه من القبلة إلى الشمال مائة خطوة ونحوها. وثلاثون خطوة وهي مائتا ذراع. وقد زُتِفَ بأنواع الزُتْرِفة من الفُصُوص المذهبة والمرمر المصقول، ونحت نُسُره عمودان مجرَّمان بالحجارة لم يُرَ مثلهما، يقال إن الوليد اشتراها بألف وخمسمائة دينار، وفي المحراب عمودان صغيران يقال إنهما كانا في عرش يَفْقِيس، وعند مئذنة الشرقية حجرٌ يقال إنه قطعة من الحجر الذي ضربه موسى عليه السلام فانهجرت منه اثنتا عشرة عينا .

وقد ورد أن المسيح عليه السلام ينزل على المئذنة الشرقية منه، ويقال إن القبة التي فيها المحراب لم تزل معبداً لأبتداء عمارتها وإلى آخر وقت . بناها الصابئة متعبداً لهم، ثم صارت إلى اليونانيين فكأنوا يطمعون فيها دينهم، ثم أنتقل إلى اليهود فقتل يحيى بن زكريا عليه السلام، ونصب رأسه على باب جيرون من أبوابه فأصابته بركته، ثم صار إلى النصارى فجعلتها كنيسة، ثم أفتح المسلمون دِمَشق فاقننوه

جامعها، وعلق رأس الحسين عليه السلام عند قتله في المكان الذي علق عليه رأس يحيى بن زكريا إلى أن جثده الوليد، ويقال إن رأس يحيى عليه السلام، مدفون به، وبه مصحف عثمان الذي وجه به إلى الشام.

قال في "الروض المطار": ويقال إن أول من وضع جداره الأول هود عليه السلام. وقد ورد في أثر أنه يُعبد الله تعالى فيه بعد حراب الدنيا أربعين سنة.

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها وما يدخل تحت حكم الولايات)

وقد ذكر في "التعريف" أن ولايتها من لُذْن العريش: حد مصر إلى آخر سلمية مما هو شرق بشمال وإلى الرّجبة مما هو شرق يحنوب. قال: وقد أضيف إليها في زمن سلطاننا بلاد جعبر، وكان من حقها أن تكون مع حلب. وحيثما تكون ولايتها مشتملة على الشام الأعلى المتقدم ذكره وما يليه وما على ما يليه، وبعض الشام الأدنى، وليس يخرج عنه من ذلك إلا حماة وما نخرج مع صفد وطرابلس والكرك. قال: ويكون في نيابة نائبا نيابة غزّة ونيابة حمص وبعض شيء مما يقتضى الحق أن يكون مع حلب. وتشتمل على بر وأربع صققات.

فأما البر فالمراد به ضواحيها. قال في "التعريف": وحتما من القبلية قرية الخيارة المجاورة للكُشُورَ وما هو على سمتها طولاً، ومن الشرق الجبال الطوال إلى التّبك وما على سمتها من القرى أخذاً على عسان^(١) وما حولها من القرى إلى الزبداني، ومن الغرب ما هو من الزبداني إلى قرى القران المسماة للخيارة المقدم ذكرها. قال: ويدخل في ذلك مرج دمشق وغوطتها.

(١) في الأصل والنسب باللام [والصحيح عن ياقوت].

وأما صَفَقَاتُهَا، فأربع صَفَقَات .

الصفقة الأولى

(الساحلية والجبلية)

وهي الصَّفَقَةُ الغربية عن دمشق . قال في "مسالك الأبصار" : وهي عبارة عن بلاد غَزَّة وما جاورها سهلاً ووعراً .

قال في "التعريف" : وهذه الصفقة هي الشام الأعلى، ينتقص منه ما هو من نهر الأردن إلى حد قاقون . ثم هذه الصفقة لها جنتان .

الجهة الأولى

(الساحلية) وهي التي بساحل بحر الروم المتقدم ذكره،

وتشتمل على أربعة أعمال

الأول - (عمل غَزَّة) - بفتح الغين المعجمة وتشديد الزاي المعجمة أيضاً وفي آخرها هاء - وهي مدينة من جُندِ فلسطين، في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : طولها ست وخمسون درجة وعشر دقائق ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة . وقال ابن سعيد : طولها سبع وخمسون درجة، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة، وهي على طَرَفِ الرمل بين مصر والشام، آخذة بين البر والبحر بجانبها، مبنية على تَشْرَعَالٍ على نحو ميل من البحر الرومي، متوسطة في العِظَم، ذات جوامع، ومدارس، وزوايا، وبيمارستان، وأسواق، صحبة الهواء، وشرب أهلها من الآبار، وبها أمكنة يجتمع بها المطر إلا أنه يُسْتَقَل في الشرب فيعدل منه إلى الآبار لثقل مائها، وبساحلها البساتين الكثيرة . وأجل فاكحتها السنب والتين، وبها بعض النخيل، وبرها تمتد إلى يه بنى إسرائيل من قبلها، وهو موضع ذريع

وماشية إلا أن أهل برها عُسْرَان^(١) بعضهم أعداء بعض . ولولا خوف سطوة السلطنة لما أُمِخِدَ سيفُ الفتنة بينهم ولا جتاحوا المدينة ومن فيها .

قلت : والحال فيها مختلف : فأكثر الأحيان هي تقدمه عسكر مضافة إلى دِمَشْقَ ، ياتر مقدم العسك فيها بأمر نائب السلطنة القائم بِدِمَشْقَ ، ولا يُمَضَى أمرًا دون مراجعته وإن كانت ولايته من الأبواب السلطانية ، وتارة تكون نيابةً مستقلةً وتضاف إليها الصفة الساحلية بكاملها فيكون لها حكم النابات .

الثاني - (عمل الرَّمْلَة) . بفتح الراء المهملة وسكون الميم وفتح اللام وفي آخرها هاء - وهي مدينة من جند الأَرْدُنَّ ، موقعها في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : طولها ست وخمسون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وعشر دقائق . وقال في "القانون" : طولها ست وخمسون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ست وخمسون درجة وست وعشرون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وثلاث وعشرون دقيقة .

وهي مدينة إسلامية بناها سليمان بن عبد الملك في خلافة أبيه عبد الملك . قال في "الروض المعطار" : وسُميت الرَّمْلَة لغلبة الرمل عليها . وقال في "مسالك الأبحار" : سميت بأمرأة أسماها رَمْلَة ، وجدها سليمان بن عبد الملك هناك في بيتٍ شَرَحَ حين نزل مكانها يرتاد بناءها ، فأكرمتها وأحسنت رُزْقَه ، فسألها عن اسمها فقالت رَمْلَة ، فبنى البلد وسماها باسمها . قال في "المزبى" : وهي قَصَبَة قَلْطِين ، وهي في سهل من الأرض ، وبينها وبين القُدْس مسيرة يوم . قال في "الروض المعطار" : وبينها وبين نابلس يوم ، وبينها وبين قَسَّارِيَّة مرحلة ، وكان عبدُ الملك قد أجرى إليها قناة

(١) كذا في الأصل مضبوطا .

ضعيفة للشرب منها، وأكثر شربهم الآن من الآبار ومن صهاريج يجمع فيها ماء المطر، وهي مَقَرَّة الكاشف بتلك الناحية .

وبينها مدينة ياقا - بفتح المثناة من تحت وألف وفاء ثم ألف في الآخر - وهي مدينة صغيرة بالساحل، وهي في الغرب عن الرملة وبينهما ستة أميال .

الثالث - (عمل لُد) - بضم اللام وتشديد الدال المهملة - وهي بلدة من جُندِ فلسطين واقعة في الإقليم الثالث شرقاً بشمال عن الرملة، وبينهما ثلاثة فراسخ، ولم تحترق طولها وعرضها . غير أنها نحو الرملة في ذلك : لقربها منها أو أطول وأعرض بقليل . وهي مدينة قديمة كانت هي قصبة فلسطين في الزمن الأول إلى أن بنيت الرملة فحول الناس إليها وتركوا لُدًا، وقد ثبت في الصحيح أن المسيح عليه السلام يقتل الدجال ببها .

الرابع - (عمل قاقون) - بفتح القاف وبمدها ألف ثم قاف ثانية مضمومة - وهي مدينة لطيفة غير مَسُورَةٍ، بها جامعٌ وحمام وقلة لطيفة، وشرها من ماء الآبار، ولم تحترق لى طولها وعرضها، إلا أن بينها وبين لُد مسيرة يوم فلتعتبر بها بالتقريب .

الجهة الثانية

(الجليلة، وبها ثلاثة أعمال)

الأول - (عمل القدس) . والقدس بضم القاف والدال لفظ غلب على مدينة بيت المقدس - بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال المهملة - وهو المسجد الأقصى، وأصل التقديس التطهير، والمراد المظهر من الأنداس . وهي مدينة من جُندِ فلسطين واقعة في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : طولها ست وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها سبع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة - وعرضها ثلاثون درجة .

وهى مبنية على جبل مستدير، وعرة المسلك، وبنائها بالحجر والكليس، وغالب حجرها أسود، وشرب أهلها من ماء المطر المجتمع بصهاريج المسجد الأقصى وعين تجرى إليها عن بُعد، وكذلك عين سلوان وليس ماؤها بالكثير، وكان بها آثار قلعة قديمة تحربت بغتدها الناصر "محمد بن قلاوون" في سنة ست عشرة وسبعمائة، وليس بها حصانة، وكانت المدينة كلها قد غلب عليها الخراب من حين استيلاء الفرنج عليها، ثم تراجع أمرها للعارة، وصارت في نهاية الحسنى؛ بها المدارس والربط والخمائم والأسواق وغيرها. والمسجد الأقصى هو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، وهو القبلة الأولى.

قال في "الروض المعطار": وأول من بنى بيت المقدس وأرى موضعه يعقوب عليه السلام، وقيل داود. والذي ذكره في "تهويم البلدان" أن الذي بناء سليمان ابن داود عليهما السلام وبنى حتى تحربه بمختصر، فبناه بعض ملوك الفرس وبنى حتى تحربه طيطوس ملك الروم، ثم بنى ورمم، وبنى حتى تصرف قسطنطين ملك الروم وأمه هيلانة وبنّت أمه قمامة على القبر الذي يزعم النصارى أن المسيح عليه السلام دفن فيه، وتحربت البناء الذي كان على الصخرة وجعلتها مطرحة لقمات البلد عتادا لليهود، وبنى الأمر على ذلك حتى فتح أمير المؤمنين: عمر بن الخطاب رضى الله عنه القدس فدل على الصخرة فتظف مكانها وبنى عليها مسجدا، وبنى حتى ولي الوليد ابن عبد الملك الخلافة فبناه على ما هو عليه الآن. على أن المسجد الأقصى على الحقيقة جميع ما هو داخل السور، وعلى القرب من المسجد الصخرة التي ربط النبي صلى الله عليه وسلم بها البراق ليلة الإسراء، وهى حجر مرتفع مثل الدكة ارتفاعها من الأرض نحو قامة، وتحته بيت طوله بسطة في مثلها، يزل إليها بسلم وعليها قبة عالية، بناها الوليد بن عبد الملك حين بنى المسجد الأقصى.

قال المهلب في كتابه "العزري": ولما بناها الوليد بنى هناك عتة قباب وتسمى كل واحدة منها بأسم: وهى قبة المعراج، وقبة الميزان، وقبة السلسلة، وقبة المحشر. قال في "مسالك الأبصار": وإلى الصخرة المتقدمة الذكر قبة اليهود الآن، والىها حجهم. وبه القامة التى تحجها النصارى من أقطار الأرض، ويبتلى لهم الذى هو من أجل أما كن الزيارة عندهم، وكان به كنيسة للروم يقال إن بها قبر حنة أم مريم بنت عمران عليها السلام ثم صارت فى الإسلام دار علم. فلما ملك الفريج القُدس فى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة أعادوها كنيسة، فلما فتح السلطان صلاح الدين القُدس بنى بها مدرسة. وكان أسمها فى الزمن الأول إيليا. والأرض المقدسة مشتملة على بيت المقدس وما حوله، إلى نهر الأردن المسى بالشرية، إلى مدينة الرملة طولا، ومن البحر الشامى إلى مدائن لوط عليه السلام، وغالبها جبال وأودية إلا ما هو فى جنتها.

الثانى - (عمل بلد الخليل عليه السلام). وأسمها بيت حبرون بإضافة بيت واحد البيوت إلى حبرون (بحاء مفتوحة وباء موحدة ساكنة وراء مهمل مضمومة بسدحها واو ساكنة ونون) كذا ضبطه فى "تقويم البلدان": وفى كلام صاحب "الروض المطار": ما يدل على إبدال الحاء يميم والباء الموحدة بمثناة تحت، فإنه ذكرها فى حرف الجيم فى سبابة الكلام على تسمية ديمشق جبرون. وهى بلدة من جند فلسطين فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة، طولها فى بعض الأزياج ست وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وبها قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام ونسأهم. وهى إحدى القرى التى أقطعها النبي صلى الله عليه وسلم لتيم الدارى كما سيأتى ذكره فى الكلام على المناشير إن شاء الله تعالى.

الثالث - (عمل نابلس) - ففتح النون وألف وضم الباء الموحدة واللام وسين مهملة في آخرها - مدينة من جُند الأردن من الإقليم الثالث . قال في "كتاب الأبطال" : طُولها سبع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ثلاثون درجة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ست وخمسون درجة وأربع وعشرون دقيقة ، وعرضها على ما تقدم . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة يُحتاج إليها ولا يحتاج إلى غيرها . قال ابن حوقل : وليس فلسطين بلدة فيها ماء جارٍ سواها ، وباقى ذلك شرب أهله من المطر وزرعهم عليه ، وبها البئر التي حفرها يعقوب عليه السلام ، وهي مدينة السامرة ، وكانت السامرة في الزمن المتقدم لا توجد إلا بها ، وبها الجبل الذي يحج إليه السامرة ، وسيأتي الكلام على الموجب لتعظيمه عندهم عند الكلام على تخليفهم في باب الإيمان إن شاء الله تعالى .

الصفقة الثانية

(القبيلة)

سميت بذلك لأنها قبيلة دِمَشَق . قال في "مسالك الأبصار" : وتشتمل على بلاد حوران والغور وما مع ذلك . قال في "التعريف" : وحدتها من القبلة جبال الغور القبيلة المجاورة لمرج بنى عامر ، ومن الشرق البرية ، ومن الشمال حدود ولاية بردِمْشَق القَبِيلَة ؛ ومن الغرب الأغوار إلى بلاد الشَّيْف . قال : والأغوار كلها داخلة في هذه الصفقة خلا ما يختص بالكرك .

وتشتمل هذه الصفقة على عشرة أعمال .

الأول - (عمل يسان) - بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح السين المهملة وألف ونون - مدينة من جُند الأردن من الإقليم الثالث . قال

في "الأطوال" : طولها ثمان ونمسون درجة، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة ونمسون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها سبع ونمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وسبع وعشرون دقيقة . وهي مدينة صغيرة بلا سور، ذات بساتين وأشجار وأنهار وأعين، كثيرة الخصب واسعة الرزق، ولها عين تشق المدينة، وهي على الجانب الغربي من الفُور .

قال في "التعريف" : وهي مدينة الفُور، وبها مقر الولاية . قال في "مسالك الأبصار" : ولها قلعة من بناء القربنج . قال في "الروض المطار" : ويقال إن طائوت قتل جالوت هناك .

الثاني - (عمل بانياس) - بياض موحدة وألف ونون وياه مثناة تحت وألف ثمسين مهملة - مدينة من جند دمشق واقعة في الإقليم الثالث . قال في "تقويم البلدان" : طولها ثمان ونمسون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة . قال : وهي على مرحلة ونصف من دمشق من جهة الغرب بميلة إلى الجنوب . قال في "العزى" : وهي في لحف جبل الثلج ، وهو مغل عليها والثلج على رأسه كالعمامة لا يمد منه شئ ولا صيفاً . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة الجولان، وبها قلعة الصبيبة (بضم الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الباء الموحدة وهاء في الآخر) . قال في "التعريف" : وهي من أجل القلاع وأمنها .

الثالث - (عمل الشعرا) - بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وفتح الراء المهملة وبعدها ألف - وهي عن بانياس المتقدمة الذكر شرق بجنوب، وطولها مائين بانياس إلى جبل الثلج . قال في "التعريف" : والولاية بها تكون تارة بقرية حان (الحاء المهملة) وتارة بقرية القنطرة تسخير قنطرة ، ولم يتجزأ طولها، وعرضها فلتعتبرا بما قاربهما من الأعمال .

الرابع - (عمل نوى) - بفتح النون والواو وألف في الآخر. وهي بلدة صغيرة، عن دِمَشْقَ في جهة الغرب إلى الجنوب على نحو مرحلة، وهي مدينة قديمة من أعمال دِمَشْقَ، بها قبر أيوب النبي عليه السلام، وإليها ينسب الشيخ محيي الدين النووي الشافعي رحمه الله، ولم يتجزر إلى طولها وعرضها فلتتبر بما قاربها أيضا، وهي عن يمين الشَّعْرَاءِ المتقنم ذكرها شرق بحنوب أيضا.

الخامس - (عمل أَذْرَعَاتٍ) - بفتح الهمزة وسكون الذال المعجمة وفتح الزاء والعين المهملتين وألف ثم تاء مشناة من فوق في الآخر. قال في "الروض المعطار": ويجوز فيها الصرف وعدمه. قال: والتاء في الحالين مكسورة. وقال الخليل بن أحمد: مَنْ كَسَرَ الْأَلْفَ لم يصرف؛ وهنا صريح في حكاية كسر الألف في أوّلها. ويقال لها يَذْرَعَاتُ بياء مشناة تحت بدل الألف - وهي مدينة من أعمال دِمَشْقَ من الإقليم الثالث. قال في "كتاب الأطوال": طولها ستون درجة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة - وهي مدينة البَيْتِيَّةُ، وبينها وبين الصَّنَمِينَ ثمانية عشر ميلا. قال في "التعريف": وبها ولاية الحاكم على مجموع الصَّفَقَةِ، وقد كان قديما بغيرها.

السادس - (عمل تَجْلُونٍ) - بفتح العين وسكون الجيم وضم اللام وسكون الواو ونون في آخره - قلعة من جُنْدِ الْأَرَبِيِّ في الإقليم الثالث، طولها ثمان وخمسون درجة وعشر دقائق، وعرضها ثلاثون درجة وعشر دقائق. مبنية على جبل يعرف بجبل عَوَفِ المتقنم ذكره في جبال الشام المشهورة تُشْرِفُ على القَوْرِ. وهي محدثة البناء بناها عز الدين أسامة بن مقنذ: أحد أكابر أمراء السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب في سنة ثمانين وخمسمائة. قال في "مسالك الأبصار": وكان مكانها [ديربه]

(١) كذا في النجوم أيضا وفي المعجم [وكسر الزاء] وفي القاموس [بكسر الزاء وتفتح].

راهب اسمه عَجْلُونُ فسميت به . قال في "التعريف" : وهو حصن جليل على صغرى ، وله حصانة ومنعة منيعة . ومدينة هذه القلعة الباعونة (بفتح الباء الموحدة) وألف بعدها ثم عين مضمومة وواو ساكنة ونون مفتوحة وفي آخرها هاء (وهى على شوط فرس من عَجْلُون . قال في "المسالك" : وكان مكانها ديراً أيضاً به راهب اسمه باعونة فسميت المدينة به ، وهما شرق بيسان المتقنم ذكرها

السابع - (عمل البقاء) ، قال في "الروض المعمار" : سميت بالبقاء بن سورية من بني عثمان بن لوط ، وهو الذى بناها . قال في "تقويم البلدان" : وهى إحدى كَوَر الشَّراء ، وهى عن أريحا في جهة الشرق على مرحلة ، ومدينة هذا العمل حُسان (بضم الحاء وإسكان السين المهملتين) وفتح الباء وبعدها ألف ونون) وهى بلدة صغيرة ولها واد وأشجار وأرجحة وبساتين وزروع .

قال في "مسالك الأبصار" : ومن هذا العمل (الصلت) - وهى بألف ولام لازمين في أوله وفتح الصاد المهملة المشددة وسكون اللام وبعدها تاء مثناة - بلدة لطيفة من جُند الأردن في جبل القور الشرق في جنوب عَجْلُون على مرحلة منها ، وبها قلعة بناها المعظم عيسى بن العادل أبى بكر بن أيوب ، وتحت القلعة عين واسعة يجرى ماؤها حتى يدخل البلد ، وهى بلدة عامرة أهلة ذات بساتين وفواكه . قلت : وكلامه في "التعريف" قد يخالف كلامه في "مسالك الأبصار" في جعل الصلت من عمل حُسان ، فإنه قال : وأولها من جهة القبلة البقاء ومدينتها حُسان ، ثم الصلت ، ثم عَجْلُون ، وعَجْلُون عمل مستقل كما تقدم ، ومقتضاه أن يكون الصلت أيضاً عملاً مستقلاً . وكذا رأيت في "التذكرة الآمدية" نقلاً عن شهاب الدين ابن الفاروق أحد كتّاب الإنشاء بدمشق في الدولة الناصرية ابن قلاوون ، وأخبرني بعض

تُكَلِّبُ الْإِنشَاءَ أَنْ الْمَسْتَقَرَّ الصَّلْتُ قَطْعُ وَالْبَقَاءُ مِضَانَةٌ إِلَيْهَا، وَطَبِيعُهُ يَدُلُّ كَلَامَ الْقَاضِي تَقِيَّ الدِّينِ بْنِ نَاطِرِ الْجَلِيشِ فِي "التَّحْقِيفِ" فَإِنَّهُ قَالَ: وَمِمَّنْ كُتِبَ إِلَيْهِ مِنَ الْوَلَاةِ بِالْمَالِكِ الشَّامِيَةِ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ - وَلَعَلَّهُ فِي الْأَيَّامِ الشَّهِيدَةِ - وَإِلَى الصَّلْتِ وَالْبَقَاءِ فِيمَا تَقَلُّ عَنْ خَطِّ الْمَرْحُومِ نَصْرِ الدِّينِ بْنِ الْفَتَّاشِيِّ كَاتِبِ الدَّسْتِ الشَّرِيفِ .

الثامن - (عَمَلُ صَرَخَدَ) - بَفَتْحِ الصَّادِ وَإِسْكَانِ الرَّاءِ الْمَهْمَلَتَيْنِ وَفَتْحِ الْهَاءِ الْمَعْجَمَةِ وَدَالِ الْمَهْمَلَةِ فِي آخِرِهِ - بِلُغَةِ صَغِيرَةٍ ذَاتِ بَسَاتِينَ وَكُرُومٍ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ سَوِيٌّ مَا يَجْتَمِعُ مِنْ مَاءِ الْمَطَرِ فِي الصَّهَارِيجِ وَالْبَرْكِ . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : وَلَيْسَ وَرَاءَ عَمَلِهَا مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ وَإِلَى الشَّرْقِ إِلَّا الْبَرِّيَّةُ، وَمِنْهَا تَسْلُكُ طَرِيقٌ تُعْرَفُ بِالرَّصِيفِ إِلَى الْعِرَاقِ يَصِلُ الْمَسَافِرُونَ مِنْهَا إِلَى بَغْدَادَ فِي نَحْوِ عَشْرَةِ أَيَّامٍ . قَالَ فِي "التَّحْرِيفِ" : وَبِهَا قَلْعَةٌ وَكَانَ بِهَا مَلِكٌ مِنَ الْمَالِكِ الْمَعْظُمَةِ . قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : وَهِيَ مُحَدَّثَةُ الْبِنَاءِ بَدِثَتْ قَبْلَ نُورِ الدِّينِ الشَّهِيدِ بِقَلِيلٍ، وَلَمَّا وَصَلَتْ عَسَاكِرُ هَوْلًا كُتِبَ مَلِكُ التَّارِ إِلَى الشَّامِ هَدَمُوا شُرَفَاتِهَا وَبَعْضُ جُنَرَانِهَا بِفَتْحِهَا الظَّاهِرِ بِيْرَسَ ، وَهِيَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْآنِ .

التاسع - (عَمَلُ بُصْرَى) - بَضْمِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَسُكُونِ الصَّادِ الْمَهْمَلَةِ وَأَلْفِ فِي الْآخِرِ - هَكَذَا هُوَ مُقَيَّدٌ بِالشَّكْلِ فِي كِتَابِ اللُّغَةِ وَالْحَدِيثِ وَالْمَسَالِكِ وَالْمَالِكِ وَجَارٍ عَلَى الْأَكْسَنَةِ، وَوَقَعَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" ضَبْطُهُ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ فَلَا أُدْرِي أَهْوَسَبْتُ قَلَمٌ أَوْ غَلَطَ مِنَ النُّسْخَةِ أَوْ أَخَذَهُ مِنْ كَلَامِ غَيْرِهِ، وَهِيَ مَدِينَةٌ بِمُحَرَّرَانَ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ وَاقِعَةٌ فِي الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ . قَالَ فِي "كَلَامِ الْأَطْوَالِ" وَ"الْقَانُونِ" : طُولُهَا تِسْعٌ وَخَمْسُونَ دَرَجَةً وَعِشْرُونَ دَقِيقَةً، وَعَرْضُهَا إِحْدَى وَثَلَاثُونَ دَرَجَةً وَثَلَاثُونَ دَقِيقَةً .

(١) الذي في "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" طَبْعُ بَارِيسَ سَنَةِ ١٨٤٠ مَ ضَبْطُهُ بِضْمِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ هُوَ الْمَشْهُورُ، فَطَلَّ نَسْخَةُ التَّقْوِيمِ كَانَتْ كَذَلِكَ فَاصْلَحَهَا الْمَصْحُوحُ وَلَمْ يَنْبَغِ .

قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة حَوْرَانَ السفلى ، بل حَوْرَانَ كلها ، بل الصفقة جميعها ؛ وكلامه في "التعريف" يوافق ، وهي مدينة أَرِزَّة مبنية بالحجارة السود ، ولها قلعة ذات بناء مَتِين شبيه ببناء قلعة دِمَشق ؟ قال في "التعريف" : وكانت دار مُلِك لِنبي أَيْوُب ، وقد ثبت في الصحيح من حديث الخَلْدِق أَنَّهُ (صلى الله عليه وسلم) . قال "ثم ضربت الضربة الثالثة فلاحَت لي مِنْهَا قُصُور بُصْرَى كأنها أنيابُ الكَلَابِ" وهي التي وجد النبي صلى الله عليه وسلم بها يَحْيَى الرَّاهِب وآمن به حين قدم تاجراً تلخيمية بنت حُوَيْلِد قبل البعثة ، وقبر يَحْيَى هناك مشهور يزار ، وقد تقدم الكلام عليها فأغنى عن إعادته هنا .

العائسر . - (عمل زُرْع) - بضم الزاي المعجمة وقص الراء المهملة وعين مهمله في الآخر - وهي بلدة من بلاد حَوْرَانَ لها عملٌ مستقلٌ ، ولم يَحْزَرْ لي طوطى وعرضها . قال في "التعريف" : وقد يتصل عمل بُصْرَى بأَذْرَعَاتٍ لوقوع زُرْع متشاملة .

الصفقة الثالثة

(الشمالية)

سميت بذلك لأنها عن شَمَال دِمَشق . قال في "مسالك الأبصار" : وهي ساحلية وجبلية . قال في "التعريف" : وحدها من القبلة حدّ ولاية دِمَشق الشمالي وبعض الغربي ، وحدها من الشرق قرية جُوسِيَّة التي بين القرية المعروفة بالقَصَب من عمل حمص وبين القرية المعروفة بالقيجة من عمل بَلَبَك ، وحدها من الشمال مرج الأمل المستقل عن قائم الهرمل حيث يمتد العاصي بطَرَابُلس ، وكل ما تشامل عن جبل لُبَّانَ إلى البحر ، وحدها من المغرب ما هو على سمت البحر منحدرا عن صور إلى حدّ ولاية بَرَدِشَق القبل والغربي .

وتشتمل هذه الصنفقة على خمسة أعمال .

الأول - (عمل بعلبك) - بفتح الباء الموحدة وسكون العين المهملة وفتح اللام والباء الموحدة الثانية وفي آخرها كاف - هكذا ضبطه في "تقويم البلدان" والبحارى على ألسنة الناس فتح العين وإسكان اللام . قال في "الروض المعطار" : وكان لأهلها صنم يدعى بعلًا ، فابعل أسم للصنم ، وبك أسم الموضع فسميت بعلبك لذلك . قال : وإليهم يثبت النبي إلياس عليه السلام ، وكأنه يشير بذلك إلى ما قصه الله تعالى في سورة الصافات بقوله : (أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) وكان فتحها في سنة أربع عشرة من الهجرة ، وهي مدينة من أعمال دِمَشْق واقعة في الإقليم الرابع طولها ستون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ونحسون دقيقة ، وهي مدينة شمالي دِمَشْق ، جليلة البناء ، نبيمة الشأن ، قديمة البنيان ، يقال إنها من بناء سليمان عليه السلام . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مختصرة من دِمَشْق في كمال عاصمتها وحسن بنائها وترتيبها ، بها المساجد والمدارس والرُّطُط والخواق والزوايا والبيادرستان والأسواق الحسنة ، والماء جار في ديارها وأسواقها ، وفيها يعمل الدهان الفائق من الماعون وغيره ويحمل منها إلى غالب البلدان مع كونها واسعة الرزق رخيصة السعر ، وكانت دار ملك قديم ، ومن عَشَّها درج "نجم الدين أيوب" ، والد الملوك الأيوبية رحمه الله ، وبها قلعة حصينة جليلة المقدار من أجل البنيان وأعظمه ، وهي مرجلة على وجه الأرض كقلعة دِمَشْق . قال في "التعريف" : بل إنما بنيت قلعة دِمَشْق على مثالها ، وهيات لا تعد من أمثالها ! وأين قلعة دِمَشْق منها ومجارتها تلك لجبال النوايت ، وعمدها تلك الصخور النوايت .

قَدْ يَبْعُدُ النَّهْيُ مِنْ شَيْءٍ يَشَابَهُهُ * إِنَّ السَّيَاءَ تَطِيرُ الْمَاءَ فِي الزَّرَقِ

١١ وهذه القلعة من عمارة من نزل بها من الملوك الأيوبية آثارٌ ملوكية جليلة ، ويستدير بالمدينة والقلعة جميعاً سورٌ عظيم البناء مبنيٌّ بالحجارة العظيمة المقدار الشديدة الصلابة ، ويحفّ بذلك حُوطَة عظيمة أريقَتْ ذات بساتين مشبكة الأشجار بها الثمار الفاتحة ، والقواكه المختلفة . ويظهرها عين ماء متسعة الدائر مأوفا في غاية الصفاء بين مروج وبساتين ، يمتدّ منها نهر يتكسر على الحصباء في خلال تلك المروج إلى أن يدخل المدينة ، ويتقسم في بيوتها وجهاتها . وعلى البعد منها عينٌ أخرى تُعرف بعين اللوح (?) في طرف بساتينها ، منها فرع إلى الجانب الشمال من المدينة ، ويقبض في قناة هناك ويدخل منه إلى القلعة ، ويخارجها جبل بُنَّان المعروف بعش الأولياء .

الثاني - (عملُ البقاعِ البَلْبَكِيِّ) - بوصف البقاع - بكسر الباء الموحدة وفتح القاف وبمدها ألف ثم عين مهملة - بالبلبيكي ، نسبة إلى بلبك لقربه منها . قال في "التعريف" : وليس له مقر ولاية .

١١ الثالث - (عملُ البقاعِ العزِيزي) - بوصف البقاع بالعزِيزي نسبة إلى العزيز عكس الذليل ، وكأنه نسبة إلى الملك العزيز آبن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله قال في "التعريف" : ومقرّ الولاية به كركُ نوح عليه السلام . قال : وهاتان الولايتان الآن منفصلتان عن بَلْبَك ، وهما مجموعتان لوالٍ جليل مفرد بذاته .

الرابع - (عملُ يروّت) - بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وضم الزاء المهملة وواو وياء مثناة من فوق في آخرها - وهي مدينة من الإقليم الثالث بساحل دِمَشْق . قال في "كتّاب الأطوال" : طولها ثمان ونحسون درجة ونحسون دقيقة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . وهي مدينة جليلة على ضفة البحر الرومي ، عليها سوران من حجارة ، وفيه كان يقتل الأوزاعيّ الفقيه

المشهور، وبها جبل فيه معدن حديد، ولها غضة من أشجار الصنوبر سعتها اثنا عشر ميلاً في التكبير، تتصل إلى تحت بُنَّانَ المقدم ذكره . قال في "تقويم البلدان" : وشرب أهلها من قناة تجري إليها . وقال في "مسالك الأبصار" : شرب أهلها من الآبار . قال ابن سعيد : وهي قُرْصَة دِمَشَقَ ولها مينا جليلة ، وفي شمالها على الساحل مدينة جُبَيْل تصغير جبل . قال في "الروض المعطار" : بينهما ثمانية عشر ميلاً . قال في "العزري" : وبينها وبين بَلَبَك على عَقَبَةِ الْمُغِيثَةِ ستة وثلاثون ميلاً .

الخامس - (عمل صيداً) - بفتح الصاد المهملة وسكون المثناة تحت وفتح الدال المهملة وألف مقصورة في الآخر - وهي مدينة بساحل البحر الرومي، واقعة في الإقليم الثالث، ذات حصين حصين . قال ابن القطايعي سميت بصَيْدُون بن صدقا بن كَنْعَان ابن حام بن نوح عليه السلام ، وهو أول من عمرها وسكنها . وقال في "الروض المعطار" : سميت بامرأة . وشرب أهلها من ماء يجري إليهم من قناة . قال في "العزري" : وبينها وبين دِمَشَقَ ستة وثلاثون ميلاً . قال في "مسالك الأبصار" : وكُوْنَتْهَا كثيرة الأشجار، غزيرة الأنهار . قال في "الروض المعطار" : وبها سَمَك صغار له أَيْدٍ وأرجل صفراء إذا جُفِّفَ وَنُحِقَ وشرب بالماء، أنعظ إنطاخا شديدا . قال في "المسالك" : وهي ولاية جليلة واسعة العمل ممتدة القُرَى، تستعمل على نيف وستمائة ضيعة ،

الصفحة الرابعة

(الشرقية؛ وهى على ضرين)

الضرب الأول

(ما هو داخل فى حدود الشام، وهو غربي القرات)

قال فى "التعريف" : وحدنا من القبله قرية القصب المجاورة لقرية جوسية المقدم ذكرها، أخذنا على التبع إلى القريتين ؛ وحدنا من الشرق السماوة إلى القرات وينتهى إلى مدينة بعلية إلى الرستن ؛ وحدنا من الغرب نهر الأرط وهو العاصى ، وتشتمل على خمسة أعمال أيضا .

الأول - (عمل حصص) - بكسر الحاء المهملة وسكون الميم وضاد مهملة فى الآخر . قال فى "الروض المطار" : ولا يجوز فيها الصرف كما يجوز فى هند لأن هذا أسم أعجمى . قال : وسُميت برجل من الهاليق أسمه حصص هو أول من بناها . قال الزجاجي : هو حصص بن المهربين حاف بن مكنف ، وقيل برجل من عاملة هو أول من زيلها ، وأسمها القديم سُورياً (سین) مهملة مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة مكسورة وياء مشناة تحت مفتوحة وألف فى الآخر) . وبه كانت تسميها الروم ، وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها إحدى وستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة ، وهى مدينة جليلة ، وقاعدة من قواعد الشام العظام^(١) . قال فى "التعريف" : وكانت حارم ملك الليث الأصغر بنى أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب . قال : ولم يزل لملكها فى الدولة الأيوبية سطوة مخاف وبأس يخشى ، وهى فى وطأة من الأرض تمتد على الغرب من النهر العاصى ، ومنه شرب أهلها ، ولها منه

(١) كذا فى النص. أيضا رقى "سبع البلدان" ابن جان .

ماء مرفوع يجري إلى دار النياحة بها وبعض مواضع بها . قال في "مسالك الأبصار" :
وبها القلعة المصفحة وليست بالمنفعة ، ويحيط بها وبالبلد سور حصين هو أمتع
من القلعة . قال في "العزري" : وهي من أجمع بلاد الشام هواءً ، وبوسطها
بحيرة صافية الماء ، ينقل السمك إليها من الفرات حتى يتولد فيها ، والطيور مبنوث
في نواحيها . قال ابن حوقل : وليس بها عقارب ولا حيات . وقد تقدم في الكلام
على خواص الشام وعجائبها أن بها قبة بالقرب من جامعها إذا ألصق بها طين من طينها
وترك حتى يسقط بنفسه ووضع في بيت أو ثياب لم يهر بها عقرب . وإن دُر منه على
المقرب شيء أخذ مثل السكر وبما قتله ؛ ولها من بر بلبك أنواع الفواكه وغيرها ،
ومما شها يقارب قماش الإسكندرية في الجودة والحسن ، وإن لم يبلغ شأوه في ذلك .
قال في "الروض المعطار" : ويقال إن بقرط الحكيم منها . وإن أهلها أول من أبدع
الحساب ؛ وبها قبر خالد بن الوليد رضى الله عنه ، ومقامه مشهور بها يزار .

الثاني - (عمل مصياف) بكسر الميم وسكون الصاد - وهي بلدة جليلة ، ولها
قلعة حصينة في لحف جبل اللكام الشرقي عن حماة وطرابلس ، في جهة الشمال عن
بازين على مسافة فرسخ ، وفي جهة الغرب عن حماة على مسيرة يوم ، وبها أنهر صفار
من أمين ، وبها البساتين والأشجار . وهي قاعدة قلاع الدعوة الآتية ذكرها في أعمال
طرابلس ودأر ملكها ، وكانت أولا مضافة إلى طرابلس ثم أقررت عنها وأضيفت
إلى دمشق .

الثالث - (عمل قاراً) - بقاف مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهمله وألف ثانية .
هكذا هو مكتوب في "التحريف" وضميره وهو الجارى على الألسنة . ورأيتها
مكتوبة في "تقويم البلدان" بهاء في الأعراب الألف الأخيرة . وهي قرية كبيرة
قبل حصص ، بينها وبين دمشق على نحو منتصف الطريق ، تزلها قوافل السفارة ، وبينها
وبين حصص مرحلة ونصف ، وبينها وبين كمشق مرحلة ، وتطلب أهلها تصاري .

الرابع - (عمل سَلْبِيَّة) - بفتح السين المهملة واللام وكسر الميم وياء مثناة تحت مشددة مفتوحة وهاء في الآخر - وهي بلدة من عمل حمص من الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : طولها إحدى وستون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنب يكون العرض أربعاً وثلاثين ونصفاً . قال أحمد الكاتب : بناها عبد الله بن صالح بن علي بن عبد الله ابن عباس بن عبيد المطلب وأسكن بها ولده . وهي بلدة على طرف البادية تَزْهَةُ خصبية كثيرة المياه والشجر ، ومياها من قُنْيَ . قال في "الروض المطار" : وبينها وبين حمص مرحلة .

الخامس - (عمل تَدْمُر) - بفتح التاء المثناة فوق وسكون التال المهملة وضم الميم وراء مهملة في الآخر - كذا ضبطه السمعاني في "الأنساب" : والجاري على السنة الناس ضم أولها . قال في "التعريف" : وهي بين القَرْيَتَيْنِ الرَّحْبَةِ ، وهي معدودة من جزيرة العرب واقعة في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : طولها اثنتان وستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة . قال صاحب حماة : وهي من أعمال حمص من شرقها ، وغالب أرضها سَبَاخٌ ، وبها نخيل وزيتون ، وبها آثار عظيمة أَرْزَلِيَّة من الأعمدة والصخور ، ولها سور وقلة .

قال في "الروض المطار" : وهي في الأصل مدينة قديمة بقها الجن سليمان عليه السلام ، ولها حصون لأثرهم . قال : وسُميت تَدْمُرُ بتدْمُر بنت حَصَان ابن أَدْنِيَّة ، وفيها قبرها ، وإنما سكنها سليمان عليه السلام بعدها . قال في "العزيزي" : وبينها وبين دِمَشْق تسعة وعشرون ميلاً ، وبينها وبين الرَّحْبَةِ مائة ميل وميلان . قال صاحب حماة : وهي عن حمص على ثلاث مراحل .

(١) في القاموس ويقوت "وسكون الميم" أي وتخفيف الياء

الضرب الثاني

(من هذه الصنفقة ماهو من بلاد الجزيرة، بين الفُرات والدجلة

على القرب من الفرات)

وهو مدينة الرَّحْبَةِ ، قال في "اللباب" : يفتح الراء والحاء المهملين والباء الموحدة وهاء في الآخر - وهي مدينة على الفُرات بين الرُّقَّةِ وعانة ، واقعة في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها أربع وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة ، وتعرف برحبة مالك بن طوق ، وهو قائد من قواد هارون الرشيد ، قيل إنه أول من عمرها فنسبت إليه . قال السلطان عماد الدين صاحب حمة : وقد نحررت الرحبة المذكورة وصارت قرية ، وبها آثار المدينة من المآذن الشواهي وغيرها ، وأستحدثت شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شادى صاحب خمص من جنوبها الرحبة الجديدة على نحو فرسخ من الفُرات ، وهي بلدة صغيرة ولها قلعة على نل تراب ، وشرب أهلها من قناة من نهر سعيد ، الجارج من الفرات . قال : وهي اليوم عطل القوافل من الفُرات والشام ، وهي أحد الثغور الإسلامية في زماننا .

قال في "التعريف" : وبها قلعة نيابة ، وفيها بحرية وخيالة وكشافة وطوائف من المستخدمين ، ولم تزل إمرتها طيلة فاته ، بمرسوم شريف من الأبواب الشريفة من الأيام الناصرية ابن فلاوون إلى الآن .

تنبيه - قال في "التعريف" : وبما أضيف إلى دمشق في زمن سلطاننا يعني الناصر بن فلاوون بلاد جبر . قال : وحققا أن تكون مع حلب ، وهي مستمرة على ذلك إلى زماننا ، وسيأتي الكلام عليها في الأعمال الحلبية إن شاء الله تعالى .

(١) كذا في النجوم أيضا وضبطها في المعجم بإسكان الحاء . وهو مقتضى إطلاق القاموس .

وقد ذكر القاضي تقي الدين بن ناظر الحبش في كتابه "التحيف" : أنه كان قد استقر بتدبر وسليمة والسحنة والقريتين قواب، واستقر الحال على أن مكتبة كل منهم إن كان مقدما نظير النائب بالرحبة، يعني "صدرت" و"المالي" وإن كان طليخاناه فالأسم "والساي" بالياء .

القاعدة الثانية

(من قواعد البلاد الشامية حلب، وفيها جحشان)

المسألة الأولى

(في حاضرتها)

قال في "اللباب" : هي بفتح الحاء المهمللة واللام وباء موحدة في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : وطولها اثنتان وستون درجة وعشر دقائق، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة .

وآختلف في سبب تسميتها حلب على قولين حكاهما صاحب "الروض المعطار" : أحدهما أنه كان مكان قلعتها ربوة، وكان إبراهيم الخليل عليه السلام يأوي إليها ويحلب غنمه ويتصدق بلبنها فسميت حلب بذلك . الثاني أنها سميت برجل من العالقي اسمه حلب . قال الزجاجة : حلب بن المهر من ولد جان بن مكثف^(١) .

قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة عظيمة من قواعد الشام القديمة، وهي في وطأة حراء ممتدة، مبنية بالجمر الأصفر الذي ليس له نظير في الآفاق، وبها المساكن الفاخرة، والمنازل الأنيقة، والأسواق الواسعة، والقياسر الحسنة، والحمامات البهجة . ذات جوامع ومساجد ومدارس وخوانق وزوايا وضيئ فلك من سائر وجوه البر،

(١) في الأصل "حان" وفي النص "حان" والصحيح من ياتون .

وبها يمارستان حسنٌ لعلاج المرضى . قال في "مسالك الأبصار" : ولها نهران : أحدهما يعرف بنهر قُوقٍ ، وهو نهرها القديم . والثاني يعرف بنهر الساجور ، وهو نهر مستحدث ، ساقه إليها السلطان الملك الناصر "محمد بن قلاوون" في سلطنته وحكبه عليها . وقد ذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة : أن الملك الظاهر غازي بن الغاضل "أبي بكر بن أيوب" ساق إليها نهرًا في سنة خمس وستائة ، ولعله نهر قُوقٍ المذكور . قال في "مسالك الأبصار" : وعمرى إلى داخلها فرع ماء يتشعب في دُورها وساكنتها ولكنه لا يُبَلِّ صَدَاها ولا يَسْفِي غُثَّها ، وبها الصهاريج المملوءة من ماء المطر ، ومنها شُرْبُ أهلها ، ويدخل إليها الثلج من بلادها ، وليس لأهلها إليه كثير أكفأبت لبرد هوائهم وقرب اعتدال صيفهم وشتائهم ، وبها الفواكه الكثيرة وأكثرها مجلوب إليها من نواحيها لِقَلَّةِ البساتين بها ، وبظاهرها المُرُوجُ القبيحُ والبرائمتُ حاضرة وبادية ، وبها عسكر كثيف وأمم من طوائف العرب والأكراد والترُكَّان .

قال في "اللباب" : وكان الخُتْدُ في ابتداء الإسلام يترلون قَلَسِرِينَ ، وهي المدينة التي تُنسَبُ الكوْرةُ إليها على ما تقدم ذكره ولم يكن حلب معها ذكر . قال ابن سعيْد : ثم ضُمَّتْ بقوة حلب عليها ، وهي الآن قرية صغيرة .

قال في "مسالك الأبصار" : وكانت حَلَبٌ قد عظمَتْ في أيام بني حَمْدَانَ ، وتاهت بهم شرقًا على كِيوان . جاءت الدولة الأتابكية فزادت قَنَارًا ، واغتضت لها من بروج السماء منطقةً وأسوارًا ، ولم تزل على هذا يُسَارُّ إليها بالبعظيم ، ويأتي أهلها في الفضل عليها لِمَشَقِّ التسليم ، حتى تزل هَوْلًا كَوْنُها فرخيلهُ فهُدِمَتْ أسوارها ونحرت حواضرها ، ولم تزل خالية من الأسوار ، عَرِيَّة من الأبواب ، إلى أن كانت فتنة مِطَاش في سلطنة الظاهر بَرْقُوقٍ والثائب بها من قبيلة الأمير كشبغا ، فهدم أسوارها ، ورتب أبوابها ، وهي

سبعة أبواب: باب قَسْرَيْنَ من القبلة، و باب المقام من القبلة أيضا، و باب التَّوْبِ من الشرق، و باب الأربعين من الشرق أيضا، و باب النصر من بحرهما، و باب الحِثَّانِ من غربها، و باب أَنْطَاكِيَّةَ من غربها أيضا، و هي الآن في غاية ما يكون من العمارَة و حُسْنِ الزِينَةِ و البهجة، و لعلها قد فاقت أيامَ بَنِي حَمْدَانَ، و لم يزل نائبا من أكابر الأمراء المَقَمِّينَ من الدولة الناصرية فما قبلها إلى الآن، و قد زادت رتبته عما كان عليه في الأيام الناصرية، و هي ثانية دِمَشْقَ في الرتبة، و معاملاتها على ما تقدم في دِمَشْقَ من الدراهم و الدنانير و الفُلُوسَ و صنعة الذهب و الفضة، غير أن الفُلوس الجُدُدَ لم تَرَجَّ بها بعدُ، و رطلها سبعمائة و عشرون درهما بالصَّنْعة الشامية^(١)، كُلُّ أوقية ستون درهما، و معاملاتها معتبرة بالمَكْوكِ، و لا تعرف فيها الفِراة، و لا في شيء من أعمالها، و يختلف بلادها في المَكْوكِ اختلافا متباينا في الزيادة و النقص. قال في "مسالك الأبصار": و المَعْلَلُ فيها أن يكون كلُّ مَكْوكين و نصف غرارة و مابين ذلك و كل ذلك تهريرا.

قلت: و أخبرني بعض أهلها أن المَكْوكِ بنفس مدينة حَلَبَ معتبر بسبع و مِائَتِين بالكيل المصري، و الذراع القاش ذراعٌ و سدسُ بذراع القاش القاهري، و يزيد على ذراع دمشق بغيراطين، و قياس دُورِ أرضها بذراع العمل المعروف بالديار المصرية.

الجملة الثانية

(في نواحيها و أعمالها)

قال في "مسالك الأبصار": هي أوسع الشام بلادا، متصلةٌ ببلاد سِيسَ و الرُّومِ و ديار بكر و بَرِّيَّةِ العراق. قال في "التعريف": و يحدها من القبلة المَعَزَة و ما وقع

(١) و أوافقنا عشرة أوقية [كاسياتة في حلب في موضع آخر].

على ستمها إلى القمّة انحراب والسلسلة ارموية ومجرى القناة القديمة الواقع ذلك بين الحِيارِ (يعنى بكسر الحاء المهملة والياء المشناة تحت وألف وراء مهملة) والقرية المعروفة بقبة ملاعب؛ ويحدها من الشرق [البر] حيث يحذّرى أخذاً على جبل التلج، ثم الجلاب على أطراف بالّس إلى القُرّات دائرة يحدها . قال : وبهذا التقسيم تكون بلاد جَعَبَر داخلة في حدودها ؛ ويحدها من الشمال بلاد الروم مما وراء بهسّى وبلاد الأرمن على البحر الشامي :

ثم أعمالها على ثلاثة أقسام .

القسم الأول

(ما هو داخل في حدود بلاد الممالك الشامية ، ولها برّ وأعمال)

فأما برّها فهو ضواحيها على ما تقدّم في دِمَشَق ، وهو كالمعمل المنفرد بنفسه .
وأما أعمالها ، فقد ذكر المَقَرُّ الشهابي بن فضيل الله في كتابه " التعريف " و " مسالك الأبصار " بها سِتَّةَ عشر عملاً على أكثرها ، وربما انفرد أحد الكتّاب عن الآخر ببعض دون البعض .

الأول - (عمل قلعة المسامين) - المساة في القديم بقلعة الروم وهي قلعة من جُنْد قَنَسِيرٍ في البرّ الغربي الجنوبي من القُرّات ، في جهة الغرب الشمالي عن حَلَب على نحو خمس مراحل منها ، وفي الغرب عن البيرة على نحو مرحلة ، والفرات بذيلها . وموقعها في الإقليم الرابع . قال بعض أصحاب الأزياج : وطولها اثنتان وستون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهي من الفلاع الحصينة التي لأرّام ولا تُدرَك ، ولها رِيس وبساتين ، ويمر بها نهر يعرف بمرزبان يصب في القُرّات . قال في " التعريف " : وكان بها خليفة الأرمن

(١) العدد ستة وعشرون وفي الضو "سعة وعشرون" . (٢) لله آفقا على أكثرها .

ولا يزال بها طاعوت الكُفْر، ففصلها الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون
مزل عليها، ولم يزل بها حتى فتحها، وسمّاها قلعة السالين . قال : وهي من
جلال القلاع .

الثاني - (عمل الكَحْخَا) - بفتح الكاف وسكون الحاء المعجمة وفتح التاء المشناة فوق
ثم ألف في الآخر، والألف واللام فيه غير لازمتين - وهي قلعة في أقاصي الشام من
جهة الشمال بشرق من حلب، على نحو خمس مراحل منها؛ وموقعها في الإقليم الرابع .
قال بعض أصحاب الأزياج : طولها إحدى وستون درجة وعشر دقائق، وعرضها
ست وثلاثون درجة ونحسون دقيقة . وهي قلعة عالية البناء لأثر ما حصانته، ولما
يسانين ونهر، ومطبعة عنها في جهة الغرب على مسيرة يومين؛ وركز مركزها في جهة
الشرق، وكانت أحد ثغور الإسلام في وجوه التتار عند قيامهم . قال في "التمريف" :
وهي ذات عمل متسع، وصكر تطوع مجتمع .

الثالث - (عمل كَرْكَرْ) بفتح الكاف وسكون الراء المهملة ثم كاف مفتوحة ثانية
بسلها راء مهملة ثانية أيضا - وهي قلعة من أقاصي الشام في الشمال عن حلب
على نحو خمس مراحل أيضا، وفي الغرب من الكَحْخَا المتقدمة الذكر على نحو يوم
منها؛ وموقعها في الإقليم الرابع . قال في بعض الأزياج : طولها إحدى وستون
درجة وعشرون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة ونحسون دقيقة .
قال في "تقويم البلدان" : وهي قلعة حصينة شاهقة في الهواء يُرى
الفرات منها كالجداول الصغير، وهو منها في جهة الشرق؛ وكانت من أعظم الثغور
في زمان التتار .

الرابع - (عمل بَسْطِي) - بفتح الباء الموحدة والهاء وسكون السين المهملة ثم نون
وآلف - وهي قلعة في شمالي حلب على نحو أربع مراحل منها، وموقعها في الإقليم

الرابع . قال في بعض الأزياج : طولها إحدى وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي قلعة حصينة مرتفعة لأثرام حصانة ، بها بساتين ونهر صغير وأسواق ورُستاق متسع ، وبها مسجد جامع . ثم قال : وهي بلدة واسعة ، كثيرة الخير والخصب ؛ وهي في الغرب والشمال عن عتّاب ؛ وبينهما نحو مائة يومين ، وبينها وبين سبّس نحو ستة أيام . قال في "التعريف" : وهي الثغر المتأخّر لبلاد الدروب ، والمشتعل في حمة الحروب ؛ وبها عسكر من التركمان والأكراد . ولا يزال لهم آثار في الجهاد . قال : ولنا بها مكانة جليلة ، وإن كان لا يلحق بنائب البيرة .

الخامس - (عمل عتّاب) - يفتح العين وسكون الياء المثناة تحت والنون وفتح التاء المثناة فوق ثم ألف وباء موحدة - وهي مدينة من جُند قنسرین شمال حلب على نحو مرحلتين منها ؛ وموقعها في الإقليم الرابع . قال في بعض الأزياج : طولها اثنتان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهي مدينة حسنة ، واسعة الأرجاء ، كثيرة المياه والبساتين ، ذات أسواق جليلة مقصودة للتجار والمسافرين ؛ وبها قلعة حصينة متقوية في الصخر . وهي عن حلب في الشمال على نحو ثلاث مراحل منها ، وعن قلعة الروم في الجنوب على نحو ثلاث مراحل أيضاً ، وعن بهسنى في جهة الشرق والجنوب على نحو ثلاث مراحل .

السادس - (عمل الركنين) - بآلف ولام لازمتين وراء هملة بعدها ألف ثم واو مفتوحة ونون ساكنة ودال هملة ثم ألف ونون - وهي قلعة من جُند قنسرین واقعة في الإقليم الرابع طولها اثنتان وستون درجة ، وعرضها ست وثلاثون درجة . وهي قلعة حصينة على جبل مرتفع أبيض ، ذات أعين وبساتين وفواكه ، وواد

حسن : ونهرها من تحتها نهر غفرين المتقدم ذكره آخذنا من الشمال إلى الجنوب،
وهي في الغرب والشمال عن حلب، وبينهما نحو مرحلتين، وفي الشمال عن حارم .
السابع - (عمل الدربسك) - بفتح الدال المهملة وسكون الراء المهملة وفتح الباء
الموحدة والسين المهملة ثم ألف وكاف، والأكلف واللام فيه غير لازمتين - وهي قلعة
من جُند قنسرین واقعة في الإقليم الرابع شمال حلب على نحو ثلاث مراحل أو أربع
منها . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن يكون طولها إحدى وستين درجة،
وعرضها ست وثلاثون درجة، وهي قلعة حصينة ذات أعين وبساتين، وبها مسجد
جامع، وطما من شرقها مروج منسعة، حسنة المنظر، كثيرة الثمن، يتربها النهر
الأسود المتقدم ذكره .

الثامن - (عمل بفراس) - بفتح الباء الموحدة وسكون النون المعجمة وراء مهملة
وألف ثم سين مهملة - كنا ضبطه السمعاني في "الأنساب" ووقع في "التعريف"
و"مسالك الأبصار" بالصاد للمهملة بدل السين . والجاري على ألسنة الناس
ضم أوله، وهي قلعة من جُند قنسرین، واقعة في الإقليم الرابع شمال حلب على نحو
أربع مراحل منها . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها ستون درجة
ونحس ونحسون دقيقة، وعرضها خمس وثلاثون درجة وثلاث ونحسون دقيقة،
وهي في الجبل المطل على عمق حارم . قال ابن حوقل : وكان بها دار ضيافة
لرئيسة . قال في "تقويم البلدان" : وهي ذات أعين وبساتين وأشجار، وبينها
وبين الدربسك نحو بعض مرحلة، وهي في جهة الجنوب عن الدربسك . قال
في "العززي" : وبينها وبين أنطاكية اثنا عشر ميلا، وبينها وبين إسكندرونة
كذلك، وبينها وبين حارم نحو مرحلتين . وبفراس في الجنوب عن دربسك
وبينها بعض مرحلة، وحارم في جهة الشرق عنها . قال في "التعريف" : وكانت

هى الثغر في بحر الأرمن حتى استضيفت الفتوحات الجاهانية . قال : وبها رُصص
وهى عضو من أعضائها وجزء من أجزائها . ورُصص المذكورة براء مهلة مضمومة
وصادين مهملتين الصاد الأولى مفتوحة ، وهى بلدة على الساحل ، وقد مر ذكرها
في الكلام على بحر الروم على سواحل الأرمن .

التاسع - (عمل القصير) تصغير قصر . قال في "مسالك الأبصار" : وهى قلعة
غربي حلب على نحو أربع مراحل منها . قال في "التعريف" : وهى لأطاكية
ولم يتجوز لي طولها وعرضها .

الساشر - (عمل الشفر وبكاس) - آسمان لقلعتين بينهما رمية سهم .

فالشفر - بضم الشين وسكون الفين المعجمتين ثم راء مهلة .

وبكاس - بفتح الباء الموحدة والكاف ثم ألف وسين مهلة في الآخر . وهما من
جُند قيسرين ، وموقعهما في الإقليم الرابع . قال في بعض الأزياج : طولهما إحدى
وستون درجة ، وعرضهما خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وهما مبنيان على
جبل مستطيل ، وتحتهما نهر يجرى ، وبهما بساتين وأشجار وفواكه كثيرة ، ولهما
رُستاق ومسجد جامع . قال في "تقويم البلدان" : وهما في الجنوب عن أُنطاكية
وبينهما الجبال .

الحادى عشر - (عمل شيرد) - بفتح الشين المعجمة وسكون الياء المثلثة تحت وفتح
الزاي المعجمة وفي آخرها راء مهلة . وهى مدينة من جُند حص غربى حلب
على نحو ثلاث مراحل منها ، وأقعة في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" :
القياس أن طولها إحدى وستون درجة وعشر دقائق ، وعرضها أربع وثلاثون درجة
ونمسون دقيقة . وهى مدينة ذات أشجار وبساتين وفواكه كثيرة وأكثرها الرمان ،
ولها ذكر في شعر أميرى القيس مع حماء . قال في "المزنى" : وبينها وبين حماة

تسعة أميال ، وبينها وبين حصص ثلاثة وثلاثون ميلا ، وبينها وبين أطلال كبة ستة وثلاثون ميلا .

الثاني عشر - (عمل حجر شغلان) بلفظ حجر واحد المجارة وإضافته إلى شغلان (بضم الشين وسكون الفين المعجمين ثم لام ألف ونون) . وهي قلعة شمالى حلب على نحو ثلاث مراحل منها . قال في "مسالك الألبان" : وهي بالقرب من بقراس في جهة الشمال على مسافة قريبة جدا ، ولم يتجزئ طولها وعرضها ولكنها تعتبر ببقراس المتقدمة المذكور اقربها منها - وهي الآن خراب .

الثالث عشر - (عمل قلعة أبي قيس) - بهيمة مفتوحة وباه موحدة مكسورة بعدها باه ساكنة ثم قاف مضمومة وباه موحدة مفتوحة وباه مثناة تحت ساكنة ثم سين مهملة في الآخر . وهي قلعة حصينة غربي حلب مما على الساحل ، على نحو ثلاث مراحل هضبة من حلب ، كما أخبرني به بعض أهل البلاد ، ولم يتجزئ لى طولها وعرضها ، ويبقى في الكلام على ترتيب المملكة أنها استقرت ولاية ، وربما أنشئت إلى غيرها .

الرابع عشر - (عمل قلعة حارم) - بحاء مهملة مفتوحة وألف ثم راء مهملة مكسورة وميم في الآخر . قال في "تجويم البلدان" : والقياس أن طولها ستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهي قلعة حصينة في جهة الغرب من حلب على نحو مرحلتين منها ، ذات بساتين وأحجار ، وبها نيز صغير وبينها وبين أطلال كبة مرحلة ، ورضها بلد صغير . قال ابن سعيد : وقد خُصبت بالرقمان الذي يرى باطنه من ظاهره مع عدم العجم وكثرة الماء .

الخامس عشر - (عمل كافر طاب) - بفتح الكاف وسكون الفاء وراء مهملة ثم طاء مهملة بعدها ألف وباه موحدة - على إضافة كافر إلى طاب . هذا هو الجارى على

الأكسنة وهو الصواب ، وأصله من الكَفَر بمعنى التغطية ، والمراد مكان الزرع والحَرْث لتغطية الحَبِّ بالزراعة كما في قوله تعالى: ﴿ كَيْلٌ غَيْثٍ أَحْبَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ يريد الزَّرْع ، ووقع في كلام صاحب حماة بفتح الفاء وهو ^(١) .

وظاهر كلام صاحب "الروض المعطار" أن طاب في معنى المصفة لكفر فإنه قال : وسمي بذلك لأن حوله أرض كريمة . قال : وأرضه صحيحة الهواء ومن سكنها لا يكاد يمرض ، وقيل إنه منسوب إلى رجل اسمه طاب - وهي بلدة صغيرة من جند محض غربي حلب ، على نحو ثلاث مراحل منها ، واقعة في الإقليم الرابع . قال في "كتاب الأطلال" : طولها إحدى وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها إحدى وستون درجة وخمس عشرة دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة - وهي على الطريق بين المَعْرَة وشِيزَر . قال في "العزري" : وبينها وبين المَعْرَة وشِيزَر اثنا عشر ميلا .

السادس عشر - (عمل قامية) - بفتح الفاء وألف بعدها ثم ميم مكسورة وياء مشناة تحت وهاء في الآخر . قال في "المشترك" : ويقال لها أقامية بهمة في أولها معنى مفتوحة . وهي مدينة من أعمال شِيزَر ، غربي حلب ، على نحو أربع مراحل منها واقعة في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها إحدى وستون درجة وثلاث دقائق ، وعرضها خمس وثلاثون درجة . قال في "العزري" : وكورة قامية لما مدينة كانت عظيمة قديمة ، على نثر من الأرض ، ولها بحيرة حلوة يشقها النهر المقلوب .

(١) وكذا في "تقويم البلدان" ضبط القلم .

السابع عشر - (عمل سَرمِين) - بفتح السين وسكون الراء المهملة وكسر الميم ثم ياء مثناة تحت ساكنة ونون بعدها . وهي مدينة في الغرب من حَلَب على نحو مرحلتين صغيرتين منها ، واقعة في الإقليم الرابع . قال في "كتاب الأطوال" : "طولها إحدى وستون درجة ونمسون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس ونمسون دقيقة . وهي مدينة غير مسورة ؛ وبها أسواق ومسجد جامع ؛ وشرب أهلها من الماء المتجمع في الصهاريج من الأمطار ، وهي كثيرة الخصب ، وبها الكثير من شجر التين والزيتون ، وهي في جهة الجنوب عن حَلَب على مسيرة يوم منها وعملها متسع .

ومن مضافاتها مدينة القُوعَة (بضم الفاء وفتح العين المهملة) . وهي مدينة على الغرب من سَرمِين في الغرب منها ، وتسمى هذه الولاية القُريَّات (بفتح القين المعجمة وسكون الراء المهملة وكسر الباء الموحدة وفتح الياء المثناة تحت المشددة وألف ثم تاء مثناة فوق في الآخر) . قال في "التعريف" : "وهي أجل ولايات حَلَب .

الثامن عشر - (عمل الحَبُول) - بفتح الحيم وضم الباء الموحدة المشددة ثم واو ساكنة ولام في الآخر . وهي بلدة شرق حَلَب على نحو مرحلة كبيرة منها ، وهي بالقرب من القُرَّات ، ولم يتجزأ طولها وعرضها . قال في "تقويم البلدان" : "ومنها ينقل الملح إلى سائر أعمال حَلَب ؛ وقد أخبرني بعض أهلها أن أصل هذا الملح نهر يصل إليها يعرف بنهر الذهب فيبقى ماء فيها يزرعه من البلدان حتى يتهى إليها فينقى ملحاً لونه .

التاسع عشر - (عمل جَبَل سَمْعَانَ) - وضبطه معروف . وهي في جهة الشمال من حَلَب على [يوم] منها ، ولم يتجزأ طولها وعرضها .

(١) في الأصل سانة وأبدل في المأثور بقط "يوم" .

العشرون - (عمل عزّاز) - بفتح العين المهملة والزاي المعجمة وألف ثم زاي ثانية مكسورة - كذا ضبطه في "اللباب" والجاري على الألسنة أعزاز بهمة مفتوحة في أولها وسكون العين والزاي الأخيرة في الوقف؛ وهي بلدة شمالي حلب بشرق على نحو مرحلة منها، قال في "كتاب الأطوال": وطولها إحدى وستون درجة وخمس وخمسون دقيقة، وعرضها ست وثلاثون درجة. وهي في شمالي حلب بميلة إلى الغرب، قال ابن سعيد: ولأعزاز جهات في نهاية الحسن والطيبة والحصب، وهي من أئمة الأماكن.

الحادي والعشرون - (عمل تلّ باشر) - بفتح التاء المثناة فوق وتشديد اللام ثم فتح الباء الموحدة وألف بعدها شين معجمة مكسورة وراء مهملة في الآخر - وهي حصن شمالي حلب على مرحلتين منها بالقرب من عيتاب المتقدم ذكرها، قال ابن سعيد: وهي ذات مياه وبساتين.

الثاني والعشرون - (عمل منبج) - بفتح الميم وسكون النون وفتح الباء الموحدة وفي آخرها جيم - كذا ضبطه ابن الأثير في "اللباب": وهي بلدة من جند قنسرين شرقي حلب على نحو مرحلتين منها واقعة في الإقليم الرابع. قال في "تقويم البلدان": والقياس أن طولها اثنتان وستون درجة وخمسون دقيقة، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة. قال ابن سعيد: بناها بعض الأكاسرة الذين غلبوا على الشام ومماها منبج فتربت منبج، وكان بها بيت نازق القيس، وهي كثيرة الفنى السارحة والبساتين، وغالب شجرها التوت، وأكثرها خراب.

(١) ضبطه في القاموس كجلس [أى بكسر اللام] وكذلك ضبطه صاحب "تقويم البلدان" عن اللباب

الثالث والعشرون - (عمل تيزين) - يكسر التاء المثناة فوق وسكون الياء المثناة تحت وكسر الزاى المججمة وسكون الياء المثناة تحت ونون فى الآخر - وهى بليدة صغيرة من أعمال حلب فى جهة الغرب على نحو مرحلة منها .

الرابع والعشرون - (عمل الباب وبزاعا) . وضبط الباب معروف ، وبزاعا بضم الباء الموحدة وفتح الزاى المججمة وألف بعدها صين مهملة وألف مقصورة فى الآخر ، كذا ضبطه فى "تقويم البلدان" : . والجارى على الألسنة إبدال الألف فى آخره بهاء . وهما بلدان متقاربتان ، من جنس قنيسرين على مرحلة من حلب فى الجهة الشمالية الشرقية فى الإقليم الرابع . قال فى "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها اثنتان وستون درجة وعشر دقائق ، والعرض خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة .

أما الباب : فبليدة صغيرة . قال فى "تقويم البلدان" : بها مشهد به قبر حَقِيل ابن أبى طالب رضى الله عنه ، وبها أسواق وحمام ومسجد جامع ، وبها البساتين الكثيرة والنزه .

وأما بزاعا - فضيعة من أعمال الباب .

الخامس والعشرون - (عمل دركوش) - بفتح الدال وسكون الزاى المهملين وضم الكاف وسكون الواو وشين مججمة فى الآخر - وهى بلدة على النهر العاصى غربى حلب على نحو ثلاث مراحل منها ، وأكثر زرع أرضها العنب . أخبرنى بعض أهل تلك البلاد أن حبة العنب بها ربما بلغت فى الوزن عشرة دراهم ، وبها قلعة حاصية آستولى هؤلاء كوك على قلاع الشام ماعداها فإنه لم يصل إليها .

السادس والعشرون - (عمل أظاكية) . قال فى "اللباب" : بفتح المهمزة وسكون النون وفتح الطاء المهملة . قال فى "تقويم البلدان" : هم ألف وكلف

مكسورة ثم ياء مثناة تحت وهاء في الآخر . قال ابن الجوالقي في "المُعَرَّب" :
وياؤها مشددة . وخالف في "الروض المطار" : فذكر أنها مخففة الياء - وهي
مدينة عظيمة غربي حلب بشمال يسير على نحو مرحلتين منها . قال في "تقويم
البلدان" : وهي قاعدة بلاد العواصم . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن
طولها ستون درجة، وعرضها خمس وثلاثون درجة ونحسون دقيقة . وهي مدينة
عظيمة قديمة ، على ساحل بحر الروم ، بناها بطليموس الثاني من ملوك اليونان ؛ وقيل
بناها ملك يقال له أنطاكين فعرفت به ، ولها سورٌ عظيم من صخر ليس له نظير
في الدنيا . قال في "المزني" : مساحة دَوْرِهِ اثنا عشر ميلاً . قال في "الروض
المطار" : عدد سُراقته أربع وعشرون ألفاً ، وعدد أبراجه مائة وستة وثلاثون برجاً .
قال ابن حوقل : وهي أُنْزُهُ بلاد الشام بعد دِمَشْقَ ، ويمتازها العاصي والنهر
الأسودُ مجموعين ، ويمجرى مياهما في دُورِها ومساكنها ومسجدُها الجامع ، وماؤها
يستحجر في مجاريه حتى لا يؤثر فيه الحديد ، وشربه يحدث رياح القولنج ، والسلاحُ
بها يُسْرَعُ إليه الصَّدَأُ ويذهب ريحُ الطَّيِّبِ بالمكث فيها ، وهي أحدُ كراسي بَطَارِكَةِ
النصارى ، ولها عندهم قدر عظيم . وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى
الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿١﴾ إنها أنطاكية وإن ذلك الرجل
"حبيب التجار" وقبره بها مشهور يزار . قلت : وحينئذ فتصير ولايتها المذكورة
في "التعريف" و"مسالك الأبصار" : اثنتي عشرة ولاية .

ومينا أنطاكية المذكورة (السويدية) بضم السين المشددة وفتح الواو وسكون الياء
المثناة تحت وكسر الدال المهملَة وفتح الياء المثناة تحت المشددة وهاء في الآخر .
قال في "تقويم البلدان" : وموضعها حيث الطولُ ستون درجة وخمس وأربعون

(١) لعله ولايتها . على أن هذه الفلانة تحتاج إلى تأمل .

دقيقة . وعندها مصب النهر الماصي ، وهناك ينمطف البحر الرومي ويأخذ غربا
شمالا على سواحل بلاد الأرمن .

القسم الثاني

(من الأعمال الحليية البلاد المتصلة بذيل البلاد المتعتم ذكرها

في الأعمال الحلية من الشمال ، وهي المعروفة ببلاد الأرمن)

قال في "التعريف" في مكتبة ممتلك سيس : وهذه البلاد منها بلاد تسمى
المواسم ، ومنها بلاد كانت تسمى قديما بالثغور ، سميت بذلك لما غارتها الروم ، وإلى
مثل ذلك أشار في "تجويم البلدان" أيضا .

فالمواسم (بفتح العين المهملة والواو وكسر الصاد المهملة وميم في الآخر) . قال ابن
حقول : وهي أسم للتاجية وليست موضعا بعينه يسمى المواسم . قال : وقصبتها
أظاكية . قال : وعدّ ابن خرداذبه المواسم فكثرتها وجعل منها كورة منبج ،
وكورة يميزن والس ورصافة هشام ، وكورة جومة وكذا شيزر وأقاية ، وإقليم معزة
التمان ، وإقليم صوران ، وإقليم تل باشر وكفر طاب ، وإقليم سلمية ، وإقليم جوسية ،
وإقليم لبنان إلى أن بلغ إقليم قسطل بين حصص ودمشق .

قلت : وأول من سماها بذلك الرشيد هارون حين بنى بها مدينة طرسوس الآتي
ذكرها في سنة سبعين ومائة ، والذي يظهر أنها سميت بذلك لمصمتها مائدتها من
بلاد الإسلام من المدوّ ، إذ كانت متاحة لبلاد الكفر ، واقعة في بحر المدوّ ، وعساكر
المسلمين حافظة لها .

والثغور جمع ثغر (بفتح التاء المثناة وسكون العين المعجمة وفي آخره راء مهملة) .

قال في "المشارك" وهو أسم لكل موضع يكون في وجه المدوّ ، قال : وثغور الشام
كانت أذنة وطرسوس وما معها فاستولى عليها الأرمن .

وذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة في تاريخه : أن الرشيد في سنة سبعين ومائة عزل الثغور كلها من الجزيرة وقنسرين وجعلها حيزاً واحداً وسماها المواسم . قلت : ومقتضى ذلك أن تكون الثغور والمواسم أسماء على مسمى واحد ، وعليه ينطبق كلام المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" . وقد حدد في "التعريف" هذه البلاد بجملتها فقال : وحدتها من القبلة وأحرف الجنوب بلاد بقراس وما يليها ؛ وحدتها من الشرق جبال الدربندات ؛ وحدتها من الشمال بلاد ابن قزمان ؛ وحدتها من الغرب سواحل الروم المفضية إلى العلأيا وأنطاليا . وسبق في الكلام على أصل استيلاء الأرمن على هذه البلاد وأقراعتها منهم وعودها إلى الإسلام في الكلام على مكتبة مملوك سيس ، على ما كان عليه الأمر قبل عودتها إلى الإسلام في مكاتب ملوك الكفر إن شاء الله تعالى .

ويشتمل على عدة نيبات ، بعضها ذكره في "التعريف" وبعضها استجد بعد ذلك ، وهي على ضربين أيضاً .

الضرب الأول

(الأعمال الكار؛ وهي صفتان : ساحلية وجبلية)

فأما الجبلية ، فثلاثة أعمال .

الأول - (عمل ملطية) - بفتح الميم واللام وكسر الطاء المهملة وبعدها ياء مثناة تحت مشددة مفتوحة وهاء في الآخر . وهي مدينة شمالية حلب بئيلة إلى الشرق على نحو سبع مراحل منها . قال ابن سعيد : وهي قاعدة بلاد الثغور ، وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : وطولها إحدى وستون درجة ،

(١) ضبطها باقوت والمجد بفتحين ثم سكون وقال باقوت : كسر الطاء وتشديد الياء من قول العامة .

وعرضها سبع وثلاثون درجة ، ووافقته في " القانون " على الطول وجعل العرض ثمانيا وثلاثين درجة ؛ وقد عدها ابن حوقل من جملة بلاد الشام وقال إنها من قري بلاد الروم على مرحلة . قال صاحب حماة : والأليق عدها من بلاد الروم . ثم قال : وعدها بعضهم من الثغور الجزرية . قال في " الروض المعطار " : وكانت قديمة تغربتها الروم ، فبناها أبو جعفر المنصور يعني ثاني خلفاء بني العباس في سنة تسع وثمانين ومائة ، وجعل عليها سورا محكما . وهي بلدة ذات أشجار وفواكه وأنهار ، وهي مسورة ، في بسيط من الأرض والجبال محتفة بها من بُعد ، ولها نهر صغير يمر بسورها ، ولها فقي تملخلها وتجري في دويرها إلا أنها شديدة البرد . وهي في شمالي الجبل الدائر الذي ببس في غربيته ، في الجنوب عن سيواس ، وبينهما نحو ثلاث مراحل . وفي القرب عن نَخَا وبينهما نحو مرحلتين . وقد ذكر في " تهويم البلدان " : أنها فُتحت في سنة خمس عشرة وسبعمائة .

الثاني - (عمل دَرَنَة) - ففتح الدال والراء المهملتين وسكون النون وفتح الدال الثانية وهاء في الآخر . وهي مدينة في جهة القرب عن مَلَطِيَّة على نحو مرحلة ، ذات بساتين وأنهار وعيون ماء تجري ، وبينها وبين حَلَب نحو عشرة أيام .

الثالث - (عمل دَبْرَكِي) - ففتح الدال المهملة وسكون الباء الموحدة وفتح الراء المهملة وكسر الكاف وياء مشنة تحت في الآخر . وقد يقال دَوْرَكِي بإبدال الباء واوا . وهي مدينة في جهة الشمال والقرب من حَلَب ، على نحو عشر مراحل منها ، بها بساتين وأشجار ، وبينها وبين حَلَب نحو اثني عشر يوما .

(١) لعله مصنف من ثلاثين فإن المنصور تولى الخلافة سنة ست وثلاثين ومائة وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة ، ونقل ياقوت أنه أرسل من بني مَلَطِيَّة سنة أربعين ومائة .

وأما الساحلية ، فإن بها خمسة أعمال .

الأول - (آياس) - بفتح الهمزة الممدودة والياء المثناة تحت ثم ألف وسين مهملة في الآخر . وهي مدينة من بلاد الأرمن على ساحل البحر ، وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الزيج" : طولها تسع وخمسون درجة ، وعرضها ست وثلاثون درجة ، وهي فُرْضة تلك البلاد ، وبينها وبين بَرَّاس المتقدم ذكرها مرحلتان . قال في "التعريف" : وقد جعلت نيابة جلييلة نحو مَحْص ، وجعل أمرها إلى نائب الشام ، ثم جعلت إلى نائب حَلَب ، وهي المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية إضافة إلى نهر جاهان المجاور لها ، وهو جيحان المتقدم ذكره ، وكانت آستادتُها من الأرمن في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ، ولذلك قال في "التعريف" : والمعهد بفتحها قريب .

الثاني - (عمل طَرَسُوس) - بفتح الطاء والراء المهملتين جميعا وضم السين المهملة وسكون الواو ثم سين ثانية - هكذا ضبطه في "اللباب" والجارى على الألسنة سكون رائها ، وهي مدينة من بلاد الأرمن على ساحل بحر الروم تَمَّالاً بفرب عن حَلَب ، وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ثمان وخمسون درجة وأربعون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال في "الروض المعطار" : وهي مدينة مسورة ، بناها الرشيد في سنة سبعين ومائة وأكملها في سنة اثنتين وسبعين ، ولها خمسة أبواب : باب الجهاد ، وباب الصَّقَصاف ، وباب الشام ، وباب البحر ، وباب المسدود . والنهر يشق في وسطها وعليه قنطرتان داخل البلد . قال ابن حوقل : وهي في غاية الخصب ، وبينها وبين حد الروم جبال هي الخابز بين الروم والمسلمين ، وبها تُدفن المأمون بن الرشيد ، وكانت آستادتُها من الأرمن في الدولة الناصرية حسن بن محمد بن قلاوون .

الثالث - (عمل أدنة) - همزة ودال مهملة ونون مفتوحات وهاء في الآخر .
وهي مدينة من بلاد الأرمن واقعة في الإقليم الرابع . قال في بعض الأزياج : طولها
تسع وخمسون درجة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال أحمد
أبن يعقوب الكاتب في كتابه "المسالك والممالك" : وهي من بناء الرشيد . قال
أبن حوقل : وهي مدينة حصينة عامرة ، وبينها وبين طرسوس ثمانية عشر ميلا .

الرابع - (عمل مرقندكار) - بكسر السين وسكون الراء المهملة وفتح الفاء
وسكون اللون وفتح الدال المهملة والكاف ثم ألف وراء مهملة - هكذا ضبطه
صاحب حماة ، ثم قال : وقد يعمل موضع الفاء واوا فيقال مَرُونْدَكَارَ والموجود
في السامير إسْفَنْدَكَارُ همزة في الأول وسقوط الراء الأولى ؛ وهي قلعة من بلاد
الأرمن واقعة في الإقليم الرابع . قال في "الزيج" : طولها ستون درجة ، وعرضها
سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي قلعة حصينة
في واد على صخر ، وبعض جوانبها ليس له سور للاستغناء عنه بالصخر ، وهي على القرب
من نهر جيحان من البر الجنوبي ، في الشرق عن تل حَمْدُون على نحو أربعة أميال .

الخامس - (عمل سيس) - بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت ثم
سين مهملة ثانية - هذا هو المعروف في زماننا ، ووقع في كلام صاحب كمال الدين
أبن العديم أن اسمها سيسة بثبات هاء في آخرها ، وكلامه في "العريزي" يوافقه .
وهي قاعدة بلاد الأرمن وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الزيج" : طولها ستون
درجة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة . وهي بلدة كبيرة ذات بساتين وأشجار ، ولها قلعة
حصينة عليها ثلاثة أسوار على جبل مستطيل ، بناها بعض خدام الرشيد وهو الذي
سماها . قال أبن سعيد : وكانت قاعدة الخضر الشَّالِيَّة . قال في "العريزي" : وبينها

(١) التي في "تقويم البلدان" و"سبع البلدان" و"القاموس" أنها بالفتح المعجمة .

وبين المصيبة أربعة وعشرون ميلاً، وكانت استعادتها من الأرمن في الدولة الأشرافية شعبان بن حسين. قلت : وقد كانت سيس في أعقاب الفتح نيابة مستقلة، ثم صارت مقدمة عسكر مضافة إلى حلب كما يقع في غزاة في كونها تارة تكون نيابة مستقلة، وتارة مقدمة عسكر مضافة إلى دمشق على ما تقدم ذكره .

الضرب الثاني

(١١) من الأعمال الصغار بلاد الأرمن

وهي ثلاثة عشر عملاً لثلاث عشرة قلعة، لم تجر العادة بمكتابة أحد من نوابها عن الأبواب السلطانية، ذكر بعضها في "التعريف" وبعضها في "التحقيق" وبعضها في غيرهما من الدساير .

الأول - (عمل قلعة باري كركوك) بفتح الباء الموحدة وألف بعدها راء مهملة مكسورة ثم ياء ساكنة ثم كاف مفتوحة وراء مهملة وواو ساكنة ثم كاف في الآخر . وهي قلعة على رأس جبل بالقرب من طرسوس في الشمال، على نحو نصف مرحلة قال في "التحقيق" : استجلت في سنة ستين وسبعائة . قلت : أفتصحها بيدر الخوارزمي نائب سيس في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون .

الثاني - (عمل كاوياً) بفتح الكاف وبعدها ألف وواو وراء مفتوحة مشددة وألف في الآخر . وهي قلعة في الشمال عن آياس على جبل مطل على البحر الرومي على نحو ساعة . قال في "التحقيق" : استجلت سنة تسع وستين وسبعائة .

الثالث - (عمل كوكلاً) بفتح الكاف وسكون الواو ولام ألف بعدها كاف ثانية . وهي قلعة مدورة على رأس جبل في الشمال عن طرسوس على نحو مرحلة، يسكنها طائفة من التركمان .

الرابع - (عمل كَزَالَ) بكاف مكسورة وراء هملة ساكنة وزاى معجمة مفتوحة وبعدها ألف ثم لام . وهى قلعة صغيرة على رأس جبل بالقرب من كَوَلَاك المتقدم ذكرها على نحو مرحلة . قال فى "التتقيف" : أَسْتَجَلَّتْ فى سنة نَيْف وسبعين وسبعمائة

الخامس - (عمل كُومى) بضم الكاف وسكون الواو وكسر الميم وياء مشناة تحت فى الآخر .

السادس - (عمل تَلَّ مَحْدُون) بفتح التاء المشناة فوق وتشديد اللام وفتح الحاء المهملة وإسكان الميم وضم الدال المهملة وسكون الواو ونون فى الآخر . وهى قلعة ببلاد الأرمن ، وموقعها فى الإقليم الرابع . قال ابن سعيد : طولها تسع وخمسون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة . قال صاحب حماة : كانت قبل أن يخرَّبها المسلمون قلعةً حصينة حسنة البناء على تَلَّ عال ، ولها سور مانع وريّض وبساتين ونهر يجرى ، وعلى القرب من جيعان فى جهة الجنوب على نصف مرحلة ، وبينها وبين آياس نحو مرحلة ، وبينها وبين سيس نحو مرحلتين .

السابع - (عمل المَارُوبَيْنَيْنِ) - بفتح الماء وألف بعدها ثم راء هملة مضمومة ونون مكسورة بعدها ياء مشناة تحت مشددة مفتوحة ثم تاء مشناة فوق بعدها ألف وون . قال فى "التعريف" : وهما حصنان بناهما هارون الرشيد . وقال فى "المشترك" : المارونية مدينة صغيرة اختطها هارون الرشيد بالثغور فى طَرَف جبل اللكّام . وقال فى "العزيرى" : المارونية آخر حدود الثغور الشامية مما يتصل بالحدود الجزرية ، وبينها وبين الكنيسة السوداء أشأ عشر ميلًا .

قال في "كتاب الأطوال" : وطولها ستون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة .

الثامن - (عمل قلعة تَجَّة) بفتح التون وسكون الجيم وفتح الميم وهاء في الآخر.^(١) وهي قلعة على القرب من القُرَاتِ بينها وبين جَسْر مَنِيح خمسة وعشرون ميلا. قال في "تجويم البلدان" : وهذه القلعة في السحاب . قال : وكان يقال لذلك المكان حصن مَنِيح فصارت تعرف بقلعة تَجَّة . ثم قال : وهي من بناء السلطان محمود بن زنكي . قلت : وفي "التعريف" ما يقتضى أنها من جملة بناء المأمون .

التاسع - (عمل قلعة حميمص) . وهي قلعة خراب صغيرة بالقرب من نهر جَبْجَان . العاشر - (عمل قلعة لُؤْلُؤَة) - وهي قلعة شمالي كَوْلَاكَ آستعدها ابن عثمان . الحادى عشر - (عمل قلعة تامرون) شمالي طَرَسُوسَ ، بيد عيسى بن ألاس البرسقى التركمانى .

الثانى عشر - (عمل سيناك كالا) شمالي طَرَسُوسَ . كانت داخل المملكة آستولى عليها ابن قرمان في أيام المنصور بن الأشرف شعبان .

الثالث عشر - (عمل بلسلوص) غربي طَرَسُوسَ على ساحل البحر، بيد حسن ابن قوسى البرسقى التركمانى .

القسم الثالث

(من الأعمال الحربية البلاد المجاورة للقُرَاتِ من شرقية من بلاد الجزيرة الواقعة بين القُرَاتِ ودَجَلَة ؛ وهي ثلاثة أعمال)

الأول - (عمل أَلْبِيَّة) بكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الزاء المهيّلة وألف في الآخر . وهي قلعة في البر الشرقى في الشَّيَالِ عن القُرَاتِ ، في الشرق^(٢)

(١) في المصنف بدون هاء وقال "يقطع النسيم من الكواكب" (٢) لهه وهاء في الآخر، وهي غير البيرة التي يبلاد الأندلس فإن تلك الهمة فيها أصلية على وزن إنريطة وكبرية فليثبه .

عن قلعة الروم المتقدم ذكرها على نحو مرحلة والفُرات بينهما . وقد عثا في "تقويم البلدان" : من جُند قنسرين من أعمال الشام ، وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في بعض الأزياج : طولها اثنتان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة ونمسون دقيقة ، وهي قلعة ذات ارتفاع وحصينة لأثرام : قال في "تقويم البلدان" : ولها سوق وعمل . قال ابن سعيد : وقلعتها على صخرة . قال في "التعريف" : ولها منعة وعسكر .

الثاني - (عمل قلعة جعبر) - بفتح الجيم وسكون العين المهمللة وفتح الباء الموحدة وراء مهمللة في الآخر . وهي قلعة من ديار بكر في البر الشرقي الشمالي من الفُرات أيضا ، وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : طولها اثنتان وستون درجة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة ونمسون دقيقة . قال القاضي جمال الدين ابن واصل : وكانت هذه القلعة تعرف قديما بالدوسيرية نسبة إلى دوسر : عبد النعمان ابن المنذر ، وهو الذي بناها أولا لما جعله النعمان على أفواه الشام ، ثم تملكها سابق الدين جعبر القشيري في أيام الملوك السلجوقية فعرفت به ، ثم أترعها منه السلطان ملكشاه السلجوقي . قال صاحب حاة : وهي في زماننا خراب ليس بها ديار . قلت : وذلك في أثناء الدولة الناصرية محمد بن قلاوون ، ثم عمرت بعد ذلك في آخر الدولة الناصرية أو بعدها بقليل ؛ وقد أشار إلى ذلك في "التعريف" : حين ترمض لذكرها في آخر مضافات الشام قبل ذكر حلب بقوله : وهي مجتدة البنيان ، مستحجة الآن ، لأنها جُددت منذ سنوات ، بعد أن طال عليها الأمد ، وأخني عليها الذي أخني على بُد . وكانت قد ذكر قبل ذلك في الكلام على تقاسيم الشام أنها مضافة إلى دمشق ثم قال : وحققا أن تكون مع حلب ، وقد صارت الآن من مضافات حلب .

الثالث - (عمل الرها) - بضم الراء المهمللة وفتح الهاء وألف في الآخر . وهي مدينة من ديار مُعَصر في البر الشرقي الشمالي عن الفُرات ، وموقعها في الإقليم الرابع بالقرب

من قلعة الروم . قال في "الأطوال" : طولها أثنان وستون درجة ونمسون دقيقة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة . قال في "المزى" : وهي مدينة عظيمة رومية ، فيها آثار عجيبة . قال في "الروض المطار" : وهي مدينة ذات حيون كثيرة تجري منها الأنهار ، وبها البساتين والأشجار الكثيرة ، وعليها سور من حجارة ، ولها أربعة أبواب باب حرّان ، والباب الكبير ، وباب سبع ، وباب الماء . قال : وليس في بلاد الجزيرة أحسن منتهات منها ولا أكثر فواكه ، والفُرَاتُ منها في ناحية الغرب على مسيرة يومين ، وفي ناحية الشمال على مسيرة يوم . قال في "هويم البلدان" : وكان بها كنيسة عظيمة ، وفيها أكثر من ثلثائة دير للنصارى . قال : وهي اليوم خراب يعنى في أثناء الدولة الناصرية ، ثم عمرت بعد ذلك . قلت : وهي اليوم عامرة أهلة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

القاعدة الثالثة

(من قواعد المملكة الشامية حبة)

وقد ذكرها في "مسالك الأبصار" بعد دمشق ؛ وهو أليق لقربها منها ، ولكنه قد ذكرها في "التعريف" بعد حلب فتبعته على ذلك ؛ وفيها جملتان :

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

وهي بفتح الحاء المهملة والميم وألف ثم هاء في الآخر . وموقعها في الإقليم الرابع بين خمسٍ وخمسين . قال في "هويم البلدان" : وطولها إحدى وستون درجة ونمسون وأربعون دقيقة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة ؛ وهي مدينة قديمة أزليّة . قال في "هويم البلدان" : ولها ذكر في التوبة ، وهي على حَقَّة

العاصي مَكِينَةُ البناء، ولها سُورٌ جليل، وبيوت ملوكها وشرفاتها مطلة على النهر العاصي، وبها القصور الملوكية، والدور الأنيقة والجوامع والمساجد والمدارس والرُّبُط والزوايا والأسواق التي لا تَعْدَمُ نوماً من الأنواع؛ وبها قلعة مبنية بالحجارة الملونة؛ وغالبُ مبانيها البلية، وآثار الخير والبرِّ الباقية فيها من فواضل نِعَمِ الدولة الأيوبية؛ وبها نواعيرٌ مَرْكَبَةٌ على العاصي، تدور بجرى الماء، وترفع الماء إلى الدور السلطانية ودُور الأمراء والأكابر واليساتين؛ وفي بساتينها الفُرَاشُ الفائق والثمار الفريية؛ ولم يكن لها في القديم نَبَاهَةٌ ذِكْرٌ، وكان الصَّيْتُ لِحَصِّ دُونِهَا، ثم تنبه ذكرها في الدولة الأتابكية زَنَكِي، فلما آلت إلى ملوك بني أيوب مَصْرُوها بالأبنية العظيمة، والقصور الفاخرة، والمسكن الفاخرة، وتأثير الأمراء، وتجنيد الأجناد فيها؛ وعظموا أسواقها وزادوا في غِرَاسِهَا، وجلبوا إليها من أرباب الصنائع كُلِّ من فاق في فنِّه إلى أن كَلَّتْ محاسنها، وصارت معدومة من أمهات البلاد وأحسن الممالك؛ وهى في غاية رَفَاهَةِ العيش إلا أنها شديدة الحزن محبوبة الهواء، ويمرُّ لها في الخريف تغير تنسب به إلى الوَحْأَةِ، ولا يبقى بها الثلج إلى الصيف كما يبقى في بقية الشام، وإنما يجلب إليها مما يجاورها؛ وحولها مروج فيجُّ ممسّنة يكثر فيها مصايد الطير والوحش؛ وليس بالممالك الشامية بعد دِمَشْقَ لها نظير، ولا يدانيها في لُطْفِ ذاتها من مجاورتها قريب ولا بعيد. قال في "الأروض المغطار": وبينها وبين رَحْمَـةِ أَرْمُونِ مِلا، ولم تزل بأيدي بقايا الملوك الأيوبية من جهة صاحب مصر، يقيم ملوكهم فيها مَلِكًا بعد ملك إلى أن كان بها منهم آخر الأيام الناصرية محمد بن قلاوون المتقدم ذكره، واستقر فيها بالأمير طغتمش الجموي: أحد مقتدى الألف بالديار المصرية نائباً، واستقرت بأيدي التواب إليها مقدم ألف بعد مقتدى ألف إلى الآن.

(١) لعل الباء من زيادة النسخ أى كان بها منهم في تلك الأيام واستقر فيها الأمير الخ.

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها)

قال في "التعريف" : وحدتها من القبلة مدينة الرستن وماسامتها أخذنا بين سلمية وقبة ملاعب ، إلى حيث سجر النهر والآثار القديمة ؛ وحدتها من الشرق البر أخذنا على سلمية إلى ما أسفل عن قبة ملاعب ؛ وحدتها من الشمال آخر حد المعزة من العراء ،^(١) وحدتها من الغرب مضافات مضاف وقلاع الدعوة ؛ وليس بها قباب قلاع البتة ، ولها ثلاثة أعمال .

الأول - (عمل برها) - وهو ظاهرها وما حولها كما تختم في دمشق وحلب .
الثاني - (عمل بآرين) - بفتح الباء الموحدة وألف بعدها وكسر الراء المهملية وسكون الياء المثناة تحت ونون في الآخر - وهي بلدة على مرحلة من حماة في الغرب عنها بميلة يسيرة إلى الجنوب ؛ وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" :
والقياس أن طولها إحدى وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة .^(٢)

الثالث - (عمل المعرة) - بفتح الميم والعين المهملية ثم راء مهملة مشددة مفتوحة وهاء في الآخر - وهي مدينة من جند حمص واقعة في الإقليم الرابع . قال في "كتاب الأطوال" : طولها إحدى وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها إحدى وستون درجة وأربعون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وتعرف بمجرة الثعمان . قال : البلاذري إضافة إلى الثعمان بن بشير الأنصاري رضى

(١) كما أن الأصل بإهمال القطع وفي الفوه "من الغرب" .

(٢) لم يتكلم على العرض كعادته ولعله سقط من قلم الناسخ . وينفاد من "تقويم" أن عرضها أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة .

الله عنه . قال في "العزري" : وهي مدينة جليلة عامرة كثيرة القواكه والأثمار والخضيب ، وشرب أهلها من الآبار . قال في "الروض المعطار" : ولها سبعة أبواب : باب حَلَبَ ، والباب الكبير ، وباب شَيْث ، وباب الجنان ، وباب حص ، وباب كَذَا ^(١) . قال : ويُذكر أن قبر شَيْث بن آدم عليه السلام عند الباب المنسوب إليه فيها ، وداخلها قبر يُوْشَع بن نون عليه السلام ، وعلى ميل منها دَيْرُ سَمْعَانَ الذي به قبر عمر بن عبدالعزيز . قال السمعاني : والنسبة إليها مَعْرِيٌّ . قال : وبالشام بلدة أخرى تسمى مَعْرَةَ كَسْرِين بالنون والسين المهملة ، والنسبة إليها مَعْرِيٌّ . قال صاحب حماة : والمشهور في الثانية أنها مَعْرَةَ مَصْرِين بميم وصاد مهملة .

القاعدة الرابعة

(من قواعد الملكة الشامية أطراً بلس وفيها جلتان)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

وهي بفتح الهزرة وسكون الطاء ونصب الراء المهملين ثم ألف وباء موحدة ولام مضمومتين وسين مهملة في الآخر . قال السمعاني : وقد تسقط الألف منها فرقا بينها وبين أطراً بلس التي في الغرب ، وأنكر ياقوت في "المشترك" : سقوطها وعاب على المتنبئ حذفها منها في بعض شعره . قال في "الروض المعطار" : ومعنى أطراً بلس فيما قيل ثلاث مدن ، وقيل مدينة الناس . وهي مدينة من سواحل حص واقعة في الإقليم الرابع : قال في "كتاب الأطوال" : طولها تسع وخمسون درجة وأربعون دقيقة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة ، وكانت في الأصل من بناء الروم فلما فتحها المسلمون في سنة ثمان وثمانين وسقانة في الأيام الأشرفية "خليل بن قلاوون" رحمه

(١) هنا هو السادس وكفى به دليلاً على ذكر الساج طيلم .

الله، تحربوها وعمرها مدينة على نحو ميل منها وسموها باسمها، وهي الموجودة الآن،
ولما بنيت هذه المدينة الجديدة كانت وخيمة البقعة، ذمية السكن. فلما طالت
مدة سكناها وكثرت بها الناس والمواب وصرفت المياه الآسنة التي كانت حولها وعملت
بساتين، ونُصبت بها النصبوب والقُروس، خَفَّ ثِقَلُها وقل ونَحْمُها.

قال في "مسالك الأبصار": ولما ولي نيابتها أستدمر الكرجي كان لا ينفك
عن كونه ونما فشكا ذلك إلى سليمان بن داود المتطبب، فأشار عليه أن يستكثر فيها
من الإبل وسائر الدواب ففعل نَحْفٌ ونَحْمُها. قال: وقد سألت عن علة ذلك الكثير
من الأطباء فلم يبيحوا فيه بشيء.

قلت: لا خفاء أن المعنى في الإبل ما أشار به النبي صلى الله عليه وسلم في أمر
العَرَبِيِّينَ حين استَوْتَحُوا المدينة "أنهم يُقِيمُونَ في إِبِلِ الصَّدَقَةِ وَيَشْرَبُونَ من ألبانها
وأبوالها ففعلوا ذلك فَصَحُّوا" فكان ذلك من خاصة الإبل. ولعل التأثير في ذلك
للإبل خاصة دون سائر الدواب. وهي الآن مدينة ممتدنة كثيرة الزحام، وبها
مساجد، ومدارس، وزوايا، وبيمارستان، وأسواق جلييلة، وحمامات حسان،
وجميع بنائها بالبحر والكلب مبيضا ظاهرا وباطنا، وضوئها محيط بها، وتحيط
بضواها مزدراعتها، وهي بديعة المشرَف، ولها نهر يحكم على ديارها وطباقتها يتفرق
الماء في مواضع من أعلى بيوتها التي لا يُرْفَى إليها إلا بالدرج الطيبة، وحولها جبال
شاهقة، صحيفة الهواء، خفيفة الماء، ذات أشجار وكروم ومروج ومواش،
ومينائها ميناء جليلة، تهوى إليها وفود البحر الرومي وترسو بها مراكبهم، وتباع بها
بضائعهم. وهي بلدة متعرج وزرع، كثيرة الفائدة. وقد تهتم في الكلام على عجائب
الشاطئ أن داخل البحر بالقرب منها على نحو رمية حجر عن البرعين فؤارة عذبة الماء
تطفو على وجه الماء قدر ذراع أو أكثر، يتبين ذلك عند سكون الريح.

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها)

قال في "التعريف" : وحدها من القبلية جبل لُبْنَانُ ممتدًا على ما يليه من مَرَج الأسد، حيث يمتد النهر العاصي، وحدها من الشمال قَلَاع الدَّعْوَةِ، وحدها من الغرب البحر الرومي . وأعمالها على قسمين :

القسم الأول

(الأعمال الجِكَار التي يَكْتَبُ أبوابها عن الأبواب السلطانية، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(مضافاتها نفسها ، وهي ست ثيابات)

الأول - (عمل حصن الأكراد) - بإضافة حصن واحد الحصون إلى الأكراد الطائفة المشهورة ؛ وهي قلعة من جُنْدِ حِمص ، موقعها في الاقليم الرابع . قال في "تهويم البلدان" : والقياس أن طولها ستون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها أربع وثلاثون درجة . قال في "المشارك" : وهي قلعة حصينة مقابل حصن من غربها، على الجبل المتصل بجبل لُبْنَانِ نحو مرحلة من حصن . قال في "التعريف" : وهي حصن جليل وقلعة شَمَاء، لا تبعد منها المياه . قال : وكانت محل النيابة ومقر السكر قبل فتح طرّا بلس .

الثاني - (عمل حصن عكا) - بإضافة حصن إلى عكا - ففتح العين المهملة وتشديد الكاف المفتوحة وبعدها ألف ثم راء مهملة - وهي قلعة على مرحلة من طرّا بلس في جهة الشرق بوسط جبل لُبْنَانِ في وادي والجبل يحيط بها ، وشرب أهلها من عين تجري إليها من ذيل لُبْنَانِ المذكور، ولها رِصَصٌ بلس الكبير .

الثالث - (عمل بَلَّاطُس) - بفتح الباء الموحدة وبعدها لام ألف ثم طاء مهملة ونون مضمومتان وسين مهملة في الآخر - وهي قلعة بالقرب من مدينة مصياف في جهة الغرب منها على نصف مرحلة ، وفي جهة الشمال من طَرَّا بُلُس على نحو مرحلتين .

الرابع - (عمل صَبُيُون) - بفتح الصاد المهملة وسكون الهاء وضم الياء المثناة تحت وسكون الواو ثم نون في الآخر - وهي قلعة من جُنْد قَيْسَرِينَ في الإقليم الرابع . قال في "الزيج" : طولها ستون درجة وعشر دقائق ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وعشر دقائق . وهي من القلاع المشهورة ، ذات حصانة ومنعة ، مبنية على منحدر أصم ، في ذيل جبل يظهر من اللاذقية وبينهما نحو مرحلة ، وهي في الشرق عن اللاذقية بميلة إلى الجنوب ، وبها المياه الكثيرة حاصلة من الأمطار .

الخامس - (عمل اللَّادِيقِيَّة) - بألف ولام لازمتين وذال معجمة وقاف مكسورتين وباء مثناة تحت مشددة مفتوحة وهاء في آخرها ، وهي مدينة من سواحل الشام واقعة في الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : طولها ستون درجة وأربعون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وعنها في "العزى" من أعمال حمص ثم قال : وهي مدينة جليلة بل هي أجل مدينة بالساحل منعة وعمارة ، ولها ميناء حسنة ، ومنها إلى أنطاكية ثمانية وأربعون ميلا ، وقد عدها في "التعريف" : في جملة ولايات طَرَّا بُلُس على ما كانت عليه إذ ذاك ، ثم استقرت بعد ذلك نيابة ، وهي الآن أعظم نيابات طَرَّا بُلُس .

السادس - (عمل المَرْقَب) - بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح القاف وباء موحدة في الآخر . وهي قلعة بالقرب من ساحل البحر الرومي ، وموقعها في الإقليم

(١) ضبطها بالقرن والمجد بكسر الصاد وفتح الياء المثناة من تحت .

الرابع . قال في "الزيج" : طولها ستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة ونحس وأربعمون دقيقة ، وهي قلعة حصينة حسنة البناء مشرفة على البحر وعلى نحو فرسخ منها مدينة (يَلِيَّاس) بكسر الباء الموحدة واللام وسكون النون وياه مشاة تحت وألف وسين مهملة - وفي الغالب تضاف إليها فيقال المَرْقَبُ وَيَلِيَّاسُ ، وهي مدينة حسنة على الساحل ، ذات مياه وأعين تجري وفواكه كثيرة . قال في "العزري" : وبينها وبين أَنْطَرُطُوسَ اثْنَا عَشَرَ ميلاً ؛ ولم يتعرض لذكر المَرْقَبِ في "التعريف" : ولا في "مسالك الأبصار" .

الضرب الثاني

(قَلَاعُ الدَّعْوَةِ ، بفتح الدال)

سميت بذلك لأنها كانت بيد الإسماعيلية من الشيعة المنتسبين إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، وهم يسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الهادية ؛ وهؤلاء هم المعروفون في ديوان الإنشاء بالقُصَاد ، وبين العامة بالفداوية ؛ وسيأتي الكلام على معتقدهم في الكلام على القُصَاد ، ثم في الكلام على تحليف أهل البدع في باب الأيمان إن شاء الله تعالى - وهي سبع قلاع ، عظيمة الشأن ، رفيعة المقدار ؛ لأقسامها منعة ولا ثرام حصانة ، وكانت أولاً كلها مضافة إلى طَرَا بُلُس ثم قلبت مضافاً منها إلى دِمَشْق على ما تهتم ذكره ، والبقية على ما كانت عليه من إضافتها إلى طَرَا بُلُس . وهي ستة أعمال .

الأول - (عمل الرصافة) - بألف ولام لازمتين في أولها وراء مهملة مضمومة وصاد مفتوحة بعدها ألف ثم فاء وهاء - وهي قلعة بالقرب من مضاف ؛ وبالشام

(١) في المسم بضم الباء واللام .

بلدة أخرى يقال لها الرصافة أيضا وتعرف برصافة هشام، على أقل من مسافة يوم من الجانب الغربي من القرائات .

الثاني - عمل (الخواري) - بفتح الخاء المعجمة والواو ثم ألف وباء موحدة مكسورة وباء في الآخر - وهي قلعة في جهة الشمال من طرابلس على نحو مرحدين، وقد تقدم في الكلام على خواص الشام أن بسورها مكانا لا ينظره ملسوع أو رسوله إلا برا ذلك الملسوع ولم يضره السم .

الثالث - عمل (القدموس) - بفتح القاف واللام المهملة وضم الميم وسكون الواو وسين، هملة في الآخر - وهي قلعة بالقرب من الخواري المقعدة الذكر، وقد تقدم في الكلام على خواص الشام أن بها حماما يظهر منه أنواع من الحيات وتمشي بين الناس ولا تضر أحدا البتة .

الرابع - عمل (الكهف) - بفتح الكاف وسكون الهاء وفاء في الآخر - وهي قلعة بالقرب من القدموس على نحو ساعة على تشر جبل مرتفع على يرى على بعد .

الخامس - عمل (المينقة) - بفتح الميم وسكون الياء المثناة تحت وفتح النون والقاف وهاء في الآخر - وهي قلعة بالقرب من الكهف على نحو ساعة على جبل مرتفع أيضا .

السادس - عمل (المليقة) - بضم الميم المهملة وفتح اللام المشددة وسكون الياء المثناة تحت وفتح القاف وهاء في الآخر - وهي قلعة على الجبل المذكور على نحو ساعة من المينقة .

القسم الثاني

(من أعمال طرابلس الأعمال الصغرى وهي ستة أعمال)

قال في "التعريف" : سوى ما قل في تلك القلاع مما له ولاية .

الأول - (عمل أَظَرَطُوسَ) . قال في "الباب" : بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الطاء وسكون الراء المهملتين وضم الطاء المهملة وسكون الواو وسين مهملة في الآخر . قال في "كتاب الأطوال" : وموضعها حيث الطول ستون درجة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وعشر دقائق . وهي بلدة بالساحل . قال في "تقويم البلدان" : وهي تَقْرَأُ لاهل حص فتحها المسلمون وتحرّبوها أسوارها ، وهي الآن أهلة . قال : وكان بها مُصَحِّفُ عثمان بن عفان رضى الله عنه .

الثاني - عمل جُبَّةِ المُنَيَّظَرَةِ بإضافة جُبَّةٍ (بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة المفتوحة وياء التانيث) إلى المُنَيَّظَرَةِ (بضم الميم وفتح النون وسكون الياء المثناة تحت وفتح الطاء المعجمة والراء المهملة وهاء في الآخر) .

الثالث - (عمل الطَّيْنِ) - بألف ولام لازمتين وظاء معجمة مفتوحة مشددة ونون مشددة مكسورة وياء مثناة تحت مكسورة بسلها ياء ثانية ساكنة ثم نون - وهي كُورَة بين مصياف وقامية ، وليس بها مقر ولاية .

الرابع - (عمل بُسْرَه) - بضم الباء الموحدة وفتح الشين المعجمة وفتح الراء المهملة المشددة وسكون الياء المثناة تحت وهاء في الآخر - هكذا مكتوب في "التعريف" : وإلجأرى على الألسنة بشرى بإبدال الهاء ياء مثناة تحت .

الخامس - (عمل جَبَلَة) - بفتح الجيم والياء الموحدة واللام ثم هاء في الآخر - وهي بلدة صغيرة بساحل البحر الرومي من الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : طولها ستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في "المزبى" : ولها أعمال واسعة ،

(١) أوردها في "سج البلدان" ونص على أعمال الظاء بأنها بصيغة التصغير .

وبنها وبين اللاذقية أننا عشر ميلا ، وبينها وبين أنطاكية ثمانية وأربعون ميلا ،
وبها مقام إبراهيم بن آدم رحمه الله .
السادس - (عمل أنفة) - بفتح الهزء المقصورة والنون والقاء وبهاء في الآخر -
وهى بلدة على البحر الرومى تردها المراكب قلة .

القاعدة الخامسة

(من قواعد الملكة الشامية صفد، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(فى حاضرهما)

وهى جنت الصاد المهلة والفء وثاء مشاة فوق فى آخرها . هكنا ضبطه
فى "تقويم البلدان" . ثم قال : والمشهور على السنة الناس أن مكان البناء دالا
مهلة ، وهى مدينة من جند الأردن ، واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .
قال فى "الزيج" . طولها سبع ونمسون درجة ونمىس وثلاثون دقيقة ، وعرضها
أثنان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى بلدة متوسطة
بين الكبر والصفر ، وذكر العناني فى "تاريخ صفد" : أنه كان مكانها أولا قرية
وأصل الصف فى لغتهم المطية ، سميت بذلك لأن الفرنج أعطتها للطائفة الدسوية منهم
لا يشاركون فيها أحد . قال : وقد تكون سميت بذلك أخذنا من الصفد ، وهو الفل
لأن صاحب الفل يتمتع من الحركة ويلزم موضعه ، وكذلك هذا البلد لأنها فى جبل
عال لا يتمكن ساكنه من الحركة فى كل وقت ، إن ركب تعب وإن مشى على قدمه
أخطط لجه يده لصعود الروة وهبوط الوهدة ، فيستقر فى مكانها ويقع بالنظر ،
وربضها منتشر العارة على ثلاثة أجبل ، وأكثر ما يدخل أهلها حمامات الوادى بقلة

الماء بها وسوء بناء مجامعها، وبساتينها تحتها في الوادي إلى جهة بحيرة طَبْرِية، وكل ما يوجد في دِمَشْق يوجد فيها؛ إما من بلادها، وإما مجلوب إليها من دِمَشْق؛ ونباتها نياحة جلييلة ونائها من أكبر الأمراء المتقدمين؛ ولها قلعة حصينة ذات بساتين تُشْرِف على بحيرة طَبْرِية، يُحْف بها جبال وأودية. قال ابن الواسطي: بنتها الفريخ ستة خمس وتسعين وأربعمائة. ولما فتحها الظاهر بيبرس رحمه الله عظم شأنها ورفع مقدارها. قال في "مسالك الأبصار": وهي جديرة بالتعظيم قلل أن يوجد لها شبيه. ولا يعلم لها نظير. ولهذا القلعة نائب مستقل من قِبَل السلطان يوثق من الأبواب الشريفة بمرسوم شريف؛ وعادته أن يكون من أمراء الطلبخانة، ولا حكم لنائب السلطنة بالبلد عليه بل هو مستقل بنفسه كما في نائب قلعتي دِمَشْق وحلب.

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها)

قال في "التعريف": وحدتها من القبلية القور حيث جسر الصبيرة من وراء طَبْرِية؛ وحدتها من المشرق الملاحة الفاصلة بين بلاد الشقيف وبين حولة بانياس؛ وحدتها من الشمال نهر ليطا، وحدتها من الغرب البحر. وليس في أعمالها نياحة أصلا. وقد ذكر لها في "مسالك الأبصار": أحد عشر عملا.

الأول - (عمل برها) - كما في دِمَشْق وحلب وفيهما من القواعد المتقدمة.

الثاني - (عمل الناصرة) - بالألف واللام اللازمتين ونون مفتوحة بعدها ألف

ثم صاد مهملة مكسورة وراء مهملة مفتوحة وهاء في الآخر - وهي بلدة صغيرة قال في "الروص الممطار": على ثلاثة عشر ميلا من طَبْرِية. قال: ويقال: إن المسيح عليه السلام ولد بها، وأهل القُدس ينكرون ذلك ويذكرون أنها ولدت

بالقدس ، والمعروف أن أمه حين عادت به من مصر إلى الشام وعمره يومئذ اثنتا عشرة سنة نزلت به القرية المذكورة ، وهي اليوم منبع الطائفة النصرانية ، والذي ذكره العثاق في "تاريخ صفد" : أن أهل هذه البلاد مفسوبون إلى الدين .

الثالث - (عمل طبرية) - بفتح الطاء المهمله والباء الموحدة وكسر الراء المهمله وفتح الباء المثناة تحت وتسديدها وهاء في الآخر - وهي مدينة من جند الأردن بناها طبريون أحد ملوك اليونان البطالسة فُقرت به ثم عريت طبرية ، والنسبة إليها طبراني للفرق بينها وبين طبرستان من نواحي بلاد الشرق حيث ينسب إليها طبري ، وموقعها في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : طولها ثمان وخمسون درجة ونمسين وخمسون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وقال في "رسم المعمور" : طولها سبع وخمسون درجة ونمسين وأربعون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة ، وتبعه ابن سعيد على ذلك . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وهي في الفؤر في سفح جبل على بحيرتها المتقدمة الذكر في بحيرات الشام . قال في "مسالك الأبصار" : ومن عملها قدس . قال : وكان معها قديما السواد ويسان ثم نرجا عنها . قال العثاق في "تاريخ صفد" : ومن ولايتها البطيعة وكفر عاقب .

الرابع - (عمل يثين وهوين) - بعطف الثاني على الأول .

فاما يثين ، فبناء مشاة فوق مكسورة وباء موحدة ساكنة ونون مكسورة وباء مشاة تحت ساكنة ونون في الآخر .

وأما هُونَيْنٌ ، فيها مضمومة وواو ساكنة ونون مكسورة بملها ياء مثناة تحت ساكنة ونون في الآخر . قال في "مسالك الأبصار" : وهما حصنان يُدْنا بعد الخمسة بين صُورَ وبانياسَ يجبل عاملة المتقدم ذكره في جبال الشام المشهورة ، وجعل العثاني في "تاريخ صفد" قلعة هُونَيْنَ من عمل الشَّيْفِ ، وأهل هذا العمل شِيعَةٌ رافضة .

الخامس - (عمل عَثَلَيْتَ) - بفتح العين المهملة وإسكان التاء المثناة وكسر اللام ويكون الياء المثناة تحت وتاء مثناة في الآخر - وهي كورة بين قاقُونْ وعَكَا ، فيها قُرَى متسعة وليس بها مقر ولاية معلوم . قال العثاني في "تاريخ صفد" : وفي آخر هذا العمل بلاد قاقُونْ وهو آخر الأعمال الصفدية .

السادس - (عمل عَكَا) - بفتح العين المهملة وتشديد الكاف المفتوحة وألف في الآخر - وهي مدينة من سواحل الشام . قال العثاني في "تاريخ صفد" : بناها عبد الملك بن مَرْوَانَ ، ثم غلب عليها الفرنج ، ثم آتَرَعَهَا منهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ثم غلبوا عليها ثانياً ، ثم أَسْتَرْجِعَتْ . وهي واقعة في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : طولها ثمان وخمسون درجة وخمسون وعشرون دقيقة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة ، وقيل غير ذلك ؛ وقد خربت بعد أن أَسْتَرْجِعَهَا المسلمون من الفرنج في سنة تسعين وستمائة في البوالة الأشرفية "خليل بن قلاوون" ؛ وبها مسجد ينسب لصلاح عليه السلام ، وبها وبين طَبْرِية أربعة وعشرون ميلاً ؛ وكانت هي قاعدة هذا الساحل قبل صفد . فلما خربت أقيمت صفد مقامها ونصارت هي ولاية .

السابع - (عمل صور) - بضم الصاد المهملة وسكون الواو وراء مهملة في الآخر - وهي مدينة قديمة بساحل دِمَشْق، واقعة في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : طولها ثمان وخمسون درجة وخمسة وثلاثون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وثمان وثلاثون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وخمسة دقائق . وبناؤها من أعظم أبنية الدنيا ؛ وكانت من أحصن الحصون التي على ساحل البحر ؛ فلما فتحها المسلمون في سنة تسعين وسقائة مع عكاَّ خربوها خوفا أن يتحصن بها العدو ؛ وهي خراب إلى الآن . ويقال إنها أقدم بلد بالساحل ، وإن عامة حكام اليونان منها . قال الشريف الإدريسي : وكان بها مرسى ، يدخل إليه من تحت قطرة عليها سلسلة تمنع المراكب من الدخول . قال في "التحريف" : وبصور كنيسة يقصدها ملوك من البحر عند تليكهم فيملكون ملوكهم بها ، إذ لا يصح تليكهم إلا منها . قال : وشرطهم أن يدخلوها عنوة ، ولذلك لا يزال عليها الرقبة ، ومع ذلك يأتونها مباغطة فيقضون أربهم منها ثم ينصرفون ؛ وسكان هذا العمل وافضة لا يشهدون جمعة ولا جماعة .

الثامن - (عمل الشاغور) - بالف ولام لازمتين وشين معجمة مشددة مفتوحة بعدها ألف ثم غين معجمة مضمومة بملها واو ساكنة وراء مهملة في الآخر - وهي كورة بين عكا وصفد والناصره ؛ بها قرى متسعة ، وليس بها مقر ولاية معروف ، وعندها العثاق في "تاريخ صفد" شاغورين .

أحداهما - شاغور العنة . وهو جبل به قري طامرة . قال : وبالعمة دبر به مصطبة إذا بات عليها من به جنون شفي بإذن الله .

(١) في الضوء "ويطها" وهي أوضح .

(٢) كذا في الأصل بإعمال حرولها - وفي الضوء "النية" ولم نجد هذا عند البحث .

والثاني - شاغور غرابية، وفيه عثة قري، وبه مقام أولاد يعقوب عليه السلام، وهو من المزارات المشهورة .

التاسع - (عمل الإقليم) - بكسر الهمزة وسكون القاف وكسر اللام وسكون الياء المشاة تحت وميم في الآخر - وهي كورة بين دمشق والشَّفر والحربة، بها قرى متسعة وليس بها مقر ولاية .

العاشر - (عمل الشَّيف) - بفتح الشين المعجمة وكسر القاف وسكون الياء المشاة تحت ثم فاء - ويُعرف بِشَيف أَرْنُون (بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وضم النون وسكون الواو ثم نون في الآخر) . قال في "المشترك" : وهو اسم رجل أضيف الشَّيفُ إليه ، ويُعرف أيضا بِالشَّيفِ الكبير . وهو حصن بين دمشق والساحل، بعضه مقارة منحوتة في الصخر، وبعضه له سور . وهو في غاية الحصانة وعلى القرب منه شَيف آخر يُعرف بِشَيف تَيرون (بكسر التاء المشاة فوق وسكون الياء المشاة تحت وضم الراء المهملة وسكون الواو ونون في الآخر) وهي قلعة حصينة من جُند الأردن على مسيرة يوم من صَفَد في سَمَت الشمال . قال في "مسالك الأبصار" : وليست من بلاد صَفَد، وأهل هذا العمل رافضة .

الحادي عشر - (عمل جَبِين) - بجمع مكسورة وياه مشاة تحت ساكنة ونون مكسورة ومشاة تحت ثانية ساكنة ونون في الآخر - وهي بلدة قديمة متسعة، وهو مُرَجَّة على كَتَف واد لطيف به نهر ماء يجري، وهي في الشمال عن قاقُون على نحو مرحلة، في رأس مُرَج بنى طامر، وبها مقام دحية الكلبي : صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم !

ومن أعمالها (الْبُون) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح اللام المشددة وضم الجيم المشددة . وهي قرية قديمة في جهة الغرب عن بَيْسَانَ، على نصف مرحلة منها .

قال في "كتاب الأطوال" : موضعها حيث الطول سبع ونحسون درجة ونحس وأربعون دقيقة، والعرض اثنتان وثلاثون درجة، وبالقنّون مقام الخليل عليه السلام، وبها يتزل المملوك على مصطبة هناك معدّة لذلك . قال في "مسالك الأبصار" : ومن عملها (قدّس) . وكان معها قديما (السوّاد وبّسان) ونحرجا عنها ، ثم قال : ومما يذكر فيها (حيّفا) . وهي نراب على الساحل ، و (قلعة كوكب) . وهي التي يقول فيها الملد الأصفهانى : راسية راسخة ، شماء شاعخة . وقلعة (الطور) وهي مفردة على جبل الطور ، بناها العادل أبو بكر بن أيوب ثم غلبه عليها الفرنج فهدمها .

قلت : وأقتصر في "التعريف" : على ولاية برّصند وولاية الشقيف . وولاية جينين ، وولاية عكا ، وولاية الناصرة ، وولاية صور ، من غير زيادة على ذلك .

القاعدة السادسة

(من قواعد الملكة الشامية الكرك ، وفيها حلتان)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

وهي بفتح الكاف والراء المهملّة ثم كاف ثانية ، والألف واللام في أولها غير لازمتين . وتعرف بكرك الشوبك لمقاربتها لها . قال في "تقويم البلدان" : وهي من البلقاء وهما ، وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال ابن سنيّد : وطولها سبع ونحسون درجة ونحسون دقيقة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها سبع ونحسون درجة ونحسون دقيقة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة ونحس دقائق . وهي مدينة محدّثة البناء كانت ديرا يتنّدره رهبان ، ثم كثّروا فكبروا بناء وأوى إليهم من يحاورهم من النصارى ، فقامت

لهم به أسواق ودرت لهم فيه معاش^١، وأوت^٢ إليه الفريخ فاداروا أسواره فصارت مدينة عظيمة، ثم بنوا به قلعة حصينة من أجل المعادل وأحصنها، وبقي الفريخ مستولين عليه حتى فتحه السلطان "صلاح الدين يوسف بن أيوب" رحمه الله على يد أخيه المعادل أبي بكر.

قال في "التعريف" : وكانوا قد عملوا فيه مراكب ونقلوها إلى بحر القلزم لقصد أبحار الشريف لأمر مسؤولتها لهم أنفسهم ، فأوقع الله تعالى بهم العزائم الضلاحية ، وألهم المعادلة ، فأخذوا ، وأمر بهم السلطان صلاح الدين فحملوا إلى متى ويحروا بها على بحرة العبة حيث تنحدر البدن بها ، واستقرت بأيدي المسلمين من يومئذ واتخذها ملوك الإسلام حزا ، ولأموالهم كثرا ، ولم يزل الملوك يستخفون بها أولادهم ويعدونها لمخاوفهم ، وهو بلد خصب ، وبواديه تحام وبساتين كثيرة وفواكه مفضلة . قال البلاذري في "فتوح البلدان" : وكانت مدينة هذه الكورة في القديم الفرندل .

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها)

قال في "التعريف" : وحدها من القبلة عقبة الصوان ، وحدها من الشرق بلاد البقاء ، وحدها من الشمال بحيرة سدوم المتقدم ذكرها ، وحدها من الغرب تيه بنى إسرائيل . ولها أربعة أعمال .

الأول - (عمل برهما) المختص ببلادها كما في غيرها من القواعد المتقدمة .

الثاني - (عمل الشوبك) - بالف ولام لازمتين وفتح الشين المعجمة المشددة وسكون الواو وفتح الباء الموحدة وكاف في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وهي من جبل الشراة ، وموقعها في الإقليم الثالث . قال ابن سعيد : طولها ست ونمسون

درجة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة. وقال في "تقويم البلدان": القياس أن طولها ثمان ونمسون درجة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة. وهي بلدة صغيرة أكثر دخولا في البر من الكرك، ذات عيون وجداول تجري، وبساتين وأشجار. وفواكه مختلفة. قال في "العزى": ولها قلعة مبنية بالحجر الأبيض على تل مرتفع أبيض مطل على النور من شربه. قال في "تقويم البلدان": ويبلغ من تحت قلعتها عيان: إحداها عن يمينها والأخرى عن يسارها كالعينين للوجه يحريان للبلد، ومنهما شرب أهلها وبساتينها. قال: وكانت بأيدي الفرنج مع الكرك وفتح بفتحها، وأقطعها السلطان صلاح الدين مع الكرك لأخيه العادل فأعطاهما لابنه المعظم عيسى، فأغشى بأمرهما وجلب إلى الشوبك غرائب الأشجار حتى تركها نضايي دمشق في بساتينها وتدق أنهارها وتزيد بطيب ماها.

قلت: وذكر في "مسالك الأبصار": لها عملين آخرين.

الثالث - (عمل زغر) - بضم الزاي وفتح النين المسجتين وفي آخرها راء مهملة - وهي مدينة قديمة متصلة بالبادية سميت زغر بنت لوط عليه السلام. قال في "تقويم البلدان": وهي حيث الطول سبع ونمسون درجة وعشر دقائق والعرض ثلاثون درجة وكسر.

الرابع - (عمل مغان) بضم الميم وفتح العين المهملة وألف ثم نون. قال ابن حوقل: وهي مدينة صغيرة كان يسكنها بنو أمية ومواليهم. قال في "مسالك الأبصار": وقد خربت هي وعملها ولم يبق بها أحد، وتعرف بمغان بن لوط عليه السلام. قال في "كتاب الأطوال": وهي حيث الطول سبع ونمسون درجة والعرض ثلاثون درجة. قال في "تقويم البلدان": وبينها وبين الشوبك مرحلة.

(١) ضبطها ياقوت بالفتح ثم قال "والحدثون يروونه بالضم".

الطَّرَفُ الثَّانِي

(من الفصل الثاني، من الباب الثالث، من المقالة الثانية، فيمن ملك البلاد الشامية، وملوكها على قسمين)

القسم الأول

(ملوكها قبل الإسلام)

ولم يزل مجموعا قبل الإسلام للملك واحد : إما بمفرده وإما مع غيره .
وملوكه في الجاهلية على أربع طبقات ^(١) .

الطبقة الأولى

(ملوكها من الكنعانيين)

وهم بنو كنعان بن مازيع بن سام بن نوح عليه السلام ، وقيل هم من ولد سام ابن نوح . وكان كنعان قد نزل الشام بجهة فلسطين عند تبليد الأكنة بعد الطوفان ، وتوارثها بنوه بعد ذلك ، وكان كل من ملك منهم يقب بجالوت إلى أن انتهى الملك إلى رجل منهم اسمه كلياذا ، وهو جالوت الذي قتله داود عليه السلام ، وقتله تمزق بنو كنعان وباد ملكهم وزال . وكان في ذلك ^(٢) بناء من أطراف الشام ملوك من العماليق ، وهم بنو عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ، أنتقلوا إليه من الحجاز ، وهم الذين قاتلهم موسى عليه السلام ، وكان آخر من ملك منهم الشام والحجاز لأرقم بن الأرقم الذي قتله بنو إسرائيل حين وجههم موسى عليه السلام في آخر عمره إلى الحجاز على ما سياتي ذكره في الكلام على ملوك المدينة إن شاء الله تعالى .

(١) المدد خمس .

(٢) في القاموس "لاوذ بن لادم بن سام" .

الطبقة الثانية

(ملوكها من بني إسرائيل)

وأولهم (طالوت) الذي ذكره الله تعالى في القرآن بقوله : (إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا) وأسمه شاول بن قيس^(١)، ولم يكن لهم قبل ذلك ملك بل حكام وقضاة يحكون؛ وبقى حتى قتل في قتال الفلسطينيين .

وملك بعده (داود عليه السلام) وكانت دار ملكه بالقدس؛ وفتح فتوحات كثيرة من أرض فلسطين وعُمان ومارب وحلب ونصيبين وغير ذلك، فأقام في الملك أربعين سنة .

وتولى ذلك بعده ابنه (سليمان عليه السلام) وعمره اثنتا عشرة سنة، وعمر بيت المقدس وفتح منه في سبع سنين، وتوفي لأربعين سنة من ملكه .

وملك بعده ابنه (رحبعم) على سبطين من بني إسرائيل خاصة، ونرج عنه عشرة أسباط فملكوا عليهم غيره، وبقى في الملك سبع عشرة سنة .

[وملك بعده ابنه (أبيا) وهلك لثلاث سنين^(٢)]

وملك بعده ابنه (أشأ) لإحدى وأربعين سنة وتوفي .

فملك بعده ابنه (يهوشافاط) نحسا وعشرين سنة وتوفي .

فملك بعده ابنه (يهورام) ثمان سنين وتوفي .

فملك بعده ابنه (أحزيا هو) ستين سنة، وتوفي فبقى الملك شاعراً ففكت فيه امرأة ساحرة اسمها عتليا فأقامت في الملك سبع سنين^(٣) .

(١) كما في حاشية الجبل أيضاً في "مروج الذهب" "شاول بن بشر" وهو تصحيف .

(٢) الزيادة عن ابن خلدون في المبر (ج ٢ ص ١٠١) .

(٣) أناد في المبر أنها أم أحزيا هو .

ثم ملك بعدها (يُؤاش) فأقام في الملك أربعين سنة ومات .
 فللك بعده أبنة (أَمْصِيَاهُو) تسعا وعشرين سنة وتوفى .
 فللك بعده (عُزْرِيَاهُو) اثنتين وخمسين سنة وتوفى .
 فللك بعده أبنة (يُؤثم) ست عشرة سنة ؛ ويقال إن يونس عليه السلام كان في زمنه .
 ثم ملك بعده أبنة (أَسَاز) ست عشرة سنة أيضا ، وكانت الحرب بينه وبين ملك
 دِمَشْق ؛ وفي زمنه كان شُعَيْب عليه السلام ، وتوفى .
 فللك بعده أبنة (هُو حَرْقِيَا) وأتقاده لهُ بَقِيَّةُ الْأَسْبَاطِ فللك جميعهم ، وأقام في الملك
 تسعا وعشرين سنة ثم توفى .
 فللك بعده أبنة (مَلْشَا) خمسًا وخمسين سنة ثم توفى .
 فللك بعده أبنة (أَمُون) ستين [وقيل ثلثي عشرة] سنة وتوفى .
 فللك بعده أبنة (يُوشِيَا) إحدى وثلاثين سنة ، وجمدت عمارة بيت المقدس ، ثم توفى .
 فللك بعده أبنة (يهو ياجور) ثلاثة أشهر ، وغزاه فرعون مصر فأخذه أسيرا .
 وملك بعده أخوه (يهو ياقيم) إحدى عشرة سنة ودخل تحت طاعة بُحْت نَصْر ،
 ثم استخلف بُحْت نَصْر مكانه أبنة (يُحْنِيذ) بن يهو ياقيم فأقام مائة يوم .
 ثم استخلف مكانه عمه صَدَقِيَا إحدى عشرة سنة ، فأقام على طاعة بُحْت نَصْر
 تسع سنين ، ثم عصى عليه بفهز إليه جيشا ففتح المقدس بالسيف وحرقه وهدم بيت
 المقدس الذي بناه سليمان عليه السلام وأخذ صَدَقِيَا المذكور أسيرا ، وهو آخر من
 ملك منهم . وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ
 عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ الآية . ٢

(١) في الخبر "يؤاب" . (٢) الزيادة عن ابن خلدون في "البر" .

الطبقة الثالثة

(ملوكها من الفُرس)

قد تقدم في الكلام على ملوك مصر أن بُحَّتْ نَصْرَكان ناثبا لبهراسف ملك الفُرس إلى حين غلبته على الشام فأستقرَّ الشام في مملكة الفُرس مع مصر من لدن بهراسف المذكور إلى غلبة الإسكندر على دارا ملك الفُرس على ما تقدم في الكلام على ملوك مصر، وفي خلال ذلك عُمر بيت المقدس بعد أن بقي سبعين سنة خرابا من تخريب بُحَّتْ نَصْر. وأختلف فيمن عمَّره، فقيل أردشير، وقيل ابنه دارا، واليهود تسمي الذي عمَّره من الفُرس كيرش ويقال كورش.

الطبقة الرابعة

(ملوكها من اليونان)

وأول من ملك الشام منهم الإسكندر بن فيلبس حين ظهر على ملوك الفُرس مضافا إلى مصر، وبقي على ذلك حتى مات، فلك بعض الشام مع العراق انطياخس، وملك بعضه مع مصر البطالسة من ملوك اليونان من ولد بطليموس المنطقي إلى حين أنقراضهم بقتل أغشطش ملك الروم قلوبطرا آخر ملوكهم بمصر على ما تقدم ذكره في الكلام على ملوك الديار المصرية.

الطبقة الخامسة

(ملوكها من الروم)

وأول من ملكها منهم أغشطش المقدم ذكره حين غلب على قلوبطرا آخر ملوكهم، وبقي بأبدى الروم إلى حين الفتح الإسلامي، يتداولونه مع مصر ملكا بعد ملك على ما تقدم في الكلام على ملوك الديار المصرية.

القسم الثاني

(من ملوك الشام ملوكه في الإسلام؛ وهم على ضربين)

الضرب الأول

(عُمَل الصُحابة رضوان الله عليهم فمن بعدهم من نُوَّاب الخلفاء)

(إلى حين أسقلاء الملوك عليه)

وأول من وليه في الإسلام (أبو عبيدة بن الجراح) رضى الله عنه، عند فتحه في خلافة أمير المؤمنين: عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ثم صُرف عنه ووليه (معاوية بن أبي سفيان) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أيضاً، فبقي إلى أن سلم الحسن إليه الأمر ونزل له عن الخلافة في سنة إحدى وأربعين من الهجرة، وتوالت عليه خلفاء بني أمية، واختاروه داراً لخلافتهم من لدن معاوية وإلى آخر أراض دولتهم بقتل (مروان بن محمد) آخر خلفائهم على ما تقدم ذكره في الكلام على من ولي الخلافة.

ثم كانت دولة بني العباس فوليتها في خلافة السفاح عمه (عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس) في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فبقي أيام السفاح وبعض أيام المنصور بعده، ثم صرفه المنصور بولاية (أبي مسلم الخراساني) الشام ومصر في سنة سبع وثلاثين ومائة، ثم قتله المنصور بعد ذلك في السنة المذكورة. وتوالى عليه بعد ذلك عُمَل خلفاء بني العباس إلى أن وليها (عبد الصمد) بن علي، ثم عزله الرشيد وولّى مكانه (إبراهيم بن صالح بن علي) ثم توالى عليه العُمَل إلى أن غلب عليه (أحمد بن طولون) مع مصر على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

(١) سق في تحرير عن الشام جيل الثالث والخامس، والأمر واضح.

الضرب الثاني

(مَنْ وَلِيَهَا مُلْكًا)

قد تقدم أن القواعد العظام بالشام ست قواعد : وهي دِمَشْقُ ، وحَلَبُ ، وحمَاةُ ، وأطرابلسُ ، وصدُدُ ، والكرْكُ . وكل قاعدة من القواعد الست تستعمل على مملكة . فاما (دِمَشْقُ) فأول ملوكها (أحمد بن طولون) صاحب مصر بعد موت مُقَطَّمِها أماجور في سنة أربع وستين ومائتين ؛ وذلك أول اجتماع مصر والشام لملك واحد في الإسلام ؛ ثم ملكها بعده مع مصر ابنه (تُحَارَوِيَّةُ) ؛ ثم (هارون بن حمارويه) ، وكان طنج بن جف نائباً عنهما بها ، وفي أيام هارونَ تطلبت القرامطة على دِمَشْقُ ؛ ثم أترعها منهم (المكفني بالله) خليفة بُدَادَ في سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وأقام عليها (أحمد بن كيخسرو) أميراً ، فبقى بها بقية أيام المكفني ، ثم أيام المقنذر ، ثم أيام الظاهر . فلما ولي الرضا الخلافة ، عزله عنها في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، وولى عليها (الأخشيد) وهو محمد بن طنج بن جف ، وذلك قبل أن يلى مصر في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة فاستناب على دِمَشْقُ بدر الأخشيدى ، فأتبعها منه (عبد بن رائق) في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، وأستخلف عليها (أبا الحسين أحمد بن علي بن مقاتل) في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، ثم أترعها منه (الأخشيد) المقدم ذكره بعد ذلك و بقيت معه حتى مات في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، فوليا بعده ابنه (أوجور) وهو صغير ، وقام بتدبير دولته كافور الأخشيدى الخادم ، ثم أترعها منه (سيف الدولة بن حمدان) صاحب حَلَبُ الآتي ذكره ، ثم أترعها منه (كافور الأخشيدى) المقدم ذكره وولى عليها بدر الأخشيدى الذى كان بها أولاً ، فأقام بها سنة ؛ ثم وليها (أبو المظفر

(١) له سقط قبله "جيش بن حمارويه" فان ابن طنج كان نائباً عن جيش هارون كما يرشد مما ساق له في الكلام على حلب .

أين ضفج) ثم لما مات أنوجور بن طنج، ملكها مع مصر أخوه (علي بن طنج) ثم (كافور) بعده، ثم (أحمد بن علي بن الأخشيد) بعده، وهو آخر من ملك منهم على ما تقدم في الكلام على ملوك مصر.



ثم كانت الدولة الفاطمية بمصر: فلعلها (جوهراً) قائد المميز الفاطمي وخطب بها لمولاه المميز وأذن بجي علي خير العمل في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وقطعت الخطبة العباسية منها، وأقام بها جعفر بن فلاح نائباً، ثم تقلبت القرامطة عليها في سنة ستين وثلاثمائة، ثم أقبلها منهم (نعمان) وولي عليها ريان الخادم، ثم غلب عليها (انكين) مولى مع الدولة بن بويه الديلمي، وقطع الخطبة منها للمميز الفاطمي، وخطب الخليفة بغداد في سنة أربع وستين وثلاثمائة، ثم أترعها (المميز الفاطمي) بعد ذلك وقبض عليه وأحضره معه إلى مصر، ثم بعد موت المميز وولاية أبنة العزيز تغلب عليها شخص اسمه (قسام) إلا أنه كان يخطب فيها للعزيز، ثم أترعها منه (العزيز) وقرر فيها (بكتكين) في سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة، ثم أترعها منه (بكجور) مولى قرقويه صاحب حلب بأمر العزيز الفاطمي صاحب مصر في سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة، ثم أترعها منه وقرر فيها (منيراً الخادم) في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة، ثم استعمل الحاكم بن العزيز الفاطمي عليها (أبا محمد الأسود) في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، ثم أترعها منه (أنوش تكين) الذي يرى بأمر المستنصر الفاطمي في سنة تسع وعشرين وأربعمائة، ثم أمر بالخروج عن طاعته في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، فخرج عنها وفسد أمرها بذلك، ثم تغلب عليها (أنس بن أرتق) الخوارزمي أحد أمراء السلطان

(١) الضبط عن أبي القداء، ونسبه إلى دزير بن رستم الديلمي.

(٢) أن أمر المستنصر أهل دمشق بالخروج عن طاعة العزيز.

ملكشاه السلجوقي في سنة ثمان وستين وأربعمائة، وقطع الخطبة بها للاستنصر الفاطمي وخطب للعتدي العباسي، ومنع من الأذان بجي على خير العمل، ولم يخطب بعد ذلك بالشام لأحد من الفاطميين، ثم غلب عليها (نُش بن ألب أرسلان) بن داود بن ميكايل بن سلجوق. وملكها في سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وتوفي؛ فلحقها بعده أبنة (دقاق) وأشرك معه في الخطبة أخاه وضوان صاحب حلب مقدما لرضوان في الذكر في الخطبة بعد حرب جرت بينهما، وتوفي دقاق سنة تسع وتسعين وأربعمائة، فخطب طغتكين أتابك دولته لأبن دقاق، وهو طفل عمره سنة واحدة، ثم قطع الخطبة له وخطب لعمه بلشاش بن نُش، ثم قطع الخطبة لبلشاش وأعاد الخطبة للطفل، وهو آخر من خطب له بلشمش من بني سلجوق؛ ثم استقر (طغتكين) المقدم ذكره في ملك دِمَشْق بنفسه، وبقي حتى توفي في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة؛ وملك بعده أبنة (تاج الملوك توري) بعهد من أبيه، وتوفي سنة ست وعشرين وخمسمائة؛ وملك بعده أبنة (شمس الملوك إسماعيل) بعهد من أبيه.

١١ ثم ملك بعده أخوه (شهاب الدين محمود بن توري) فبقي حتى قتل في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وملك بعده أبنة (عجير الدين أرتق) وفي أيامه تغلب الفرنج على ناحية دِمَشْق.

ثم آتت بها منهم الملك العادل (نور الدين محمود بن زنكي) المعروف بنور الدين الشهيد وملكها في سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وأجمع له ملك سائر الشام معها، وهو الذي بنى أسوار مدن الشام حين وقمت بالزلازل كدِمَشْق وحماة وحص وحب وبيمار وبعلي وغيرها؛ وتوفي فلك بعده أبنة (الملك الصالح إسماعيل) وعمره إحدى عشرة سنة، وبقي بها حتى آتت بها منه السلطان (صلاح الدين يوسف بن أيوب) صاحب مصر في سنة سبعين وخمسمائة، وقرر فيها أعلام سيف الإسلام طغتكين بن أيوب؛

ثم استخلف عليها السلطان صلاح الدين بعد ذلك ابن أخيه عز الدين (فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب) في سنة ست وسبعين وخمسمائة؛ ثم صرفه عنها وقرر فيها ابنه الملك الأفضل (نور الدين عليا)؛ وهو الذي وُزِّرَ له الوزير ضياء الدين بن الأثير صاحب "المثل السائر".

ثم أترعها منه أخوه الملك العزيز (عُثمان ابن السلطان صلاح الدين) صاحب مصر بعد وفاة أبيه بمعاودة عمه العادل أبي بكر في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، والخليفة يومئذ بفساد الناصر لدين الله. وكان يميل إلى التشيع، فكتب إليه الأفضل على استحيشه على أخيه العزيز عُثمان وعمه العادل أبي بكر؛ من شعره :

مَوْلَايَ ! إِنِّ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمَصَاحِبُهُ • عُثْمَانُ قَدْ غَضِبَا بِالسَّيْفِ حَقِّي عَلَى !
فَانْظُرْ لِي حَظَّ هَذَا الْأَسْمِ كَيْفَ لَنِي • مِنْ الْأَوَّامِرِ مَا لَا قِيَّ مِنْ الْأَوَّلِ !
فكتب إليه الناصر لدين الله في جوابه :

غَضَبُوا عَلَيَّ حَقَّهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ • بَعْدَ النَّجَى لَهُ يَسْتَرْبِ النَّاصِرُ
فَاصْبِرْ فَإِنَّ غَضَبَ عَيْنَيْهِمْ • وَأَيُّشُرْ فَتَأْخُذُكَ الْإِمَامُ النَّاصِرُ !

ولكنه لم يجاوز القول إلى الفعل؛ ثم سلمها العزيز بعد ذلك لعمه (العادل أبي بكر) فقرر فيها ابنه الملك المعظم عيسى مضافة إلى ما بيده من الكرك والشوبك، وكان يطلب فيها لأبيه العادل، ثم لأخيه الكامل محمد صاحب مصر، وبقى حتى توفي في سنة أربع وعشرين وستمائة؛ وملك بعده ابنه (الملك الناصر صلاح الدين داود)، وهو صغير.

ثم أترعها منه الملك الناصر (محمد بن العادل أبي بكر) صاحب مصر واستخلف فيها أخاه الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل أبي بكر، فبقى حتى توفي في سنة خمس وثلاثين وستمائة.

وملكها بعده أخوه (الملك الصالح إسماعيل بن العادل أبي بكر) بهمد منه [فأترعها منه الملك الكامل بن العادل أبي بكر] في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وستمائة^(١) وتوفي في السنة المذكورة .

فملك بعده الملك الجواد (يونس بن مودود) بن العادل أبي بكر .

ثم أترعها منه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) بن العادل أبي بكر في سنة ست وثلاثين وستمائة ، ثم أقام فيها الملك المنيع فتح الدين عمر نائباً عنه .

ثم أترعها منه (الملك الصالح إسماعيل بن العادل أبي بكر) صاحب بعلبك في سنة سبع وثلاثين وستمائة .

ثم أترعها منه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) بن الكامل محمد صاحب مصر وتسلمها له (معين الدين بن الشيخ) في سنة ثلاث وأربعين وستمائة وتوفي قبل أن يتسلمها فتسلمها له حسام الدين بن أبي علي في السنة المذكورة ، ولم يزل بيد نواب الصالح أيوب حتى مات في سنة سبع وأربعين وستمائة .

ثم ملكها بعده وفاته (الملك الناصر يوسف) بن العزيز محمد صاحب حلب في سنة ثمان وأربعين وستمائة ، فبقي بها إلى أن غلب عليها هولاكو في سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وكانت آخر أمر الناصر المذكور أنه لحق بهولاكو لمذكوره فأقام عنده مدة ثم قتله .^(٢)



ثم كانت الدولة التركية فلما منهم (الملك المظفر قطز) صاحب مصر حين غلبته التتار على عين جالوت ، ثم توالى عليها نواب ملوك الترك من لدن المظفر قطز وإلى

(١) الزيادة من أبي الفداء ليستقيم الكلام .

(٢) أى الملك الكامل .

(٣) أى نائباً عن العادل بن الكامل .

سلطنة (الناصر فرج) بن الظاهر بقوق في زماننا على ما تقدم ذكره في الكلام على ملوك الديار المصرية ؛ ولم أقف على أسماء توابها لطول المدة وقلة اعتناء المؤرخين بذكر أسمائهم .



وأما حلب فقد هتتم أن متزل الجند في ابتداء الإسلام كان يقسرين ، ثم طرأت عليها حلب بعد ذلك وأضعفتها . ولعل ابتداء أمرها كان في ابتداء الدولة الطولونية ، وقد كان أحمد بن طولون استولى عليها حين استيلائه على دمشق وصارت في ملكه تبعاً للديار المصرية كدمشق . وكان بها توابه ثم تواب ابنه نحمارويه ، ثم تواب جيش ابن نحمارويه ، ثم هارون بن نحمارويه في نيابة طنج بن جف عن هارون وجيش المذكورين ؛ ثم كانت مع دمشق في نيابة أحمد بن كينغ ، ثم في نيابة الأخشيدي محمد ابن طنج بن جف قبل أن يلى مصر ، ثم في نيابة بدر الأخشيدي على ما تقدم في الكلام على مملكة دمشق .

ثم أترعها من بدر الأخشيدي (سيف الدولة بن حمدون) التغلبي الربيعي ؛ وملكها في سنة ثلاث وثلثائة ، وبقي بها حتى توفي في سنة ست وخمسين وثلثائة ؛ وملكها بعده ابنه (سعد الدولة أبو المعالي شريف) .

ثم أترعها منه (قرعويه) غلام أبيه في سنة ثمان وخمسين وثلثائة ، ثم غلب عليها (بكجور) غلام قرعويه المذكور بعد ذلك وأقلعها منه .

ثم أترعها منه (سعد الدولة) المقدم ذكره ، ثم هلك بها أبو علي بن مروان من الخليفة الفاطمي يومئذ بمصر في سنة ثمانين وثلثائة ولم يدخلها ، وبقيت بيد سعد الدولة المذكور حتى توفي بالفالج في سنة ثلاث وتسعين وثلثائة .

ثم ملك بعده ابنه (أبو الفضل) مكانه .

ثم أترعها منه (أبو نصر بن لؤلؤ) وخطب بها للحاكم الفاطمي، ثم أمره الحاكم بتسليمها إلى توابه بها فتسلموها منه وأستقرت بأيديهم حتى آتت إلى نائب من توابه أسمه (عزيز الملك) فبقى بها بقية أيام الحاكم وبعض أيام أبنه الظاهر، ثم وليا عن الظاهر رجل يقال له (أبن شعبان) ثم تغلب عليها (صالح بن مرداس) أمير بني كلاب في سنة أربع وعشرين وأربعمائة، ثم قتل في أيام الظاهر الفاطمي فلحقها بعده (شبل الدولة نصر بن صالح) .

ثم أترعها منه (أنوش تكين الدزير) بأمر المستنصر العلوي في شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وبقى حتى توفي في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، وملكها بعده (معز الدولة شمال بن صالح بن مرداس) ثم ملك قلعها بعد ذلك في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة، ثم تسلمها منه مكين الدولة (الحسن بن علي بن ملهم) في سنة تسع وأربعين وأربعمائة بصلح وقع بينه وبين الفاطميين على ذلك .

ثم أترعها منه (محمود بن شبل الدولة) بن صالح المتقدم ذكره، وملك قلعها في سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة .

ثم أترعها منه (معز الدولة شمال بن صالح) في ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة، وبقى بها حتى توفي في ذي القعدة سنة أربع وخمسين وأربعمائة .

وملكها بعده أخوه (عطية بن صالح) في السنة المذكورة .

ثم أترعها منه أبن أخيه (محمود بن شبل الدولة) المتقدم ذكره في رمضان سنة أربع وخمسين وأربعمائة، وبقى بها حتى توفي في ذي الحجة سنة ثمان وستين وأربعمائة .

وملكها بعده أبنه (نصر بن محمود) ثم قتله التركمان .

وملكها بعده أخوه (سابق بن محمود) .

ثم أترعها منه شرف الدولة (مسلم بن قريش) صاحب الموصل، وقتل في صفر سنة سبع وسبعين وأربعمائة .

وملكها بعده أخوه (إبراهيم بن قريش) .

ثم أترعها منه (نُشْر بن ألب أرسلان) السلجوق صاحب دِمَشْق في السنة المذكورة .

ثم أترعها منه (السلطان ملكشاه السلجوق) وسلمها إلى قسم الدولة آقسنقر؛ ثم استعاضها (نُشْر بن ألب أرسلان) المتقدم ذكره بعد موت ملكشاه وأستضافها إلى دِمَشْق، وأنبسط ملكه حتى ملك بعد ذلك أذَرَبَيْجَان، وبقي حتى قتل في صفر سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

وملكها بعده ابنه (رضوان) في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وبقي حتى توفي في سنة سبع وخمسمائة .

وملكها بعده ابنه (سلطان شاه بن رضوان) .

ثم أترعها منه (الغازي بن أرتق) صاحب ماردين وسلمها إلى ولده حسام الدين ترناش؛ ثم غلب عليها (سليمان بن أرتق) وعصى بها على أبيه فأترعها أبوه منه وسلمها إلى ابن أخيه (سليمان بن عبد الجبار بن أرتق) في رمضان سنة ست عشرة وخمسمائة .

ثم أترعها منه عمه (بلك بن بهرام بن أرتق) ، وبقي بها حتى قتل في سنة سبع عشرة وخمسمائة؛ وملكها بعده ابن عمه (ترناش بن الغازي) في ربيع الأول من السنة المذكورة؛ ثم حاصرها الفرنج، وهى في يده فخلصها منهم آقسنقر البرسقي صاحب الموصل، وملكها مع ماردين في السنة المذكورة، وبقي حتى قتلته الباطنية في سنة عشرين وخمسمائة .

وملكها بعده أبنه (عز الدين مسعود) وأستخلف بها أميرا من أمرائه أسمه قايماز، ثم أستخلف عليها بعده وجلا أسمه كيفلغ .

ثم أترعها منه (سليان بن عبد الجبار) بن أرتق المقدم ذكره .

ثم أترعها منه (عماد الدين زنكى) : صاحب الموصيل في المحرم سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ، وملك معها حماة وخص وبلبك ، وبقى حتى قتله غلمائه في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وخمسمائة .

ثم ملك بعده أبنه الملك العادل (نور الدين محمود) وبقى الى أن توفى .

وملك بعده أبنه (الصالح إسماعيل) فبقى بها بعد ملك السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب ديمشق حتى توفى بها في سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

وملكها بعده بوصية منه ابن عمه (عز الدين مسعود) بن مودود بن زنكى بن مودود في السنة المذكورة .

ثم أترعها منه السلطان (صلاح الدين يوسف بن أيوب) في سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، وقر فيها أبنه الظاهر غياث الدين غازى .

ثم أترعها منه وسلمها لأخيه (العادل أبى بكر بن أيوب) في السنة المذكورة ، ثم أعاد إليها أبنه الظاهر غازى المقدم ذكره في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ، فبقى بها حتى توفى في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة .

وملكها بعده أبنه (الملك العزيز محمد) فبقى بها حتى توفى في ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وستمائة .

ثم ملكها بعده أبنه الملك (الناصر يوسف) وعمره سبع سنين ولم تزل بيده حتى أسترلت عليها النار في سنة ثمان وخمسين وستمائة .



ثم كانت الدولة التركية . فكان أول من ملكها من ملوك الترك (المظفر قُطُز) حين كسر التار على عين جالوت على ما تقدم ذكره في الكلام على مملكة دِمَشْق ؛ ثم توالى عليها ثواب ملوك الترك من لدن المظفر قطز وإلى زماننا في سلطنة الناصر فرج بن الظاهر بقوق على ما تقدم ذكره في الكلام على مملكة الديار المصرية .



وأما حماة فقد تقدم في الكلام على قواعد الشام أن الذكر في القديم إنما كان لِحِصٍّ ، وأنا تبَّهت حماة في الذكر في الدولة الأتابكية : عماد الدين زنكي . وذلك أن حماة كانت تبعاً لغيرها من الممالك ، تارة تضاف إلى دِمَشْق ، وتارة إلى حَلَب ما فكانت مع دِمَشْق بيد (طُغْتِكِين) أتابك دولة رضوان بن نُتُش السلجوقي في سنة تسع وخمسمائة .

ثم آثرها منه السلطان (محمد بن ملكشاه السلجوقي) في السنة المذكورة ، وسامها للأُمير (فيريخان بن قراجا) .

ثم ملكها (توري بن طُغْتِكِين) وقرربها أبنه سوبج فبقيت بيده حتى آثرها منه عماد الدين زنكي في سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة .

ثم آثرها منه بعد ذلك (تاج الملوك إسماعيل بن توري) بن طُغْتِكِين السلجوقي في سنة سبع وعشرين وخمسمائة .

ثم ملكها (العال نور الدين محمود بن زنكي) مع دِمَشْق وحَلَب وغيرها في سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ؛ ثم صارت بعده مع غيرها من البلاد الشامية إلى أبنه (الصالح إسماعيل) فبقيت بيده حتى آثرها منه السلطان (صلاح الدين يوسف)

أبن أيوب) في سنة سبعين وخمسمائة، وقرر فيها خاله شهاب الدين الحارثي، ثم قرر فيها أخاه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب في سنة أربع وسبعين وخمسمائة، فبقيت بيده حتى توفى في سنة سبع وثمانين وخمسمائة.

فوليا بعده آبنه الملك المنصور (ناصر الدين محمد) فبقى بها حتى أترعها منه أخوه (الملك المظفر محمود) في سنة ست وعشرين وستمائة، فبقى بها حتى توفى في سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

ووليا بعده آبنه (الملك المنصور محمد) فبقى حتى غلب عليها هولاكو ملك التار مع ديشق وحلب وغيرها، فقرّر بها المظفر قطز صاحب مصر بعد هزيمة التار، فبقى بها حتى توفى في سنة ثلاث وثمانين وستمائة.

فوليا بعده آبنه (المظفر شادي) عن المنصور قلاوون صاحب مصر بعد منه، وبقى بها حتى توفى في سنة ثمان وتسعين وستمائة في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون في سلطنته الثانية.

فولّى الملك الناصر مكانه (قراستقر) أحد أمراءه نائباً عليها، وكان العادل كتباً بعد خلعه من السلطنة قد استقر نائباً بصرخه فتقله الملك الناصر محمد بن قلاوون إليها بعد هزيمة غازان ملك التار، وجعله نائباً بها في سنة اثنتين وسبعمائة، ومات بعد ذلك.

فولّى الملك الناصر مكانه في نيابتها (قبيجق) أحد أمراءه ثم صرفه عنها.

وولّى مكانه (أستدر الكرجي) ثم صرفه عنها بعد عوده من الكرك.

وولّى فيها الملك المؤيد (عماد الدين إسماعيل) بن الأفضل عليّ، بن المظفر عمر سلطنة عليّ عادة من تقدمه فيها من الملوك الأيوبية، وكتب له بذلك عهداً عنه، فبقى بها إلى أن توفى في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة.

فولى السلطان الملك الناصر مكانه ابنه (الملك الأفضل محمد) وكتب له بذلك عهداً أيضاً، فبقى بها حتى أزاله قُوصُون أتابك السّاكر فى سلطنة المنصور أبى بكر ابن الناصر محمد بن قلاوون فى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة .

وولى مكانه الأمير (طغزدمش) نائباً بها، واستقرت نيابة إلى الآن، يتوالى عليها نواب ملوك مصر نائباً بعد نائب إلى زماننا كغيرها من الممالك الشامية، وأقطعت مملكة بجى أيوب من الشام بذلك .



وأما أطرا بلس، فكان قد قلب عليها قاضيا أبو علي بن عمار وملكها وطالت مدته فيها .

ثم أترعها منه (المنتصر الفاطمى) خليفة مصر مع غيرها من السواحل الشامية، فبقيت بيده حتى طلب عليها القومص فللكها فى سنة ثلاث وسبعمائة، فبقيت فى أيدي الفرنج من حينئذ إلى أن فتحها "الملك المنصور قلاوون" أحد ملوك الديار المصرية فى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة بعد أن مضى عليها فى يد الفرنج مائة وخمسة وثمانون سنة وأعجز فتحها من مضى من ملوك بجى أيوب فن بعدهم . ومن حين فتحها جعلت نيابة، وتوالى عليها نواب ملوك مصر من لدنه إلى زماننا .



وأما صفد، فقد هدم فى الكلام على قواعد الممالك الشامية أنها كانت فى القديم قرية وأن الفرنج التتوية بنتها واستحدثت حصنها فى سنة خمس وسبعين وأربعمائة . ثم فتحها (الظاهر بيبرس) بعد ذلك فى رابع عشر شوال سنة أربع وستين وسبعمائة، وقرزم بها الأمير كيندى الملائى نائباً، وتوالى عليها بعد ذلك نواب ملوك مصر من لدن الظاهر بيبرس وإلى زماننا فى سلطنة الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق .



وأما الكرك، فقد تسلم أن قلعها كانت ديراً لرهبان، وكانت بيد الفرج، وأن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة أربع وثمانين وخمسمائة فتحها، وقدر فيها أخاه (الملك العادل أبا بكر بن أيوب) فبقيت بيده إلى أن مات السلطان صلاح الدين، فقدر فيها أبنه (الملك المعظم عيسى) فبقيت في يده إلى أن استضاف إليها دمشق، وتوفي في سنة أربع وعشرين وستمائة.

وملكها بعده أبنه (الملك الناصر صلاح الدين داود) في سنة ست وعشرين وستمائة، وبقى إلى سنة سبع وأربعين وستمائة، فاستخلف عليها أبنه (الملك المعظم عيسى) بعد أن أخذ منه غالب بلاده وفر بنفسه.

ثم أمتنع (الصالح نجم الدين أيوب) الكرك من المعظم عيسى بن الناصر داود في السنة المذكورة، وأقام بها بدر الدين الصواي نائباً عنه، وبقى الناصر داود بعد ذلك مُشرداً في البلاد إلى أن مات في سنة خمس وخمسين وستمائة، وكان من أهل العلم والورع، وله شعر رائق، منه :

أَلَا لَيْتَ أُمِّي أَيْمٌ طُولَ دَهْرَهَا * وَلَمْ يَقْضِهَا رَبِّي لِمَوْلَى وَلَا بَعْلًا
وَيَا لَيْتَهُنَّ لَمَّا قَضَاهَا لَسِيدٌ * لَيْسَ أَرِيْبٌ طَيْبُ الْفَرْعِ وَالْأَصِيلِ،
قَضَاهَا مِنَ اللَّائِي خُلِقْنَ عَوَاقِرًا * وَلَا بُشْرَتْ يَوْمًا بَأْتِي وَلَا فَعِلِ
وَيَا لَيْتَهَا لَمَّا غَدَتْ بِي حَامِلًا * أُصِيبَ مِنِّي أَحَقَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمَلِ
وَيَا لَيْتَنِي لَمَّا وُلِدْتُ وَأُصْبَحْتُ * تُسَدُّ إِلَى الشَّدَقِيَّاتِ بِالرَّحْلِ،
لَحِقْتُ بِأَسْلَافِي فَكُنْتُ هَجِيمَهُمْ * وَلَمْ أَرِ فِي الْإِسْلَامِ مَا فِيهِ مِنْ مُثُلِ

وكان الملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب معتقلاً بالشَّوَبِك، فأخرجه الصَّوَابِي نائب الملك الصالح وملكه الكَرْك فبقى بها حتى قبض عليه الملك الظاهر بيبرس وقتله في سنة إحدى وسبعين وستمائة، وهو آخر مَنْ ملكها من بني أيوب.

قلت: وأما غير هذه الممالك الخمس وبعلبك فإنما كانت في الغالب تبعا لغيرها حتى إن حصص وبعلبك حين استولت التتار على الشام في آخر الدولة الأيوبية كانتا مضافتين إلى دِمَشْق.

وأعلم أن غالب أطراف البلاد الشامية ومضافاتها كانت بأيدي ملوك متفرقة من قديم الزمان وبعضها حلت آنفراده، ثم تنقلت بها الأحوال حتى استولى على كثير منها أهل الكُفْر، وصارت بأيديهم إلى أن قبض الله تعالى لها مَنْ فتحها؛ ثم استعاد أهل الكُفْر منها ما استعادوا، ثم فتح ثانيا على ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى. من ذلك القُدُس كانت بيد نُش بن ألب أرسلان السَلْجُوق صاحب دِمَشْق المتقدم ذكره. كان قد أقطعها للأمير أرتُق جد ملوك مَارِدِين الآن. فلما توفى أرتُق المذكور صار القُدُس لولديه إيفازي وسُقْمَان، وبقي بينهما إلى أن أقرعه منهما (المستنصر الفاطمي) في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة، وبقي بيده إلى أن ملكه الفرنج منه في سنة أربعين وتسعين وأربعمائة، بعد أن بَلَغُوا السيف في المسلمين نحو سبعة أيام وقتلوا في المسجد الأقصى ما يزيد على تسعين ألف نفس، وبقي بيديهم حتى فتحه السلطان (صلاح الدين يوسف بن أيوب) في سنة أربع وثمانين وخمسمائة، ثم استعاد الفرنج من الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بمهادنة جرت بينهم في سنة ست وعشرين وستمائة.

ثم أقرعه منهم (الملك الناصر داود) صاحب الكَرْك في سنة سبع وثلاثين وستمائة.

ثم سلمه (الصالح إسماعيل) صاحب دِمَشَق (والناصر داود) صاحب الكَرَك المتقدم ذكره للفرنج بعد ذلك ليكونوا عوناً لها على الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر في سنة إحدى وأربعين وستمائة .

ثم فتحه الصالح (نجم الدين أيوب) صاحب مصر وأقتله من أيديهم في سنة اثنتين وأربعين وستمائة ، فأستمر بأيدي المسلمين إلى الآن .
ومن ذلك بلاد السواحل الشامية كانت بأيدي أناس منفزة .

فأما أطرابلس وصَفَد فقد تقدم الكلام عليهما في الكلام على ملوك الممالك الشامية . وأما غيرها من بلاد السواحل وما والاها ، فإن غالبها كان بيد الفاطميين خلفاء مصر إلى أن ضعفت دولتهم في أيام المستنصر أحد خلفائهم ، فقصدت الفرنج هذه السواحل من كل جهة وأستولوا على بلادها شيئاً فشيئاً .

فأستولوا على عكا وجبيل في سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، وعلى صيدا في سنة أربع وخمسمائة ، وأسنشروا فسادهم حتى ملكوا بيروت وعسقلان وصور وأنطرسوس والمرقب وأرسوف والألاذقية ولداً والرملة ويافا ونابلس وغزة وبيت لحم وبيت جبريل ، وغير ذلك من بلاد السواحل وما جاورها ، فبقيت في أيديهم حتى فتحها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فيما بين الثلاث والثمانين والخمسمائة إلى الثمان والثمانين والخمسمائة .

ثم عقد المهدنة بينه وبين الفرنج في سنة ثمان وثمانين على أن تكون يافا وأرسوف وعكا وقيسارية وأعمالها بيد الفرنج ، وأن تكون لُد والرملة مناصفة بينهم وبين المسلمين .
ثم أستولوا على بيروت في سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، ثم وقعت المهدنة بعد ذلك بين الفرنج وبين العادل أبي بكر بن أيوب في سلطته في سنة إحدى وستمائة على أن تستقر بيد الفرنج يافا ويترك لهم مناصفة لُد والرملة .

ثم استعاد الفرنج عكا في سنة أربع عشرة وستمائة في أيام العادل أبي بكر المذكور .
ثم استولوا على صيدا وما معها في أيام ابنه الكامل محمد في سنة ست وعشرين
وستمائة قبل تسليمه القدس لهم .

ثم سلمهم الصالح إسماعيل صاحب دمشق صقداً والشقيف علي أن يعاونوه على
الصالح أيوب صاحب مصر في سنة ثمان وثلاثين وستمائة .

ثم سلمهم الصالح إسماعيل المذكور والناصر داود صاحب الكرك عسقلان وطبرية
حين سلمهم القدس في سنة إحدى وأربعين وستمائة .

ثم فتح "الصالح أيوب" صاحب مصر غزة وأستولى عليها في سنة اثنتين وأربعين
وستمائة .

ثم فتح (الظاهر بيبرس) في سنة اثنتين وستين وستمائة قيسارية وأرسوف؛ وصقداً
ويافا في سنة أربع وستين وستمائة . وفتح صهيون في سنة ست وستين وستمائة ،
وأطرابلس في سنة ثمان وثمانين .

ثم فتح ابنه (الأشرف خليل) عكا في سنة تسعين وستمائة، وتتابعت فتوحه ففتح
صيدا ويروت وعثليت في السنة المذكورة . وفتحته تكاملت بلاد السواحل
بأجمعها . ولما فُتحت هُيئت جميعها خوفاً أن يملكها الفرنج ثانياً وبقيت بأيدي
المسلمين إلى الآن .

ومن ذلك أنطاكية - التي هي قاعدة العواصم - فلما كانت بيد باغي سيان بن محمد
ابن أئب أرسلان السليجوقي إلى أن غلب عليها الفرنج في سنة إحدى وتسعين
وأربعمائة، وقتلوا باغي سيان المذكور، وقتل فيها ما يزيد على مائة ألف نفس بعد
حصار تسعة أشهر، وملكوا معها كفر طاب، وصهيون، والشفر وبكاس . وسرزمين

وَالدَّرْبَسَاكَ وَغَيْرَهَا مِنْ بِلَادِ حَلَبَ ، وَبَالَفُوا حَتَّى جَاوَزُوا الْفَرَاتَ إِلَى بِلَادِ الْجَزِيرَةِ ؛
وَمَلَكُوا الرُّهَا وَسُرُوجَ وَغَيْرَهُمَا مِنْ بِلَادِهِمَا حَتَّى فَتَحَ السُّلْطَانُ صَلاَحُ الدِّينِ يَوْسُفَ
أَبْنَ أَبِيوبَ الشُّغُرَ وَبَكَّاسَ وَسَرِيمِينَ وَغَيْرَهَا فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

ثُمَّ اسْتَعَادَهَا الْفَرَنْجُ بَعْدَ فَتْحِهِ ؛ ثُمَّ فَتَحَ أَنْطَاكِيَّةَ "الظَّاهِرُ بَيْرَسُ" فِي سَنَةِ سِتِّ
وَسِتِينَ وَسَمِئَاءَةَ ، فَبَقِيَتْ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْآنَ .

وَمِنْ ذَلِكَ - بَاقِي بِلَادِ التُّنُورِ وَالْعَوَاصِمِ كَأَيَّاسَ وَأَذْنَةَ وَالْمَصْبِيصَةِ وَطَرَسُوسَ
وَبُقْرَاسَ وَبَهْسَنَى وَالدَّرْبَسَاكَ وَسَيْسَ وَغَيْرَهَا مِنْ بِلَادِ التُّنُورِ . فَإِنَّ الْأَرْمَنَ وَشَبَّوْا عَلَيْهَا
قَبْلَ الْأَرِمِّيَّةِ وَأَسْتَوْلَوْا عَلَى نَوَاحِيهَا وَمَنَعُوا مَا كَانُوا يُرْذِلُونَهُ مِنَ الْإِنَاوَةِ لِلْمُسْلِمِينَ .
وَأَسْتَضَافُوا إِلَى ذَلِكَ قَلْعَةَ الرُّومِ وَمَا قَارِبَهَا ، فَبَقِيَتْ فِي أَيْدِيهِمْ حَتَّى فَتَحَ الظَّاهِرُ
بَيْرَسُ بُقْرَاسَ وَبَهْسَنَى وَالدَّرْبَسَاكَ وَغَيْرَهَا ، وَأَتَرَعَهَا مِنَ الْأَرْمَنِ فِي سَنَةِ ثَمَانِ
وَسِتِينَ وَسَمِئَاءَةَ .

وَفَتَحَ الْأَشْرَفُ "خَلِيلُ بْنُ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ" قَلْعَةَ الرُّومِ ، وَأَتَرَعَهَا مِنْ يَدِ خَلِيفَتِهِمْ
فِي سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَسَمِئَاءَةَ ، وَسَمَّاَهَا قَلْعَةَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى
الْأَعْمَالِ الْحَلَبِيَّةِ .

وَفَتَحَ "النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ" فِي سُلْطَتِهِ الثَّالِثَةِ أَيَّاسَ^(١) ، وَمَا وَالَاهَا فِي سَنَةِ ثَمَانِ
وَتَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

وَفَتَحَ "الْأَشْرَفُ شُعْبَانُ بْنُ حُسَيْنَ" بْنُ النَّاصِرِ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ سَيْسَ وَسَائِرَ بِلَادِ
الْأَرْمَنِ عَلَى يَدِ قَشْتَمَرِ الْمَنْصُورِيِّ نَائِبِ حَلَبَ .

وَمِنْ ذَلِكَ - قِتْلَاعُ الدَّعْوَةِ ، الَّتِي هِيَ الْآنَ مِنْ أَعْمَالِ طَرَابُلُسَ : وَهِيَ مِصْيَافُ
وَالْعُلَيْقَةِ وَالْمُنَيْقَةِ وَالْكَهْفِ وَالْقُدْسُومُوسَ وَالْحَوَائِي . فَإِنَّهَا كَانَتْ بِأَيْدِي الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ

(١) صَحَلَهَا صَاحِبُ "الْفَاوَسِ" كِتَابَ نَصِّ عَلَى مَدِّ الْهَمْزَةِ صَاحِبُ "الْفَتْوَمِ" .

لمعروفين الآن بالقدَاوية، قبل دخولهم في طاعة ملوك الديار المصرية، فبقيت بأيديهم حتى أقرعها منهم الملك "الظاهر بيبرس" في سنة ثمان وستين وستمائة، وأقرع منهم المُلَيْقَة في سنة تسع وستين .

ثم أُقرِعت منهم باقي القلاع في سنة إحدى وسبعين ودخلوا تحت طاعة ملوك مصر من حينئذ، وصاروا شبيحة لهم .
وهذا آخر ما يحتمله الكتاب مما يحتاج إلى معرفته .

الطَّرَف الثالث

(من الفصل الثاني، من الباب الثالث، من المقالة الثانية في ذكر أحوال المملكة الشامية ؛ وفيه مقصدان)

المَقْصِد الأول

(في ترتيب نياباتها على ما هي مستقرة عليه)
قد نتقدم أن الممالك المعتبرة بالبلاد الشامية ست ممالك في ست قواعد، وكل مملكة منها قد صارت نيابةً سلطنة مضاهية للملكة المستقلة .

النيابة الأولى

(نيابة دِمَشْق، وفيها جملتان^(١))

الجملة الأولى

(في ذكر أحوالها في الماملات ونحوها)

أما الأثمان المتعامل بها فيها، فعلى ما نتقدم في الكلام على معاملات الديار المصرية من المعاملة بالدنانير المصرية ونحوها وزناً، والدنانير الافرنجية عدداً، والدرهم النقرة وزناً

(١) هذه جملة ثلاث جمل فخرية .

لا تختلف النقود في ذلك ، إلا أن الصَّنَجَةَ في أوزان الذهب بالديار المصرية تختلف الصنجة الشامية في ذلك ، فتتقص الصنجة الشامية عن المصرية كل مائة مثقال مثقالاً وربع مثقال ، وتتقص صنجة الدراهم الشامية عن الصنجة المصرية كل مائة درهم درهمٌ ، والمعاملة فيها بفلوس صِغار ، وكان يُتَعامَلُ بها في الديار المصرية في الزمن الأول قبل ضرب الفلوس الجُدُد ، حساباً عن كل درهم أربعة وستون قَلَساً ، وكل أربعة فلوس منها يُعَبَّرُ عنها بعدم بحبة ، ثم راجت الفلوس الجُدُد عندهم بعد سنة ثنتين وثمانمائة . إلا أن كلَّ ^(١) بدرهم بخلاف ما تقدّم في الديار المصرية من أن كل أربعة وعشرين قَلَساً منها بدرهم .

وأما رطلها الذي يعتبر به ، ووزونها فستائة درهم بدرهمهم المتقدّم تقديره ، وأواقيها اثنتا عشرة أوقية ، كلُّ أوقية خمسون درهماً .

وأما كيلها الذي يعتبر به مِكِيلَاتُهَا فبالفِرَاة ، وهي اثنا عشر كيلاً ، كلُّ كيل سنة أمداد ، ينقص قليلاً عن رُبُع الوِثْيَةِ المصري ، ونسبة الإردب من الفِرَاة أن كل غِرَاة ومد ونصف ثلاثة أرداب بالكيل المصري تحريراً على الدِمَشْقِ ^(٢) . ثم قال : لكن كيل دِمَشْقٍ ورطلها هو المعتبر وإليه المرجع .

وأما قياس قُاشِهَا فبذراع يزيد على ذراع القياس بالقاهرة بنصف سدس ذراع وهو قيراطان .

وأما قياس أرض الدُّورِهَا وما في معناها ، فإنه يعتبر بذراع العمل المتقدم الذكر في الديار المصرية .

(١) يباح في الأصل بتدريكة .

(٢) لم يقدم لنا ما يعود عليه الضمير ولعله صاحب "المالك"

وأما سفرها فقال في "مسالك الأبصار" : سعر اللحم بها أرخص من مصر والدجاج والإوز أغلى من مصر، وكذلك السكر؛ ولم يتعرض لغير ذلك . ولا خفاء في أن الفاكهة فيها أرخص من مصر بالتقدير الكبير، والقمح والشعير والبقلاء نحو من سعر مصر؛ وذلك كله عند اعتدال الأسعار . أما حالة الغلاء فيختلف الحال بحسبه .

الجملة الثانية

(في ترتيب مملكتها؛ وهو ضربان)

الضرب الأول

(في ترتيب حاضرتها)

أما جُيُوشها ، فعلى ما تهتم في الديار المصرية في اجتماعها من الترك والحرکس والروم والروس والآص ، وغير ذلك من الأجناس المضاهية للترك في الزي ، ويزيد بها الترتيب المتميز عن صفة الترك وزيهم، وجندها ينقسمون إلى ما تقدم في الديار المصرية : من الأمراء المقدمين والطلبخانات والعشرات، ومن بين المقدمين والطلبخانات: كأمرء السبعين والخمسين، وما بين العشرات والطلبخانات كالعشرينات ونحوهم؛ وكذلك مقدمو الحلقة وجندها، ولا وجود فيها للمالك السلطانية لأشهم لا يكونون إلا بحضرة السلطان . وقد أخبرني من له خبرة بحال مملكتها أن الأمراء المقدمين بها كانوا في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون عشرة غير النائب بها، وربما قصوا الآن عن ذلك، وأن أمراء الطلبخانات بها كانوا إذ ذاك أربعين وأنهم الآن نيف وخمسون، وأن أمراء العشرات كانوا بها ألفين ومائة وخمسين بما فيهم من البحرية .

وأما إقطاعاتها - فقال في "مسالك الأبصار" : إن إقطاعاتها لا تقارب إقطاعات مصر ، بل تكون على الثلثين منها ، إلا في أكابر الأمراء المقربين بحضرة السلطان ، فإن إقطاعاتهم خارجة عن العادة فلا يُعتد بها . قال : ولا أعرف بالشام ما يقارب ذلك إلا ما هو لثائب يمشق .

وأما بيوتاتها السلطانية - فقال في "مسالك الأبصار" : بها خزائن تخرج منها الإنعامات والخلع ، ونزائن سلاح ، وزدخاناه ، وبيوت تستعمل على حاشية سلطانية مختصرة ، حتى لو جهز السلطان إليها ^(١) حريدة وجد بها من كل الوظائف القائمة ببلده . قال : وكل أمير أمر فيها أو في غيرها من الشام أو ربّ وظيفة أو وظيفة من عادة متوليا لئس خلعة أو خدم أحد خدمة في مهم من المهمات أو أمر من الأمور يستوجب خلعة أو إنعاما ولم يخلع عليه من مصر كان من دمشق خلعة وإنعامه ، ومنها تخرج أعلام الإمرة وطلائعهم وشعار الطلخاناه . وفي نزائن السلاح بها تُعْمَلُ المحانيق والسلاح ، ويجعل إلى جميع الشام وتعمر به البلاد والقلاع ، ومن قلعها تجرد الرجال وأرباب الصنائع إلى جميع قلاع الشام ، وتندب في التجاريد والمهجات .

قلت : أما باقي البيوت كالفراش خاناه والإصطبلات السلطانية وما شاكلها ، فلا وجود لها فيها مما ينسب إلى السلطان ، بل يكون ذلك للثائب قائما مقام السلطان لأنه في الحقيقة السلطان الحاضر ؛ وكان بها مطابخ السكر السلطانية فاضيفت إلى من يتحدث في الأغوار من الثائب أو غيره من الأمراء الأكابر .

الضرب الثاني

(في بيان أرباب الوظائف يَدْمَشْقُ على تباين مراتبهم ؛ ووظائفها

المعتبرة على خمسة أصناف)

الصنف الأول

(وظائف أرباب السيوف)

وهي مضاربة لوظائف أرباب السيوف بالحضرة السلطانية في كثير منها ؛
وهي عتة وظيف .

(منها) نيابة السلطنة بها - وهي أجل نيايات المملكة الشامية وأرفعها في الرتبة ،
ونائبها يضاهي النائب الكافل بالحضرة السلطانية في الرتبة والألقاب والمكتبة ، ويعبر
عنه في المكتبات السلطانية وفيها " بكافل السلطنة الشريفة بالشام المحروس "
ويكتب له من الأبواب السلطانية تقليد شريف من ديوان الإنشاء الشريف ؛
وهو قائم بدمشق مقام السلطان في أكثر الأمور المتعلقة بنبأته ، ويكتب عنه
التواقيع الكريمة ، ويكتب عنه المربعات بتعيين إقطاعات الجند ، وتجهز إلى الأبواب
الشريفة فيسملها الخط الشريف السلطاني ، ويترتب حكم المربعات المصرية والمناشير
على حكمها كما سيأتى في الكلام على المناشير في موضعها إن شاء الله تعالى ؛ وهو يكتب
على كل ما يتعلق بنبأته من المناشير والتواقيع والمراسيم الشريفة بالاعتقاد ؛ ومعه يكون
نظر البيارستان النوري بدمشق كما يكون نظر البيارستان المنصوري بالقاهرة مع
اتبالك العساكر ؛ وكذلك يكون معه نظر الجامع الأموي بها .

(ومنها) نيابة القلعة بها - وهي نيابة متفردة عن نيابة السلطنة ، ليس لنائب السلطنة
عليها حديث ، ولايتها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف يكتب من ديوان

الإنشاء الشريف . قال في "التتيف" : وكان عادة نائبها في الأيام المتقدمة مقدم ألف ، ثم استقرت بعد ذلك طبلخاناه ، وهي على ذلك إلى الآن . ومن شأنه حفظ القلعة وصونها ، ولا يسلم مفتاحها لأحد إلا لمن يتولاها مكانه أولم يأمره السلطان بتسليمه له . ولتأنيها أجناد بحرية مقيمون في القلعة لخدمته ، ولا يحضر هو ولا أحد منهم دار النيابة بالمدينة ، ولا يركبون في الغالب . وقد أخبرني بعض أهل المملكة أن بالقلعة طبلًا مرتبًا لاستعلام أوقات الليل إذا أذن للشاء الآخرة ضرب عليه عند مضى كل أربع درج ضربة واحدة إلى أن ينقضي ثلث الليل الأول . فإذا دخل الثلث الثاني ضرب عليه عند مضى كل أربع درج ضربتين إلى آقضاء الثلث الثاني . فإذا دخل الثلث الثالث ضرب عليه عند مضى كل أربع درج ثلاث ضربات إلى أن يؤذن للصبح . قال : وهكذا شأن سائر القلاع بالممالك الشامية .

(ومنها) المجموبية - وكان بها في الأيام الناصرية ابن قلاوون فيما يقال ثلاثه مجتاج ، أحدهم حاجب المجتاج ، ويعبر عنه في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بأمير حاجب ، وعادته أن يكون مقدم ألف من الزمن القديم وهلم جرا ، وهو الرتبة الثانية من النائب ، ومن شأنه الجلوس بدار العدل ، ولا يقف كما يقف حاجب المجتاج بين يدي السلطان بالديار المصرية ، وإذا خرج النائب عن دمشق في مهم أو غيره ، كان هو نائب القية عنه . وإذا برز مرسوم السلطان بالقبض على نائب السلطنة بها ، كان هو الذي يقبض عليه ويفعل فيه ما يؤمر به من سجن أو غيره ، ويقوم بأمر البلد إلى أن يتم نائب آخر . والحاجبان الآخران طبلخانان أو طبلخاناه وعشرة ، وربما كانوا أربعة : حاجب المجتاج وثلاث طبلخانات أو طبلخانات وعشرون أو عشرة أو غير ذلك ، ورُبَّهم في المواكب أن يكون حاجب المجتاج والذي يليه في الرتبة ميمنة والثاني ميسرة . ثم صاروا في الأيام الظاهرية برقوق خمسة أو ستة .

ولم تجر العادة بأن يكتب لأحد منهم مرسوم شريف من الأبواب الشريفة عند ولايته ، ولا مدخل للنائب بها في كتابة مايقع لأحد منهم .

(ومنها) شد الميهمات - وهي رتبة جلييلة ، وموضوعها التحدث في أمور الاحتياجات السلطانية ، وتارة لنائب السلطنة بدمشق ، وتارة لماحب المحجب ، وتارة لبعض الأمراء من المقدسين والطلبانات بحسب ما يقتضيه رأى السلطان .

(ومنها) نقابة القلعة بها - وهي إمرة عشرة بمرسوم شريف ، يكتب له من الأبواب الشريفة .

(ومنها) نقابة النقباء - وهما تقيان : نقيب ليمنة ونقيب ليسرة .

(ومنها) الحزبندارية - وموضوعها التحدث على الخلع والشاريف السلطانية بالقلعة وعادتها أربعة طواشية خضيان بعضهم أعلى رتبة من بعض ، أحدهم في رتبة أمير طبلخاناه أو أمير عشرين ، والثاني دونه ، والثالث دونه ، والرابع دونه ؛ وكل منهم له توقيع كريم من نائب السلطنة بدمشق على قدر رتبته .

(ومنها) نقابة الجيش - وفيها ثلاثة نفر ، أكبرهم يبر عنه بنقيب النقباء ، تارة يكون أمير طبلخاناه ، وفي غالب الأوقات أمير عشرة ، ودونه آثنان من جند الحلقة . ويكتب لكل منهم توقيع كريم عن النائب على قدر رتبته .

(ومنها) شد الدواوين - وموضوعها التحدث في استخراج الأموال السلطانية ريفيا للوزير كما في الديار المصرية ، وكانت في الأيام المتصتمة إمرة طبلخاناه ، ثم استقرت إمرة عشرة . وهي الآن جندى من أجناد الحلقة ، ويكتب لتوليها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) شد الأوقاف - وموضوعها التحدث على أوقاف المسلمين بدمشق ، وعادتها إمرة عشرة . وربما كانت طبلخاناه ، ويكتب لتوليها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) شدّ الخالص - وعادته طبلخاناه أو عشرة أيضا .

(ومنها) شدّ الزكاة - وموضوعها التحدث على منبج الكارم ونحوه . وكانت في الزمن المتقدم إمرة عشرة ، وهي الآن جندى . ويكتب لموليا توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) شدّ العشر - وموضوعها التحدث في واصل الفرج ، وكانت إمرة عشرة ، وهي الآن جندى ، ويكتب لموليا توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) شدّ دار الطعم - وهي بمثابة الوكالة بالديار المصرية ، ولولايتها عن النائب بتوقيع كريم ، وعادتها إمرة عشرة أو مقدم حلقة أو جندى . ويكتب بها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) ولاية المدينة - وموضوعها التحدث في أمر الشرطة كما في سائر الولايات ، وعادتها إمرة عشرة ، وربما وليا جندى ، ويكتب بها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) المهندارية - وموضوعها تلقى الرسل الواردين ، في أمور أخرى كما في الديار المصرية . وقد أخبرني بعض أهل المملكة أنه كان بها في الأيام الناصرية ابن قلاوون في نيابة الأمير تنكو مهمتدار واحد مقم ألف ، ثم استقرت في السولة الأشرفية "شعبان بن حسين" نفرين ، وهي على ذلك إلى زماننا ، وهما الآن أمير عشرة ، وجندى ، ويكتب لكل منهما توقيع كريم عن النائب على قدر رتبته .

(ومنها) أمير اخورية البريد - وموضوعها التحدث على خيول البريد بدمشق ونواحيها . وأخبرني بعض أهل هذه المملكة أنه لم يزل بها أمير عشرة من الأيام الناصرية ابن قلاوون وإلى الآن .

(ومنها) قدمة البريد - وموضوعها التحدث على جماعة البريدية بدمشق . وأخبرني بعض أهل المملكة أنها كانت في الأيام الناصرية ابن قلاوون منحصرة

في واحد من جملة البريدية، ثم استقر فيها الآن اثنتان إما إمرة عشرة وإمرة خمسة، أو إمرة خمسة وجندي، أو نحو ذلك؛ ويكتب لكل منهما توقيع كريم عن النائب على قدر مرتبته .

(ومنها) سُود صغار متعددة، يولى بها أجناد بتوقيع لهم عن النائب : كشد دار البطيخ والفاكهة ، وشدة المسالك من الحديد والنحاس والزجاج وغير ذلك ، وشدة الموارد الحشوية ونحو ذلك . وكان لمطابخ السكر شد مفرد يولى بتوقيع كريم عن النائب، ثم استقر ذلك مضاعفا لمن يتحقت على الأغوار من النائب أو غيره .

قلت : أما سائر أرباب الوظائف من الأمراء المستقر مثلهم بالحضرة السلطانية : كرأس نوبة، وأمير مجلس ، وأمير سلاح ، وأمير اخور ، وأمير جاتدار ، وأستادار المباشرة، وأستادار الصحة ، وشاة الشراب خاناه، والباشكير ، ومقدم المالكين ونحوهم، فلا وجود لهم هناك . وإنما يكون للنائب مثلهم من أجناده كغيره من سائر الأمراء .

الصنف الثاني

(الوظائف الديوانية؛ وهي عشر وظائف)

(منها) الوزارة - وهي تارة تملو رتبته صاحبها بأن يكون جليل القدر، كما إذا كان قد تهنمت له ولاية وزارة بالديار المصرية أو نحو ذلك فيصرح له بالوزارة ، وتارة تنصّر رتبته عن ذلك فيطلق عليه ناظر المملكة الشامية ، ولا يُسمع له من ديوان الإنشاء إلا أبواب السلطانية باسم الوزارة ، وإن كان الجارى على السنة العامة إطلاقاً لفظ الوزير عليه . وكيفما كان فإتما يولى السلطان من الأبواب الشريفة . إن كان وزيرا كتب له تقليد، وإن كان ناظراً للملكة كتب له مرسوم . قلت : وقُل أن

يلها أرباب السويف، فإن وقع ذلك أحتاج معه إلى ناظر مملكة كما يكون ناظر الدولة مع الوزير ربّ السيف بالديار المصرية .

(ومنها) كتابة السرّ - ويعبر عن متوليها في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بصاحب ديوان الإنشاء بالشام المحروس، ولا يقال فيه : صاحب دواوين الإنشاء كما في الديار المصرية . على أنها تضاهي كتابة السربالديار المصرية في الرياسة ورقعة القدر . وموضوعها على نحو ما تقدم في الديار المصرية . وكيفما كانت فإنما يوثق من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف، ويحتز السلطان فيها على أن يكون كاتب السر من خاصته الموثوق بهسم ليعالعه بخفيات أمور المملكة وما يحدث بها مما لعل النائب قد يخفيه عن السلطان . وبدويانه تُكتب الدست وتُكتب الدرّج كما بالديار المصرية، ويقال إنه كان عدّة تُكتب الدست في الأيام الناصرية ابن قلاوون نفرين وتُكتب الدرّج جماعة يسيرة، ثم زاد الأمر كما في الديار المصرية . وولايات تُكتب الدست وتُكتب الدرّج بتواقيع كريمة عن النائب دون الأبواب الشريفة .

وأخبرني بعض أهل دمشق العارفين بأحوال المملكة أن كاتب السر في الزمن المتقدم لم يكن يحضر دار العدل مع النائب، وإنما كان يحضر تُكتب الدست فقط فيوقعون بما يحتاج إليه في المجلس وينصرفون إلى كاتب السر فيخبرونه بما أتفق، وكاتب السر يجتمع بالنائب في أوقات مخصوصة فيما يتعلق بالأمور السلطانية فقط، وكان كاتب السر ربما دأب على الموقعون فيما يقع بدار العدل فيلحقه بعض الخلل . فلما ولي كتابة السر القاضي ... (١) ... سعى السعى العظيم حتى أُذن له في الحضور بدار العدل والتوقيع فيه، واستمر ذلك إلى الآن .

(ومنها) نظر الجيش - وموضوعه التحدث في الإقطاعات : إما في كتابة مربيّات نُكْتُبَ بما يعينه النائب من الإقطاعات المتوقّرة عن أربابها بالموت ونحوها وتكليفها بخطوط ديوانه ، ويجهزها النائب إلى الأبواب الشريفة ليشملها الخط الشرفيّ السلطاني ، وتحمل إلى ديوان الجيوش بالديار المصرية فتجمل شاهداً مغلّبا فيه ، وتكتب منه مربعة ، بمقتضاها يخرج المنشور على نظيرها كما تقدّمت الإشارة إليه . وإما في إثبات المناشير الشريفة التي تصدر إليه من الأبواب السلطانية بديوانه حفظا لحسابات المقطعين . وليس بالشام كتابة مناشير أصلا ، بل ذلك مختص بالأبواب السلطانية ، فإن كان فيه كتابة الست وقّع بدار العدل في حلة الموقعين وإلا فلا . وإذا كان موقعا جلس مجلس ناظر الجيش وإن كان متأخرا في القُدْمة عن غيره من الموقعين ، وولاية هذا الناظر من الأبواب الشريفة السلطانية بتوقيع شريف . وبديوانه عدّة مباشرين من صاحب ديوان وكُتّاب وشهود ، ولآيتهم عن النائب بتوقيع كريمة . وناظر الجيش هو الذي يحكم في المحاكمات الديوانية كما يحكم فيها مستوفى المرتبج بالديار المصرية .

(ومنها) نظر المهمّات الشريفة - وهي وظيفة جلييلة يكون متوليا من أرباب الأعلام رفيقا لشاذ المهمّات المتقدّم ذكره من أرباب السيوف : من النائب أوحاجب الجُباب أو غيرها . وهي تارة تضاف إلى الوزارة ، وتارة تُفرد عنها بحسب ما يراه السلطان . وولايتها من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف . وبهذا الديوان عدّة مباشرين من كُتّاب وشهود ، فيولهم النائب بتوقيع كريمة

(ومنها) نظر الخاص - وموضوعه هناك التحدث فيما يتعلق بالمستأجرات السلطانية وغيرها من الأغوار وما يجري مجراها ، وربما أضيف نظرها للوزير .

(ومنها) نظرا لحُرارة، ويعبر عنها بالخزانة العالية . ومتوليا يكون رفقا للخازندارية من الطواشيّة المتقدّم ذكرهم . فيكون متحدثا في أمر التشاريف وإلّخ وما معها، وهي وظيفة جليّة يوليا النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظرا لبيمارستان التورّي - وقد صار النظر عليه معدّوقا بالنائب، يُفوض التحدّث فيه إلى من يختاره من أرباب الأعلام .

(ومنها) نظرا لجامع الأمويّ - وفي الغالب يكون مع قاضي القضاة الشافعيّ .
(ومنها) نظرا خزائن السّلاح - وموضوعها كما في الديار المصرية، وولايتها عن لئائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظرا للبيوت - وموضوعها على ما تقدّم في الديار المصرية، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم . وأخبرني بعض التّمثّيقين أن هذه الوظيفة أَسَم على غير مسمّى لاحقيقة لها ولا مباشرة، لعدم البيوت السلطانية هناك .

(ومنها) نظرا لبيت المال - وحكمها كما في الديار المصرية .
(ومنها) نظرا ديوان الأُسرى - وهو التحدّث في الأوقاف التي تُقدّى بها الأُسرى .
(ومنها) نظرا للأسواق - وموضوعها كما تقدّم في الديار المصرية من التحدّث على سوق الرقيق والخليل ونحوها، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظرا مراكر البريد - ومتوليا يكون رفقا لأمير اخور البريد المتقدّم ذكره، وولايته عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظرا لحوطات - وهو على نحو من استيقاء المرتجّع بالديار المصرية في تحصيل الأموال السلطانية .

أما الحكم في المحاكمات الديوانية، فيختص بناظر الجيش كما تقدّم ذكره .

(ومنها) نظر المسابك - ومتوليّه يكون رفيقا لشاة المسابك المتقدم ذكره في أرباب السيوف، وولايتّه عن النائب بتوقيع كريم . قلت : ويضم إلى كل نظر من هذه الأنظار مباشرتون : من شهود وغيرهم ، يكتب لندوى الصوب منهم تواقع كريمة عن النائب بوظائهم ، في أنظار أخرى لا يسمع أسنيافاها : كنظر المواريث الحشرية وغيرها . وبما أهمل من الأنظار بها نظر مطايخ السكر كما أهمل شدّها لإضافتها إلى المحتث في الأغوار على ماتمّ ذكره في الكلام على وظائف أرباب السيوف .

الصف الثالث

(من الوظائف يدمشق الوظائف الدينية؛ وهي عدة وظائف أيضا)
 (منها) قضاء القضاة - وبها أربع قضاة من المذاهب الأربعة على الترتيب المتقدم في الديار المصرية . فأعلام الشافعيّ وهو المحتث على المواضع الحكيمة والأوقاف وأكثر الوظائف؛ ويختص بتولية النواب في النواحي والأعمال بجميع أعمال ديمشق حتى في غزّة، ويليه في الرتبة الحنفى، ثم المالكيّ، ثم الحنبليّ . وكان استقرار القضاة الأربعة بها بعد حدوث ذلك بالديار المصرية، لكن لم تستقر الأربعة دفعة واحدة كما وقع في الديار المصرية في الدولة الظاهرية ببيرس، بل على التدرج . وأقدمهم فيها الشافعيّ؛ وولاية الأربعة من الأبواب الشريفة بتواقع شريفة .
 (ومنها) قضاء السكر - وموضوعه كما تقدم في الديار المصرية، وبها قاضيا عسكر شافعيّ، وحنفيّ؛ وليس بها مالكيّ؛ ولا حنبليّ؛ وولايتهما من الأبواب الشريفة السلطانية بتواقع شريفة .
 (ومنها) إلقاء دار العدل - وهي على ماتمّ في الديار المصرية أيضا، وبها مفتيان شافعيّ وحنفيّ؛ كما في قضاء السكر، وولايتهما عن النائب بتواقع كريمة .

(ومنها) وكالة بيت المال - وموضوعها ما تقدم في الديار المصرية ، وللايتها من الأبواب الشريفة السلطانية بتوقيع شريف ووكالته مثبتة على الأحكام ^(١) مُنْقَذة . ولكن لاجلوس له بدار العدل كما يجلس وكيل بيت المال بالديار المصرية ، إلا أن يكون كاتب دست فيجلس بواسطتها في حملة الموقعين لا بالوكالة .

(ومنها) نقابة الأشراف - والأمر فيها كما في الديار المصرية ، وللايتها عن النائب بتوقيع كريم . وقد تقدم في الكلام عليها في الديار المصرية أنه كان من حقها أن تُورَد في حملة وظائف أرباب السيوف إذ يكتب في توقيع متوليا "الأُميرى" وإن كان متعما ، وإنما التغليب للعرف اقتضى ذكرها في حملة وظائف أرباب الأقلام .

(ومنها) مشيخة الشيوخ - وموضوعها كما في الديار المصرية : من التحدث على جميع الخواص والفقراء بدمشق وأعمالها ، والعادة أن يكون متوليا شيخ الخلقاء الشُمُيْصِيَّة بِدِمَشْقَ ، وللايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) الحسبة - وهي كما تقدم في الديار المصرية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وللايتها عن النائب بتوقيع كريم . ولا يجلس لمتوليا بدار العدل كما يجلس محاسب القاهرة بدار العدل في الديار المصرية ، وإليه ولاية نواب الحسبة بجميع أعمال دِمَشْقَ .

(ومنها) الخطابات المدونة بنظر النائب - فيولى فيها بتواقيع كريمة حتى إنه ربما كتب عنه التواقيع بخطابة الجاسع الأموى ، وإن كان النائب أنها لا تولى إلا من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف ، وقد صارت مضافة لقاضى القضاة الشافعى .

(ومنها) التداريس - وتختلف باختلاف حال من يتولاها في الرقعة وغيرها ، وللايتها عن النائب بتواقيع كريمة غالبا والله أعلم .

(١) الأولى ثابتة ، وقد جرى في مصر العرف العائى .

الصنف الرابع

(من الوظائف يمتشق وظائف أرباب الصناعات)

(فنها) رياسة الطب، ورياسة الكحالين، ورياسة الجوانحية - وكلها على نحو ما تقدم في الديار المصرية؛ وولاية كل منها بتوقيع كريم عن النائب. أما مهتارية البيوت وما في معناها، فهناك تختص بالنائب لقيامه مقام السلطان واختصاص البيوت به.

الصنف الخامس

(وظائف زعماء أهل الذمة بها)

وفيه بطرك النصارى اليعاقية، وبطرك النصارى الملكانية، ورئيس اليهود القرائين والربانيين، ورئيس السامرة، ولكنه مقيم بمدينة نابلس التي هي مدينتهم المعظمة عندهم، وإلى طورها حجهم، وله نائب مقيم يمتشق. قلت: وربما كتب عن السلطان من الأبواب الشريفة بتواقيع ومراسم بالحلل^(١) على ما تصدر ولايته عن النائب، وربما كتب به عنه ابتداء.

الجملة الثالثة

(في ترتيب النيابة بها)

وتوافق ترتيب السلطنة في الديار المصرية في بعض الأمور، وتحالفها في بعض. وكان عادة النائب بها في المواقب أن يركب في السكركن الأمراء ومقضى الخلق وأجنادها في كل يوم اثنين وخميس، ويخرجون إلى سوق الخيل تحت القلعة فيسيرون

(١) المراد بثيبت ما يصدر عن النائب كما يفيد البقية.

خيلهم ، وتعرض عليهم خيول المتأدة وغيرها من آلات السلاح ونحوها ، وينادى بينهم على العقار من الدور والضبايع وغيرها ، ولا يتعدون سوق الخيل إلى غيره . أما الآن فإنهم قد رفضوا التسيير بسوق الخيل ، وصار النائب يخرج بالسكر إما إلى ميدان ابن أتابك ، وإما إلى قبة يلغا : قبل دِمَشَق ، وإما إلى المزة غربي دِمَشَق ، وإما إلى القابون شمالي دِمَشَق على حسب ما يختاره ، فيسيرون هناك بدلا من تسييرهم بسوق الخيل ، ولا يسيرون بسوق الخيل إلا في يوم مهم من حضور رُسل من بعض الملوك الغريباء ونحو ذلك . فإذا فرءا من التسيير عند ارتفاع النهار ، عاد النائب في موكبه حتى يأتي باب الحديد من ابواب القلعة ، ويقف الأمراء على ترتيب منازلهم ، وينادى بينهم على العقار والدور وغيرها ، وكذلك الخيول والسلاح . ثم يسير النائب إلى دار النيابة ، فإن كان في الموكب سَمَاط تخدم الأمراء في خدمته ، ويترجل ممالئكه من سوق الخيل ، ثم الأمراء على القرب من دار النيابة على ترتيب منازلهم حتى يكون رجل المقدسين على باب دار النيابة ، ويبقى النائب راكبا وحده حتى ينتهي إلى قاعة عظيمة معدة للجلوس في المواكب بمثابة الإيوان الذي يجلس فيه السلطان بقلعة الجبل بالديار المصرية ، ويصعد بها كرسي من خشب مشقوش بفشاء من الحرير الأطلس الأصفر ، وعليه سيف نجماء ، مسند إلى صدره ، فيجلس النائب بصدر القاعة على مقعد مختص به ، لا يشاركه أحد في الجلوس عليه ، وخلفه بستمخ منصوب وراء ظهره كعبادة الأمراء ، ويكون الكرسي المذكور على شماله على نحو ثلاثة أذرع منه ، ويجلس قاضي القضاة الشافعي عن يمين النائب على نحو ثلاثة أذرع منه ، مسندا ظهره إلى جدار صدر القاعة ، ويجلس قاضي القضاة الحنفي عن يمينه ، وقاضي القضاة المالكي عن يمين الحنفي ، وقاضي القضاة الخليلي عن يمين المالكي ، وقاضي السكر الشافعي عن يمين قاضي القضاة الخليلي . وقاضي السكر

الحنفى عن بين قاضى السكر الشافى، صفا مساويا للنائب فى صدر القاعة، ويجلس كاتب السر من جهة يسار النائب ملاصقا لمقعد الذى هو جالس عليه، جاعلا يمينه إلى جدار صدر القاعة وظهره إلى جهة الكرسي. بأعراف قليل لمواجهة النائب، وتُكَّابُ الدست بالميسرة تحته بالتدريج على حسب القُدَّةِ صفاً ممتداً من كاتب السر إلى جهة باب القاعة، ويجلس الوزير مقابل كاتب السر من الجانب الآخر على سمت بين قاضى القضاة الحنفى، ويجلس ناظر الجيش تحته، وتُكَّابُ الدست باليمين تحت ناظر الجيش على الترتيب بالقُدَّةِ أيضاً، أخذاً من الوزير إلى جهة باب القاعة، فيصير كاتب السر والوزير ومن يسامتهما صفيين متقابلين، ويجلس أتابك العساكر من الأمراء فى رأس الميمنة خلف الوزير على بُعد، وبقية الأمراء المتقدمين تحته على الترتيب بحسب القُدَّةِ، وأمراء الطليخاناه باليمين تحتهم كذلك حتى يصيروا صفاً آخر كهف الوزير ومن معه، ويجلس المتقدمون من أمراء الميسرة خلف كاتب السر ومن معه وتحتهم الطليخاناه على الترتيب المتقدم صفاً آخر مقابلاً لصف الميمنة، بحيث يكون أوله خارجاً عن يسار الكرسي. ويكون بين النائب ورأس الميمنة نحو خمسة أذرع، وبينه وبين رأس الميسرة نحو عشرة أذرع، وتقف طائفة من أمراء العشرات والنجسات ومقدمى الحلقة بالميمنة صفاً مستقيماً خلف الأتابك والأمراء الجلوس فى صفه على ترتيب منازلهم، ويقف مماليك النائب عن يسار الكرسي صفاً أخذاً من خلف أول مقدمى الميسرة بأعراف فيه إلى خلف، وطائفة من مقدمى الحلقة خلف الأمراء الجالسين فى الفرجة الواقعة بينهم وبين مماليك النائب، ويجلس صاحب الحجاب أمام النائب فى آخر صفى الموقعين المتقدمين من كاتب السر والوزير بجيلة إلى صف الميمنة، ويقف بقية الحجاب خلفه، وتُقبَّاء الجيش خلفهم. وترفع القِصَصُ فيتناولوها قباء الجيش ويوصلونها إلى

حاجب الحجاب فيتناولها ويقوم فيوصلها إلى كاتب السر فيقرؤها على الموقعين ،
ويبتدئ هو بالقراءة فيقرأ ما بيده من القصص ويوقع عليها بما يرسم به النائب ،
ثم يقرأ الذى يليه ، ثم الذى يليه إلى آخر صفه . فإذا فرغ ذلك الصف من القراءة ،
قرأ من هو أول الصف الذى فى جانب الوزير ، ثم الذى يليه ، ثم الذى يليه إلى آخر
الصف . فإذا انتهت القراءة ، قام القضاة ومن فى صفهم وكاتب السر والوزير وناظر
الجيش وسائر أرباب الأقاليم فينصرفون . فإذا انقضى المجلس وأنصرف القضاة
ومن معهم ، مد السباط ، ويجلس النائب على رأس السباط والأشراف ومقدمو الحلقة
على ترتيب منازلهم فيما كلون ، ثم يرفع السباط ويتحول النائب إلى طرف الإيوان
فيجلس فيه ، ويجلس قدامه كاتب السر وناظر الجيش وتأتى المحاكمات فيفصلها ،
ويقرأ عليه كاتب السر ما يقع فى ذلك المجلس من القصص ، ويتكلم مع ناظر الجيش
فيما يتعلق بأمر الجيش والإقطاعات ، ثم يقوم من مجلسه ذلك وينصرف كاتب
السر وناظر الجيش .

قال فى "مسالك الأبحار" : وتزيد عساكر الشام على غيرها ركوب يوم السبت .
قلت : وهو ركوب مجزئ ليس فيه دار عدل ولا سباط . على أنه ربما أهمل
حضور دار العدل ومد السباط فى يومى الاثنين والخميس أيضا كما فى الديار المصرية .

المقصود الثانى

(فى ترتيب ماهو خارج عن حاضرة دمشق ، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ماهو خارج عن حاضرتها من النابات والولايات)

قد تقدم أن لدمشق أربع صفقات : غربية (وهى الساحلية) . وقبلية .
وشمالية . وشرقية . وفى الصفقة الأولى وهى الغربية ناباتان وخمس ولايات .

فأما النياتان :

فالأولى - (نياة غزّة) أو خدمة العسكرية على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى .
ومعاملتها بالدنانير والدرهم النقرة ، وصنّجتها في الذهب والفضة كصنّجة الديار
المصرية . وكان بها فلوس كل ثمانين منها بدرهم ، ويصبر عن كل أربعة منها بحجة ،
ثم راجت بها الفلوس الجدد في أوائل الدولة الناصرية "فخرج بن برقوق" ولكن كل
سنة وتلاثين فلّسا منها بدرهم ، ووطّلها سبعمائة وعشرون درهما بالدرهم المصري ،
وأوقايه اثنتا عشرة أوقية ، كل أوقية ستون درهما . ومكّيلاتها متبرة بالقرارة . وكل
غرامة من غراتها ثلاثة أراشد بالمصري ؛ وقياس قماشها بالذراع المصري ؛ وأرضها
معتبرة بالقدان الإسلامي والقدان الرومي على ما تقدم في دمشق ؛ وجيوشها مجتمعة
من الترك ومن في معانهم ومن العرب والترّكان ؛ وبها من الوظائف النياة ؛ ثم تارة
يصرح لثنيها بنياة السلطنة . وبكل حال فثانيها أو مقدم العسكرية لا يكون
إلا مقدّم ألف ؛ وبها أمراء الطليخاناه والعشبرات والخمسات ومن في معانهم ؛ وفيها
من وظائف أرباب السيوف المجوسية ، وحاجبها أمير طليخاناه ، وولاية المدينة
وولاية البر . وشدّ الدواوين ، والمهندارية ، ونقابة النقباء وغير ذلك .

وبها من الوظائف الديوانية كاتب درّج ، وناظر جيش ، وناظر مال ، وولايتهم
من الأبواب السلطانية ؛

ومن الوظائف الدينية قاض شافعي ، وولايته من قبيل قاضي دمشق
إذا كانت غزّة تقدمة عسكر وإلا فهي من الأبواب السلطانية ، وقاض حنفي
قد استحدثت ، وولايته من الأبواب السلطانية ؛ وبها المحتسب ، وكيل بيت المال
ومن في معانهم ، وكلهم تواب لأرباب هذه الوظائف يدمشق كما في القاضي الشافعي :
وئيس بها قضاء عسكر ولا إفتاء دار عدل .

الثانية - (نيابة القدس) - وقد تقدم أنها كانت في الزمن المتقدم ولاية صغيرة وأن النيابة استحدثت فيها في سنة سبع وسبعين وسبعائة، ونيابتها إمرة طبلخاناه، وقد جرت العادة أن يضاف إليها نظر القدس ومقام الخليل عليه السلام، ومعاملتها بالذهب والفضة والفلوس على ما تقدم في معاملة دِمَشْقَ، ورطلها ^(١) وكلها يعتبر بالغرارة، وعرارتها ^(٢) وقياس قاشها بذراع ^(٣)، وبها من الوظائف غير النيابة ولاية قلعة القدس، وواليها جندي، وكذلك ولاية المصينة، وكانت توليتها أولاً من جهة نائب السلطنة بِدِمَشْقَ، ثم أخبرني بعض أهل المملكة الشامية أن ولاية والى القلعة وولاية البلد صارتا إلى نائب القدس من حين استقر نيابة. وكذلك ولاية بلد الخليل عليه السلام. وبها قاض شافعي ومحتسب نائبان عن قاضي دِمَشْقَ ومحتسبها، وكذلك جميع الوظائف بها نيابات عن أرباب الوظائف بِدِمَشْقَ .

وأما الولايات :

فالأولى - (ولاية الرملة) - وكانت في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون من الولايات الصغار بها جندي، ثم استقر بها في دولة الظاهر برقوق كاشف أمير طبلخاناه، ثم حدثت مكاتبته عن الأبواب السلطانية بعد ذلك .

الثانية - (ولاية لُد) - وقد كانت في الأيام الناصرية ابن قلاوون ولاية صغيرة بها جندي، ثم أضيفت إلى الرملة حين استقر بها الكاشف المتقدم ذكره .

الثالثة - (ولاية قَاقُون) - وكان بها في الأيام الناصرية جندي، ثم أضيفت إلى كاشف الرملة عند استقراره .

الرابعة - (ولاية بلد الخليل عليه السلام) - وكان في الأيام الناصرية بها جندي، ثم أضيفت إلى القدس حين استقر النائب به .

(١) يبيض بالأصل في هذه المواضع ولها مثل القى تقدم في غرة لغارب الأنكة .

الخامسة - (ولاية نابلس) - وهى باقية على حالها فى الأفراد بالولاية ، ووالها تارة يكون أمير طبلخاناه ، وتارة أمير عشرين ، وتارة أمير عشرة .
وأما الصفقة الثانية وهى القبلية ، فيها نيابتان وثمان ولايات .
فأما النيابتان :

فالأولى منهما (نيابة قلعة طرخند) - قال فى " التعريف " : قد يحمل فيها من يخط عني رتبة السلطنة أو تكون نيابة معظمة ، وذكر نحوه فى " مسالك الأبحار " وكأنه يشير إلى ما كانت عليه فى زمانه ، فإنه من جملة من كان نائباً بها العادل كتبها بعد خلعه من السلطنة ، ثم أنتقل منها إلى نيابة حماة . وأعلم أن يصرخد المذكورة قلعة لها وال خاص . قال فى " التتيف " : وهى من القلاع التى يستقل نائب الشام بالتولية فيها .

الثانية - (نيابة عجلون) - وقد أشار فى " التتيف " إلى أنها نيابة حيث قال : وعجلون إن كانت نيابة فإن نائب الشام يستقل بالتولية فيها ، ولم تجرله عادة بمكتبة من الأبواب الشريفة .
وأما الولايات :

فالأولى - (ولاية بيسان) - ووالها جندى .
الثانية - (ولاية بانياس) - ووالها جندى تارة ، وتارة إمرة عشرة .
الثالثة - (ولاية قلعة الصبيبة) - وكانت ولاية صغيرة وبها جندى ثم أضيف إلى بانياس .

الرابعة - (ولاية الشمر) - وكانت فى الأيام الناصرية مضافة إلى بانياس . وهى الآن ولاية مفردة ، ووالها جندى .

(١) أى ان جعلت ولاية مفردة وإلا فبعضه .

الخامسة - (ولاية أذَرَغَات) - قال في "التعريف" : وبها مقر ولاية الحاكم على جميع الصفقة؛ ثم الحاكم على جميع الصفقة تارة يكون طبلخاناه وتكون ولايته عن نائب الشام، وتارة يكون مقدم ألف فتكون ولايته من الأبواب السلطانية . أخبرني بعض مُكَلِّب دَسْت دِمَشَق أنه إن كان مقدم ألف، سُمِّي كاشف الكُشَاف . وإن كان طبلخاناه سُمِّي وإلى الولاية وهو الغالب .

السادسة - (ولاية حُسْبَان والصَّلَت) - من البلقاء . أخبرني القاضي ناصر الدين ابن أبي الطيب كاتب السربِمْشَق أنهما إن جمعا لوال واحد كان أمير طبلخاناه أو أمير عشرة، وإن أفرد كل منهما لوال كان جُنْدِيَا .

السابعة - (ولاية بُصْرَى) - ووالها جُنْدَى أيضا .

الصفقة الثالثة الشمالية . وفيها نيابة واحدة وثلاث ولايات .

فأما النيابة (فنيابة بَطْلَبَك) - وقد كانت في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون إمرة عشرة ، ثم صارت الآن إمرة طبلخاناه ، وبكل حال فنائب الشام هو الذي يستقل بولايتها ، وربما وليت من الأبواب السلطانية . قال في "التعريف" : ولها ولاية خاصة يعنى غير ولاية المدينة ؛ وقد كانت في الدولة الأيوبية مفردة في الغالب بملك بمفردها .

وأما الولايات :

فالأولى - منها (ولاية البَقَاع البَلْبَكِي) - قال في "التعريف" : وهاتان الولاياتان الآن منفصلتان عن بَطْلَبَك ، وهما مجموعتان لوال واحد جليل مفرد بذاته ؛ وهما على ما ذكره من جمعهما لوال واحد إلى الآن، إلا أنه تارة يليهما مقدم حَلَقَة وتارة جندي .

(١) أى ولاية "البقاع البلبكى" و"البقاع الزيزى" فكان المناسب أن يذكر البقاع الزيزى أيضا كما سبق له ذكرهما في الأعمال وعقبها بعبارة التعريف هذه فتنبه .

الثانية - (ولاية يبروت) - ولايتها الآن إمرة طبلخاناه .

الثالثة - (ولاية صيدا) - قال في "مسالك الأبصار" : وهي ولاية جبلية ، وهي على ما ذكره إلى زماننا ، تارة يليها أمير طبلخاناه ، وتارة أمير عشرة .

الصفحة الرابعة الشرقية . وبها ثلاث نيايات وأربع ولايات .

فاما النيايات :

فالأولى - (نياية حمص) - وهي نياية جبلية ، وقد كانت في الأيام الناصرية لها بعدها مقدمة ألف . قال في "التتيف" : ثم استقرت طبلخاناه بعد ذلك . قال : ونائب قلعها من الممالك السلطانية . "وقد تقدم أن الذكر في الزمن القديم كان لها دون حماة ، وقد كانت في الدولة الأيوبية مملكة منفردة تارة ، وتضاف إلى غيرها أخرى" .

الثانية - (نياية مضايا) - وقد تقدم أنها كانت أولا من مضافات أطربلس في جملة قلاع الدعوة ، ثم أضيفت بعد ذلك إلى دمشق ، واستمرت على ذلك إلى الآن . ونيايتها تارة تكون إمرة طبلخاناه ، وتارة تكون إمرة عشرة ، وبكل حال فتوليها من الأبواب السلطانية . ونائبها لا يكتب له إلا في المهمات دون خلاص الحقوق أيضا .

الثالثة - (ولاية صيدا) ^(١) - والنائب في نيايتها أن تكون مقدمة ألف ، وأشار في "التتيف" إلى أنها قد تكون طبلخاناه . قال في "التعريف" : وقلعتها بحرية وخيالة وكشافة وطوائف من المستخدمين .

(١) تقدمت في "الصفحة الثالثة التالية" . على أنه لم يتكلم على الولايات الأربع التي ذكرها في ترجمة هذه الصفحة ، وقد ذكر في التعريف الجملة التي نقلها عنه في الكلام على الرتبة التي عليها من الصفحة الرابعة وجعل ولايتها أربعة ولايات حمص ، وولاية سلبية ، وولاية غارا ، وولاية تدمر . وبالجمله فهذا الموضع يحتاج إلى تحرير .

الضرب الثاني

(من الخارج عن حاضرة دمشق العُمان؛ والإمرة بها في بطون من العرب)

البطن الأولى

(آل ربيعة من طيء من كهلان من القحطانية)

وهم بنو ربيعة بن حازم، بن علي، بن مفرج، بن دَعْقَل، بن جراح، وقد تقدم نسبه مستوفى مع ذكر الاختلاف فيه في الكلام على ما يحتاج إليه الكاتب في المقالة الأولى. قال في "العبر": وكانت الرئاسة عليهم في زمن الفاطميين: خلفاء مصر لبي جراح، وكان كبيرهم مفرج بن دَعْقَل بن جراح، وكان من إقطاعه الرملة. ومن ولده حَسَّان وعلي ومحمود وجرار، وولي حَسَّان بعده فَعِظَم أمره وعلا صيته، وهو الذي مدحه الرِّياشي الشاعر في شعره. قال الحمداني: وكان مبدأ ربيعة أنه نشأ في أيام الأتابك زكي صاحب الموصل، وكان أمير عرب الشام أيام طُغْتُكَيْن السُّلُجُوق صاحب دِمَشْق ووفد علي السلطان نور الدين محمود بن زكي صاحب الشام فأكرمه وشاد بذكره. قال: وكان له أربعة أولاد، وهم فَعِظَل، ومراء، وثابت، ودَعْقَل. ووقع في كلام المسبحي أنه كان له ولد اسمه بدر. قال الحمداني: وفي آل ربيعة جماعة كثيرة أعيان لهم مكانة وأبهة، أول من رأيت منهم مَاتِع بن حديثه وغنام بن الطاهر، علي أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب. قال: ثم حضر بعد ذلك منهم إلى الأبواب السلطانية في دولة المعز أيك وإلى أيام المنصور قلاوون زامل ابن علي بن حديثه، وأخوه أبو بكر بن علي، وأحمد بن حمي وأولاده وإخوته، وعيسى ابن مُهَنَّأ وأولاده وأخوه، وكلهم رؤساء أكابر وصادات العرب ووجوهها، ولهم عند السلاطين حرمة كبيرة وصيت عظيم، إلى روق في بيوتهم ومنازلهم.

مَنْ تَأْتِي مِنْهُمْ قَتْلٌ : لَا قِيَتُ بَيْنَهُمْ » مثلُ النجوم التي تَسِرُ بها السَّارِي
ثم قال : إلا أنهم مع بُعْدِ صِيَتِهِمْ قَلِيلٌ عَدَدُهُمْ . قال في "مسالك الأبصار" :
لكنهم كما قيل :

تَسِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا * قَلَّتْ لَهَا : إِنْ الْكَرَامُ قَلِيلُ
وَمَاضَرُنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا * عَزِيزُ وَجَارِ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ

ولم يزل لهم عند الملوك المكانة العلية والدرجة الرفيعة، يُحْلَوْنَهُمْ فوق كِيَوَانَ،
وَيُزَوِّعُونَ لهم أجناس الإحسان، قال الحماداني : وَقَدْ فَجَّ بِنَ حَيَّةٍ عَلَى الْمَعَزِ أَيْكَ
فَأَنْزَلَهُ بَدَارُ الضِيَاةِ وَأَقَامَ أَيَّامًا، فَكَانَ مَقْدَارُ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ عَيْنٍ وَقَمَاشٍ وَإِقَامَةٍ - لَهُ
وَلَمِنْ مَعَهُ - سِتَّةٌ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، قَالَ : وَاجْتَمَعَ أَيَّامَ "الظَّاهِرِ بَيْرِسَ" جَمَاعَةٌ
مِنْ آلِ رُبَيْعَةٍ وَغَيْرِهِمْ فَخَصَلَ لَهُمْ مِنَ الضِّيَاةِ خَاصَةً فِي الْمَدَّةِ الْيَسِيرَةِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا
الْمَقْدَارِ، وَمَا يَعْلَمُ مَا صُرِفَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ بَيُوتِ الْأَمْوَالِ وَالْخَزَائِنِ وَالْغَلَالِ لِلْعَرَبِ
خَاصَّةً إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى .

وَأَعْلَمُ أَنَّ آلَ رُبَيْعَةٍ قَدْ انْقَسَمُوا إِلَى ثَلَاثَةِ أَنْفَاقٍ، هُمُ الْمَشْهُورُونَ مِنْهُمْ وَمِنْ عَدَاهُمْ
أَتْبَاعُهُمْ لَهُمْ وَدَاخِلُونَ فِي عَدَدِهِمْ . وَلِكُلِّ مِنَ الثَّلَاثَةِ أَمِيرٌ مَخْتَصٌّ بِهِ .

الفخذ الأول - (آلُ قُضَلٍ) - وهو فضل بن ربيعة المقدم ذكره ؛ وهُم رَأْسُ
الْكُلِّ وَأَعْلَاهُمْ دَرَجَةٌ وَأَرْفَعُهُمْ مَكَانَةٌ . قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : وَدِيَارُهُمْ مِنْ
يَحْصُ إِلَى قَلْعَةِ جَمْعِيٍّ ، إِلَى الرَّجْبَةِ ، أَخَذِينَ عَلَى شِقِّ الْقُرَاتِ وَأَطْرَافِ الْعِرَاقِ حَتَّى
يَنْتَهِيَ حَتْمُ قِبْلَةٍ بِشَرْقِ إِلَى الْوَشْمِ ، أَخَذِينَ يَسَارًا إِلَى الْبَصْرَةِ ؛ وَلَهُمْ مِيَادٌ كَثِيرَةٌ
وَمَنَاحِلٌ مُورُودَةٌ :

وَلَهَا مَنَهِلٌ عَلَى كُلِّ مَاءٍ * وَعَلَى كُلِّ مِغْمَةٍ آتَارُ ..

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" : نقلا عن محمود بن عرام، من بنى ثابت بن ربيعة: أن آل فضل تشعبوا شعبا كثيرة، منهم آل عيسى، وآل فرج، وآل سميط، وآل مسلم، وآل علي . قال : وأما من ينضاف إليهم ويدخل فيهم . فرعب . والحريث ، وبنو كلب ، وبعض بنى كلاب ، وآل بشار، وخالد حمص ، وطائفة من سبيس وسعيدة ، وطائفة من بربر وخالد الحجاز، وبنو عقيل من كدر، وبنو رميم ، وبنو حنيفة، وقران، والسراجون . ويأتيهم من البرية من عربه غالب، وآل أجود . والبطين، وساعدة؛ ومن بنى خالد آل جناح، والصبيات من مباس . والحبور، والدغم، والقرسة، وآل منيعة، وآل بيوت، والعامرة، والمعلجات من خالد . وآل يزيد من عابد، والموامر، إلى غير هؤلاء ممن يخالفهم في بعض الأحيان . قال المقر الشهابي بن فضل الله : على أني لا أعلم في وقتنا من لا يؤثر محبتهم ويظهر محبتهم . وسياق ذكر قبائل أكثر هذه العربان التي تنضاف إليهم في مواضعها إن شاء الله تعالى .

قال في "مسالك الأبصار" : وأسعد بيت في وقتنا آل عيسى، وقد صاروا بيتا : بيت مهنا بن عيسى، وبيت فضل بن عيسى، وبيت جارت بن عيسى، وأولاد محمد بن عيسى، وأولاد حديثة بن عيسى، وآل هبة بن عيسى . قال : وهؤلاء آل عيسى في وقتنا هم ملوك البر فيما بعد وأقرب، وسادات الناس ولا تصلح إلا عليهم العرب .
 وأما الإمرة عليهم فقد جرت العادة أن يكون لهم أمير كبير منهم يولي من الأبواب السلطانية، ويكتب له تقليد شريف بذلك ، ويلبس ثمرها أطلس أسوة التواب إن كان حاضرا، أو يجهز إليه إن كان غائبا؛ ويكون لكل طائفة منهم كبير قائم مقام أمير عليهم، وتصدر إليه المكاتبات من الأبواب الشريفة إلا أنه لا يكتب له تقليد ولا مرسوم . قال في "مسالك الأبصار" : ولم يصح لأحد منهم بإمرة على العرب

بتقليد من السلطان الإلّا من أيام العادل أبي بكر : أنى السلطان صلاح الدين يوسف
 ابن أيوب ، أمر منهم حديثه يحيى ابن عقبة بن فضل بن ربيعة ، والذي ذكره
 قاضى القضاة وثى الدين بن خلدون فى تاريخه أن الإمرة عليهم فى أيام العادل
 أبي بكر بن أيوب كانت لميسى بن محمد بن ربيعة ، ثم كان بعده ماتع بن حديثة
 ابن عقبة بن فضل ، وتوفى سنة ثلاثين وستمائة ، ووئى عليهم بعده أبنة مهنا ، وحضر
 مع المظفر قطز قتال هولاكو ملك التار وأتزع سلمية من المنصور بن المظفر
 صاحب حماة وأقطعها له ؛ ثم وثى الظاهر بيبرس عند سيره إلى دمشق لتشييع
 الخليفة المستنعم إلى بغداد عيسى بن مهنا بن ملع ووقر له الإقطاعات على حفظ
 السابلة وبقي حتى توفى سنة أربع وثمانين وستمائة ؛ فوئى المنصور قلاوون مكانه أبنة
 مهنا بن عيسى ، ثم سافر الأشرف " خليل بن قلاوون " إلى الشام فوفد عليه مهنا
 ابن عيسى فى جماعة من قومه فقبض عليهم ، وبعث بهم إلى قلعة الجبل بمصر فأعتقلوا
 بها وبقوا فى السجن حتى أفرج عنهم العادل كتبنا عند جلوسه على تخت سنة
 أربع وتسعين وستمائة ورجع إلى إمارته ؛ ثم كان له فى أيام الناصر بن قلاوون نصرة
 واستقامة تارة وتارة ، وميل إلى التتر بالعراق ، ولم يحضر شيئا من وقائع غازان ؛ ووفد
 أخوه فضل بن عيسى على السلطان الملك الناصر سنة أثنى عشرة وسبعمائة فؤلاه
 مكانه وبقي مهنا مشردا ، ثم لحق سنة ست عشرة بخدايندا ملك التتر بالعراق فأكرمه
 وأقطعته بالعراق وملك خدايندا فى تلك السنة فرجع مهنا إلى الشام ، وبعث أبنيه
 محمدا وموسى وأخاه محمد بن عيسى إلى الملك الناصر ، فأكرمهم وأحسن إليهم ، ورد
 مهنا إلى إمارته وإقطاعه ؛ ثم رجع إلى موالاة التتر فطرد السلطان الملك الناصر آل
 فضل بأجمعهم من الشام وجعل مكانهم آل على ؛ ووئى منهم على أحياء العرب محمد

(١) فى الأصل هنا غيبة ، والذي فى الجزء الأول (ص ٢٢٥) غيبة ، فلينبه .

أَبْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَلِيٍّ - وَصَرَفَ إِقْطَاعَ مَهْأَ وَأَوْلَادَهُ إِلَيْهِ وَإِلَى أَوْلَادِهِ ، وَأَقَامَ الْحَاسِبَ عَلَى ذَلِكَ مَدَّةً . ثُمَّ وَفَدَ مَهْأَ عَلَى السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَحْبَةً الْأَفْضَلِ بْنِ الْمُؤَيَّدِ صَاحِبِ حِمَاةٍ فَرَضَى عَنْهُ السُّلْطَانُ وَأَعَادَ إِمْرَتَهُ إِلَيْهِ وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ . فَتَوَفَّى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ؛ وَوَلَّى مَكَانَهُ أَخُوهُ سَلْيَانُ فَبَقِيَ حَتَّى تَوَفَّى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ عَقِبَ مَوْتَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ ؛ وَوَلَّى مَكَانَهُ أَخُوهُ سَيْفُ بْنُ فَضْلٍ فَبَقِيَ حَتَّى عَزَلَهُ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْكَامِلُ "شُعْبَانَ بْنِ قَلَاوُونَ" سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ ، وَوَلَّى مَكَانَهُ أَحْمَدُ بْنُ مَهْأَ بْنِ عَيْسَى فَبَقِيَ حَتَّى تَوَفَّى فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ فِي سُلْطَنَةِ النَّاصِرِ "حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ قَلَاوُونَ" الْمَرَّةَ الْأُولَى ؛ وَوَلَّى مَكَانَهُ أَخُوهُ فَيَاضُ فَبَقِيَ حَتَّى مَاتَ سَنَةَ سِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَوَلَّى مَكَانَهُ أَخُوهُ جِبَارُ بْنُ جَهَّةِ النَّاصِرِ حَسَنُ فِي سُلْطَنَتِهِ الثَّانِيَةِ . ثُمَّ حَصَلَتْ مِنْهُ نَفَرَةٌ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ سِتِّينَ إِلَى أَنْ تَكَلَّمَ بِسَبِيهِ مَعَ السُّلْطَانِ نَائِبُ حِمَاةٍ يَوْمَئِذٍ فَأُعِيدَ إِلَى إِمَارَتِهِ ؛ ثُمَّ حَصَلَ مِنْهُ نَفَرَةٌ ثَانِيَةِ سَنَةِ - سَبْعِينَ فِي الدَّوْلَةِ الْأَشْرَفِيَّةِ "شُعْبَانَ بْنِ حُسَيْنٍ" فَوَلَّى مَكَانَهُ أَبْنُ عَمِّهِ زَامِلُ أَبْنِ مُوسَى بْنِ عَيْسَى فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ ، قُتِلَ فِي بَعْضِهَا قَشْتَمَرُ الْمَنْصُورِيُّ نَائِبُ حَلَبٍ فَصَرَفَهُ الْأَشْرَفُ وَوَلَّى مَكَانَهُ أَبْنُ عَمِّهِ مُعْقِلُ بْنُ فَضْلٍ بْنِ عَيْسَى ، ثُمَّ بَعَثَ مُعْقِلُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ يَسْتَأْذِنُ لِجِبَارِ الْمُتَقَدِّمِ ذَكَرَهُ مِنَ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ فَأَنْتَه ، وَوَقَدَ جِبَارُ عَلَى السُّلْطَانِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ فَرَضَى عَنْهُ وَأَعَادَهُ إِلَى إِمْرَتِهِ فَبَقِيَ حَتَّى تَوَفَّى سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ ، فَوَلَّى مَكَانَهُ أَخُوهُ قَتَارَةُ ، وَبَقِيَ سِتُّ مِائَتِ سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ ، فَوَلَّى مَكَانَهُ مُعْقِلُ بْنُ فَضْلٍ بْنِ عَيْسَى وَزَامِلُ بْنُ مُوسَى أَبْنِ عَيْسَى الْمُتَقَدِّمِ ذَكَرَهُمَا شَرِيكَيْنِ فِي الْإِمَارَةِ ؛ ثُمَّ عُزِّلَا فِي سِتِّينَ وَوَلَّى مَكَانَهُمَا

(١) ذَكَرَ فِي الْعَرَبِيِّينَ هَذَا وَالْقِيَ قَبْلَهُ مِنْظَرُ الدِّينِ مُوسَى وَوَقَاتَهُ ٤٢٢ وَذَكَرَ أَنَّ سَلْيَانَ تَوَفَّى فِي ٤٢٣

وَبَعْدَهُ شَرَفُ الدِّينِ عَيْسَى بْنُ فَضْلٍ وَوَقَاتَهُ فِي ٤٤٤ .

محمد بن جبار بن مهنا وهو نُعَيْر، ثم وقعت منه نُقْرة في الدولة الظاهرية برقوق،
فولى مكانه بعض آل زامل، ثم أعيد نُعَيْر المذكور إلى إمرته وهو باق على ذلك إلى
الآن، وهو محمد بن جبار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مائع بن حديث بن عقبة^(١)
أبن فضل بن ربيعة.

وقد ذكر المقرئ الشهابي بن فضل الله في "مسالك الأبصار": أمراء آل فضل
في زمانه، فذكر أن أمير آل عيسى وسائر آل فضل أحمد بن مهنا، وأمير بيت فضل
أبن عيسى سيف بن فضل، وأمير بيت حارث بن عيسى قتاة بن حارث. ثم قال:
أما أولاد محمد بن عيسى، وأولاد حديث بن عيسى، وآل هبة بن عيسى فاتباع.

وذكر القاضي تقي الدين بن ناظر الجليش في "التتيف": أنهم صاروا يتبين:
وهما بيت مهنا بن عيسى وفضل بن عيسى. وذكر من أكابرهم عساف بن مهنا
وأخاه عتقا، وزامل بن موسى بن مهنا، ومحمد بن جبار وهو نُعَيْر قبل الإمرة، وعزاد
أبن سليمان بن مهنا، وعلى بن سليمان بن مهنا، وأما بنو فضل بن عيسى فذكر منهم
فضل بن عيسى، ومُعَيْقِل بن فضل، وقال: كان قبلهما سيف وأبو بكر. ثم قال:
ومن لم يكاتب أولاد قِيَاض وبقية أولاد جبار ورقية بن عمر بن موسى ونحوهم.

الفخذ الثاني - (من آل ربيعة آل مرا) - نسبة إلى مرا بن ربيعة، وهو أخو
فضل المتقدم ذكره. قال في "التعريف": ومتازلم حورائ. وقال في "مسالك
الأبصار": ديارهم من بلاد الجيئور والجلولان إلى الزرقاء والضليل إلى بُصْرَى،
ومشرقاً إلى الحرة المعروفة بحرة كشت قريباً من مكة المعظمة إلى شعباء إلى نيران
مزبد إلى المَضْب المعروف بهضب الرائق، وربما طاب لهم البر وأبتد بهم المَرعى
أوان حُضِب الشتاء فتوسعوا في الأرض وأطالوا عدد الأيام والليال حتى تمود مكة

المعظمة وراء ظهورهم، ويكاد سهيل يصير شامهم، ويصرون مستقبلين بوجوههم الشام . وقد تشعب آل مرا أيضا شُعبا كثيرة ، وهم آل أحمد بن حجي وفيهم الإمبرة، وآل مسخر، وآل نهي، وآل بقرة، وآل تيماء .

ومن يضاف إليهم ويدخل في إمرة أمراءهم حارثه، والخاص، ولأم، وسعيدة، ومُدجج، وقير، وبنو صخر، وزبيد حوران: وهم زبيد صرخد، وبنو غني، وبنو عر قال: ويأتيهم من عرب البرية آل ظفير، والمفارقة، وآل سلطان، وآل غزني، وآل برجس، والحرسان، وآل المغيرة، وآل أبي فضيل، والزرّاق، وبنو حسين الشرفاء، ومطين، وخشم، وعدوان، وعرة . قال: وآل مرا أبطال متاجيد، ورجال صناديد ، وأقوال قل كُونُوا حِمَارَةً أَوْ حَيْدًا ، لا يعدّ منهم عترة العبي، ولا عرابة لأوي، إلا أن الخط يحط ببنو عمهم [بأكثر] مما يحطّهم، ولم تزل بينهم نوب الحرب، ولم في أكثرها الغلب. قال الشيخ شهاب الدين أبو التاء عمود الحلبي رحمه الله : كنت في نوبة حصّ في واقعة التار جالسا على سطح باب الإصطبل السلطاني بدمشق إذ أقبل آل مرا زهاء أربعة آلاف فارس شاكين في السلاح على الخيل المسومة، والحياد المطهمة، وعليهم الكرخندات الحمر الأطلس المعدني، والسيّاح الرومي، وعلى رؤسهم البيض، مقلّدين بالسيوف، وبأيديهم الرماح كأنهم صُقُور على صُقُور، وأمامهم العبيد تمل على الركائب، ويرقصون بتراقص المهارى، وبأيديهم الجناح، التي إليها عيون الملوك صورا، ووراعم الطعائن والجول، ومعهم مغبة لم نعرف بالحضرمية طائرة السمعة، سافرة من الهودج وهي تقي :

وَكُنَّا حِينَمَا كُلُّ بَيْضَاءِ شَحْمَةٍ • لَيْسَالِي لَاقِيَانَا جُدَامًا وَجَمِيرًا
وَلَمَّا لَقِينَا عُصْبَةً قَتَلِيَّةً • يَقُودُونَ جُرْدًا لِلْيَبَةِ صُمْرًا
فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّجَّجَ بِالنَّجَّجِ بَعْضُهُ • بِيَعُضِ آبَتِ عَيْدَانُهُ أَنْ تَكْتُمَرَا
سَقَبَاتُهُمْ كَأَسَا سَقُونَا بِمِثْلِهِ • وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبَرَا .

وكان الأمر كذلك ، فإن الكسرة أولا كانت على المسلمين ثم كانت لهم الكوة على النار ، فبجان منطق الألسنة ومُصَرَّف الأقدار .

الفخذ الثالث - من آل ربيعة (آل علي) - وهم فرقة من آل فضل المقدم ذكرهم ينتسبون إلى علي بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة . قال في "مسالك الأبصار" : وديارهم مرج دمشق وغوطها ، بين إخوانهم آل فضل وبني عمهم آل مرأ ، ومنتاهم إلى الحوف والجبانة ، إلى السكة ، إلى البرادع . قال في "التعريف" : وإنما تزلوا غوطه دمشق حيث صارت الإمرة إلى عيسى بن مهنا وبني جار الفرات في تلايب النار . قال في "مسالك الأبصار" : وهم أهل بيت عظيم الشأن مشهور السادات ، إلى أموال حجة ونعم مخمة ومكانة في الدول طية . وأما الإمرة عليهم فقد ذكر في "مسالك الأبصار" : أنه كان أميرهم في زمانه رملة بن حجاز بن محمد بن أبي بكر بن علي بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة . ثم قال : وقد كان جده أميراً ثم أبوه . فقد الملك الأشرف "خليل بن قلاوون" جده محمد بن أبي بكر إمرة آل فضل ، حين أمسك مهنا بن عيسى . ثم تقلدها من الملك الناصر أخيه أيضا حين طرد مهنا وسائر إخوته وأهله . قال : ولما أمر رملة كان حدث السن ففسده أعمامه بنو محمد بن أبي بكر ، وقدموا على السلطان بتقاديمهم وتراموا على الأمراء ، وخوأس السلطان ، وذوى الوظائف فلم يحضرهم السلطان إلى عنده ولا أدنى أحدا منهم ، فرجعوا بعد معاناة الحين ، بجحى حنين ، ثم لم يزلوا يترقبون به الدوائر وينصبون له الجبال واقه تعالى يقيه سيئات ما فكروا حتى صار سيد قومه ، وقرقة دهره ، والمُسَوَّد في عشيرته ، المبيض لوجوه الأيام بسيرته . وله إخوة ميامين كبار ، هم أمراء آل فضل وآل مرأ . وقد ذكر القاضي تقي الدين بن ناظر الجيش في "التحقيق" : أن الأمير عليهم في زمانه في الدولة الظاهرية برقوق كان عيسى بن زيد بن حجاز .

البطن الثانية

جَرْمٌ (بفتح الجيم وسكون الراء المهملة) . قال الحمداني : وأسمه ثعلبة وجرم أسم أمه ، وقد تقدم ذكر نسبه في الكلام على ما يحتاج إليه الكاتب في المقالة الأولى . قال في "مسالك الأيصار" : وهم ببلاد غَزَّةَ والدَّارُوم مما على الساحل إلى الجبل وبلد الخليل عليه السلام . قال الحمداني : وجَرْمٌ المذكورة شَمَّجان ، وقران ، وجَبَّان . قال : والمشهور منهم الآن جَذِيمةٌ ، ويقال إن لهم نسبا في قريش ، وزعم بعضهم أنها ترجع إلى غزوم . وقال آخرون : بل من جَذِيمة بن مالك بن حنبل ابن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر . ثم قال : وجذيمة هذه هم آل عَوَّجبة ، وآل أحمد ، وآل محمود ، وكلهم في إمارة شاور بن سنان ثم في بنيه ، وكان لسنان المذكور أخوان فيهما سُودَّدٌ ؛ وهما غام وخضر . ومن جذيمة جابع (؟) الرايديين وبنو أسلم ، ويقال إن أسلم من جدَّام لا من جذيمة ولكنها اختلطت بها ، ومن جذيمة أيضا شبل ، ورضيمة جَرْمٌ ونيفور ، والقذرة ، والأحامدة ، والرفثة وكور جرم ، وموقع ^{٢١} وكان كبيرهم مالك الموقعي ، وكان مقبلا عند السلطان صلاح الدين بن أيوب وأخيه العادل ؛ ومنهم بنو غور ، ويقال إنهم من جرم بن جرمن من سبب ؛ ومن هؤلاء العاجلة ، والصنان ، والعبادلة ، وبنو تمام ، وبنو جميل ؛ ومن بني جميل بنو مقدم ، ومن بني غور آل نادر ؛ ومن بني غوث بنو بها ، وبنو خولة ، وبنو هرماس . وبنو عيسى ، وبنو سهيل . وأرضهم الدَّارُوم ، وكانوا سفراء بين الملوك ، وجاورهم قوم من زبيد يعرفون ببني فهد ثم اختلطوا بهم . قال الحمداني : فهذه جرم الشام وعلقاؤهم ، ومن جاورهم ولاذ بهم .

وأما الإمرة عليهم . فقد ذكر في ^{٢٢} التعريف : أن الإمرة على عرب غَزَّةَ في زمانه كانت لفضل بن حمي ، وعرب غَزَّةَ هم جَرْمٌ المذكورون ، والمعروف أن

جرماً يكون لهم مقتم لا أسير . وعليه جرى الفاضل تقي الدين بن ناظر الجيـش
في "التنقيف" وذكر أن مقتمهم في زمانه في الدولة الظاهرية برقوق كان على
أبن فضل .

البطن الثالثة

تعلبة من طي أيضاً . قال في "مسالك الأبصار" : وديارهم مما على مصر إلى
الخروبة . وقد تقدم في سياقة الكلام على جرم أن تعلبة هذه من بقايا تعلبة المتقلين
إلى مصر ، وتقدم في الكلام على عرب الديار المصرية أن تعلبة الذي يُسبون إليه تعلبة
أبن سَلَامان ، وأن سَلَامان بطن من بطون طي ، وأن تعلبة المذكورين بطنان :
وهما دَرَمَا وَزُرَيْقُ أبنَا عوف بن تعلبة وقيل أبنَا تعلبة لصلبه ، وأن أسم دَرَمَا عمرو ،
ودَرَمَا أسم أمه قطب عليه ، وأن من دَرَمَا الجواهرية والحنابلية والصبيحيين .
قال الحيداني : وتعلبة الشام من دَرَمَا آل غياث الجواهرية ومن الحنابلية ومن بني وهـم
من الصبيحيين ، ومن أحلافهم فرقة من النميمين ومن المار والجمان ، وتقدم
في الكلام على تعلبة نصر أيضاً أن بكل من تعلبة مصر والشام قوما من خنيف وقيس
ومراد وبين .

قلت : ولم يكن في "التعريف" ولا "التنقيف" لتعلبة المذكورين ذكر لعدم
من يكاتب منهم إذ لم يكونوا في معنى من تقدم .

البطن الرابعة

بنو مهدي (بفتح الميم وسكون الهاء واللام المهملة) قد تقدم في الكلام على
عرب الديار المصرية أنهم أخو الخم وهو جَدَام بن عدى بن عمرو بن سبي من العرب
العاربة ، إما من عمرو بن سبي من القحطانية كما يقتضيه كلام "مسالك الأبصار"

وأما من عُدَّة من قُضَاعَة من حَبْرِينَ سبَا من البَحْطَانِيَة أيضا كما صرح به في "التعريف" . قال في "التعريف" : ومنازلهم البَقَاء . وقال في "مسالك الأبصار" : منازلهم البَقَاء إلى ناس إلى الصنوان^(١) ، إلى عَمِّ أَصْفَر . قال الحمداي : ومن بني مَهْدِيّ المَشَاظَة الذين منهم أولاد عسكر ، والعناترة ، والنترات ، واليعاقبة ، والمطارنة ، والمغير ، والرؤيم ، والقطاربة ، وأولاد الطائية وبنو دوس ، وآل يسار . والمحاربة ، والسماعة ، والعجّارة من بني طريف ، وبنو خالد والسلمان والقرانسية والدرالات والحالات والمساهرة والمعاورة ، وبنو عطاء ، وبنو مباد وآل شبل ، وآل رويم ، وهم غير الرويم المتقدم ذكرهم ، والمحارقة وبنو عيَّاض ، ومنهم طائفة حول الكرك يأتي ذكرهم في الكلام على حرب الكرك . قال الحمداي : ويحاورهم بالبَقَاء طائفة من حارثة ولهم نسب بقرى بني عَقْبَة .

وأما الإمرة عليهم فقد ذكر في "التعريف" أن إمرتهم مقسومة في أربعة منهم ، لكل واحد منهم الربع ، ولم يسم أمراء زمانه منهم . وذكر في "التثقيف" مثل ذلك ، وسمى أمراءهم في زمانه . فقال : وهم يروبرئ ذئب بن محفوظ العنسي ، وسعيد بن يجرى بن حسن العنسي ، وزامل بن عبيد بن محفوظ العنسي ، ومحمد بن عباس بن قاسم بن راشد العسري .

البطن الخامسة

زُبَيْد (بضم الزاي) . قال في "مسالك الأبصار" : وهم فرق شتى . وذكرهم بالشام وغيره ولم يتعرض لنسبهم في أي أحياء العرب . وذكر الجوهرى أن زُبَيْدًا آسم قبيلة ، ولم يزد على ذلك . قلت : والموجود في كتب التاريخ عدو زُبَيْد من

بطون سعد العشيبة من مَدَّحِج بن كَهْلان بن سبيل من العرب العاربة، وهم عرب اليمن على ما تقدم ذكره . وقد ذكر في "مسالك الألبصار" : أن بالشام منهم فِرْقَةٌ بَصْرَحَدَ، وفِرْقَةٌ بَغُوطَةَ دِمَشَقَ . وذكر في "التعريف" : منهم زُبَيْدُ المَرَجِ وزُبَيْدُ حَوْرَانَ وزُبَيْدُ الأحلاف . وذكر مثله في "التتيف" : ومقتضى الجمع بين كلامه في "المسالك" و"التعريف" : أن تكون زُبَيْدُ خمس فِرَقٍ : زُبَيْدُ المَرَجِ ، وزُبَيْدُ الغوطة ، وزُبَيْدُ صَرَحَدَ ، وزُبَيْدُ حَوْرَانَ ، وزُبَيْدُ الأحلاف وليس كذلك ، بل زُبَيْدُ الغوطة وزُبَيْدُ المَرَجِ واحدة ، فإن المراد غوطة دِمَشَقَ ومَرَجُهَا ، وهما متصلان والتازلون فيهما كالفِرْقَةِ الواحدة ، وزُبَيْدُ صَرَحَدَ هي زُبَيْدُ حَوْرَانَ كما صرح به في موضع آخر من "مسالك الألبصار" : إذ صَرَحَدُ من جملة بلاد حَوْرَانَ . أما زُبَيْدُ الأحلاف فديارهم بالقرب من الرَّحْبَةِ بجوار آل فَضْلٍ . قال الحمداني : والذين بَصْرَحَدَ منهم آل مَيَّاسَ ، وآل صَيْفَى ، وآل بَرَّةَ ، وآل محسن ، وآل جحش ، وآل رجاء . والذين بالمَرَجِ والغوطة آل رجاء ، وآل بدال ، والدوس ، والحريث ، وهم في عداد آل ربيعة المتقدم ذكرهم وذكر معهم المشاركة جيرانهم . ثم قال : وإمرة زُبَيْدَ هؤلاء في تَوَقُّلٍ ، وليس للمشاركة إمرة ، ولكن لهم شيوخ منهم ، وأمر الفريقين إلى ثواب الشام ليس لأحد من أمراء العرب عليهم إمرة ؛ وديارهم متصلة من المَرَجِ والغوطة إلى أُمٍّ أو عَالٍ إلى الدريشدان ؛ وعليهم الدرك وسفط الأطراف .



وأما العرب المستعربة ، (وهم بنو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ! على ما تقدم بيانه في الكلام على حرب الديار المصرية) ، فالشهور بأعمال دِمَشَقَ منهم قبيلة واحدة ، وهم بنو خالد صَرَبَ حِمَصَ . قال الحمداني : وهم يدعون النسب إلى خالد

أَبْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالنِّسْبِ عَلَى أَهْرَاضِ عَقِيهِ . قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : وَلَمْلَهُمْ مِنْ ذَوَى قَرَابَتِهِ مِنْ مَخْزُومٍ، وَكَفَاهُمْ ذَلِكَ نَحَارًا أَنْ يَكُونُوا مِنْ قَرِيشٍ . وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ نَسَبِ مَخْزُومٍ فِي قَرِيشٍ فِي الْكَلَامِ عَلَى بَنِي خَالِدٍ فِي جُمْلَةِ حَرْبِ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ فَأَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هُنَا .

قُلْتُ : وَمِنْ جُمْلَةِ مَنْ عَدَّهُ فِي "التَّعْرِيفِ" مِنْ حَرْبِ الشَّامِ غَزِيَّةٌ، وَلَمْ يَحْزَرْ لِي هَلْ هِيَ مِنَ الْعَرَبِ الْعَارِيَةِ أَوْ الْعَرَبِ الْمُسْتَعْرَبَةِ فَلَنَلْكَ ذِكْرُهَا بِفَرْدِهَا . وَقَدْ ذَكَرَ الْحَمْدَانِي أَنَّهُمْ مُتَفَرِّقُونَ فِي الشَّامِ وَالْمَجَازِ وَبَغْدَادٍ، وَفِيهَا بَيْنَ الْعِرَاقِ وَالْمَجَازِ، وَلَمْ يَذْكُرْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا مَنَازِلَهُمْ مِنَ الشَّامِ، بَلْ ذَكَرَ الْحَمْدَانِي مَنَازِلَهُمْ بِالْبَرِّيَّةِ وَالْعِرَاقِ خَاصَّةً . وَقَالَ : هُمْ بَطُونٌ وَأَخْغَادٌ، وَلَهُمْ مَشَايِخُ مِنْهُمْ مَنْ وَقَدَّ عَلَى السَّلَاطِينِ فِي زَمَانِنَا، وَأَشَارَ فِي "التَّعْرِيفِ" إِلَى أَنَّ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ عَدَمُ الطَّاعَةِ، وَمِنْهُمْ أَحْلَافٌ لَأَلْ فَضْلٍ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ وَهُمْ غَالِبٌ وَأَلْ أَجُودُ وَالْبَطِينُ، وَسَازَكْرُهَا بِيَطُونِهَا وَمَنَازِلُهَا وَمِيَاهُهَا مِنَ الْبَرِّيَّةِ فِي جُمْلَةِ حَرْبِ الْمَجَازِ .

النِّبَاةُ الثَّانِيَّةُ

(مِنْ نِيَابَاتِ السُّلْطَانَةِ بِالْمَمْلُوكِ الشَّامِيَّةِ، نِيَابَةُ حَلَبٍ، وَفِيهَا جَمْعَانِ)

الْجُمْلَةُ الْأُولَى

(فِي ذِكْرِ أَحْوَالِهَا فِي الْمَمَالِكِ وَنَحْوِهَا)

أَمَّا الْأَثْمَانُ الْمُتَعَامَلُ بِهَا مِنَ الدَّنَائِيرِ وَالْدِرَاهِمِ وَالصَّنَجَةِ، فَعَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي دِمَشْقَ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ، وَلَمْ تُرْجَعْ الْفُلُوسُ الْجُدُودُ فِيهَا إِلَى الْآنِ وَإِنَّمَا يُتَعَامَلُ فِيهَا بِالْفُلُوسِ الْقَدِيمَةِ، وَرِطْلُهَا سَبْعُمِائَةٍ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا، وَأَوَاقِيهُ أَرْبَعُونَ أَوْاقِيَّةً، كُلُّ أَوْاقِيَّةٍ سِتَّةٌ سِزِيهًا، وَفِي أَعْمَالِهَا زَادَ الرِّطْلُ عَلَى ذَلِكَ، وَتَقْتَرِبُ مِكْيَلُهَا بِالْمِكْيَلِ

في حاضرتها وسائر أعمالها ، والمكوك المعبر في حاضرتها سبع وبيات بالكيل المصري ،
وأما في نواحيها وبلاها ، فيختلف اختلافًا متباينًا في الزيادة والنقص . قال
في "مسالك الأبصار" : والمعدل منها أن يكون كل مكوكين ونصف غرارة^(١) ،
وما بين ذلك كل ذلك تقريبًا ، ويقاس القماش بها بذراع يزيد على ذراع القماش
المصري سُدُس ذراع ، وهو أربعة قرايط ، وتعتبر أرض دورها بذراع العمل
كما في الديار المصرية وأرض زراعتها بالفدان الإسلائي والفدان الرومي كما في دمشق ،
ونعراج أرض الزراعة بها كما في دمشق ، وأسعارها على نحو سعر دمشق إلا في الفواكه
فإنها في دمشق أرخص لكثرتها بها .

الجملة الثانية

(في ترتيب مملكتها ، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ترتيب حاضرتها)

أما جيوشها فعلى ما تقدم في دمشق من اشتغال عسكرها على الترك والجرمكس
والروم والروس وغير ذلك من الأجناس المشابهة للترك ، وأنقسامها إلى الأمراء
المقدمين والعلخانات والعشرات ومن في معانهم من العشرينات والخمسات ، وكذلك
أجناد الحلقة ومقدموها ، وإقطاعاتها على نحو ما تقدم في دمشق في المقدار ، وربما
زاد إقطاع الحلقة بها على إقطاع الحلقة بالديار المصرية بخلاف إقطاعات الأمراء
بها فإنها لا تساوى إقطاعات الأمراء بالديار المصرية .

وأما وظائفها فعلى أربعة أصناف .

(١) تقدم ذلك في (ص ١٨٨) من هذا الجزء فانظره .

الصنف الأول

(وظائف أرباب السيوف؛ وهى عدة وظائف)

(منها) نيابة السلطنة - وهى نيابة جليلة فى الرتبة الثانية من نيابة دمشق .
 ويعبر عنها فى ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة بنائب السلطنة الشريفة ، ولا يقال
 فيه كائن السلطنة كما يقال لثائب دمشق ، ويكتب عن نائبها التواقيع الكريمة بأكثر
 وظائف حلب وأعمالها ، وكذلك يكتب عنه المربعات الخيشية بالديار المصرية ،
 والمناشير الإقطاعية على حكمها كما تقدم فى دمشق ، وكذلك يكتب على كل ما يتعلق
 بنيابته من المناشير والتواقيع والمراسيم الشريفة بالاعتقاد ، ويزيد على نائب دمشق
 بسرحتين يسرحهما للصيد ، الأولى منهما يسرحها فى بلاد حلب من جانب الفرات
 الغربى يتصيد فيها الغزلان ، يقيم فيها نحو عشرة أيام ، والثانية وهى العظمى يسرحها
 الفرات إلى برا الجزيرة شرق الفرات ، وينتقل فى نواحيها مما هو داخل فى مملكة
 الديار المصرية وما حولها ، يتصيد فيها الغزلان وغيرها من سائر الوحوش ، وقيم فيها
 نحو شهر .

(ومنها) نيابة القلعة بحلب - وهى نيابة منفردة عن نيابة السلطنة بها ، وليس
 لثائب السلطنة على القلعة ولا على نائبها حكم كما تقدم فى قلعة دمشق ، وعادة نائبها
 أن يكون أمير طبلخاناه ، وتوليتهما من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف ، وفيها
 من الأجناد البحرية المحدثين لحراستها نحو أربعين نفسا ، مقيمون بها لا يظعنون عنها
 بسفر ولا غيره ، يحلّس منهم فى كل نوبة عدة فى الباب الثانى منها من حين فتح الباب
 فى أول النهار وإلى حين قفله فى آخر النهار ، وبها الحرس فى الليل ، وضرب الطبل
 على مضى كل أربع درج كما تقدم فى قلعة دمشق .

(ومنها) الجُوبية - والعادة أن يكون بالجُوبية مُحْجَب، أحدهم مقدّم ألف: وهو حاجب المُحْجَب، ويصبر عنه في ديوان الإنشاء بالأبواب الشرفية في المكتبات وغيرها بأمر حاجب يجلب كتابب المُحْجَب بِدَمَشَق، وهو ثاني نائب السلطنة في الرتبة ولا يدخل أحد دار النيابة راجا غير النائب وغيره، وهو نائب القية إذا خرج نائب السلطنة في مهمٍّ أو منصبٍ أو غير ذلك؛ وإليه تَرُدُّ المراسيم السلطانية بقبض نائب السلطنة إذا أراد السلطان القبض عليه، ويكون هو المتصديّ لحال البلد إلى أن يُقام لها نائبٌ، والثلاثة الباقون إما ثلاث طبليخانات، أو طبليخانتان وعشرة، أو ما في معنى ذلك، وولاية حاجب المُحْجَب والحاجب الثاني من الأبواب الشرفية السلطانية بشير تقليد ولا مرسوم، ومَرَبٌ عداها ولايته عن نائب حلب، وفيها آستان واحد بالمدينة وواحد بالميسرة، فالذي في الميسرة في الغالب يكون أمير عشرة وربما كان أمير خمسة، والذي بالميسرة جنديّ من أجناد الحفّة، وولايتهما عن النائب كل منهما بتوقيع كريم .

(ومنها) شدّ الأوقاف - وهي بها رتبةٌ جليلةٌ أعلى من شدّ الأوقاف بِدَمَشَق، وطاعتها تقسم ألف أو طبليخاناه، تُؤْتَى من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف .
كنا أخبرني بعض أهلها؛ ومتوليا يتحدّث على سائر أوقاف المملكة الحلبية .
(ومنها) المِهْمَتْدَارِيَّة - وموضوعها على ما تقدم في الديار المصرية وبِدَمَشَق، وبها آستان : فاحدهما تارة يكون أمير طبليخاناه وتارة يكون أمير عشرة، والآخر جنديّ حَفّة، وولاية كل منهما بكل حال عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) شدّ الدواوين - وموضوعها كما تقدم في الديار المصرية وبِدَمَشَق، وطاعته إمرة عشرة، وربما وليا جُنْدِيّ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) شد مراكر البريد - وموضوعها كما تقدم في دمشق، وعادتها إمرة عشرة، وربما كان مقدم حقة أوجنديا، ولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) ولاية المدينة - وموضوعها التحدث في الشرطة كما تقدم في الديار المصرية ودمشق، وعادتها إمرة عشرة، وربما وليها مقدم حقة، ولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) شد الأقواد - وموضوعها التحدث على الأموال التي تساق قوداً من المملكة في كل سنة، وعادتها إمرة عشرة، وربما وليها مقدم حقة، ولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

قلت : وسائر وظائف الأمراء أرباب السيوف المستقر مثلهم بالحضرة السلطانية كراس نوبة وأمير مجلس ومن في معانها ممن يجرى هذا المجرى المختص بالنائب يكون له مثلها من أجناده لقيامه مقام السلطان هناك كما تقدم في دمشق .

وأما الوظائف الديوانية بها لأرباب الأقلام .

(ومنها) الوزارة - ويعبر عنها في ديوان الإنشاء بالأبواب الشرفة بنظر المملكة ليس إلا ، ولا يصرح له بأسم الوزارة بحال ، وإن كان الجاري على السنة العامة تليق متوليا بالوزير، ولم يجر العادة بأن يتولاها إلا أرباب الأقلام، ولايتها من الأبواب الشرفة السلطانية بتوقيع شريف، ولديوان هذا النظر على مباشرين أتباع ناظرها كصاحب الديوان والمستوفي والتكاتب والشهود وسائر فروع الوزارة، والنائب يولي كلاً من هؤلاء المباشرين بتواقيع كريمة .

(ومنها) كتابة السر - ويعبر عن متوليا في ديوان الإنشاء بالأبواب الشرفة بصاحب ديوان المكاتبات بحلب ، ولا يُسمح له بصاحب ديوان الإنشاء بحلب .

كما في دِمَشْقَ، وولايته من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف، وبديوانه كُتِبَ
الْدَسْتُ وَكُتِبَ الدَّرَجُ كما في دِمَشْقَ والديار المصرية .

(ومنها) نظر الجليش - والحكم فيه كما تقدم في دِمَشْقَ من كتابة المربعات بما
يُبينه النائب من الإقطاعات وتجهيزها للأبواب الشريفة لتُشَمَّلَ بالخط الشريف
وتُخَلَّدَ شاهداً بديوان الجيوش بالديار المصرية، وكذلك إثبات ما يصدر إليه من
المناشير من الأبواب الشريفة، وولايته من الأبواب الشريفة .

(ومنها) نظر المال - وهو بمعنى الوزارة كما في دِمَشْقَ إلا أنه لا يطلق على متوليه
وزير البتة، وولايته من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف . ولديوانه كُتِبَ أُنْبَاءُ
له : كصاحب الديوان والكُتُب والشهود وغيرهم، وولاية كل منهم عن النائب
بتواقيع لم كما في دِمَشْقَ .

(ومنها) نظر الأوقاف - وحكمها التحدث على الأوقاف بمدينة حَلَبَ وأعمالها
كما في دِمَشْقَ، وولايتهما عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر الجامع الكبير - ومتوليها يكون رفيقا للنائب في التحدث فيه؛
وولايتهما عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر البيمارستان - وقد تقدم في الكلام على مدينة حَلَبَ أن بها بيمارستانين
أحدهما يعرف بالعتيق والآخر بالجديد، ولكل منهما ناظر يُخَصُّه؛ وولاية كل منهما
عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر الأقواد - ومتوليها يكون رفيقا لشاذ الأقواد المتقدم ذكره في أبواب
السيوف، وولايته عن النائب بتوقيع كريم .

الصف الثاني

(الوظائف الدينية)

(فنها) القضاء - وبها أربعة قضاة من المذاهب الأربعة كما في دمشق ، إلا أن استقرار الأربعة بها كان بعد استقرارها بدمشق ، وولاية كل منهم من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف . ويختص الشافعي منهم بمعوم تولية التواب بالمدينة وجميع أعمالها ، ويقتصر من عداه على التولية في المدينة خاصة كما تقدم في دمشق والديار المصرية .

(ومنها) قضاء العسكر - وبها قاضيا عسكرا شافعي وحنفيا كما في دمشق ، وولايتها من الأبواب الشريفة ، ويكتب لكل منهما توقيع شريف .

(ومنها) إفتاء دار العدل - وبها آثان أيضا : شافعي وحنفيا كما في دمشق ، وولاية كل منهما عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) وكالة بيت المال - وولايتها من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف ، ووكالته عن السلطان بمصر ماثوبة فتتخذ بالملكة كما تقدم في دمشق .

(ومنها) رقابة الأشراف - والأمر فيها على ما تقدم في دمشق والديار المصرية ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) مشيخة الشيوخ - والحكم فيها كما في دمشق ، وعادتها أن يكون متوليا هو شيخ الخلفاء المعروفة بالقديم ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم . وربما كانت من الباب الشريف .

(ومنها) الحسبة - وهي على ما تقدم في دمشق والديار المصرية ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم ، ومتوليا يولى نواب الحسبة بسائر الأعمال الخلية .

(ومنها) الخطابة بالجامع الكبير - وولايتها عن النائب بتوقيع كريم
(ومنها) التدريس والتأديب الممدودة بنظر النائب - وولايتها عنه بتوقيع كريم
على قدر مراتب أصحابها .

الصنف الثالث

(وظائف أرباب الصناعات)

(فنها) رئاسة الطب ، ورئاسة الكحالين ، ورئاسة الجراحية كما في دمشق
والديار المصرية ؛ وولاية كل منهم بتوقيع كريم عن النائب . أما مهتارية البيوت
ومن في معانهم مفقودون هناك لفقد البيوت السلطانية ، وإنما مهتارية البيوت
بها للنائب خاصة لقيامه مقام السلطان بها كما في دمشق .

وأما ترتيب النيابة بها فعلى نحو ما تقدم في دمشق ؛ وعادة النائب بها أن يركب
في المراكب في يومى الاثنين والخميس من دار النيابة ، ويخرج من باب يقال له باب
القوس ، في وسط البلد على القرب من القلعة ، ويترجم إلى سوق الخليل ، ويخرج من
سور البلد من باب الثيرب ، ويتوجه إلى مكان يعرف بالميدان ويعرف بالقبة أيضا
على القرب من المدينة بطريق القرية المعروفة بجبريل ، في جهة الجنوب عن المدينة ،
ثم يعود من حيث ذهب ، وقد وقف الأمراء في أنتظاره بسوق الخليل ، وآخر
خيولهم إلى القلعة ورموس خيولهم إلى الجهة التي يعود منها أمراء الخمسات ، ثم أمراء
العشرات ومن في معانهم على ترتيب منازلهم ، ثم أمراء الطبلخانات ، ثم الأمراء
المقدمون . فإذا حاذى النائب في عوده أمراء الخمسات والعشرات في طريقة ، سلم
وهو سائر فيسألون عليه ، وهم وقوف في أمكنتهم لا يتحركون ولا يتحركون عنها . فإذا
حاذى أمراء الطبلخانات ، سلم عليهم فيتقدمون بخيولهم إليه نحو قصبتي قياس فيسألون

عليه ثم يعودون إلى أمكتهم فيقفون فيها . فإذا حاذى الأمراء المتقدمين سلم عليهم فيعملون كما فصل أمراء الطليحانات من التقدم اليه والسلام عليه ثم يعودون إلى أمكتهم ، ويمر النائب حتى ينتهى إلى آخر سوق الخيل فيعطف رأس فرسه ويقف مستقبلاً للجهة التي عاد منها في الخنوب والعسكر ، واقفون على حالهم ، وينادى بينهم على العقارات من الأملاك والضسياع وكذلك الخيول والسلاح قدر خمس درج ، ثم يمر إلى دار النيابة : فإن كان ذلك الموكب فيه ستماط ، سار في خدمته إلى دار النيابة من كان معه في ركوب الموكب من الأمراء الأكابر والأصغار من المنجباب وغيرهم ، ويمر بباب القلعة وقد نزل نائب القلعة إلى بابها فوقف فيه بمالك في خدمته من الأجناد البحرية المقيمين بالقلعة ، فإذا مرت بهم النائب ، سلم على نائب القلعة فيسلم عليه ، ويطلع نائب القلعة إلى قلعته ، ويمر النائب في طريقه إلى دار النيابة ، ويكون مالك النائب قد ترجلوا عن خيولهم ، وترجل أمراء الخمسات والعشرات بعدهم ، ثم يترجل الطليحانات على القرب من دار النيابة ، ثم الأمراء المتقدمون على باب دار النيابة ، كل منهم على قدر منزلته ، ويستمر النائب راجعاً حتى يأتي المقعد المذكور^(١) ، وهو مقعد مربع مرتفع عن الأرض عليه قبة مرتفعة ودرازين من خشب دائر ، وفيه دكة من خشب صغيرة في جانبه مرتفعة عن المقعد قدر ذراع ، تسع جالسا فقط معدة لجلوس النائب ، فينزل النائب على باب من أبواب المقعد الثلاثة مخصوص به ، ويمسح حاجب المنجباب على مصطبة لطيفة أعلى السلم خارج الدرازين معدة لجلوسه عن عين النائب ، ويكون القضاء الأربعة وقاضيا العسكر ومفتيا دار العدل وكتاب السر وكتاب الدست وناظر الجيش قد حضروا قبل حضور النائب وحاجب المنجباب وطلعوا من سلم مخصوص بهم وأخذوا مجالسهم وجلسوا في انتظار النائب ، فإذا حضر قاموا

(١) أى في غير هذه النيابة .

وجلسوا بجلوسه ، ويكون جلوسهم بترتيب خاص يوافق دسّاق في بعض الأمور ويخالف في بعضها : فيجلس عن يسار النائب قاضي القضاة الشافعي ، ويليّه قاضي القضاة الحنفي ، ويليّه قاضي القضاة المالكي ، ويليّه قاضي القضاة الحنبلي ، ويليّه قاضي العسكر الشافعي ، ويليّه قاضي العسكر الحنفي ، ويليّه مفتي دار العدل الشافعي ، ويليّه مفتي دار العدل الحنفي ، ويليّه الوزير صفاً مستقيماً ، ويجلس كاتب السراياام النائب على القرب منه ، ويليّه عن يمينه ناظر الجيش ، ويليّه كُتاب الدسّت على ترتيب منازلهم حتّى يساووا في المقابلة الصفّ الذي فيه قضاة القضاة ومنّ معهم ، ويجلس باقي الموقعين بين الصفين مقابل حاجب المجنّاب حتّى يصلوهما فيصيرون كاللحقة المستديرة ، ويقف المجنّاب الصغار أسفل السُّلم الذي يَصعدُ منه ، وحاجب المجنّاب وقبّاء الجيش خلفهم ، والولاة خلف قبّاء الجيش . فإن كان الأمراء قد حضروا لأجل السباط ، جلس المتقدمون والطلّخاتاء على مصاطب معدّة لهم على القرب من المقعد الذي يجلس فيه النائب ومنّ معه من أرباب الأقاليم المتقدم ذكرهم ، وتُرفع القصص فيناولوها قبّاء الجيش ويناولونها المجنّاب فيناولونها لحاجب المجنّاب فيناولوها لكاتب السر فيفرّقها على الموقعين ويبقى بعضها معه ، فيقرأ ما معه ثم يقرأ من بسده على الترتيب إلى آخر الموقعين . فإذا انتهت قراءة القصص قام من المجلس القضاة ومنّ في منامهم وكُتاب الدسّت فأنصرفوا . فإذا أنتقضى المجلس ، فإن كان في المركب سباط قام النائب والأمراء من أماكن جلوسهم فدخلوا إلى قاعة عظيمة قد وضع بصدرها كرسيّ سلطنة مفتش بالحرير الأطلس الأصفر وعليه تيجان مستندة إلى صدره كما تقدّم في دسّاق ، وقد مدّ السباط السلطاني فيجلس النائب على رأس السباط والأمراء على ترتيب منازلهم في الإمرة والقُدّمة ويأكلون ويريق السباط ، ثم يقوم الأمراء فينصرفون ، ويقوم النائب ومعه كاتب السر وناظر الجيش .

فيدخل إلى قاعة صغيرة فيها شباك مطل على دوار بإصطبل النائب، فيجلس في ذلك الشباك، ويجلس كاتب السر وناظر الجوش فيصرفان^(١).

قلت : ويتخالف دمشق في أمور :

أحدها - أن كرسى السلطنة ليس بدار العدل حيث يجلس النائب والمتعممون كما في دمشق بل في مكان آخر.

الثاني - أن الأمراء لا يجلسون مع النائب بدار العدل كما في دمشق بل في مكان منفرد.

الثالث - أن النائب يجلس على دكة مرتفعة عن جلسائه بخلاف دمشق. فإنه يجلس مساويا لهم، وكان المعنى فيه عدم جلوس الأمراء في مجلس النائب بجلج بخلاف دمشق.

الرابع - أن الوزير يجلب يجلس في آخر صف القضاة ومن في معانهم تحت مفتحي دار العدل، ودمشق يجلس في رأس صف يقابل كاتب السر، وكان المعنى فيه أن كاتب السر يجلب يجلس أمام النائب فلو جلس الوزير فوقه لخالف قاعدة جلوس كاتب السر، أو جلس تحته لكان نقصا في رتبة. ولا شك أنه يجلس فوقه القضاة ومن في معانهم لرفعة ورتبة الشرع.

الخامس - أن السباط يجلب لا يمد بدار العدل كما في دمشق بل في مكان آخر مخصوص.

السادس - أن النائب يجلب له موضع مخصوص يجلس فيه للعدايات وند السباط، وفي دمشق يجلس على طرف الإيوان بدار العدل بعد رفع السباط منه.

(١) لغة هم يصرفان.

المحلة الثانية

(في ترتيب ما هو خارج عن حاضرة حلب ؛ وهو ثلاثة أنواع^(١))

النوع الأول

(ولاية الأمود من أرباب السيوف ؛ وهو ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(النواب ؛ وهم على ضربين)

الضرب الأول

(ما هو داخل في حدود البلاد الشامية ، وهي إحدى عشرة نيابة)

الأولى - (نيابة قلعة المسلمين المسماة في القديم بقلعة الروم) - وعادة نائبها أن

يكون مقدم ألف يولى من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الثانية - (نيابة الكفتا) - ونيايتها تارة تكون طبلخاناه وتارة عشرة ؛ وتوليها

من نائب حلب .

الثالثة - (نيابة كركر) - ونيايتها تارة طبلخاناه وتارة عشرة ؛ وتوليها من

نائب حلب .

الرابعة - (نيابة بهسني) - وقد ذكر في " التنقيف " ما يقتضى أن نيايتها

طبلخاناه ، لكن أخبرني بعض كتّاب السربطب أنها ربما كانت تخدمه ألف . وقد ذكر

في " التعريف " ما يقتضى ذلك فقال : ولنايتها مكانة جليلة ، وإن كان لا يلحق

بنائب الأية ؛ وبكل حال فتوليها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الخامسة - (نيابة عيتاب) - وقد أوردتها في " التنقيف " في جملة أمراء

العشرات وذكر أنه رأى بخط آبن النشائي ما يقتضى أنها كانت طبلخاناه . وقد أخبرني

(١) : ذكره الانوين فقه .

بعض كُتَّاب سر حلب أنها استقرت مقدمة ألف و أواخر الدولة الظاهرية بقرقي .
واستقرت توليتها من الأبواب السلطانية .

السادسة - (نيابة الرأوندان) - وقد أوردها في " التتيف " في جملة نيابات
العشرات . وقد أخبرني بعض كُتَّاب السربحَلَب أنها استقرها آخر جندي ،
وتوليتها من نائب حلب .

السابعة - (نيابة الدَّرَسَالَك) - وقد أوردها في " التتيف " في جملة العشرات .
وأخبرني بعض كُتَّاب سر حَلَب أنها ربما أضيفت لنائب بقراس الآتي ذكرها وأنها
الآن بيد ابن صاحب الباز التُّركمانى ، وتوليتها من نائب حلب .

الثامنة - (نيابة بقراس) - وقد أوردها في " التتيف " في جملة العشرات ؛
وولايتها من نائب حلب . وهى بيد أولاد داود الشيبانى التركمانى من قَادمِ السنين ؛
وولايتها من نائب حَلَب .

التاسعة - (نيابة القُصَيْر) - وقد أوردها في " التتيف " في جملة العشرات .
وأخبرني بعض كُتَّاب سر حلب أن بها الآن جندياً .

العاشرة - (نيابة الشَّعْر وبكاس) - وقد أوردها في " التتيف " في جملة
العشرات ، وقد أخبرت أنها استقرها آخر جندي ، وتوليتها من نائب حلب .

الحادية عشرة - (نيابة شَيْدَر) - كانت في الزمن المتقدم إمرة عشرة يستقل نائب
حَلَب بتوليتها فلما تسلمت عليها العُرَّبان بعد وقعة منطاش والناصرى استقرت
مقدمة بولاية من الأبواب السلطانية بموسم شريف .

الضرب الثاني

(النيابات الخارجة عن حدود البلاد الشامية، وهي قسمان)

القسم الأول

(بلاد الثغور والمواصم وما والاها، والمعتبر فيها ثمان نيابات)

الأولى - (نيابة مَلَيْطِيَّة) - ونيابتها طبلخاناه، وتوليها من الأبواب السلطانية

الثانية - (نيابة دَرَكِي) - وقد ذكر في "التقيف" أنها تارة تكون طبلخاناه وتارة تكون عشرة، وبكل حال فولايتهما من نائب حلب .

الثالثة - (دَرَنْدَة) - ونيابتها في الغالب إمرة عشرة، وربما كانت طبلخاناه، وولايتهما في الحالتين من نائب حلب .

الرابعة - (نيابة الأَبْلُسْتَيْن) - ونيابتها تخدمه ألف من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الخامسة - (نيابة آيَاس) - وهي المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية - ونيابتها تخدمه ألف، وتوليها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

السادسة - (نيابة طَرَسُوس) - ونيابتها تخدمه ألف، وتوليها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

السابعة - (نيابة أَذْنَة) - ونيابتها تخدمه ألف، وتوليها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الثامنة - (نيابة سِرْفَنْدَكَار) - ونيابتها إمرة عشرة، ووقع في "التقيف" نقلاً عن آبن الفشاني ما يقتضي أنها كانت أولاً طبلخاناه، وبكل حال فولايتهما من نائب حلب .

التاسعة - (نيابة سيس^(١)) - وقد تقدم أن فتحها قريب في الدولة الأثرية "شعبان
 ابن حسين" ولم تزل نيابتها منذ فتحت مقدمة ألف ، وكانت قد جعلت نيابة
 مستقلة عند الفتح ثم جعلت بعد ذلك مقدمة عسكر كغزة إلا أن مقدم العسكر بها
 لا يكاتب في خلاص الحقوق بخلاف مقدم العسكر بغزة .

قلت : وبعد ذلك نيابات صفار يولي بها نائب حلب أجنادا ، ولا مكتبة لها
 من الأبواب السلطانية : وهي نيابة قلعة ياري كروك ، ونيابة كاورا ، ونيابة كولاك ،
 ونيابة كرزال ، ونيابة كوي ، ونيابة تل حمدون ، ونيابة المارونيين ، ونيابة قلعة
 قجة ، ونيابة حيمص ، ونيابة قلعة لؤلؤة .

القسم الثاني

(ما هو في حدود بلاد الجزيرة شرق القرات ، والمعتبر فيها ثلاث نيابات)

الأولى - (نيابة البيرة) - ونيابتها مقدمة ألف ، وتوليها من الأبواب السلطانية
 بمرسوم شريف .

الثانية - (نيابة قلعة جعبر) - ونيابتها طبلخاناه ، وتوليها من الأبواب السلطانية
 بمرسوم شريف .

الثالثة - (نيابة الرها) - قال في "التحيف" : وقد جرت العادة أن تكون نيابتها
 طبلخاناه ، ثم استقر بها في الدولة المنصورية في سنة ممان وسبعين وسبعائة
 مقدم ألف .

الصنف الثاني

- (من أرباب السيوف بخارج حَلَب الولاية، وولاية جميعها من نائب حلب بتوافيق كريمة، والمشهور منها اثنتا عشرة ولاية)
- الأولى - (ولاية بَرَحَلَب كما في دِمَشَق) - إلا أن والي برحلب هو والي الولاية.
- الثانية - (ولاية كُفْرِ طَلَب) - وواليها جندي.
- الثالثة - (ولاية سَرَمِين) - وواليها في الغالب جندي، وربما كان أمير عشرة.
- الرابعة - (ولاية الجُبُول) - وواليها جندي.
- الخامسة - (ولاية جَبَل سَمْعَان) - وواليها جندي، وهو مقيم بمدينة حلب، يحضر المواكب مع والي المدينة ووالي البر: لقربه منها.
- السادسة - (ولاية عَرَّاز) - وواليها جندي، وربما كان أمير عشرة.
- السابعة - (ولاية تَلَّ بَاشِر) - وكان لها والٍ بمفردها جندي، ثم أضيفت آحرا لَمَيْتَاب.
- الثامنة - (ولاية مَنبِج) - وواليها جندي.
- التاسعة - (ولاية تِيزِين) - وهي تارة تفرد بوال يكون جنديا، وتارة تضاف إلى حارم، ويقال والي حارم وتيزين.
- العاشر - (ولاية الباب وبُزْأَعَا) - وواليها جندي.
- الحادية عشرة - (ولاية دَرَكُوش) - وواليها جندي.
- الثانية عشرة - (ولاية أَطَّاكِيَّة) - وواليها تارة يكون جنديا وتارة أمير عشرة، وأخبرني بعض كتّاب السرى بحلب أنها ربما أضيفت إلى نائب القصير.

قلت : ووراء ذلك ولايات أترُبلاد الأرمن ونحوها لم يتحروا حُلماً ، والظاهر
أن ولاية جميعها أجناد .

النسوع الثاني

(مما هو خارج عن حاضرة حلب العُربان)

واعلم أنه قد تقدّم في الكلام على آل فُضْل من عُرْبَان دِمَشْق أن منازلهم ممتدة
بأراضي الشام إلى الرّحبة وجعبر في جانب الفُرات ، وتقدّم في الكلام على قواعد
الشام المستقرة قحلا عن المقر الشهابي آبن فضل الله في "التعريف" أن جعبر كانت
في زمانه من مضافات دِمَشْق ، وأن الواجب أن تكون من مضافات حَلَب ، فإنها
أضيفت بعده إلى حَلَب ، وحيثئذ فيكون في بلاد حلب بعضُ عرب آل فضل
التقدّم ذكرهم هناك .

والمختص بأعمال حلب من العرب المشهورين قيلتان .

القبيلة الأولى - (بَنُو كَلَّاب) . قال في "مسالك الأبصار" : وهم عربُ أطراف
حَلَب والروم ، ولهم غزوات عظيمة معلومة وغارات لا تعدّ ، ولا تزال تُباع بناتُ
الروم وأبنائهم من سباياهم ؛ ويتكلمون بالتركية ويركبون الأكَاديش ، وهم عرب
غزو ، ورجالُ حروب ، وأبطال جيوش ، وهم من أشدّ العرب بأسا ، وأكثرهم ناسا .
قال : ولا فراط نِكَائهم في الروم صُفّت السيرة المعروفة "بدهمة والبطل" ^(١) منسوبة
اليهم بما فيها من مُلح الحديث ولُحح الأباطيل ؛ ولكنهم لا يدينون لأمر منهم يجمع
كتبهم ، ولو أقادوا لأمر واحد لم يبق لأحد من العرب بهم طاقة .

(١) هي السيرة المشهورة الآن "بذات الهمة" وقد طبعت أخيرا بالمطبعة "الحسينية" وأنتشرت
فقد انتشر في بابها لأبأس بها .

قال الجهماني : وكان بنو كلاب قد ظهوروا على آل ربيعة ، وذلك أن الملك الكامل كان طلب من ماتيغ بن حديشة وغنم بن الطاهر جمالاً يحمل عليها غللاً إلى خلّاط يقيها بها ، فاحتج بقبيلة جماله في البرية ، وكان بعض بني كلاب حاضراً فتكفل له بمحاجته من الجمال ووفى له بذلك ، فخذ بها الملك الكامل على ماتيغ بن حديشة وغنم بن الطاهر وأستوحشاً منه ثم أتياه عند أخذه أميد ، فوبّخهما فخرجا خائفين منه إلى أن فتح دمشق فأتياه بأنواع التّقديم وتحرّياً إليه بالخدمة . قال : وكانت بنو كلاب تحذم الملك الأشرف موسى وتصحبه لمتابعة بلاد الروم .

قال في "مسالك الألبار" : وكان سلطاننا بني الناصر محمد بن قلاوون لا يزال ملتفتاً إلى تألف بني كلاب هؤلاء ، وكان أحمد بن نصير المعروف بالتّترى قد عاث في البلاد والأطراف وأشتت في قطع الطريق ، فأمنه وخلع عليه وأقطعه فأقادت بنو كلاب للطاعة ، وكان الملك الناصر قد أمر عليهم سليمان بن مهنّا وجعل عليه حفظ جعبر وما جاء رها .

القبيلة الثانية - (آل بشار) - قال في "مسالك الألبار" : وديارهم الجزيرة والأحص^(١) ببلاد حلب . قال : والأحلاف منهم جالم في عدم الأقياد لأمر واحد حالّ بني كلاب . ولو اجتمعوا لما آمن بأسمهم فقيم على تفرق كلمتهم ، وبسبب جماعتهم لا يزال آل فضل منهم على وجل ، وطالما باتوا وقلوبهم منهم ملائى من الحذر ، وعيونهم وبنى من السهر ، وبنهم دماء ، وهم وبنو ربيعة وبنو بخل جيران ، وديارهم من سنجار وما يدانيها إلى البصرة أو قريب الجزيرة العمريّة إلى أطراف بندا .

(١) هو هذا الضبط موضع . أنظر صمغ البدان (ج ١ ص ١٤٩ - ١٥٢) .

النيابة الثالثة

(نيابة أطرابلس ، وفيها جلتان)

الجملة الأولى

(في ذكر أحوالها ومعاملاتها)

أما معاملاتها فبالدينار والدرهم النقرة على ماسر في الديار المصرية ودمشق وحلب ؛ وصنعتها كصنعة دمشق في الذهب والفضة ؛ وبها الفلوس المتق (١) فلها بدرهم ؛ ورطلها ستمائة درهم كما في دمشق ، وأواقيها اثنتا عشرة أوقية كل أوقية خمسون درهما . وتعتبر ميكلاتها بالمحكوك كما في حلب ؛ ويقاس القماش بها بذراع كل عشرة أذرع منه إحدى عشرة ذراعا بالمصرى ؛ وتقاس أرض دورها بذراع العمل كما في الديار المصرية وغيرها من البلاد الشامية ؛ وتعتبر أرض زراعتها بالفدان الإسلامية والفدان الرومي كما في دمشق وغيرها من البلاد الشامية ؛ ونزاجها على ما تقدم في دمشق وغيرها من بلاد الشام .

وأما جيوشها فمن الترك ومن في معانهم على ما تقدم في غيرها من الممالك الشامية ، وبها أمير واحد مقدم ألف غير نائب ، وباقى أمراءها طليخاناه وعشرات ومن في معانهم من المشيرينات وغيرها ؛ وبها من وظائف أرباب السيوف نيابة السلطنة : وهي نيابة جليلة ، نائبها من أكبر مقدمى الألوف ، وهو فى الرتبة الثانية من حلب كما في حماة ؛ وليس بها قلعة يكون لها نائب بل نائب السلطنة هو المتسلم لبيحها والمتصرف فيها لئلا من أمر العسكر وغيره .

ومنها المجبوبة ، وبها ثلاثة محجّاب أكبرهم طليخاناه وهو حاجب المحجّاب ، والحاجبان الآخران كل منهما أمير عشرة .

(١) بياض في الأصل .

ومنها المهتدأرية، وشذ الدواوين، وشذ الخصاص، وشذ مراكر البريد، وشذ
المتا، ونقابة الثقباء، وأميراخورية، وشذ الأوقاف، وخدمة البريدية، وأميراخورية
البريد، وولاية المدينة، وخدمة التركان وغير ذلك، وكلها يوليا النائب بها .

وبها من أرباب الوظائف الديوانية ناظر الملكة، وناظر الجيش، وصاحب
ديوان المكتبات، وولاية الثلاثة من الأبواب السلطانية بتوقيع شريعة، وتُكتب
دست، وتُكتب دُرَج، ولايتهم من نائبها .

وبها من الوظائف الدينية قضاء القضاة من المذاهب الأربعة، وقاضيا عسكري
شافعي وحنفى، ومفتيا دارعدل كذلك، ومعتسب، ووكيل بيت المال . إلى غير
أولئك من أرباب الوظائف .

وأما ترتيب النيابة بها فلان النائب يركب في يومى الاثنين والخميس من دار
النيابة، ويخرج في موكره من الأمراء والأجناد حتى يأتى ساحل البحر، ثم يعود إلى
دار النيابة ومعه جميع الأمراء والأجناد، خلا الأمير المقدم فإنه لا يحضر معه إلى دار
النيابة . وإذا حضر النائب إلى دار النيابة جلس في دار العدل بصدر الإيوان
وليس بها كرسي سلطنة، ويجلس قاضيان: شافعى وحنفى عن يمينه، ومالكى وحنبلى
عن يساره، ووكيل بيت المال تحت القاضي المالكى، ويجلس كاتب السر أمامه
على القرب من يساره وتُكتب الدست خلفه، وحاجب الحجاب جالس أمام النائب
على القرب منه، يأخذ الحجاب الصغار القصص ويناولونها إلى حاجب الحجاب
فيدفعها لكاتب السر، ويفصل المحاكمات، ثم ينفض المجلس ويمد السباط فياكلون
وينصرفون كما في غيرها .

المجلة الثانية

(فيا هو خارج عن حاضرتها، وهو على ضرين)

الضرب الأول

(التواب، وهم على قسمين)

القسم الأول

النيابات بمضافات نفس أطرابلس، وبها خمس نيابات كلهم يكتبون عن الأبواب السلطانية في المهمات ونحوها، دون خلاص الحقوق . فإنه يختص بنائب السلطنة بها .

الأولى - نيابة حصن الأكراد - ونيابته إمرة عشرة .

الثانية - نيابة حصن عكار - ونيابته إمرة عشرة .

الثالثة - نيابة بلاطس - ونيابته إمرة عشرة .

الرابعة - نيابة صهيون - ونيابته إمرة عشرة .

الخامسة - نيابة اللاذقية - ونيابته إمرة عشرة .

القسم الثاني

(نيابات قلاع الدعوة، وهي ست نيابات خارجا عن مصيف

حيث أضيفت إلى دمشق)

الأولى - نيابة الرصافة - وأصل نيابته إمرة عشرة .

الثانية - نيابة الخرابي - وأصل نيابته إمرة عشرة .

الثالثة - نيابة القُدُوس - وأصل نيابته إمرة عشرة .

- الرابعة - (نيابة الكهف) - وأصل نيابتها إمرة عشرة .
 - الخامسة - (نيابة المنيقة) - وأصل نيابتها إمرة عشرة .
 - السادسة - (نيابة القلعة) - وأصل نيابتها إمرة عشرة .
- قلت : وقد أخبرني بعض كتّاب المملكة أن هذه النيابات كلها استقر فيها أجناد، وبالمجمل فإني أرى فيها نائب طرابلس بكل حال .

الضرب الثاني

(الولاية)

- وبها ولايات ست ، وولاية جميعها أجناد، عن نائب طرابلس .
- الأولى - ولاية أنطوطوس .
- الثانية - ولاية جبة المنيطرة .
- الثالثة - ولاية الظنين .
- الرابعة - ولاية بشرية .
- الخامسة - ولاية جيلة .
- السادسة - ولاية أنفة .

النيابة الرابعة

(نيابة حمّة، وفيها جملتان)

المجلة الأولى

(في ذكر أحوالها ومعاملاتها)

أما معاملاتها فعلى ما تختم في غيرها من الممالك الشامية من المعاملة بالدنانير والدرهم، وصنعتها كصناعة دمشق وحلب وطرابلس، تنقص عن الصنعة المصرية

كل مائة مثقال مثقال وربع ، وكل مائة درهم درهم وربع ، ووطئها سبعمائة وعشرون درهما بصنعتهما ، ومكيلاتها معتبة بالمكوك كما في حلب وبلادها ، ومكوكها مقدر كل مكوكين وربع مكوك غرارة بالدمشقي ، وقياس قاشها بذراع ^(١) وقياس أرضها بذراع العمل المعروف .

المجلة الثانية

(في ترتيب نياتها ، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما بمحاضرتها)

أما جيوشها فن الترك ومن في معانهم ، وبها عدة من أمراء الطبلخاناه والعشرات والخمسات ومقتدى الحلقة وأجنادها ، وليس بها مقدم ألف . وقد تقدم في الكلام على قواعد الشام المستعزة أنها كانت بيد بقايا الملوك الأيوبية إلى آخر الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون" في سلطته الأخيرة . قال في "مسالك الأبصار" : إن صاحبها كان يستقل فيها بإعطاء الإمرة والإقطاعات وتولية القضاة والوزراء وكتاب السروسائر الوظائف بها ، وتكتب المناشير والتواقيع من جهته ولكنه لا يُمضي أمرا كبيرا في مثل إعطاء إمرة أو وظيفة كثيرة حتى يشاور صاحب مصر ، وهو لا يحميه إلا بأن الرأي مآثره ومن هذا ومنه ، وربما كتب له مرسوم شريف بالتصرف في مملكته . قال في "مسالك الأبصار" : ومع ذلك فصاحب مصر متصرف في ولاية صاحبها وعزله ، من شاء وكلاه ومن شاء عزله ، ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن خلع الأفضل ^(٢) محمد بن المؤيد المتقدم ذكره من سلطتها ، بعد موت

(١) ياض في الأصل .

(٢) أي وأسندت نياتها في ذلك الحين إلى ملوك أبيه "سيف الدين قطز" ثم تركها في أيديهم .

السلطان الملك الناصر وملك أبنته أبي بكر، وثانها من أكابر الأمراء المقدسين، ولكنه في الرتبة دون نائب طرَابُلُس وإن كان مساويا له في المكتبة من الأبواب السلطانية؛ ويظهر ذلك في كتابة المطلقات الجبار حيث يذكر نائب طرَابُلُس قبله .
وبها من وظائف أرباب السيوف المجوَّبة؛ وبها حاجبان : الكبير منهما طلبخاناها والثاني عشرة؛ والمهمندارية ، وبها آثان وهما جنديان ؛ وشد مراكر البريد ، وبه جندي ؛ وأمير اخورية البريد ، ومتوليا جندي ؛ وولاية المدينة ، ووالها جندي ؛ وقبابة الساكر ، وبها آثان وهما جنديان أحدهما أكبر من الآخر . وجميع أرباب الوظائف يوليم النائب بها بتواقيع كريمة ، وليس بها قلعة لها نائب .

وبها من الوظائف الدينية من أرباب الأقلام أربعة قضاة من المذاهب الأربعة ، وولايتهم من الأبواب السلطانية بتواقيع شريفة ، وقاضى عسكر حنفى ، وليس بها قضاة عسكر من المذاهب الثلاثة الأخر ولا مفتو دار عدل ؛ وبها وكيل بيت المال ، وولايته من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف ووكالة شرعية ؛ وعنقشب بولاية عن النائب بتوقيع كريم .

وبها من الوظائف الديوانية من أرباب الأقلام كاتب سر ، ويبر عنه في ديوان الإنشاء بصاحب ديوان المكتبات بحماة المحروسة ، وولايته من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف ، وله أتباع من كتَّاب الدست وكتَّاب الدَّرج وولايتهم عن النائب بتواقيع كريمة ؛ وبها ناظر المملكة القائم مقام الوزير ، وولايته من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف ، وله أتباع من كتَّاب وشهود ، وولايتهم عن النائب بتواقيع كريمة .
إلى غير ذلك من وظائف صغار يولها النائب بتواقيع كريمة .

وترتب المؤكَّب بها أن النائب بها يركب من دار النيابة في يومى الخميس والاربعين ويصحبته السكَّرة من الأمراء وأجناد الحلقة ، ويخرج إلى خارج المدينة من كتَّابها

ويسير في الموكب إلى ضيعة تسمى بقرين على القرب من حماة ، ثم يعود في موطنه حتى يقف بسوق الخليل بمكان خارج المدينة يعرف بالموقف ، وينادي بينهم على الخيول ، وربما نودي على بعض العقارات ، ثم تصيح الجاوشية ، وينصرف عن ذلك المكان ويدخل المدينة ، و يأتي دار النيابة ويدخل أول العسكر من داخل باب يعرف بباب العُسرة^(١) ، ثم يترجل الناس على الترتيب على قدر منازلهم حتى لا يبقى راكب سوى النائب بمفرده ، ولا يزال راكبا حتى يترجل شباك بدار النيابة معه للحكم فيجلس فيه ويجلس عنده داخل الشباك القضاة الأربعة : الشافعي والحنفي عن يمينه ، والمالكي عن يساره والحنبلي يليه ويجلس الأمراء على قدر منازلهم ، وكان السمر وناظر الجيش أمام النائب خارج الشباك ، ويقف هناك الحاجبان والمهنددار وقيب القباء ، وترفع القصص فيقرأها كاتب السرعة ويرسم فيها بما يراه ، ثم يقوم من مجلسه ذلك وينصرف القضاة ويدخل إلى قبة معسدة لخلوسه ومعه كاتب السر وناظر الجيش والأمراء فيفصل بقية أموره مما يتعلق بالجيش وغيره ، ثم يمد السباط بعد ذلك فيأكلون وينصرفون .

الضرب الثاني

(ماهو خارج عن حاضرتها)

وليس بخارجها نيابات ، بل يقتصر فيه على ثلاث ولايات ، ولأشها أجناد يوليه النائب بها .

الأولى - ولاية برهاكا في دمشق وحلب .

الثانية - ولاية بارين .

الثالثة - ولاية المعرة . وليس بها عرب ولا ترخان تنسب إليها .

(١) في الضوء "باب العسرة" .

النيابة الخامسة

(نيابة صَقد ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(فيما هو بمحضرتها)

أما معالمها فكما في دِمَشق وغيرها من البلاد الشامية ؛ ومنجتها كمنجتها ورطلها ...^(١) وأواقيدها اثنا عشرة أوقية كل أوقية ...^(١) وتعتبر مكيلاتها ...^(١) وتقامس أرض دورها بذراع العمل كما في غيرها ، وتعتبر أرض زراعتها بالفدان الإسلامي والفدان الرومي كما في غيرها من البلاد الشامية .
وأما جيوشها ووظائفها الديوانية ووظائفها الدينية ، فكما في طرابلس . وأما ترتيب النيابة بها ...^(١) ...

الجملة الثانية

(فيما هو خارج عن حاضرتها)

وليس بأعمالها نيابة بل كلها ولايات ، يليها أجناد من قبل نائب صَقد ، وهي إحدى عشرة ولاية .

الأولى - ولاية برها كما في غيرها من الممالك المتقدمة .

الثانية - ولاية الناصرة .

الثالثة - ولاية طبرية .

الرابعة - ولاية يثين وهونين .

الخامسة - ولاية عثيث .

(١) يابض في الأصل في المواضع الأربعة .

- السادسة - ولاية عكا .
- السابعة - ولاية صور .
- الثامنة - ولاية الشاغور .
- التاسعة - ولاية الإقليم .
- العاشر - ولاية الشقيف .
- الحادية عشرة - ولاية جينين .

النيابة السادسة

(نيابة الكرك ، وفيها جلتان)

الجلسة الأولى

(قيا هو بمحاضرتها)

أما معاملاتها فكما في غيرها : من المعاملة بالدنانير والدرهم ، وصينيتها ^(١) ورطلها ^(٢) وأوقية اثنتا عشرة أوقية كل أوقية ^(٣) ويقاس قماشها بذراع ^(٤) وتقاس أرض دورها بذراع العمل كما في غيرها ، وتعتبر أرض زراعتها بالفدان الإسلامي والفدان الرومي كما في غيرها من بلاد الشام ، وكذلك نراج أرضها .

وأما جيوشها فعلى ما تقدم في غيرها من المالك من اجتماعها من الترك ومن في معناتهم ، وبها من الأمراء والبلخانات والمشترات والخسرات ومن في معناتهم ، وليس بها مقدم ألف غير النائب كما تقدم والنجوية والمهندارية وتقديم البريد ، وولاية القلعة ، وبها من الوظائف الديوانية ناظر المال وناظر الجيش وكاتب درج ، وولاية هؤلاء الثلاثة من الأبواب السلطانية .

(١) يباشر في الأصل .

(١) وأما ترتيب الموكب بها . .

الجملة الثانية

(فيا هو خارج عن حاضرتها، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(الولايات، وفيها أربع ولايات)

الأولى - ولاية برها كما في غيرها .

الثانية - ولاية الشوبك .

الثالثة - ولاية زُغَر .

الرابعة - ولاية مُعَان .

الضرب الثاني

(العرب)

وعرب الكرك فيما ذكره في "مسالك الأبصار": بنو عُمَيْة، وعُمَيْة من جُدَام .

قال في "مسالك الأبصار": وكان آخر أمراءهم شطى بن عتبة (٩) وكان سلطاننا

(١) ياض بالأصل بقدرسة أسطر .

الملك الناصر محمد بن قلاوون قد أقبل عليه إقبالا أحله فوق السما كين وألحقه بأمراء آل فضل وأمراء آل مرا ، وأقطعه الإقطاعات الجليية ، وألبسه التشريف الكبير، وأجرل له الحياء، وعمر له ولأهله البيت والنجاء. وكذلك ممن ينسب إلى عرب الكرك بنو زهير عرب الشوبك، وآل عجبون، والعطويون، والصونيون وغيرهم .

الفصل الثالث

من الباب الثالث من المقالة الثانية
(في المملكة المجازية ، وفي سبعة أطراف)

الطَّرَفُ الأول

(في فضل المجاز وخواصه وعجائبه)

أما فضله ففى "صحیح مسلم" من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ! قال : " غَلَطَ القلوب والحقاء فى المشرق، والإيمان فى أهلِ الحجاز " .

قلت : وفى ذلك دليل صريح لفضل المجاز نفسه ، وذلك أن هواه كل بلد يؤثّر فى أهله بحسب ما يقتضيه الهواء ، ولذلك تجد لأهل كل بلد صفات وأحوالا تخصهم ، وقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن أهل المجاز بالرقّة كما أخبر عن أهل المشرق بالنفظة والحقاء ؛ ونأهيك بفضل المجاز وشرفه أن به مهبط الوحي ومنبع الرسالة ، وبه مكة والمدينة اللتين هما أشرف بلاد الله تعالى وأجل بقاع الأرض ، ولكل منهما فضل يخصه يأتى الكلام عليه عند ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وأما خواصه فيختص من جهة الشرع بأمرين :

أحدهما - أنه لا يستوطنه مشرك من ذمى ولا معاهد، وإن دخله لم يمكن من الإقامة في موضع منه أكثر من ثلاثة أيام ثم يُصَرَّف إلى غيره، فإن أقام بموضع أكثر من ثلاثة أيام، عُرِّرَ إن لم يكن له عُذر. قال أصحابنا الشافعية: ولو عقد الإمام عقداً لكافر على الإقامة بالمحجاز على مسمى بطل العقد ووجب المسمى.

الثاني - أنه لا تُدْفَن فيه موتاهم وإن دفن أحد منهم فيه نقل إلى غيره.

وأما عجائبه فمنها مقام إبراهيم عليه السلام، وهو الحجر الذي كان يقوم عليه لبناء البيت فأثرت فيه قدماء وصار أثرهما فيه ظاهراً كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهو باق على ذلك أمام البيت من جهة الباب إلى الآن.

(ومنها) ماذكره في "الروض المطار" من أن أثر قدم إسماعيل عليه السلام بمسجد بنى في حجر فيه أثر عقيقه حين رَقَسَ إبليس برجله عند اعتراضه له في ذهابه مع أبيه للذبح.

(ومنها) حصن الحِمَار، وهو أنه في كل سنة يرمى الحجَّاج عند الجمرات الثلاث في أيام منى ما تقتصل منه التلال العظيمة على طول المدى، ومع ذلك لم يكن موجوداً بنى منها إلا الشيء القليل على تلال السنين، يقال إن مهما نُحِبَل منها رفع والباقي منها ما لم يتقبل.

الطرف الثاني

(في ذكر حدوده، وأبنتله عمارته، وتسميته حجازاً)

أما حدوده فأعلم أن الحجاز عبارة عن مكة والمدينة واليمامة وغاليفها على خلاف في بعض ذلك، يأتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى، وهو يحمله قطعة من جزيرة العرب، وهي ما بين بحر القلزم وبحر الهند وبحر فارس والفرات وبعض بادية الشام.

قال المدائني: جزيرة العرب خمسة أقسام: تِهَامَةٌ، وَتَجْدٌ، وَالْجَحَازُ، وَالْمُرُوضُ .
وَالْيَمَنُ . وزاد ابن حوقل في أقسامها بادية العراق وبادية الجزيرة فيما بين دِجْلَةٍ
وَالْفُرَاتِ وبادية الشام، وفيها خلاف بطول ذكره .

قال النووي في "تهذيب الأسماء واللغات": وسميت جزيرة العرب جزيرة
لأنجازار الماء عنها حيث لم يمد عليها وإن كان مُطِيفًا بها . والجهاز عندهم عبارة عن
جبل السَّراة - بالسِّن والراء المهملتين - على ما أورده في "الروض المعطار"، وَضُبطَ
في "تقويم البلدان" في الكلام على البلقاء من الشام بالشين المعجمة، وهو جبل
يَقُول من اليمن حتى يتصل ببادية الشام، وهو أعظم جبال العرب. وحده من الجنوب
تِهَامَةٌ: وهي ما بينه وبين بحر الهند في غربي بلاد اليمن؛ وحده من الشرق بلاد اليمن
وهي بينه وبين فارس؛ وحده من الشمال تَجْدٌ، وهو ما بينه وبين العراق؛ وحده من
الغرب بحر القلزم وما في جنوبيه من بادية الشام .

الطرف الثالث

(في ابتداء عمارته وتسميته حجازا)

أما ابتداء عمارته فإنه لما أنبت أولاد سام بن نوح عليه السلام وهم العرب
في أقطار هذه الجزيرة حين قسم نوح الأرض بين بنيهِ، نزل الجحاز منهم من العرب
البادية طَمَمٌ وَحَدِيدٌ [ومتلهم] التِهَامَةُ ومتلة جرهم على القرب من مكة فكان ذلك
أول عمارة الجحاز بعد الطوفان؛ ثم بادت هذه العرب وهلكوا عن آخرهم، وَدَرَسَتْ
أخبارهم وأقطعت آثارهم . وعمر الجحاز بعدهم جُرهمُ الثانية، وهم بوجرهم بن
قُحْطِلِيب بن عَابِر بن شَالِح بن أَرْغَشَدَ بن سام بن نوح عليه السلام . ولما أسكن
إبراهيم الخليل عليه السلام ولده إسماعيل بمكة كما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي

أَسْكَنْتُ مِنْ دُونِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ۖ كَانَتْ جَرْمُهُمُ الثَّانِيَةَ نَازِلِينَ بِالقَرَبِ مِنْ مَكَّةَ فَأَتَوْهُمَا بِأَسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمَا وَكَثُرَ بَوْلُهُ وَتَنَاسَلُوا فَعَمَرُوا الْحِجَازَ إِلَى الْآنَ .

وأما تسميته حجازاً، فقال الأصمعيّ : سُمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ حِجْزٌ بَيْنَ تَحِيْدِ وَيَسَامَةِ وَلَا تَمْتَدَادِهِ بَيْنَهُمَا عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ . وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : سُمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَحْتَجِزَ بِهِ مِنَ الْجِبَالِ . قُلْتُ : وَوَعِمَ فِي "الرَّوَضِ الْمُعْطَارِ" فَقَالَ : سُمِيَ حِجَازاً لِأَنَّهُ حِجْزٌ بَيْنَ الْفُؤَادِ وَالشَّامِ، وَقِيلَ لِأَنَّهُ حِجْزٌ بَيْنَ تَحِيْدِ وَالسَّرَّاءِ ، وَمَا أَعْلَمُ مَا الَّذِي أَوَقَعَهُ فِي ذَلِكَ .

الطَّرْفُ الرَّابِعُ

(فِي ذِكْرِ مِيَاهِهِ وَصَيُونِهِ وَجِبَالِهِ الْمَشْهُورَةِ)

أَمَّا مِيَاهُهُ وَصَيُونُهُ، فَقَالَ الْمُتَكَلِّمُونَ فِي الْمَسَالِكِ وَالْمَجَالِكِ : لَيْسَ بِالْحِجَازِ بَلْ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ جَمَلَةٌ نَهْرٌ يَجْرِي فِيهِ مَرْتَكِبٌ ، وَإِنَّمَا فِيهِ الصَّيُونُ الْكَثِيرَةُ الْمُتَفَجِّرَةُ مِنَ الْجِبَالِ الْمُتَعَصِّدَةِ بِالسَّيُولِ وَالْأَمْطَارِ ، الْمُتَمَتَّةُ مِنْ وَادٍ إِلَى وَادٍ، وَعَلَيْهَا قُرَاهِمٌ وَحَدَاتُهُمْ وَبَسَاتِنُهُمْ مِمَّا لَا يَحْصَى ذَلِكَ كَثَرَةٌ، كَمَا فِي الطَّائِفِ وَبَطْنِ مَرَّةٍ، وَبَطْنِ تَحْلٍ، وَغُسْفَانٍ وَبَدْيٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

وَأَمَّا جِبَالُهُ الْمَشْهُورَةُ، فَأَعْلَمُ أَنَّ جَمِيعَ أَرْضِ الْحِجَازِ جِبَالٌ وَأَوْدِيَةٌ لَيْسَ فِيهَا بَسِيطٌ مِنَ الْأَرْضِ، وَجِبَالُهُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ الْمَدَّةَ أَوْ يَأْخُذَهَا الْحَصَرُ، وَقَدْ ذَكَرَ الْأَزْرَقِيُّ فِي "تَارِيخِ مَكَّةَ" أَنَّ لِمَكَّةَ ^(١) أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ جَبَلٍ لِكُلِّ جَبَلٍ مِنْهَا أَسْمٌ يَخْصُهُ وَلَكِنْ قَدْ شَهَرَتْ جِبَالُ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالْيَتِيمِ .

فن جبال مكة المشهورة (جبل أبي قيس) وهو الجبل الذي في جنوبي مكة ممتدا على شرقها . قال الأزرقي : وهو أول جبل وُضع بالأرض ولذلك كان أقرب الجبال إلى البيت .

(ومنها) جبل قَيْنَاقَ^(١) - بقاف مفتوحة وياء مثناة تحته ساكنة ونون مضمومة وقاف ثانية مفتوحة بعدها ألف وعين مهملة - وهو الجبل الذي غربي مكة ، سمي بذلك لمكان سلاح سُيِّع منه ، والقمقمة صوت السلاح ، كما سمي جِباد جبادا لمكان خيله منها .

(ومنها) جبل حِرَاءَ - بجاء مهملة مكسورة وراء مهملة مفتوحة بعدها ألف - وهو جبل يُشْرِف على مكة من شرقها يرى البيت من أعلاه ، وفيه الغار الذي كان يتعبد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وفيه جاءه جبريل عليه السلام في أول النبوة .

(ومنها) جبل قُورَ - بفتح التاء المثلثة وسكون الواو وراء مهملة في الآخر - وهو جبل مشرف على مكة من جنوبها ، وفيه الغار الذي آخفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

(ومنها) جبل تَيْيَرَ^(٢) - بفتح التاء المثناة فوق وكسر الباء وسكون الياء المثناة تحت وراء مهملة في الآخر - وهو جبل مشرف يرى من منى والمزدلفة .

الطَّرَفُ الْخَامِسُ

(في ذُرُوعه وفواكه ورياحيته ومواشيه ووحوشه وطيريه)

أما زرُوعه ففيه من الحبوب المزدرة البُر والشعيرُ والذُرَّةُ والسَلْتُ ، وجميعها تُزْرَع على المطر ، وربما زُرِع بعضها على ماء العيون ، والشعير والذرة أكثر الحبوب

(١) صوابه قَيْنَاقَان . أنظر معجم البلدان ومعجم باقوت . (٢) صوابه تَيْيَرَاتَا . المثلثة .

وجوداً، ويزرع فيه على العيون الطيخ : الأخضر والأصفر، والقثاء، والباذنجان،
والذباء، والملوخيا، والمهندبا، والفجل، والكراث، والبصل، والثوم .

وأما فواكهه ففيه الرطب، والينب، والموز، والتفاح، والسفرجل، والليمون .
وغير ذلك .

وأما ريحينه ففيه التامر حنّاء، ويسمى عندهم القاغية : بالقاء وغين معجمة وياه
مشنة تحت وهاء في الآخر .

وأما مواشيه ففيه الإبل، والضأن، والممزر بكثرة، والبقر بقلة . وبه من الخيل
ما يفوق الوصف حسنة، ويحجز البرق إدراكه .

وأما وحوشه ففيه الغزلان، وحرر الوحش، والذئب، والضباع، والثعلب ،
والأرانب وغيرها .

وأما طيوره ففيه الحمام، والدجاج، والحداة، والرحم .

الطرف السادس

(في قواعده وأعماله ، وفيه ثلاث قواعد)

القاعدة الأولى

(مكة المشرفة ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

وقد ذكر العلماء رحمهم الله لها ستة عشر اسماً . "مَكَّة" بفتح الميم وتشديد
الكاف المفتوحة وهاء في الآخر كما نطق به القرمان الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي
كَلَّمَ آبَاءَهُمْ عَنْهُمْ وَيُدْرِكُ عَنْهُمْ سِرَّهُمْ مَكَّة ﴾ ، سميت بذلك لقلة ما بها أخذاً من

قولهم أَمَتَكَ الْفَصِيلُ ضَرَعَ أَمَهُ إِذَا أَمْتَصَهُ ، وقيل لأنها تَمُكُ الذنوب بمعنى أنها تَكْتَسِبُهَا ، ويقال لها أيضا (بَكَّة) بإبدال الميم بباء موحدة . وبه نطق القرآن أيضا في قوله تعالى : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ) قال الليث : سميت بذلك لأنها تَبُكُ أَعْنَاقَ الجبابرة أُنًى تَدُقُّهَا وإليك الدق ؛ وقيل بالميم المحرم كله وبَكَّةُ المسجد خاصة ، حكاه الماوردي عن الزهرى وزيد بن أسلم ؛ وقيل بالياء اسم لموضع الطواف ، سمي بذلك لأزدحام الناس فيه والبُكُّ الأزدحام . ومن أسمائها أيضا (أُمُّ الْقُرَى) و(الْبَلَدُ الْأَمِين) و(أُمُّ رُحْم) بضم الراء وإسكان الحاء المهملتين لأن الناس يتراحون فيها ويتوادعون ؛ و(صَلَاح) مبنى على الكسر كقطعان ونحوه ؛ و(الْبَاسَةُ) لأنها تَبُسُّ الظالم أى تحطمه ؛ و(النَّاسَةُ) بالنون لأنها تَنْسُ الملعدين أى تطرده ؛ و(النَّاسَةُ) لذلك أيضا ؛ و(الْحَاطِمَةُ) لأنها تحطِّمُ الظالم كما تحطم ؛ و(الرَّاسُ) و(كُوْنِي) بضم الكاف وفتح المثناة ؛ و(الْقُدْسُ) و(الْقَادِسُ) و(الْمَقْدِسَةُ) . قال النوى : وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ، ولذلك كثرت أسماء الله تعالى وأسماء رسوله صلى الله عليه وسلم ! وقد تقدم أنها من جملة الْجَزَاز . وحكى ابن حوقل عن بعض العلماء أنها من تِيَامَةِ ورجحها في "تقويم البلدان" . وموقعها في الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة . قال في "كتاب الأطوال" : طولها سبع وستون درجة وثلاث عشرة دقيقة ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وأربعون دقيقة . وقال في "القانون" : طولها سبع وستون درجة فقط ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وعشرون دقيقة . وقال في "رسم المعمور" : طولها سبع وستون درجة ، وعرضها إحدى وعشرون . وقال كوشيا وطولها سبع وستون درجة وعشر دقائق ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وأربعون دقيقة . وقال ابن سعيد : طولها سبع وستون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وعشرون دقيقة . وهى مدينة فى بطن بلاد الجبال

عَمَّةَ بَها ، فَأَبُو قُبَيْشٍ مَشَرَفَ عَلَيْهَا مِنْ شَرْقِيَّهَا وَأَجْيَادُ بَنَتِ الْحَمْزَةَ مَشَرَفٌ عَلَيْهَا مِنْ غَرْبِهَا . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : سُمِّيَ بِذَلِكَ لِمَوْضِعِ خَيْلٍ تُبْعُ مِنْهُ . قَالَ فِي "الرَّوْضِ الْمَعْطَارِ" : وَسَمَّيْنَا مِنَ الشَّامِ إِلَى الْجَنُوبِ نَحْوَيْلِينَ ، وَمِنْ أَسْفَلِ أَجْيَادٍ إِلَى ظَهْرِ جَبَلٍ قَعِيقَمَانَ مِثْلَ ذَلِكَ . قَالَ الْكَلْبِيُّ : وَلَمْ يَكُنْ بِهَا مَنَازِلُ مَبْلِيَّةٍ فِي بَدْءِ الْأَمْرِ ، وَكَانَتْ بُرْجُهُمُ وَالْمَعَالِقَةُ حِينَ وَلَّيْتَهُمْ عَلَى الْحَرَمِ يَنْصَجُونَ جِبَالَهَا وَأَوْدِيَّتَهَا يَنْزِلُونَ بِهَا ، ثُمَّ جَاءَتْ قُرَيْشٌ بَعْدَهُمْ فَشَاوُوا عَلَى ذَلِكَ لِيُتَى أَنْ صَارَتْ الرِّيَاسَةُ فِي قُرَيْشٍ قُصَيٍّ بْنِ كَلَابٍ فَبَنَى بِهَا دَارَ النَّدْوَةِ ، يَحْكُمُ فِيهَا بَيْنَ قُرَيْشٍ ، ثُمَّ صَارَتْ لِمَشَاوَرَتِهِمْ وَعَقْدِ الْأُمُورِ فِي حُرُوبِهِمْ ، ثُمَّ تَابَعَ النَّاسُ فِي الْبِنَاءِ : فَبَنَوْا دُورًا وَسَكَنُوهَا ، وَزَادَ الْبِنَاءُ فِيهَا حَتَّى صَارَتْ إِلَى مَا صَارَتْ . وَبَنَّاؤُهَا بِالْحَجَرِ وَعَلَيْهَا سُورٌ قَدِيمٌ قَدْ هُيِمَ أَكْثَرُهُ وَبَقِيَ أَثَرُهُ وَالْمَسْجِدُ فِي وَسْطِهَا . وَقَدْ ذَكَرَ الْأَزْرَقِيُّ فِي "طَبْرِخِ مَكَّةَ" أَنَّ الْكُتَيْبَةَ كَانَتْ قَبْلَ أَنْ تُدْعَى الْأَرْضُ رَابِيَةً حَرَاءَ مَشْرِقَةً عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ ، وَلَمَّا أَهْبَطَ اللَّهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَاءَ إِلَى مَكَّةَ ، اسْتَوْحَشَ فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ قُبَّةً مِنَ الْجَنَّةِ مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ لَهَا بَابَانِ فَوُضِعَتْ مَكَانَ الْبَيْتِ فَكَانَ يَتَأَنَّسُ بِهَا ، وَجَعَلَ حَوْلَهَا مَلَائِكَةً يَحْفَظُونَهَا مِنْ أَنْ يَقَعَ بِصَرِّ الشَّيَاطِينِ عَلَيْهَا . قَالَ فِي "الرَّوْضِ الْمَعْطَارِ" : وَكَانَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ كَرِيسًا يَجْلِسُ عَلَيْهِ . قَالَ : وَطُولُهُ ذِرَاعٌ . وَالَّذِي ذَكَرَهُ الْمَسْأُورِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمَّا قَالُوا : (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُسَيِّدُ فِيهَا) لَانْتَوَى بِالْعَرِشِ خَوْفًا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى فَنَظَّفُوا حَوْلَهُ سَجْمًا فَرَضَى عَنْهُمْ وَقَالَ : أَبْنُوا فِي الْأَرْضِ بِمَا يَمُودُ بِهِ مِنْ تَحْفَظَتْ عَلَيْهِ مِنْ بَنَى آدَمَ فَبَنَوْا هَذَا الْبَيْتَ ، وَهُوَ أَوَّلُ بَنَائِهِ ، ثُمَّ بَنَاهَا إِبْرَاهِيمُ ^(ع) وَإِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كَمَا أَخْبَرَاهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ) قَالَ فِي "الرَّوْضِ الْمَعْطَارِ" : وَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا سَقْفًا . قَالَ : ثُمَّ أَتَاهُمُتِ الْكُتَيْبَةُ فَبَنَاهَا ^(ع) الْمَعَالِقَةُ ، ثُمَّ أَتَاهُمُتِ فَبَنَاهَا ^(ع) بَرْمُجُهُمْ ، ثُمَّ أَتَاهُمُتِ فَبَنَاهَا قُصَيُّ بْنُ كَلَابٍ وَسَقَّفَهَا بِخَشَبِ

الدُّومَ وجريد النخل ، وجعل ارتفاعها خمسا وعشرين ذراعا ، ثم استهدمت وكانت فوق القامة فأرادت قُرَيْشٌ تَعلِيَتَهَا فهدمَتَهَا وبنَتَهَا ، والنبي صلى الله عليه وسلم عمره خمس وعشرون سنة ، وشهد بناءها معهم ، وكان بابُها بالأرض فقال أبو حذيفة ابن المغيرة : يا قوم أرفعُوا بابَ الكعبة حتى لا يدخل إلا مسلم ففعلوا ذلك وسَفَفُوهَا بحَشَب سَفِينَةِ أَلْقَاهَا البحر إلى جُدَّة

قال في "الروض المطار" : وكان طولها ثمانى عشرة ذراعا ، ثم احترق البيت حين حُوصِرَ ابنُ الزَّيْرِ بِمَكَّةَ وتأثرت حجارته بالنار ، فهدسه ابنُ الزَّيْرِ وأدخل فيه ستة أذرع من الخِجَرِ ، وقيل سبعة ، وجعل له بابين ملصقين بالأرض : شرقيا وغربيا يُدْخِلُ من أحدهما ويُخْرِجُ من الآخر ، وجعل على بابها صفائح الذهب ، وجعل مفتاحه من ذهب . قال في "الروض المطار" : وبلغ بها في المئوس سبعا وعشرين ذراعا . فلما قتل ابنُ الزَّيْرِ كتب عبد الملك بن مروان إلى الجَلَّاح يأمره بإعادته على ما كان عليه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من بناء قريش فهدم جانب الخِجَرِ وأعادته إلى ذلك ، وسد الباب الغربي ووقع الشرقي عن الأرض إلى حده الذي هو عليه الآن ، وكان عبد الملك بن مروان بعد ذلك يقول : "وَدِدْتُ أَنِي كُنْتُ حَمَلْتُ ابنَ الزَّيْرِ من بناء الكعبة ما تَحْمَلُ" .

ثم جدد المتوكل رُخَامَ الكعبة فأزَّرها بفضة وألبس مائر حيطانها وسقفها الذهب ، وهو على ذلك إلى الآن . وهو مبنى بالخِجَرِ الأسود مستطيل البناء على التربع ، في ارتفاع خمسة وعشرين ذراعا . وله أربعة أركان .

الأول - ركن الخِجَرِ الأسود . وهو ما بين الشرق والجنوب ، ومنه يتبدأ الطواف .

(١) عبارة باترت "ردفوا بابها مخافة السيل أن لا يدخل فيها إلا من أحياها" .

الثاني - الشامي . وهو ما بين الشرق والشمال ، سمي بذلك لمسامته بعض بلاد الشام ، ودخله باب المَطْلَع إلى سطح الكعبة .

الثالث - الغربي . وهو ما بين الشمال والغرب ، سمي بذلك لمسامته بلاد المغرب ، ولو سمي بالمصري لكان جديراً به لمسامته بلاد مصر .

الرابع - الشمالي . وهو ما بين الغرب والجنوب ، سمي بذلك لمسامته بلاد اليمن ولذلك خفت الياء في آخره نسبة إلى اليمن . وقال ابن قتيبة : سمي بذلك لأنه بناه رجل من اليمن يقال له أبى سالم ، وقد يطلق عليه وعلى ركن الحجر الأسود الشماليان ، وعلى الشامي والغربي الشماليان تفلحاً .

ثم بين ركن الحجر الأسود وبين الركن الشامي أربعة وعشرون ذراعاً ، وبالقرب من الركن الأسود في هذا الجدار باب الكعبة على أربعة أذرع وشئ من الأرض يُرقى إليه بدرج من خشب توضع عند فتح الباب ، والمُتَّصِم بين الركن الأسود والباب الشرقي ، وبالقرب من الركن الشامي منه مصبٌ آدم عليه السلام .

وهذا الجدار مقسوم ثلاث جهات .

الأولى - من الركن الأسود إلى باب الكعبة . وهي في جهة القبلة لأهل البصرة ، والأهواز ، وفارس ، وأصبهان ، وكرمان ، وحبشة ، وشمال بلاد الصين وما على سمت ذلك .

الثانية - من الباب إلى مصب آدم عليه السلام . وهي جهة القبلة لأهل الكوفة ، وبغداد ، وخراسان ، والقادسية ، وهمدان ، والري ، ونيسا بوز ، ومرو ، وخوارزم ، وبخارا ، وفتنا ، وفرغانة ، والشاش ، وخراسان ، وما على سمت ذلك .

الثالثة - من مصب آدم عليه السلام إلى الركن الشامي . وهي جهة القبلة لأهل الرها ، والموصل ، وعلانية ، وشمساط ، والحيرة ، وسنجار ، وديار بكر ، وأرمينية إلى باب الأبواب ، وما على سمت ذلك .

وبين الركن الشامي والركن الغربي أحد وعشرون ذراعاً ، وبأعلى هذا الجدار الميزاب في الوسط منه وخارجه المجرى (يكسر الماء المهمة وسكون الجيم) مستديراً به على سمت الركنين ، يفصل بينه وبين البيت فُرْجَتَان .

وهذا الجدار مقسوم بثلاث جهات أيضاً .

الأولى - من الركن الشامي إلى دُوب الميزاب . وهي جهة القبلة لِدِمَشْقَ ، وَحَمَّاءَ ، وَصَلْبَةَ ، وَحَلَبَ ، وَمَنْبِجَ ، وَمَيَّاقَرِيْنَ ، وماسامت ذلك .

الثانية - وسط الجدار من الميزاب وما إلى جانبه . وهي جهة القبلة للدينة النبوية (على ساكنها أفضل الصلاة والسلام) وجانب الشام الغربي ، وَغَزَّةَ ، وَالزَّمْلَةَ ، وَبَيْتَ الْمُقَدِّسِ ، وَقَلْصِطِينَ ، وَصَكَّا ، وَصَيْدَا .

الثالثة - ما إلى هذه الجهة إلى الركن الغربي . وهي جهة القبلة لمصرَ بأمرها من أسوان إلى دِمَياطَ ، والإِسْكَنْدَرِيَّةَ ، وَبَرْقَةَ ، وكذلك طَرَابُلُسَ الغرب ، وَصِقْلِيَّةَ ، وسواحل الغرب ، وَالْأَنْدَلُسَ وما على سمت ذلك . وبين الركن الغربي والركن الشمالي في هذا الجدار الباب المسدود مُجَاهَ الباب المفتوح .

وهذا الجدار مقسوم بثلاث جهات أيضاً .

الأولى - من الركن الغربي إلى ثلث الجدار . وهي جهة القبلة لأهل الشمال من بلاد البُجَاوَةِ ، والنُّوبَةِ ، وأوسط الغرب من جَنُوبِ الواحات إلى بلاد الجريد إلى البحر المحيط وما على سمت : ذلك من عِيَذَابَ ، وسواكن ، وجنوب أسوان ، وَبُجْدَةَ ، ونحو ذلك .

الثانية - من ثلث الجدار إلى دُوبِ الباب المسدود . وهي جهة القبلة لأهل الجنوب من بلاد البُجَاوَةِ وَدَهْلَكَ وَمَسَاكِنَ والنُّوبَةِ وَالشُّكُورِ ، وما وراء ذلك وعلى سمتة .

الثالثة - من دون الباب المسدود إلى الركن الثاني . وهي جهة القبلة لأهل الحَيَّة ، والزَّيْج ، والزَّيْلَج ، وأكثر بلاد السودان وما والاها من البلاد أو كانت على سمتها .

وبين الركن الثاني وركن الحجر الأسود عشرون ذراعاً ، أقص من مقابله بذراع ، وبالقرب من ركن الحجر الأسود من هذا الجدار مصلّى النبي صلى الله عليه وسلم ! قبل الهجرة .

وهذا الجدار مقسوم بثلاث جهات .

الأولى - الركن الثاني إلى سبعة أذرع من الجدار . وهي جهة القبلة لتُدْمَر ، وحَصْرَمَوْت ، وَعَدَن ، وَمِصْنَعَاء ، وَحِمَّان ، وصَعْدَة ، والشَّحْر ، وَسَبَا ، وزَيْدَة وما والاها أو كان على سمتها .

الثانية - من حدّ الجهة المتقدمة إلى دون مصلّى النبي صلى الله عليه وسلم ! قبل الهجرة . وهي جهة القبلة لجنوب بلاد الصين ، والسَّنَد ، والتَّهَام ، والبحرين : وما سامت ذلك .

الثالثة - من مصلّى النبي صلى الله عليه وسلم ! قبل الهجرة إلى ركن الحجر الأسود . وهي جهة القبلة لأهل واسط ، وبلاد الصين ، والهند ، والمريّان ، وكابل ، والقندھار . والمعبر ، وما والاها من البلاد أو كان على سمتها .

ومقابل الجدار الشرق من البيت مما إلى ركن الحجر الأسود زَمَزَمُ وسِقَايَةُ النَّبَاس ، ومقابله مما إلى الركن الشاميّ مقام إبراهيم عليه السلام . وقد تقدّم الكلام عليه في عجائب المجازفيا مرة ، ويسمى ما بين الكعبة وزَمَزَم والمقام الحطيم (الحاء والطاء المهملين) . قال في "الروض المطار" : سمي بذلك لأنه كان من لم يجد من الأعراب

نُزَا من ثياب أهل مكة يطوف فيه رى ثيابه هناك وطاف عربانا. وخارج المسجد الصفا والمروة اللذان يقع السعي بينهما.

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها ، وهى على ضربين)

الضرب الأول

(الحرم ومساحه الحج الخارجة عن مكة)

أما الحرم فهو ما يطيف بمكة مما يحرم صيده وقطع شجره وحشيشه ونحو ذلك ، وقد تقدم أن الله تعالى جعل ملائكة يحرسون القبة التي أنزلها الله تعالى إلى آدم من الجنة ووضعت له مكان الكعبة وجعلت الملائكة حراسا لها كي لا يقع عليها بهر الشياطين ، فكانت مواقف الملائكة هى حدود الحرم . قال ابن حوقل : وليس بمكة والحرم شجري شمر إلا شجر البادية ، أما خارج الحرم ففيه عيون ونمار :

وأعلم أن مقادير جهات الحرم تتفاوت في القرب والبعد عن مكة ، وعلى حدوده أعلام منصوبة في كل جهة تدل عليه . قال في "الروض المطار" : قال الزبير : وأقول من وضع علامات الحرم ونصب العمدة عليه عدنان بن أد ، خوفا من أن تتدرس معالم الحرم أو تتغير . قال : وحده من التنعيم على طريق ميرف إلى ممر الظهران خمسة أميال ، وذكر في موضع آخر أنها ستة أميال ، وحده من طريق جدة عشرة أميال ، ومن طريق اليمن ستة أميال ، ودوره سبعمائة وثلاثة وثلاثون ميلا . ثم يحدود هذا الحرم أما كن مشهورة ، يخرج إليها من مكة من أراد أن يؤمل بعمرة فيحرم منها .

أحدها - (التَّعْمِيمُ) - بآلف ولام لازمتين وفتح التاء المثناة فوق وسكون النون وكسر العين المهملة وسكون الياء المثناة تحت وميم في الآخر - وهو موضع على حد الحرم على طريق السالك من بطن مَرٍّ وإلى مكة . قال في "الروض المطار" : وسمي التعميم لأن الجبل الذي عن يمينه اسمه نُعَيْم والذي عن يساره اسمه نَاعِمٌ والوادي الذي هو فيه اسمه نَعْمَانٌ ؛ ومنه أعتمرت عائشة رضي الله عنها مع عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهناك مسجدٌ يعرف بمسجد عائشة إلى الآن .

الثاني - (الحُدَيْيَّةُ) - بضم الحاء وفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت وكسر الباء الموحدة وفتح الياء المشددة وفي آخرها باء - ونقل في "الروض المطار" عن الأصمعي تخفيف الياء الثانية . قال في "تهويم البلدان" : وهو موضع بعضه في الحِلِّ وبعضه في الحرم ، وفيه صَدَّ المشركون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن البيت ؛ وهي أبعد أطراف الحرم عن البيت ؛ وهي على مسيرة يوم ؛ وهي في مثل زاوية الحرم . وذكر في "الروض المطار" أن الحديبية اسم لبرق في ذلك المكان ، ومذهب الشافعي أن العمرة منه أفضل من التعميم .

الثالث - (الحِمْيَرَانَةُ) - بكسر الحيم والعين المهملة وفتح الراء المهملة المشددة بصدا ألف ونون مفتوحة وهاء في الآخر - ونقل في "الروض المطار" عن الأصمعي سكن العين وتخفيف الراء . قال : وهو مكان بين مكة والطائف ولكنه إلى مكة أقرب ، ومنه أحرم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة في وجهته تلك ، ومذهب الشافعي أن العمرة منه أفضل من الحُدَيْيَّة .

وأما مشاعر الحج الخارجة عن مكة فثلاثة .

(١) أي مريجه من غزاة جنين وقسم فيها غنائم هراقل . أنظر "معجم البلدان" .

أحدها - مَنَى بكسر الميم وفتح النون وألف مقصورة - سميت بذلك لما بُنِيَ فيها من الدماء أى يراق . قال فى "المشارك" : وبينها وبين مكة ثلاثة أيام - وهى تشبه القرية مبنية على ضفتى الوادى . وبها مسجد الخليل - بفتح الخاء المعجمة وسكون الاء المثناة تحت وفى آخره فاموهو مسجد عظيم منيع الأرجاء بغرسقف .
الثانى - (المُزْدَلِفَةُ) - بضم الميم وسكون الزاى المعجمة وفتح الدال المهملة وكسر اللام وفتح الفاء وآخرها هاء - وهى موضع على يسرة الذهاب من مَنَى إلى عرفة . قال النووى : سميت بذلك من التزلف والأزدلاف وهو التقرب ، لأن الحجاج إذا أفاضوا من عَرَافَاتٍ أزدَلَفُوا إليها أى تقربوا ومَضَوْا إليها ، وتسمى جَمْعاً أيضاً بفتح الجيم وسكون الميم وعين مهملة - لأنه يجمع بها بين المغرب والعشاء وبها مسجد متسع . قال فى "الروض المطار" : طوله ثلاثة وستون ذراعاً ، وعرضه خمسون ذراعاً ، وأرتفاع جداره عشرة أذرع .

الثالث - (عَرَفَةُ) - بفتح العين والراء المهملتين والفاء هاء فى الآخر - ويقال فيه أيضاً عَرَافَاتٌ على الجمع ، وبه جاء القرءان فى قوله تعالى : (وَإِذَا أَقْبَضْتُم مِّنْ عَرَافَاتٍ) وهو موقف الحج ، وتسمى عَرَافَاتٍ لتعارف آدم عليه السلام وحواء به . قال كعب الأحبار : أهبط آدم عليه السلام بالهند ، وحواء بِمَرْفَةِ ، وإبليس بِمِجْدَةَ ، والحیة بأصْبَهَانَ ، وأمر الله تعالى آدم بمحج البيت لحج ، فكان حيث وضع قدمه تنفجر الأشجار وتنبئ المساجد . فلما وصل إلى عرفة ، وجد بها حواء فتعارفا بها .

الضرب الثانى

(قُرَاهَا وَتَحَالُفُهَا)

وأعلم أن أكثر جبال مكة وأوديتها مسكونة معمورة إلا أنه ليس بها قرية مَقَرَّة ولا جيث المياه والعيون الجارية والحدائق المهندقة ، والمشهور من ذلك عشرة أماكن .

الأول - (جُدَّة) - بضم الجيم وتشديد الدال المهملة ثم هاء - وهي فُرْصَةُ مَكَّةَ على ساحل نهر أَثْقَرِيم ، وموقعها في أول الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة ، وهي في الغرب عن مَكَّةَ بمسلة إلى الشمال . قال في "الأطوال" : طولها ست وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة . ووافقته على ذلك في "القانون" . وقال في "رسم المعمور" : طولها خمس وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها على ما تقدم . وهي مينا عظيمة محل حط وإقلاع ، إليها تنهى المراكب من معر واليمن وغيرهما ، وعنها تصدر من مَكَّةَ . قال في "تقويم البلدان" : وهي من مَكَّةَ على مرحلتين . وقال الإدريسي : بينهما أربعون ميلاً ، وهي ميفات من قطع البحر من جهة عيذاب إليها .

الثاني - (بَطْنُ تَخْلٍ) - وضبطه معروف ، ويقال فيه أيضاً وادى تَخْلَةٌ على التوحيد وتَخْلَةٌ بإسقاط لفظ وادى . قال الجوهري : وبه كانت العزى التي هي أحد طواغيت قُرَيْشٍ ، وبهت النبي صلى الله عليه وسلم إليها خالد بن الوليد فهدمها ، وهي الآن بيد هَذِيلٍ ، وهي قُرَى مجتمعة ذات عيون وحدائق ومزدرع . أخبرني بعض أهل الجواز أن بها نحو أربعة عشر نهراً على كل نهر قرية ، وغالب فواكه مَكَّةَ وقَطَانِيَّهَا وبَقُولُهَا منها ، ومنها يصب الماء إلى بطن مَرِّ الآق ذكره .

الثالث - (الطَائِفُ) - بالفتح ولام لازمتين فطاء مهملية مشددة مفتوحة بعدها ألف وياء مثناة تحت مكسورة ثم فاء - وهو بلد شرق بطن نخل المتقدم ذكرها ، وبطن نخل بينه وبين مَكَّةَ . قيل سميت الطائف لأنها في طوفان نوح انقطعت من الشام وحملها الماء وطافت بالأرض حتى أرسَتْ في هذا الموضع . وقال في "الروض المطار" : أسماها القديم وَجٌّ يعني بواو مفتوحة وجيم مشددة - سميت بربض من الهائلة ، ثم سكنها قَريَفٌ فبنوا عليها حائطاً مُطِيقاً بها فسميت الطائف .

قال : وهى إحدى القرينتين المذكورتين فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ . قال فى "تقويم البلدان" : وهى من الحجاز قريبا ، وموقعها فى أوائل الإقليم الثانى . وقال ابن سعيد . طولها ثمان وستون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وأربعون دقيقة . وهوبلد خصيب كثير الفواكه المختلفة مما يشابه فواكه الشام وغيرها . وهى طيبة الهواء إلا أنها شديدة البرد حتى إنه ربما يجمد الماء بها نشدة بردها .

الرابع - (بَطْنُ مَرٍّ) - بفتح الباء الموحدة وسكون الطاء المهملة ونون بعدها ثم ميم مفتوحة وراء مهملة مشددة - وهو واد من أودية الحجاز فى الشمال عن مكة على مرحلة منها على طريق مُجَنَّاج مصر والشام . قال فى "الأطوال" : طولها سبع وستون درجة وعرضها إحدى وعشرون درجة ونحس وأربعون دقيقة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى بقعة بها عذة عبون ومياه تجري ونخيل كثير . والنخل والمزروع متصل من وادى نخلة إليها . وذكر غيره أن بها نحو أربعة وعشرين نهرا على كل نهر قرية ، ومنها تُحمَّل الفواكه والبُقُولات إلى مكة كما تحمل من نخلة والطائف ، وهى بيد بنى حسن أمراء مكة .

الخامس - (الْمَدَّة) - بالثاء ولام ثم هاء وذال مهملة مفتوحتين وهاء ساكنة فى الآخر - وهو واد على القرب من بطن مَرٍّ ، على مرحلة ونصف من مكة ، به أربعة عشر نهرا على كل نهر قرية ، وهى بيد بنى جابر .

السادس - (عُسْقَانُ) - بضم العين وسكون السين المهملتين وفتح الفاء ثم ألف ونون - وهو واد معروف على طريق مُجَنَّاج مصر ، على ثلاث مراحل من مكة ، كان بها حدائق ومياه تنصب إليها من المدَّة المذكورة ، وهى الآن تراب ليس بها عمارة .

السابع - (الْبَرْزَةُ) - بالقف ولام ثم باء موحدة مفتوحة وراء مهمللة ساكنة وزاى معجمة مفتوحة وهاء فى الآخر - وهى واد بالقرب من عُصْفَانَ على مرحلتين من مكة ؛ به أربعة عشر نهرا على كل نهر قرية ؛ وهى الآن بيد بنى سُلُولَ وبنى مُعَيْدَ بضم الميم وفتح العين المهمللة وتشديد الباء الموحدة المفتوحة .

الثامن - (خُلَيْصٌ) - بضم الخاء المعجمة وفتح اللام وإسكان الياء المثناة تحت والصاد المهمللة - وهو واد على طريق مُجَجَّاجٍ مصر على أربع مراحل من مكة ؛ به نحو تسعة أنهر على كل نهر قرية .

التاسع - (وَادِى كُليَّة) - بضم الكاف وفتح اللام وتشديد الياء المثناة تحت المفتوحة وهاء فى الآخر - وهو واد بالقرب من خُلَيْصٍ به نحو سبعة أنهر على كل نهر قرية ؛ وكان بيد سُلَيْمٍ ، وقد خرب من مئة قرية بعد الثمانين والسبعائة .

العاشر - (مَرُّ الظُّهْرَانِ) - بفتح الميم وتشديد الراء المهمللة ثم ألف ولام وظاء معجمة مفتوحة وهاء ساكنة وراء مهمللة مفتوحة بعدها ألف ونون - وهو موضع بينه وبين مكة نحو ستة عشر ميلا ، وهو الذى نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ! عند صلحه مع قريش ، كان به ضياع كثيرة وهو الآن خراب . قال فى "الروض المطار" : وبه حصن كبير ؛ كان يسكنه شُكْرُ بن الحسن بن على بن جعفر الحسنى يعنى أمير مكة الآتى ذكره فى جملة أمرائها .

الطرف السابع

(في ذكر ملوك مكة ، وهم على ضربين)

الضرب الأول

(ملوكها قبل الإسلام)

اعلم أن مكة بعد الطوفان كان ملكها في عاد ، وكان بها منهم معاوية بن بكر بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وكان مع معاوية بن بكر (وهو عاد) الآخرة فيما يقال يعرب ثم غلبهم العالقة عليها . فلما غلب ابن قحطان بن عابر بن شالخ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح عادا على اليمن وقرق ملك اليمن في إخوته ، استولى على الحجاز وأخرج العالقة منه وولى أخاه جرهم بن قحطان على الحجاز ، فبقى به حتى مات . فملك بعده ابنه عبد ياليسل . ثم ملك من بعده ابنه جرهم ، ثم ملك بعده ابنه عبد المदान ، ثم ملك بعده ابنه بقله ، ثم ملك بعده ابنه عبد المسيح . ثم ملك بعده ابنه مضاض ، ثم ملك بعده ابنه الحرث ، ثم ملك بعده ابنه عمرو ، ثم ملك بعده أخوه بشر بن الحرث ، ثم ملك بعده مضاض بن عمرو بن مضاض .

قال ابن سعيد : وجرهم هذه هم الذين يست إليهم إسماعيل عليه السلام وتزوج فيهم ، وكانت قبلهم جرهم أخرى مع عاد . قال في " الروض المعطار " : وفي ذلك يقول عمرو بن الحرث بن مضاض ، وهو التاسع من ملوك جرهم المتقدم ذكرهم :
وصاهرنا من أكرم الناس والدنا • قابلاًؤنا ونحن الأصاهر !

قال صاحب حمة في " تاريخه " : وقد اختلف المؤرخون في أمر الملك على الحجاز بين جرهم وبين إسماعيل ، فبعضهم يقول : كان الملك في جرهم ، ومفاتيح الكعبة ومساكنها في يد ولد إسماعيل ، وبعضهم يقول : إن قidar بن إسماعيل توجه أخواله من جرهم وعقدوا له الملك عليهم بالحجاز .

وَأَمَّا سِدَانَةُ الْبَيْتِ وَمَفَاتِيحُهَا فَكَانَتْ مَعَ بَنِي إِسْمَاعِيلَ بِلَا خِلَافٍ حَتَّى أَتَاهُ ذَلِكَ إِلَى نَائِيَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، فَصَارَتْ السِّدَانَةُ بَعْدَهُ لِحُرْمِهِ ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ عَمْرِو بْنِ الْحَرِثِ :

وَكُنَّا وَلَاءَةَ الْبَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَائِيَةٍ • نَطُوفُ بِذَلِكَ الْبَيْتِ وَالْأَمْرُ ظَاهِرٌ !
وَذَكَرَ فِي "الرَّوْضِ الْمَعْتَارِ" : أَنَّهُ كَانَ مَعَ جُرْهُمٍ بِمَكَّةَ قَطُورًا ، وَجُرْهُمٌ وَقَطُورًا
أَخْوَانُ ، وَكَانَ مِثْلُ جُرْهُمٍ أَعْلَى مَكَّةَ بَقْعِيْعَمَانَ فَمَا حَازَ ، وَمِثْلُ قَطُورًا أَسْفَلَ مَكَّةَ
بِأَجَادِ فَمَا حَازَ ، وَأَتَتْهُ رِيَاسَةُ قَطُورًا فِي زَمَنِ مُضَاضِ بْنِ عَبْدِ الْمَسِيحِ الْمُتَقَدِّمِ ذَكَرَهُ
إِلَى السَّمِيدِ ، وَكَانَ مُضَاضٌ يُعَشِّرُ مَنْ دَخَلَ مَكَّةَ مِنْ أَعْلَاهَا ، وَالسَّمِيدُ عِشْرَ
مِنْ دَخَلَهَا مِنْ أَسْفَلِهَا ، ثُمَّ بَنَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَتَسَافَسُوا الْمَلِكُ وَأَقْتَتَلُوا فَقُتِلَ
السَّمِيدُ ، وَاسْتَقَلَّ مُضَاضٌ بِالْأَمْرِ ، وَبَقِيَ جُرْهُمٌ وَلَاءَةَ الْبَيْتِ نَحْوَ ثَلَاثَةِ سِنِينَ
فَأَكَلُوا مَالَ الْكُفَّةِ الَّذِي يَهْدَى إِلَيْهَا وَاسْتَحْلَوْا حَرَمَهَا ، وَبَلَغَ مِنْ أَمْرِهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا
لَمْ يَجِدْ بَكَاتَا زَيْفٍ فِيهِ (١) الْكُفَّةَ فَزَيَّفَ فِيهَا ، وَلَمْ يَتَّهَوْا حَتَّى يُقَالَ إِنَّ إِسَافَ
أَبْنَ سَهْلٍ زَيَّفَ بِنَائِلَةٍ بَنَتْ عَمْرُو بْنُ ذُوَيْبٍ فِي جُوفِ الْكُفَّةِ فِيسَخًا جَمْرِينَ ، وَنَضَبَ
مَاءً زَمْرَمَ لِكَثْرَةِ الْبَغْيِ وَدَرَسَتْ مَعَالِمُهَا ، ثُمَّ جَاءَ عَمْرُو بْنُ لُحْيٍ فَقَبَّرَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَنَاهُ وَبَعَثَ الْعَرَبَ عَلَى عِبَادَةِ النَّصَائِلِ ، وَعُمِّرَ ثَلَاثَةَ سِنِينَ وَخَمْسًا
وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَبَلَغَ مِنَ الْوَلَدِ وَوَلَدَ الْوَلَدِ أَلْفَيْنِ •

ثُمَّ صَارَتْ سِدَانَةُ الْبَيْتِ وَمَفَاتِيحُهَا إِلَى تُرْعَاعَةَ بْنِ الْأَزْدِ مِنْ بَنِي كَهْلَانَ بْنِ سَبِيلٍ مِنَ
الْعَرَبِ الْعَرَابِيَّةِ ، وَكَانَتْ مَنَازِلُهُمْ مِنْ حِينَ تَفَرَّقَ عَرَبُ الْيَمَنِ بِسَبَبِ سَيْلِ الْعَرِيمِ يَبْطُنُ
مَرَّةً عَلَى الْقَرَبِ مِنْ مَكَّةَ ، وَصَارَتْ لَهُمُ الرِّيَاسَةُ بِسِدَانَةِ الْبَيْتِ ، وَبَقِيَ السِّدَانَةُ بِيَدِهِمْ

(١) فِي "السَّيَالِكِ" وَ"الْمَعْرِ" بِدُونَ أَلْفٍ •

(٢) يَأْيَاضُ بِالْأَسْلِ ، وَلِلَّهِ أَسْلُهُ "دَخَلَ" كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ •

لَمْ أَنْ أَتَيْتُ إِلَى أَبِي غَبْشَانَ: سَلِيحَانُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْحَزَامِيِّ فِي زَمَنِ بَهْرَامِ جُورِ بْنِ يَزِيدَ جَدِّهِ
مِنْ مَلُوكِ الْفُرسِ؛ وَرِئِيسُ قَرِيشٍ يَوْمَئِذٍ قُصَيُّ بْنُ كَلَّابٍ. فَاجْتَمَعَ قُصَيٌّ مَعَ أَبِي غَبْشَانَ
عَلَى شَرَابٍ بِالطَّائِفِ، فَلَمَّا سَكَرَ أَبُو غَبْشَانَ اشْتَرَى قُصَيُّ سِدَانَةَ الْبَيْتِ مِنْهُ بِزُقٍّ نَعْمٍ
وَتَسْلَمٍ مَفَاتِيحِهِ وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وَأَرْسَلَ أَبْنَاهُ عَبْدَ الدَّارِ بِهَا إِلَى الْبَيْتِ فَوَضَعَ صَوْتَهُ
وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قَرِيشٍ! هَذِهِ الْمَفَاتِيحُ: مَفَاتِيحُ بَيْتِ أَبِيكُمْ إِسْمَاعِيلَ، قَدْ رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ
مِنْ غَيْرِ عَارٍ وَلَا ظُلْمٍ. فَلَمَّا سَمِعَهَا أَبُو غَبْشَانَ نَدِمَ حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُ النَّدَمُ. وَيَقَالُ: «أَخْسَرُ
مِنْ صَفْقَةِ أَبِي غَبْشَانَ» وَأَكْثَرُ الشُّعْرَاءِ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ:

بَاعَتْ خُرَاعَةُ بَيْتِ اللَّهِ إِذْ سَكِرَتْ * بِزُقٍّ نَعْمٍ، فَبَيْعَتْ صَفْقَةَ الْبَادِي

بَاعَتْ سِدَانَتَهَا بِالْتَّرِّ وَأَنْصَرَفَتْ * عَنِ الْمَقَامِ وَظِلِّ الْبَيْتِ وَالنَّادِي

وَلَمَّا وَقَعَ ذَلِكَ عَدَّتْ خُرَاعَةُ عَلَى قُصَيٍّ فَظَهَرَ عَلَيْهِمْ وَأَجْلَاهُمْ عَنْ مَكَّةَ؛ وَكَانَ بِمَكَّةَ
عَرَبٌ يَحْمِزُونَ الْحَجِيجَ إِلَى الْمَوْقِفِ، وَكَانَ لَهُمْ بِذَلِكَ رِيَاسَةٌ فَأَجْلَاهُمْ قُصَيٌّ عَنْ مَكَّةَ
أَيْضًا وَأَنْفَرَدَ بِالرِّيَاسَةِ. قَالَ الْمُسَكِّرِيُّ فِي «الْأَوَائِلِ»: وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ نَالَ الْمُلْكَ مِنْ
وَلَدِ النَّصْرِ بْنِ كِنَانَةَ.

وَلَمَّا تِمَّ لِقُصَيِّ ذَلِكَ بَنَى دَارَ النَّسَبَةِ بِمَكَّةَ، فَكَانَتْ قَرِيشٌ تَقْضِي فِيهَا أُمُورَهَا،
فَلَا تُنْجَحُ وَلَا تُفْلَسُ فِي أَمْرِ حَرْبٍ وَلَا غَيْرِهِ إِلَّا فِيهَا؛ وَلَمْ تَزَلِ الرِّيَاسَةُ فِيهِ وَفِي بَنِيهِ
بَعْدَ ذَلِكَ. فَوُلِدَ لَهُ مِنَ الْوَلَدِ عَبْدُ مَتَّافٍ وَعَبْدُ الدَّارِ وَعَبْدُ الْعُزَّى.

ثُمَّ انْتَقَلَتِ الرِّيَاسَةُ الْعَظِيمَةُ بَعْدَ ذَلِكَ لِبَنِي عَبْدِ مَتَّافٍ، وَكَانَ لَهُ مِنَ الْوَلَدِ هَاشِمٌ
وَعَبْدُ شَمْسٍ وَالْمُطَّلِبُ وَتَوْقَلٌ، وَكَانَ هَاشِمٌ أَرْضَهُمْ قَدْرًا وَأَعْظَمَهُمْ شَأْنًا، وَإِلَيْهِ أَتَيْتُ
سَيَادَةَ قَوْمِهِ؛ وَكَانَتْ إِلَيْهِ الرِّقَادَةُ وَسِقَايَةُ الْحَجِيجِ بِمَكَّةَ؛ وَكَانَتْ قَرِيشٌ تُجَازَا،
وَكَانَتْ تِجَارَتُهُمْ لَا تَصُدُّو مَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا فَخَرَجَ هَاشِمٌ إِلَى الشَّامِ حَتَّى نَزَلَ بِقَيْصَرٍ

ملك الروم فسأله كتابة أمانٍ لتُجار قريش ، فكتب له كتابا لكل من مرَّ عليه ، فخرج هاشم فكلما مرَّ بحي من العرب أخذ من أشرافهم أمانا لقومه حتى قَدِم مكة ، فأتاهم بأعظم شيء أتوا به قطُّ بركة ، فخرجوا بتجارة عظيمة وخرج معهم حتى أوردتهم الشام ؛ وخرج أخوه المطلب إلى اليمن فأخذ لهم أمانا من ملكه ؛ وخرج أخوها عبد شمس إلى ملك الحبشة فأخذ لهم أمانا كذلك ؛ وخرج أخوهم نوفل إلى كسرى ملك الفرس فأخذ لهم منه أمانا . وكانت قريش يرحلون في الشتاء للشام وفي الصيف لليمن ، وأسمعت معايشهم بسبب ذلك ، وكثرت أموالهم حتى آمن الله عليهم بذلك بقوله : ﴿ لِيَلَايَ قُرَيْشٍ إِيْلَا فِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ والإيلاف الأمان .

ثم ولد لهاشم عبد المطلب وبقيت الرياسة فيه ؛ وكانت يترزمنهم . قد أنظمت ونصّب ماؤها فخفّرها عبد المطلب ، حتى أكل الله تعالى بنبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ! .

وأما سُدانة البيت ومفاتيحه ، فبقيت بيد بني عبد الدار بن قصي المتقدم ذكره من حين تسلمها عبد الدار عند أخذها من أبي عَثْبان الخزاعي حتى صارت لبني شَيْبَةَ من بني عبد الدار ، وأتمت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن طلحة بن عبد الدار . فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح ، أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يذبح المفتاح إليه ، وقال : لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه ، فلوى علي بن أبي طالب يده وأخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة فصلى ركعتين ، فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويبيع له السقاية والسُدانة فترد قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا أن يرد المفتاح إلى

عُثْمَانُ وَبَعَثَ إِلَى اللَّهِ فَقَالَ عُثْمَانُ : أَكْرَهْتَ وَأَذَيْتَ ثُمَّ جِئْتَ تَرْفُقُ ؟ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ :
لَقَدْ أُنْزِلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي شَأْنِكَ قُرْءَانًا وَقُرَأَ عَلَيْهِ الْآيَةُ ، فَقَالَ عُثْمَانُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَهَبَطَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَأَخْبَرَهُ أَنَّ السُّدَانَةَ فِي أَوْلَادِ عُثْمَانَ أَبَدًا ، فَهِيَ بَاقِيَةٌ فِيهِمْ إِلَى الْآنَ .

الضرب الثاني

(ملوكها في الإسلام ، وهم علي طيقات)

الطبقة الثالثة^(١)

(عمال النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين)

هاجر منها النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة قبل وفاته ، وَجَّحَ حِجَّةَ الْوَدَاعِ فِي السَّنَةِ
الْعَاشِرَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ وَعَلَى مَكَّةَ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ،
وَتَوَالَتَ عَلَيْهَا عُمَلُ الْخُلَفَاءِ بَعْدَهُ إِلَى أَنْ رَأَى يَوْمَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَمَ
اللَّهُ وَجْهَهُ .

الطبقة الرابعة

(عمال بنو أمية من لدن معاوية رضي الله عنه إلى آخرهم)

ثم وَلَّى عَلَيْهَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ فِي خِلَافَتِهِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ
(خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ) ثُمَّ أَضِيغَتْ إِلَى عُمَلِ الْمَدِينَةِ إِلَى أَيَّامِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
فَكَانَ مِنْ وَلِيِّهَا مِنْهُمْ (الْوَلِيدُ بْنُ حُبَابَةَ) ثُمَّ (صُحْرُو بْنُ سَعِيدِ الْأَشْدَقِ) ثُمَّ (الْوَلِيدُ بْنُ حُبَابَةَ)

(١) هكذا في الأصل بهذا العنوان وصوابه الأولى والذي يظهر أن هذا من الناسخ فإن المقام لا يحتمل
السطر . ومن جهة أخرى لم يترك في الأصل بياض حتى كان ينبغي أن المؤلف ترك الكلام عليه لعود إليه
لحق ما هنا "الطبقة الأولى" وما بعدها "الطبقة الثانية" وهكذا حتى تشمل الطبقات .

ثانياً ثم (مُصْعَبُ بْنُ الزَيْرِ) من جهة أخيه عبد الله بن الزبير لما يبيع له بالخلافة؛
ثم (جَابِرُ بْنُ الْأَسْوَدِ) ثم (طلحة بن عبد الله بن عوف) ثم (طارق بن عمرو بن عثمان)
ثم (الْحَجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ التَّقْفِي) ثم (أَبَانُ بْنُ عَثَانَ) ثم (هشام بن إسماعيل المخزومي)
ثم (عُمَيْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ) .

ثم أفردها الوليد بن عبد الملك عن المدينة وولى عليها (خالد بن عبد الله القسري)
بعد عمرو بن عبد العزيز؛ ثم وليها (عبد العزيز بن خالد بن أسيد) أيام سليمان
ابن عبد الملك؛ ثم عزله يزيد سنة ثلاث ومائة وأضافها مع المدينة إلى (عبد الرحمن
ابن الضمَّال)، ثم عزله عن مكة والمدينة لثلاث سنين من ولايته وولى مكانه
(عبد الواحد النضري)؛ ثم عزله هشام بن عبد الملك في خلافة وولى مكانه
على مكة والمدينة (إبراهيم بن هشام بن إسماعيل) ثم عزله هشام سنة أربع عشرة ومائة
وولى مكانه على مكة والطائف دون المدينة (محمد بن هشام المخزومي)؛ ثم ولى
الوليد بن يزيد في خلافة خالد (يوسف بن محمد التقفي) على مكة مع سائر أعمال
الحجاز؛ ثم ولى مروان على مكة وهر الحجاز (عبد العزيز بن عمرو بن عبد العزيز)
ثم عزله في سنة تسع وعشرين ومائة وولى مكانه على مكة والحجاز (عبد الواحد)
ثم توالى عليها عمال بني أمية إلى أن انقرضت دولتهم .

الطبقة الخامسة

(عُمَالُ بَنِي الْعَبَّاسِ)

وأولهم أبو العباس السفاح، فولى عليها وعلى المدينة وسائر الحجاز عمه (داود) ثم تولى
سنة ثلاث وثلاثين ومائة؛ فولى مكانه في جميع ذلك (زياد بن عبد الله بن عبد
الدار الحارثي) .

ثم وثى السَّقَّاحُ على ذلك سنة ثلاث وأربعين ومائة (السري بن عبد الله ابن الحارث بن العباس) .

ثم عزله أبو جعفر المنصور سنة ست وأربعين ومائة ووثى مكانه عمه (عبد الصمد ابن علي) ثم عزله عنها سنة تسع وأربعين ومائة ووثى مكانه (محمد بن إبراهيم الإمام) ثم عزله ووثى مكانه (إبراهيم ابن أخيه) ثم وثى على مكة وسائر الحجاز واليمامة (جعفر بن سليمان) ؛ ثم توالى عليها العمال إلى أن وثى الرشيد في خلافته على مكة واليمن (حماد الزيدى) سنة أربع وعشرين ومائة .

ثم وليها في زمان الأمين (داود بن عيسى) .

ثم وليها (محمد بن عيسى) ثم عزله المتوكل سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وولى مكانه ابنه (المتنصر بن المتوكل) .

ثم وليها (علي بن عيسى بن جعفر بن المنصور) ثم عزله المتوكل سنة سبع وثلاثين ومائتين ووثى مكانه (عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى) ثم عزله المتوكل سنة ثنتين وأربعين ومائتين ووثى مكانه (عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام) ثم توالى عليها العمال من قبل خلفاء بني العباس إلى أن غلب عليها السليمانيون الآتى ذكرهم آنفا .

الطبقة السادسة

(السليانيون من بني الحسن)

نسبة إلى سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط .

وكان سليمان هذا في أيام المأمون بالمدينة وحدثت الرئاسة فيها لبنيه بعد أيام ، وكان كبيرهم آخر المائة الثالثة محمد بن سليمان الريدى .

(١) في الكامل لابن الأثير "الريرى" .

قال البيهقي: خلع طاعة القبايين وخطب لنفسه بالإمامة في سنة إحدى وثلاثمائة في خلافة المقتدر؛ ثم أعترضه أبو طاهر القرمطي في سنة ثلثي عشرة وثلاثمائة، فأقطع جميع العراق بسبب ذلك.

ثم أنفذ المقتدر الحجاج من العراق في سنة سبع عشرة وثلاثمائة فوافاهم القرمطي بمكة فذهبهم، وخطب لعبيد الله المهدي صاحب إفريقية وقلع الحجر الأسود وباب الكعبة وحملهما إلى الأخصاء، وتعطل الحج من العراق إلى أن ولي الخلافة القاهرة في سنة عشرين وثلاثمائة فخرج بالناس أميره في تلك السنة.

ثم أقطع الحج من العراق بعدها إلى أن صولت القرامطة على مال يؤديه الحجاج إليهم، فخرجوا في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة؛ وخطب بمكة للرازي بن المقتدر، وفي سنة تسع وعشرين لأخيه المتقي من بعده.

ثم أقطع الحج من العراق بسبب القرامطة إلى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، فخرج ركب العراق بمهادنة القرامطة في خلافة المستكفي؛ ثم خطب بمكة لحز الدولة ابن بويه مع المقتدر في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة؛ ثم تعطل الحج بسبب القرامطة؛ ثم برز أمر المنصور الفاطمي صاحب إفريقية لأحمد بن أبي سعيد أمير القرامطة بعد موت أبي طاهر بإعادة الحجر الأسود إلى مكانه فأعاده في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة.

وفي سنة ثنتين وأربعين وثلاثمائة حاول أمير الركب المصري الخطبة لابن الأخشيد صاحب مصر فلم يأت له ذلك وخطب لابن بويه، وأتصلت وفود الحج من يومئذ.

وفي سنة ثلاث وخمسين خطب للقرمطي بمكة مع المطيع.

وفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة خطب بمكة لاختيار بن ميمون الدولة بعد موت أبيه

ثم في سنة ستين وثلاثمائة جهز الميزر الفاطمي عسكرا من إفريقية لإقامة الخطبة له بمكة ومضاهم بنو الحسين أهل المدينة فتهم بنو الحسن أهل مكة من ذلك واستولوا على مكة .

فلما ملك مصر الميزر كان الحسن بن جعفر بن الحسن بن سليمان بالمدينة فبادر فلك مكة ودعا لميزر وكتب له الميزر بالولاية ؛ ثم مات الحسن فولى مكانه أخوه عيسى .

ثم ولّى بعده أبو الفتح الحسن بن جعفر بن أبي هاشم ؛ ثم الحسن بن محمد بن سليمان بن داود سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ؛ ثم جاءت عساكر عضد الدولة بن بويه ففقر الحسن وترك مكة . ولما مات الميزر وولّى ابنه العزيز ، بعث إلى مكة أميرا علويا فخطب له بالحرمين واستمرت الخطبة بمكة للعلويين إلى سنة سبع وستين وثلاثمائة .

وفي سنة ثمان وستين خطب لعضد الدولة بن بويه ؛ ثم عادت الخطبة بمكة إلى الخلفاء الفاطميين بمصر ؛ ثم كتب الحاكم سنة ثنتين وأربعين وأربعمائة إلى عماله بالبراءة من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأبى ذلك أبو الفتح أمير مكة وحمله ذلك على أن استبد بالأمر في مكة وخطب لنفسه وتلقب بالراشد بالله ، وقطع الحاكم الميرة عن الحرمين فرجع أبو الفتح إلى طاعته فأخذه إلى إمارته بمكة .

وفي سنة ثلثي عشرة وأربعمائة خطب بمكة للظاهر بن الحاكم ؛ ثم خطب بمكة سنة سبع وعشرين وأربعمائة لست نصر بن الظاهر ؛ ثم توفي أبو الفتح أمير مكة المتظلم ذكره سنة ثلاثين وأربعمائة لست وأربعين سنة من إمارته .

وولى بعده إمارة مكة ابنه شكر وملك معها المدينة وأستضافها لمكة ، وجمع بين الحرمين كله ^(١) ثلاثا وعشرين سنة ومات سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة . قال ابن حزم : وكانت وفاته عن غير ولد وأقرضت بموته دولة بن سليمان بمكة .

الطبقة البابعة

(الهوائسم)

نسبة إلى أبي هاشم : محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله أبي الكرام
 ابن موسى الجون بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط .
 كان رئيس الهوائسم لما مات شكر آخر أمراء السليمانيين (محمد بن جعفر) بن أبي
 هاشم المذكور فاستولوا على إمارة مكة في سنة أربع وخمسين وأربعمائة بعد موت
 شكر ، وخطب للمستنصر الفاطمي صاحب مصر ، ثم خطب لبني العباس في سنة
 ثمان وخمسين وأربعمائة فنقطعت ميرة مصر عن مكة فمد له أهله على ذلك فأعاد
 الخطبة للمستنصر الفاطمي . ثم استقاله القائم العباسي وبذل له الأموال فخطب له
 ستة ثنتين وستين بالموسم فقط ، وكتب للمستنصر بمصر يعتذر إليه ، ثم بعث إليه
 السلطان ألب أرسلان السلجوقي بأموال كثيرة في سنة ثلاث وستين فخطب له بنفسه .
 ثم جمع محمد بن جعفر المتقدم ذكره وزحف إلى المدينة فأخرج منها بني الحسين
 وملكها وجمع بين الحرمين .

ثم مات القائم وأقطع ما كان يصل إلى أمير مكة منه فقطع الخطبة للعباسيين .
 ثم أرسل المقتدى بالله العباسي بمال فأعاد الخطبة للعباسيين فاستمرت الخطبة
 لهم إلى أن مات السلطان ملكشاه السلجوقي سنة ست وثمانين وأربعمائة فانقطعت
 الخطبة بمكة للعباسيين وبطل الحاج من العراق ، ومات المقتدى وبويع ابنه
 المستظهر ، ومات المستنصر الميمني بمصر وبويع ابنه المستعلي فخطب له بمكة .

ثم مات محمد بن جعفر أمير مكة المتقدم ذكره سنة سبع وثمانين وأربعمائة لثلاث وثلاثين سنة من إمارته ؛ وولى بعده ابنه (قاسم) فكثُر اضطرابه ؛ ثم توفي سنة ثمان عشرة وخمسمائة لثلاثين سنة من إمارته .

وولى بعده ابنه أبو قلينة فأنتح بالخطبة العباسية وحسنُ الشئاء عليه ؛ ثم مات سنة سبع وعشرين وخمسمائة لعشر سنين من إمارته وولى بعده ابنه قاسم والخطبة مستمرة للعباسيين .

ثم صنع المقتنى بابا للكعبة وأرسله إليها في سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة وحمل الباب العتيق إليه فأخذته تابوتا يدفن فيه ، وأتصلت الخطبة لبني العباس إلى سنة خمس وخمسين ، وبويع المستنجد فخطب له كما كان يُخطب لأبيه لمقتنى .

ثم قتل قاسم بن أبي قلينة سنة ست وخمسين وخمسمائة ، وولى بعده ابنه (عيسى) في أيام الماضد : آخر خلفاء الفاطميين بمصر ، وتوفي المستنجد وبعث المستضيء بالركب العراقي وأنتضت دولة الفاطميين بمصر ، ووليها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فخطب له بالحرمين الشريفين .

والذى ذكره السلطان عماد الدين صاحب حجة في "تاريخه" أن عيسى عم قاسم سير الحاج في سنة ست وخمسين وخمسمائة وقام مكان ابن أخيه قاسم المذكور ، ثم عاد قاسم فلك مكة ، ثم هرب وصاد عمه عيسى فلحقها وهرب قاسم إلى جبل أبي قبيس فوقع عن فرسه فأمسكه عيسى وقتله .

ثم مات المستضيء وبويع ابنه الناصر وخطب له بالحرمين ، وحجت أمه وطادت فانتهت إليه من أحوال عيسى بن قاسم أمير مكة ما عزله به ؛ وولى مكانه أخاه (مكث بن قاسم) وكان جليل القدر ، وهو الذى بنى القلعة على جبل أبي قبيس .
ومات سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، وبموته آخرضت دولة الهواشم بمكة .

وذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة في "تاريخه" أن أمير حاج العراق في سنة إحدى وسبعين ونعمانة توجه من عند الخليفة بعزله ، فجري بينهما حرب آتت إلى الأمر فيها إلى أن هزم أكثر المذكور ، وأقيم أخوه داود مكانه . وما زالت الإمرة فيه تارة ، وفي أخيه أكثر تارة حتى مات داود في سنة تسع وثمانين ونعمانة . وقال : إنه داود بن عيسى بن محمد بن أبي هاشم .

الطبقة الثامنة

(بنو قتادة)

نسبة إلى قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

وكان السبب في ولايته مكة أنها لما كانت مع الهواشم كان بنو حسن مقيمين بنهر العلقمية من وادي يثع ، فجمع قتادة قومه بنو مطاعن وأسالف بنو أحمد وبنو إبراهيم وأمر عليهم وملك يثع ، ثم ملك الصفراء ، وسار إلى مكة فأتى بها من الهواشم المتقدم ذكرهم وملكها ، وخطب للناصر لدين الله العباسي : خليفة بغداد ، وتناظم أمره حتى ملك مع مكة واليها أطراف اليمن وبعض أعمال المدينة وبلاد نجد ، ولم يفت على أحد من الخلفاء ولا من الملوك ، وتوفي سنة سبع عشرة وستمائة ، وولي مكانه ابنه الحسن فامتص لملك أخوه راجح بن قتادة ، ثم قدم الملك المسعود أنصر بن الكامل صاحب اليمن سنة عشرين وستمائة من اليمن إلى مكة وملك مكة وقتل جماعة من الأشراف ونصب رايته وأزال راية أمير الركب الذي من جهة الخليفة ، فكتب الخليفة من بغداد إلى أبيه الكامل يملأه في ذلك ، فكتب الكامل

إلى أبنته أقسر يرثُ يا أقسر من ظهر العادل إن لم أقطع يمينك ! فقد نبذت وراء
ظهرك دنياك ودينك ! ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ! وذهب حسن
أبن قتادة إلى بغداد صريحا فأت بها سنة ثنتين وعشرين وسقاة ، ومات أقسر بمكة
سنة ست وعشرين ودفن بالمعلّ ، وبقي على مكة قائمه نضر الدين بن الشيخ ، وقصد
راجح بن قتادة مكة مع عساكر عمر بن رسول فلحقها من يد نضر الدين بن الشيخ
سنة تسع وعشرين وسقاة .

ثم جاءت عساكر مصر سنة ثنتين وثلاثين مع الأمير جبريل فلكوا مكة وهرب
راجح إلى اليمن ، ثم عاد ومعه عمر بن رسول صاحب اليمن بنفسه فهربت عساكر
مصر ، وملك راجح مكة وخطب لعمر بن رسول بعد الخليفة المستنصر .

ثم غلب على مكة سنة سبع وأربعين وسقاة أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة
ولحق راجح باليمن ، وسار جواز بن حسن بن قتادة سنة إحدى وخمسين وسقاة إلى
الناصر بن العزيز بن الظاهر بن أيوب بدمشق مستجيها على أبي سعد أن يقطع
ذكر صاحب اليمن ، فجهز له عسكرا وسار إلى مكة فقتل أبا سعد في الحرم وملك
مكة ، ثم وصل راجح من اليمن إلى مكة وهو شيخ كبير السن وأخرج منها جواز بن
حسن فلقى باليمن .

ثم دار أمر مكة بين أبي نعي محمد بن أبي سعد علي بن قتادة وبين غالب بن راجح
أبن قتادة ، ثم استبد أبو نعي بإمرة مكة ونفى قبيلة أبيه أبي سعد إلى اليمن ،

ولما هلك أبو نعي قام بأمر مكة من بعده أبناء ربيعة وحبيضة ونازعهما أخواهما
عُطيفة وأبو النيث فاعتزلهما ، ووافق ذلك وصول بيبس الجاشنكير كافل الملكة
المصرية في الأيام الناصرية فاطلق عُطيفة وأبا النيث وولاهما ، وأمسك ربيعة
وحبيضة وبست بهما إلى مصر ، ثم رد السلطان ربيعة وحبيضة إلى إمارتهما بمكة

مع عسكره ومثلاً إليه بعطيفة وأبي النيث، وبقى التنازع بينهم، وهم يتعاقبون في إمرة مكة مرة بعد أخرى وهلك أبو النيث في بعض حروبهم بطن مرة.

ثم تنازع حمضة ورميثة ومار رميثة إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر سنة خمس عشرة وسبعمائة فأمنه بساكر وجهه بها إلى مكة وأصلحوا.

ثم خالفهم عطيفة سنة ثمان عشرة وسبعمائة ووصل إلى السلطان فأمنه بالساكر فلك مكة وقبض على رميثة فسجن ثم أطلق سنة عشرين وأقام بمصر، وبقى حمضة مشرداً إلى أن استأمن السلطان فأمنه، ثم وثب بمحمضة بمالك كانوا معه وقتلوه، وأطلق رميثة من السجن واستقر شريكاً لأخيه عطيفة في إمارتها.

ثم مات عطيفة وأقام أخوه رميثة بعده مستقلاً بإمارة مكة إلى أن كبر وهزم. وإلى ذلك أشار في "التعريف" بقوله: وأقول إمرة في رميثة وهو آخر من بقى من بيته، وعليه كان النص من أبيه دون البقية مع تداولهم لها، وكان أبناءه بقية وعجلان قد أقسما معه إمارة مكة برضاه، ثم أراد الرجوع فلم يوافقاه عليه وأستقرا معه في الولاية.

ولما مات رميثة تنازع ولده: بقية وعجلان، ونخرج بقية وبقى عجلان بمكة، ثم غلب عليها بقية، ثم اجتمعا بمصر سنة ست وخمسين وسبعمائة فولى السلطان عجلان، وفر بقية إلى الجحاز فأقام هناك منازعاً لعجلان من غير ولاية. وعجلان هو المستبى بها مع سلوك سيرة العدل والإنصاف والتجافى عن أموال الرعية والتمرض للجاورين إلى أن توفي سنة سبع وسبعين وسبعمائة.

وولى بعده ابنه أحمد، وكان قد قوض إليه الأمر في حياته وقاسمه في أمره. فقام أحمد بأمر مكة جارياً على سنن أبيه في العدل وحسن السيرة، ومات في رمضان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة في الدولة الظاهرية برقوق.

(١) عبارة التعريف "وهي الآن في رمية وهو الخ."

فَوُتِيَ مَكَانَهُ أَبْنُهُ مُحَمَّدٌ، وَكَانَ صَغِيرًا فِي كَفَالَةِ عَمِّهِ كَيْشِ بْنِ عَجْلَانَ فَبَقِيَ حَتَّى وَثَبَ عَلَيْهِ فِدَاوَى عِنْدَ مَلَاقَةِ الْمُحْمَلِ قَتَلَهُ ؛ وَدَخَلَ أَمِيرُ الرِّكْبِ إِلَى مَكَّةَ فَوُتِيَ عِنَانَ ابْنُ مُقَامَسِ بْنِ رَمِيثَةَ مَكَانَهُ .

ثُمَّ لَحِقَ عَلَى بْنِ عَجْلَانَ بِالْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ بِمَصْرِ فُولَاهُ الظَّاهِرُ بِرَفُوقِ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ شَرِيكَاً لِعِنَانَ، وَسَارَ مَعَ أَمِيرِ الرِّكْبِ إِلَى مَكَّةَ فَهَرَبَ عِنَانٌ وَدَخَلَ عَلَى بْنِ عَجْلَانَ مَكَّةَ فَاسْتَقْبَلَ بِأَمَانَتِهِ ؛ ثُمَّ وَفَدَ عَلَى بْنِ عَجْلَانَ عَلَى السُّلْطَانِ بِمَصْرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ فَأَفْرَدَهُ بِالْإِمَارَةِ وَأَنْزَلَ عِنَانَ بْنَ مُقَامَسِ عِنْدَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، ثُمَّ أَعْتَقَهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَبَقِيَ عَلَى بْنِ عَجْلَانَ فِي إِمَارَةِ مَكَّةَ حَتَّى قَتَلَ بَيْطُنَ مَرَّةٍ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

فَوُتِيَ السُّلْطَانُ ابْنَ أَخِيهِ حُسَيْنَ بْنَ أَحْمَدَ مَكَانَهُ وَأَسْتَبَدَّ بِإِمَارَةِ مَكَّةَ وَهُوَ بِهَا إِلَى هَذَا الْعَهْدِ . وَهُوَ حُسَيْنُ، وَابْنُ أَحْمَدَ، وَابْنُ عَجْلَانَ، وَابْنُ رَمِيثَةَ، وَابْنُ أَبِي نَمِيٍّ مُحَمَّدٌ، وَابْنُ أَبِي سَعْدِ عَلَىٍّ، وَابْنُ أَبِي عَزِيزٍ قَتَادَةُ، وَابْنُ إِدْرِيسَ، وَابْنُ مَطَاعِنَ، وَابْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، وَابْنُ مُوسَى، وَابْنُ عَيْسَى، وَابْنُ سُلَيْمَانَ، وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَابْنُ أَبِي الْكَرَامِ، وَابْنُ مُوسَى الْجَوْنُ، وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَابْنُ حُسَيْنَ، وَابْنُ الْحُسَيْنِ السَّبْطُ، وَابْنُ عَلَىٍّ وَابْنُ أَبِي طَالِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

الطرف السابع

(فِي تَرْتِيبِ مَكَّةَ الْمَشْرِقَةِ ؛ وَفِيهِ جَمْعَانِ)

الجملة الأولى

(فِيهَا هُوَ بِمُخَاضَرَتِهَا)

أَمَّا مَعَالِلُهَا فَعَلَى مَا تَحْتَمُّ فِي الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ مِنَ الْمَعَامِلَةِ بِالْذَنَابِيرِ وَالْدِرَاهِمِ الثَّقَرَةِ ؛ وَصَنَجَتِهَا فِي ذَلِكَ كَصَنَجَةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَيَسْبِرُّ عَنْ الدَّرْهِمِ الثَّقَرَةِ فِيهَا بِالْكَامِلِ، نِسْبَةً إِلَى الْمَلِكِ الْكَامِلِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ صَاحِبِ مِصْرَ،

وعندهم درهم آخر من فضة خالصة، مربع الشكل، زنته نحو نصف، ثم قص حتى صار نحو سدس، يعبرون عنه بالسعودى نسبة إلى الملك المسعود صاحب اليمن، وهو في المعاملة بثقي درهم كامل،

ولم يكن بها في الزمن المتقدم فلوس يتعامل بها ثم راجت الفلوس الجُدُّد بها في أيام الموسم فيما قبل الدولة الظاهرية برقوق. ثم راجت في سائر الأوقات آخرها إلا أن كل درهم بها ثمانية وأربعون فلساً على الضعف من الدينار المصرية، حيث كل درهم فيها أربعة وعشرون فلساً، ويعبر عن كل خمسة قراريط من الدرهم الكامل فيها بجائز، وعن الربع والسدس منه بجائزين، وتعتبر أوزانها بالطن : وهو مائتان وستون درهماً، وأواقيد عشرة، كل أوقية عشرة دراهم، ويكلها بالفرارة، وكل غرارة من غرائرها .
وقياس قماشها بالذراع المصرى، وأسعارها في الغالب مرفوعة عن سعر مصر والشام.
وأما إمرتها فإنها إمرأة أعرابية يمتنئ أميرها في إمرته على قاعدة أمراء العرب دورت عادة الملوك في الموالك وغيرها، وأتباعه عرب، وأكثرهم من بني الحسین أشراف مكة، ويعبر عن أكابرهم بالقواد، وهم بمثابة الأمراء للملك، وربما استخدم المحاليل الترك ومن في معانهم .

وأكثر متحصله مما يؤخذ من التجار الواردين إلى مكة من الهند واليمن وغيرها .
وأما تجهيز ركب الحجيج إليها ففي كل سنة يجهز إليها التحميل من الدينار المصرية بكسوة البيت مع أمير الركب ويكسى البيت بالكسوة المجهزة مع التحميل، ويأخذ سدنة البيت الكسوة التي كانت على البيت . فيأثرون بها الملوك وأشرف الناس، وداخل البيت كسوة أخرى من حرير منقوش لا تحتاج إلى التغير إلا في السنين المتطاوله لعدم وصول الشمس ولمس الأيدي إليها .

ومن عادة أمير مكة أنه إذا وصل المحمل إلى ظاهر مكة خرج لملاقاته ، فإذا وافاه
ترجل عن فرسه وأتى الجمل الحامل للمحمل فقلب خُفَّ يده اليمنى وقبَّله خدمة
لصاحب مصر . وقد روى ابن الجارفي تاريخ المدينة النبوية من طريق الجافظ
أبي نعيم إلى حسين بن مُصعب أنه أدرك كسوة الكعبة يؤتى بها المدينة قبل أن
تصل إلى مكة . فتشتر على الرُضراض في مؤخر المسجد ، ثم يُخرج بها إلى مكة . وذلك
في سنة إحدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين ومائة .

وأعلم أن كسوة الكعبة لها حالان :

الحال الأول - ما كان الأمر عليه في الجاهلية . قد روى الأزرق في "أخبار
مكة" : بسنده إلى أبي هريرة روى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أُنسِي
عن سَبِّ أسعدَ الحِمْيَرِيِّ وهو تبعٌ " وكان أول من كَسَا الكعبة . وذَكَرَ ابنُ إسحاق
عن غير واحد من أهل العلم أن أول من كسا الكعبة كُسوة كاملة تبعٌ وهو أسعدُ
أرى في منامه أن يكسوها فكساها الأنطاع ، ثم أرى أن أكسها فكساها الوصائل
ثياب حبرة من عَصَبِ الين ، وعن ابن جرير نحوه .

وعن ابن أبي مليكة أنه قال : بلغني أن الكعبة كانت تَكسى في الجاهلية كُسى
شئ . كانت البُذُن تُجَلَّلُ الحِبرَ والبرود والأكسية وغير ذلك من عَصَبِ الين ، وكان
يُهدى للكعبة هدايا من كُسى شئ سوى جلال البُذُن : حِبر ونِزْوَ أعاط فكسى منه
الكعبة ، ويجعل ما بقى في خزانة الكعبة . فإذا بَلَغَ منها شئ أخلف عليها مكانه ثوب
آخر ، ولا يُتْرَك مما عليها شئ .

وعن عبد الجبار بن الورد قال : سمعت ابن أبي مليكة يقول : كانت قريش
في الجاهلية تَرَاغِدُ في كسوة الكعبة ، فيضربون ذلك على القبائل بقدر احتياجها ، من عهد
قُصَيِّ بن كلاب حتى نَسَا أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وكان

يختلف إلى اليمن يجبر فيها فائز في المال، فقال قريش : أنا أكسو الكعبة وحدي سنة وجميع قريش سنة، فكان يفعل ذلك حتى مات : يأتي بالحجر الجدي من الجند فيكسو الكعبة ، فسمته قريش العذل لأنه عدل فعله بفعل قريش .

وروى الواقدي عن النوار بنت مالك أم زيد بن ثابت رضي الله عنه أنها قالت : رأيت قبل أن يولد زيد بن ثابت على الكعبة مطارف نحر أخضر وأصفر، وكراز وأكسية الأعراب وشقاق شعر .

وعن ابن جريح أن الكعبة فيما مضى إنما كانت تكسى يوم عاشوراء إذا ذهب آجر الحاج، حتى كان بنو هاشم فكانوا يلقون القميص يوم التروية من الدياج لأن يرى الناس ذلك عليها بهاء وجمالا، فإذا كان يوم عاشوراء ملقوا عليها الإزار .

وعن عطاء بن يسار عن عمر بن الحكم قال : نذرت أمي بدنة تحمها عند البيت وجللتها شقتين من شعر ووبر فتعمرت البدنة وسيرت للكعبة بالشقتين، والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة لم يهاجر، فنظرت إلى البيت يومئذ وعليه كسي شئ من وصائل وأنطاع وكراز ونزومبارق عراقية، كل هذا قد رأيته عليه .

قلت : حاصل الأمر أن الذي كسيت الكعبة الأنطاع وجبرأت اليمن والبرود والكرار والأعاط والنفاق ومطارف النحر الأخضر والأصفر والأكسية وشقاق الشعر والوبر وغير ذلك .

الحال الثانية - ما كان الأمر عليه في صدر الإسلام وهم جرا إلى زماننا .

أما في صدر الإسلام فقد روى الواقدي عن إبراهيم بن أبي حبيبة عن أبيه أن البيت كان في الجاهلية يكسى الأنطاع فكساه النبي صلى الله عليه وسلم الثياب الجاهلية، ثم كساه عمر وعثمان رضي الله عنهما القبايط . وعن ابن أبي نجيح أن عمر

أبن الخطاب رضى الله عنه كسا الكعبة القبايطى من بيت المال، كان يكتب فيها إلى مصر، ثم عثمان من بعده . فلما كان معاوية بن أبى سفيان كساها كسوتين : كسوة عُمر القبايطى وكسوة ديباج ، وكانت تكسى الديباج يوم عاشوراء ، وتكسى القبايطى في آخر شهر رمضان .

وروى الأزرقى عن نافع قال : كلف ابن عمر يكسو بدنه إذا أراد أن يحرم القبايطى والحرير ، وفي رواية الأسماط ، فإذا كان يوم عرفة ألبسها إياها وإذا كان يوم النحر نزعها عنها ثم أرسل بها إلى شيبه بن عثمان النخعي فطاطها على الكعبة . وروى الواقدي عن إسحاق بن عبد الله أن الناس كانوا ينذرون كسوة الكعبة ويهدون إليها البدن عليها الحبرات ، فيبعث بالحبرات إلى البيت كسوة . فلما كان يزيد بن معاوية كساها الديباج الأخضر ، فلما كان ابن الزبير أتبعه على ذلك ، فكان يبعث إلى أخيه مضعب بن الزبير يبعث بالكسوة كل سنة وكانت تكسى يوم عاشوراء .

قال الأزرقى : وقد قيل إن ابن الزبير أول من كساه الديباج . قال أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" : وهو الصحيح .

وذكر الواقدي عن أشياخه أن عبد الملك بن مروان كلف يبعث في كل سنة بالديباج من الشام فيمطر به على المدينة فينشر يوما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأساطين هاهنا وهاهنا ، ثم يطوى ويبعث به إلى مكة . وقد قيل إن عبد الملك أول من كسا الكعبة الديباج . قال الماوردي : وكساه بنو أمية في بعض أيامهم الحلل التي كانت على أهل بحران في جزيتهم ، والديباج من فوقها .

قال الأزرقى : ولما حج المهدي في سنة ستين ومائتين^(١) ، رفع إليه أن ثياب الكعبة قد أثقلتها ويخاف على جذرانها من ثقل الكسوة ، فجردها حتى لم يبق عليها شيء من

الكسوة، ثم أفرغ عليها ثلاث كسئ : قباطى ونز وديج . ولما غلب حسين
 ابن حسن الطالبي على مكة و سنة مائتين ، وجد ثيابا قد ثقلت عليها أيضا بفزدها
 في أقل يوم من المحرم وكساها كسوتين من قز رقيق إحداهما صفراء والأخرى بيضاء
 مكتوب بينهما .

”بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار .“
 ”أمر أبو السرايا الأصغر بن الأصغر راعية آل محمد صلوات الله عليه وسلامه بعمل“
 ”هذه الكسوة ليت الله الحرام“ .

وذكر الأزرق عن جده أن الكعبة كانت تكتفى في كل سنة كسوة ديباج يعنى
 أحمر وكسوة قباطى . فأما الديباج فتكساه يوم التروية ، فيعلق القميص ويدلى
 ولا يخط . وإذا صدر الناس من منى خيط القميص وترك الإزار حتى يذهب الحاج
 لئلا يخرقه . فإذا كان يوم عاشوراء علق عليها الإزار يوصل بالقميص ، وكأن المراد
 بالإزار ما تذكره الأيدى في الطواف والقميص ما فوق ذلك إلى أعلى الكعبة ،
 فلا تزال هذه الكسوة الديباج عليها حتى يوم سبع وعشرين من شهر رمضان
 فتكتفى القباطى القطن .

فلما كانت خلافة المأمون رفع إليه أن الديباج يلى ويخرق قبل أن يبلغ الفطر،
 فسأل المأمون صاحب بريد مكة في أى الكسوة الكعبة أحسن ؟ فقال له :
 في الأبيض ، فأمر بكسوة من ديباج أبيض ، عملت سنة ست ومائتين وبُعث بها إلى
 الكعبة ، فصارت الكعبة تكتفى ثلاث كسئ : تكتفى الديباج الأحمر يوم التروية ،
 وتكتفى القباطى يوم هلال رجب ، وتكتفى الديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من
 شهر رمضان للفطر .

ثم رفع إلى المأمون أيضا أن إزار الديباج الأبيض يتفوق ويتلى في أيام الحج من مس الحاج قبل أن يُحاط عليها إزار الديباج الأحمر في عاشوراء ، فزادها إزار ديباج أبيض تُكسَاه يوم التَّروِيَةِ . فيستر به ما تحرق من الإزار الذي كسيته .

ثم رفع إلى المتوكل في سنة أربعين ومائتين أن إزار الديباج الأحمر يتلى قبل هلال رجب من مس الناس ومسحهم بالكعبة ، فزادها إزارين مع الإزار الأول ، فأزال قميصها الديباج الأحمر وأسبله حتى بلغ الأرض ، ثم جعل الإزار فوقه ، في كل شهرين إزار ، ثم نظر الحجة فإذا الإزار الثاني لا يحتاج إليه ، فوضع في تابوت الكعبة وكتبوا إلى المتوكل أن إزارا واحدا مع ما أذيل من قميصها ، فصاريبت بإزار واحد فتكفى بعد ثلاثة أشهر ، فيكون الذيل ثلاثة أشهر .

ثم في سنة ثلاث وأربعين ومائتين أمر المتوكل بإزالة القميص القباطي حتى بلغ الشاذروان الذي تحت الكسوة . قال الماوردي : ثم كسا المتوكل أساطينه الديباج .

وقد حكى المؤيد صاحب حماة في "تاريخه" أن الفاطميين خلفاء مصر في إمارة أبي الحسن جعفر من السلجوقيين على مكة في سنة إحدى وثمانين وثلثمائة كنوا الكعبة البيضاء .

قلت : ثم رفع الأمر في خلفاء بني العباس ببغداد إلى شعارهم من السواد . فالبسوا الكعبة الديباج الأسود ، ثم جرى ملوك مصر عند استيلائهم على الحجاز على لباسها السواد .

والذي جرى عليه الحال في زماننا إلى آخر الدولة الظاهرية برقوق وأوائل الدولة الناصرية ولقد أن الكعبة تُكسى الديباج الأسود كسوة مسجلة من أعلى

الكعبة إلى أسفلها مرقوما بأعلىها طراز رقم بالبياض من أصل النسيج مكتوب فيه (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا) والآيات، وعلى الباب برقع من نسبة ذلك مرقوم فيه بالبياض ... (١) ... ثم في سنة ... (١) ... وثمانمائة في الدولة الناصرية فرج بن برقوق غير الطراز من لون البياض إلى لون الصفرة، فعصار الرقم في السواد بحرر أصفر مَقْصَب بالذهب، ولا يخفى أنه أنفُس من الأول والثاني أبيض منه لثلاثة مضادة ما بين البياض والسواد، ثم جعل بعض جوانب الكسوة ديباجا أسود على الدابة، وبعضها كعنا أسود بجمامات مرقوم فيها بالبياض "لا إله إلا الله محمد رسول الله". ثم جعل بعد ذلك برقع البيت من حرر أسود منشورا عليه الخمايش الفضة الملبسة بالذهب فزاد نقاسة وعلا قيمة. ثم في سنة أربع عشرة وثمانمائة جعل واجهة الباب من الكسوة كعنا أزرق بجمامات مكتوب فيها ... (٢) ... والله العالم ما كان وما يكون.

قلت : وحاصل ما تقدم أن النسيء أشقلت عليه أصناف الكسوة في الإسلام الثياب البجانية، والقباطى المصرية، والخبر والأتماط والحلل النجرانية، والديباج الأبيض، والديباج الأحمر، والديباج الأخضر، والديباج الأصفر، والديباج الأسود، والديباج الأزرق.

وأما تجريد الكعبة من ثيابها، فقد ذكر الأزرق أنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كلف يترع كسوة البيت في كل سنة فيقسمها على الحاج. وعن ابن أبي مليكة أنه قال : كانت على الكعبة كُتُب كثيرة من كسوة أهل الجاهلية : من الأنطاع والأكسية والكرار والأنماط، فكانت رُكُما بعضها فوق بعض.

(١) في الأصل بياض بهذا المقدار.

(٢) له وان كان أبيض من لثلاثة الخ تأمل.

(٣) في الأصل بياض بهذا المقدار.

فلما كسيت في الإسلام من بيت المال، كان يخفف عنها الشيء بعد الشيء إلى أن كانت أيام معاوية فكتب إليه شيعة بن عثمان المجبي يرغب إليه في تخفيفها من كسئ الجاهلية حتى لا يكون عليها شيء مما مسته أيديهم لتجاسمهم، فكتب إليه معاوية أن جردها، وبعث إليه بكسوة من ديباج وقباطى وجبرة، فجردها شيعة حتى لم يبق عليها شيء، وكساها الكسوة التي بعث بها معاوية، وقسم الثياب التي كانت عليها بين أهل مكة، وكان ابن عباس حاضرا في المسجد وهم يجردونها فلم ينكر ذلك ولا كرهه .

وروى أن عائشة رضى الله عنها أنكرت على شيعة ذلك ، وقالت له إنها وأجل منها في سبيل الله، وكذلك ابن عباس .

وروى الواقدي عن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت : إذا زرعت من الكعبة ثيابها فلا يضرها من لبسها من الناس من حائض أو جنب . وقد تقدم أن المهدي جردها حين حج في سنة ستين ومائتين ، وحسين الطالبي جردها في سنة مائتين .

قلت : والذي استقر عليه الحال في زماننا أنها لا تلبس في كل سنة غير كسوة واحدة على ما تقدم بيانه ، وذلك أن الكسوة تعمل بمصر على النمط المتقدم ، ثم تحمل محبة الركب إلى مكة فيقطع ذيل الكسوة القديمة على قدر قامة من جدار الكعبة ويظهر من الجدار ما كان تحته ، ويبقى أملاها معلقا حتى يكون يوم فصلح الكسوة العتيقة وتعلق الجديدة مكانها ، ويمكن المقام من نسبة كسوة الكعبة ، ويأخذ بنو شيعة الحجة الكسوة العتيقة فيسدون بها للعباد ولأهل الآفاق . وقد زاد فيهم فيها من حين حصلت المغالة في كسوة الكعبة وبرقمها على ما تقدم .
” اللهم زد هذا البيت تشرعا وتعظيما ، وتكريما ومهابة “ .

(١) صوابه ومائة . أنظر تاريخ خلافة المهدي .

(٢) بعض في الأصل .

وأعلم أن جدار الكعبة كان عزز الرؤية حين كنت الكسوة تراكم عليها ولا يزد عنها شيء، حتى إن الأزرق حكى عن جدّه أنه تبيح رؤية جدارها حين جردت في سنة ثلاث وستين ومائتين، وأنه رأى جدار الباب المسدود الذي كان عمله ابن الزبير في ظهرها وسده الحجّاج، وشبه لون جدارها بالعنبر الأشهب.

الجملة الثانية

(فيما هو خارج عن حاضرتها)

أكثر من هو بياديتها وأوديتها القرية منها بنو الحسن الأشراف. وقد ذكر في "التعريف" من عرب الجباز لأم، وخالد، والمتفق، والعايد، وزاد في "مسالك الأبصار": ذكر زبيد، وبنو عمرو، والمضاربة، والمساعد، والزيار، وآل عيسى، وآل دهم، وآل جناح، والخبور. ثم قال: وديارهم يتلو بعضها بعضا. قال الحمداقي: وشرقي مكة حلبيّة، وبنو هزرومنازلم يثبته.

ومنهم من ختم بنو منبه، وبنو فصيلة، ومعاوية، وآل مهدى، وبنو نصر، وبنو حاتم، والموركة، وآل زياد، وآل الصماقير، والشاوبلوس. ثم قال: ومنازلهم غير متباعدة.

أما القران بالدرب المصري إلى مكة، فمن ركة الحجّاج إلى عقبة أيلة للعائد من عرب الشرقية، ومن العقبة إلى الدمام دون عيوت القصب لبنى عقبة، ومن الدمام إلى أكدي ليلي، ومن أكدي إلى آخر الوعرات لجهينة، ومن آخر الوعرات إلى نهاية بدر وإلى نهاية الصفراء، وتقب على لبنى حسن أصحاب الينج، ويليهم من أقاربهم من بنى حسن أصحاب بدر إلى رملة حاج في طرف قاع البروة، ومن

الصفراء إلى الجحفة ورايح لُزَيْد، ومن الجحفة على قُدَيْد وما حولها إلى التَّيَّةِ المعروفة بعقبة السَّوِيْقِ لِسُلَيْم، ومن التَّيَّةِ على خُلَيْص إلى التَّيَّةِ المشرفة على عُسْفَانَ إلى الفَجِّ المسمى بالمحاطب لبني جابر، وهم في طاعة صاحب مكة، ومن المحاطب إلى مكة المعظمة لصاحب مكة وبني الحسن . هـ

القاعدة الثانية

(المدينة الشريفة النبوية، على ما كنّاها أشرف الخلق عهد أفضل
الصلوة والسلام والتحية والإكرام، وفيها ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(في حاضرتها) :

المدينة ضبطها معروف، وهو أسم غلب عليها، وبه نطق القرءان الكريم في قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لِمَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ . وقوله : ﴿ وَبِمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُتَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ﴾ . وأسمها القديم يُقْرَبُ وبه نطق القرءان في قوله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ .

قال الزجاجي : وهو يثرب، بن قانية، بن مهلائيل، بن إرم، بن عيّل، بن عوص، ابن إرم، بن سام، بن نوح، هو الذي بناها، وورد ذكره في الحديث أيضا . قال الشيخ عماد الدين بن كثير في " تفسيره " وحديث النهي عن تسميتها بذلك ضعيف ؛ وسماها الله تعالى الدار بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ . وسماها النبي صلى الله عليه وسلم طَيِّبَةً (فتح الطاء المهملة وسكون الياء وفتح الباء الموحدة بعدها هاء) وطائفة بإبدال الياء بعد الطاء بالثاء . قال النووي : وهما من الطيب يوهو الرائحة الحسنة، وقيل من الطيب خلاف الرديء، وقيل من الطيب بمعنى

الطاهر، وقيل من طيب العيش . وزاد السهيل في أسمائها البحارة بالجم والبهاء
الموحدة، والنجبة، والمحبوبة، والقاصمة، والمحبورة، والعذراء، والمرحومة، وكانت
تدعى في الجاهلية غلبة لأن اليهود غلبوا عليها العالقي، والأوس والخزرج غلبوا عليها
اليهود . قال صاحب حماة : وهي من الحجاز، وقيل من نجد، وموقعها قريب من
وسط الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة . قال في كتاب "الأطوال" : وطولها خمس
وستون درجة وثلاث، وعرضها إحدى وعشرون درجة . وقال في "القانون" :
طولها سبع وستون درجة ونصف ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وثلاث .
وقال ابن سعيد : طولها خمس وستون درجة وثلاث، وعرضها خمس وعشرون
درجة وإحدى وثلاثون دقيقة . وقال في "رسم المعمور" : طولها خمس وستون
درجة وعشرون دقيقة، وعرضها خمس وعشرون درجة .

وقد ذكر صاحب "المنهاج الدائم" بولد أبي القاسم " أن أول من بناها تبع
الأول، وذكر أنه تم بمكانها وهي يومئذ منزلة بها أعين ماء، فأخبره أربعمائة عالم من
علماء أهل الكتاب لم عالم يرجعون إليه أن هذا موضع مهاجر نبي يخرج في آخر
الزمان من مكة اسمه محمد ! وهو إمام الحق، فأمن بالنبي صلى الله عليه وسلم !
وفى المدينة، وأزلم بها وأعطى كلامهم مالا يكفيه وكتب كتابا فيه :

"أما بعد يا محمد فإني آمنت بك وبربك، وبكل ما جاء من ربك"
"من شرائع الإسلام والإيمان، وإني قلت ذلك فإن أدركك فيها"
"ونعمت، وإن لم أدركك فاشفع لي يوم القيامة، ولا تنسني فإني من"
"أمتك الأولين، وتابعتك قبل مجيئك، وقبل أن يرسلك الله، وأنا على"
"ملة أبيك إبراهيم !"

وختم الكتاب وقش عليه : (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يُفْرَجُ
الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) .
وكتب عزرائله .

”إلى محمد بن عبد الله خاتم المرسلين ، ورسول رب العالمين ، صلى الله
”عليه وسلم ! من تبع الأول حمير ، أمانة الله في يد من وقع إليه أن يدفعه
”إلى صاحبه“

ودفع الكتاب إلى رئيس العلماء المذكورين ، وتداوله بنوه بعده إلى أن هاجر
النبي صلى الله عليه وسلم ! إلى المدينة فلقاه به بعض أولاد ذلك العالم بين مكة
والمدينة ، وتاريخ الكتاب يومئذ ألف سنة بغير زيادة ولا نقص . وقيل في ثنائها غير
ذلك ، وهي مدينة متوسطة في مستو من الأرض ، والغالب على أرضها السباخ ،
وفي شمالها جبل أحد ، وفي جنوبها جبل عير . وكان عليها سور قديم وبخارجها
خندق محفور ، وهو الذي حفره النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب .

وفي سنة ست وثلاثين ومائتين بنى عليها إسحاق بن محمد الجعدي سوراً منيعاً ،
وجتده عضد الدولة بن بويه الديلمي في سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، وهو باق عليها
إلى الآن ، ولها أربعة أبواب : باب في الشرق يُخرج منه إلى البقيع ، وباب في الغرب
يُخرج منه إلى العقيق وقبأ ، وبين يدي هذا الباب جداول ماء جارئة ، وبوسطها
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ! وهو مسجد متسع إلا أنه لم يبلغ في القدر مبلغ
مسجد مكة .

قال ابن قتيبة في ”كتاب المعارف“ : وكان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم !
مبنياً باللبن وسقفه الجريد وسمه النخل ، ولم يزد فيه أبو بكر شيئاً ، وزاد فيه عمر ،

ثم غيّر عثمان وزاد فيه عثمان زيادة كبيرة، وبني جداره بالججارة المنقوشة وبالقصّة، وجعل عمده من حجارة منقوشة، ووسعه المهدي سنة ستين ومائة؛ وزاد فيه المأمون زيادة كبيرة في سنة اثنتين ومائتين؛ ولم تزل الملوك تتداوله بالعمارة إلى زماننا.

وبه الخجرة الشريفة التي بها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم! وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، بمحبرته الشريفة دائر عليه مقصورة مربعة إلى نحو السقف، عليه ستر من حرير أسود، وخارج المقصورة بين القبر والمنبر الروضة التي أخبر صلى الله عليه وسلم! أنها روضة من رياض الجنة.

وقد ذكر أهل الأثر: أن المنبر كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم! ثلاث درجات بالمقد، وأرتفاعه ذراعان وثلاث أصابع، وعرضه ذراع راجح، وأرتفاع صدره وهو الذي يستند إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم! ذراع، وأرتفاع رُماتيه اللتين كان يمسكهما صلى الله عليه وسلم! بيديه الكريمتين إذا جلس شبراً وأصبعان، وفيه خمسة أعواد من جوانبه الثلاثة، وبقي على ذلك إلى أيام معاوية فكتب إلى مروان: عامله على المدينة أن أرفعه عن الأرض فزاد من أسفله ست درجات ورفعها عليها فصار له تسع درجات بالمجلس. قيل: وصار طوله أربعة أذرع وشبراً.

ولما حج المهدي بن المنصور العباسي سنة إحدى وستين ومائة، أراد أن يعيده إلى ما كان عليه فأشار عليه الإمام مالك بتركه خشية التهاوت فتركه؛ ويقال: إن المنبر الذي صنعه معاوية ورفّع منبر النبي صلى الله عليه وسلم عليه، تهاوت على طول الزمان، وجتده بعض خلفاء بني العباس وأخذ من بقايا أعواد منبر النبي صلى الله عليه وسلم أمشاطاً للتبرك، ثم أحترق هذا المنبر لما أحترق المسجد في مستهل رمضان سنة أربع وخمسين وسقاة أيام المستعصم بالله، وشغل المستعصم عن عمارته بقتال

التار، فعمل المظفر صاحب اليمن المتبر، وبعث به إلى المدينة سنة ست وخمسين وسقائة، فنصب في موضع منبر النبي صلى الله عليه وسلم ! فبقى إلى سنة ست وستين وسقائة، فأرسل الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر المتبر الموجود الآن فأزيل ذلك ووضع هذا وطوله أربعة أذرع، ومن رأسه إلى عنقه سبعة أذرع تزيد قليلا، ودرجاته سبع بالمقعد والأمر على ذلك إلى الآن .

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(جماعها ومراقبها)

وأعلم أن المدينة الشريفة حرمي، حماه النبي صلى الله عليه وسلم وحرمه كاحرم إبراهيم عليه السلام مكة . قال في "الروض المعطار" : جماعها اثنا عشر ميلا ؛ وخارج بابها الشرق البقيع المتقدم ذكره، وهو مدفن أكثر أمواتها، وهو بالباء الموحدة في أوله، ويسمى بقيع الفرقد بفتح الفين المعجمة وسكون الراء المهمله وفتح القاف ودال مهمله في الآخر . قال "الأصمعي" : سمي بذلك لأنه قُطِعَ ما به من شجر الفرقد يوم مات عثمان رضي الله عنه . وبه قبر إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم ! من مارية القبطية ، وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب ؛ وإلى جانبه قبر العباس : عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقبر عثمان بن عفان رضي الله عنه في قبة دونهما، وقبر مالك بن أنس إمام المنهج المعروف ؛ وحول المدينة خدائق النخل الأنيقة ؛ وثمرها من أطيب الثمر وأحسنه، وغالب قوت أهلها منه .

الضرب الثاني

(في محالينها وقراها ، والمشهور منها ثمانية أما كن)

الأول - (قباء) - بضم القاف وفتح الباء الموحدة وألف في الآخر - ويروى بالمد والقصر والمد أشهر . قال في "الروض المطار" : ومن العرب من يذكّره فيصرفه ، ومنهم من يؤثّه فلا يصرّفه . قال : وسُميت قَبَاءً بِبئر كانت بدار توبة بن الحسن ابن السائب بن أبي لبابة يقال لها قُبَاء ، وهي قرية غربي المدينة على ميلين منها ، وبها مسجد التقوى الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله : (لَتَسْجُدَ لَأَسَسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوْ) يومَ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ) . وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي قُبَاء كل يوم سبت راكباً وماشيئاً ، ومُصَلِّاً بها مشهور .

الثاني - (خير) - بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الباء الموحدة وراء مهملة في الآخر - قال الزجاجي : سميت بخَيْرِ بن قانية وهو أول من تزلها ، وهي بلدة بالقرب من المدينة الشريفة . قال ابن سعيد : طولها أربع وستون درجة وست وخمسون دقيقة ، وعرضها سبع وعشرون درجة وعشرون دقيقة . وهي بلدة عامرة أهله ذات نخيل وحدائق ومياه تجري . قال في "تقويم البلدان" : وهي بلدة بني عترة من اليهود ، واختير في لغة اليهود الحصن ، وهي في جهة الشمال والشرق من المدينة على نحو ست مراحل وقيل أربع مراحل . قال الإدريسي : وهي ذات نخيل وزرع ، وكانت في صدر الإسلام داراً لبني قُرَيْظَةَ والتَّضْيِير ، وبها كان السَّوَمَل بن طادياً الشاعر المشهور .

الثالث - (فذلك) - بفتح الفاء والبدال المهملة وكاف في الآخر - قال الزجاجي : سميت بِفَذَك بن حام ، وقيل : سميت بِفَيْد بن حام ، وهو أول من تزلها . قال

في "الروض المطار" : وبينها وبين المدينة يومان، وحَصْنُهَا يقال له الشُروخ على القرب من خير، وكان أهلها قد صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم ! على النصف من ثمارها في سنة أربع من الهجرة، ولم يُوجِف عليها المسلمون حِجْلًا ولا رَكاب فكَانَتْ لَهُ صلى الله عليه وسلم خالصةً، وكان معاوية بن أبي سفيان قد وهبها لمرْوان بن الحكم، ثم أَرْتَجَمَهَا مِنْهُ لَمَوْجِدَةً وجدها عليه . فلما ولي عمرُ بن عبد العزيز الخِلافة، رَدَّهَا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ تُقَالُ فِي أَيَّامِ أَمْرِهِ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ، يَحْتَفِئُ فِيهَا .

الرابع - (الصَّفْراء) - مؤنث أصفر - وهو واد على سِتِّ مَرَاكِلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ كَثِيرُ الْمَزَارِعِ وَالْمِيَاهِ وَالْحِلَاقِ . أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْحِجَازِ أَنَّ بِهِ أَرْبَعَةَ وَعَشْرِينَ نَهْرًا عَلَى كُلِّ نَهْرٍ قَرْيَةٌ، وَعِيُونُهُ تَصُبُّ فَضْلَهَا إِلَى بَيْعٍ، وَهُوَ بَيْدُ بَنِي حَسَنِ الشَّرَفَاءِ .

الخامس - (وَدَّان) - فَتَحَ الْوَادُ وَتَشْدِيدُ الدَّالِ الْمَفْتُوحَةِ وَالْفَتْحُ ثَمَنُ نُونٍ - وَهُوَ وَادٌ بِهِ قَرْيٌ خَرَابٌ لَا تَحْصِي كَثْرَتُهُ .

السادس - (الْفَرْعُ) - بضم الفاء وسكون الراء المهملة وبالعين المهملة - وهو واد في جنوبي المدينة على أربعة أيام منها يشتمل على عِدَّةِ قُرَى أَهْلَةٍ، أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْحِجَازِ أَنَّ بِهِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ نَهْرًا عَلَى كُلِّ نَهْرٍ قَرْيَةٌ، وَمَاؤُهَا يَصُبُّ فِي رَأْبِغٍ حَيْثُ يُحْرَمُ حُجَّاجُ مِصْرَ، وَعَلَيْهَا طَرِيقُ الْمُنَاشَةِ مِنَ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ . قَالَ فِي "الروض المطار" : وَيَقَالُ لَهَا أَوَّلُ قَرْيَةٍ مَارَتْ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ التَّحِيرِيَّةُ، وَهِيَ الْآنَ بَيْدُ بَنِي حَرْبٍ .

السابع - (الْبَارُ) - قَالَ فِي "الْبَابِ" : بفتح الجيم وألف وراء مهملة - وَهِيَ قَرْيَةٌ بِالْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاكِلٍ مِنْهَا . قَالَ أَبُو حَوَّلٍ : وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ سَاحِلِ الْبَحْثَةِ نَحْوُ ثَلَاثِ مَرَاكِلٍ، مِنْهُ عَنْ أُيْلَةٍ عَلَى نَحْوِ عَشْرِينَ مَرَحَلَةً .

الثامن - (وَادَى الْقُرَى) - بضم القاف وفتح الراء المهملة وألف في الآخر جمع قرية . قال في "الروض الماطر" : وهي مدينة كثيرة التخيّل والبساتين والعيون ، وبها ناس من ولد جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ، وهم الغالبون عليها ، وتُعرف بالوَادِيَيْنِ ، والذي أخبرني به بعض أهل الحجاز أنه كان بها عيون كثيرة عليها عتة قُرَى تغرب لاختلاف العرب ، وهي الآن خراب لا عامر بها ولو عمرت أغنت أهل الحجاز عن الميرة من غيرها .

قلت : وبالحق الإدريسي في "نزهة المشتاق" فقد من مخاليفها تيماء ودومة الجندل ، ومدّين ، والتحقيق خلاف ذلك .

فأما تيماء بفتح التاء المثناة من فوق وسكون الياء المثناة من تحت وميم ثم ألف في الآخر فقد عتها في "تهويم البلدان" : من بادية الشام تحريبا . قال في "العزيمى" : وهي حاضرة طيء وبها الحصن المعروف بالأبلق المنسوب إلى السموءل بن عاديا . قال في "تهويم البلدان" : وهي الآن أعمر من تبوك ، وبها نخيل قائمة .

وأما دومة الجندل فقال في "تهويم البلدان" : هو موضع فاصل بين الشام والعراق على سبع مراحل من دمشق ، وبينه وبين المدينة الشريفة ثلاث عشرة مرحلة .

وأما مدّين فقد تقدّم ذكرها في الكلام على كَوَرِ مصر القديمة ، ووقع الكلام عليها هناك وإن كان الحق أنها من ساحل الحجاز .

الجملة الثالثة

(في ذكر ملوك المدينة وأمرائها، وهم على ضربين)

الضرب الأول

(من قبل الإسلام؛ وهم ثلاث طبقات)

الطبقة الأولى

(التبابعة)

قد تقدم في الكلام على بناتها قفلا عن صاحب "الهتاء الدائم" : أن تبعاً الأول هو الذي بناها وأسكنها جماعة من علماء أهل الكتاب، وكتب كتاباً وأودعه عندهم ليوصله من أدركه من أبنائهم إليه، وبقي الكتاب عندهم يتوارثونه حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فلقاه من صار إليه الكتاب منهم وأوصل الكتاب إليه . وحيثئذ فيكون أول من ملكها التبابعة .

الطبقة الثانية

(العالقة من ملوك الشام)

قال السهيلي : وأول من نزلها منهم يثرب، بن عييل، بن مهلائيل، بن عوص، ابن عِمْلَاق، بن لاوَد، بن لَازِم، بن سام، بن نوح طيه السلام فسميت به . قال في "الروض المعطار" : وكانت هذه الأمة من العالقي يقال لها جاسم، وكانوا قد استولوا على مكة وسائر الحجاز، وكانت قاعدة ملكهم تيماء، وكان آخر ملوكهم الأرقم بن أبي الأرقم .

(١) أى إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم قريباً .

الطبقة الثالثة

(ملوكها من بني إسرائيل ومن انضم إليهم من الأوس والخزرج)

قال في "الروض الممطر": لما ظهر موسى عليه السلام على فرعون، بعث بكتا من بني إسرائيل إلى الجحاز وأمرهم أن لا يستبقوا منها أحدا بلغ الحلم، فقتلوه حتى أتوا إلى ملكهم الأرقم بتياء فقتلوه وأبقوا له أبنا صغيرا يرى موسى عليه السلام فيه رأيه . فلما رجعوا به إلى الشام وجدوا موسى عليه السلام قد توفى ، فقال لهم الناس : عصيتكم وخالفتم أمر نبيكم ، وحالوا بينهم وبين الشام ، فقال بعضهم لبعض : خير من بلدكم البلد الذي نرجع منه ، فصادوا إلى الجحاز فقتلوه ، فكان ذلك أول سكنى اليهود الجحاز ، فقتل جمهورهم بمكان يقال له يثرب يجتمع السيول وأخذوا الآطام والمنازل ، ونزل معهم جماعة من أحياء العرب من بلي وجُهينة .

وكانت يثرب أم قرى المدينة وهي ما بين طرف قبة إلى الجرف ، ثم لما كان من سيل الغرم باليمن ما كان ، تفزق أهل مأرب ، فأتى الأوس والخزرج يهرب لليهود لحاربهم ، وكان آخر الأمر أن عقدوا بينهم وبينهم جوارا وأشتركوا ومحالفوا ، فلم يزالوا على ذلك زمانا طويلا ، فصارت للأوس والخزرج ثروة ومال وعز جانبهم نقاهم اليهود ، فقطعوا الحلف ، وخافهم الأوس والخزرج فبعثوا إلى من لهم بالشام فأعانوهم حتى أذلوا اليهود وطلبوهم عليها ، وبقيت بأيديهم حتى جاء الإسلام وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إليها وهم رؤساؤها وحكامها .

(١) أي من السابق والأوضح منهم .

(٢) في المصمم "أبنا شابا بجيلا" وهو الأنسب .

الضرب الثاني

(من في زمن الإسلام ، وهم أربع طبقات)

الطبقة الأولى

(من كان بها في صدر الإسلام)

كان بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن توفى في سنة إحدى عشرة من الهجرة . ثم أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى أن توفى سنة اثنتى عشرة من الهجرة . ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أن قتل في سنة ثلاث وعشرين . ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أن قتل في سنة خمس وثلاثين . ثم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى أن قتل سنة أربعين . ثم الحسن بن علي بن أبي طالب إلى أن سلم الأمر لمعاوية سنة إحدى وأربعين من الهجرة النبوية .

الطبقة الثانية

(عمال الخلفاء من بني أمية)

وُلِّي عليها معاوية سنة اثنتين وأربعين من الهجرة (مروان بن الحكم) . ثم عزله سنة تسع وأربعين وولِّي مكانه (سعيد بن العاص) . ثم عزله سنة أربع وخمسين وردَّ إليها (مروان بن الحكم) . ثم عزله سنة تسع وخمسين وولِّي مكانه (الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان) .

ثم عزله يزيد بن معاوية عن المدينة والحجاز وولِّي مكانه (عمرو بن سعيد الأشدق) . ثم عزله سنة إحدى وستين وأعاد (الوليد بن عتبة) .

ثم استعمل ابن الزبير عند غلبته على المدينة أخاه (مُصعباً) سنة خمس وستين؛
ثم نقله إلى البصرة وولّى مكانه (جابر بن الأسود) بن عوف الزهري؛ ثم ولى مكانه
(طلحة بن عبد الله) بن عوف .

ثم غلب عبد الملك بن مروان على الخلافة فبعث على المدينة (طارق بن عمرو)
فغلب عليها طلحة بن عبد الله وأتبعها منه . ثم أنفرد عبد الملك بالخلافة وولّى على
المدينة والحجاز واليمن والجمالة (الحجاج بن يوسف) وعزل طارقاً عن المدينة وجعله
من جُنته . ثم ولى عليها سنة سبع وسبعين (أبان بن عثمان) . ثم عزله في سنة اثنتين
وثمانين وولّى مكانه (هشام بن إسماعيل المخزومي) .

ثم كانت خلافة الوليد بن عبد الملك فعزل هشام بن إسماعيل وولّى مكانه (عثمان
ابن حيان) .

ثم تولى عليها (أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم) أيام سليمان بن عبد الملك .
ثم استعمل عليها عمر بن عبد العزيز في خلافته (عبد العزيز بن أرطاة) . ثم عزله
يزيد بن عبد الملك سنة ثلث ومائة وولّى مكانه (عبد الرحمن بن الضحاك)
وأضاف إليه مكة؛ ثم عزله لثلاث سنين من ولايته وولّى مكانه على مكة والمدينة
(عبد الواحد النضري) .

ثم عزله هشام بن عبد الملك وولّى عليها وعلى مكة (إبراهيم بن هشام بن إسماعيل
المخزومي) . ثم عزله هشام سنة أربع عشرة ومائة وولّى مكانه بالمدينة خاصة (خالد
ابن عبد الملك بن الحارث بن الحكم) . ثم عزله سنة ثمان عشرة ومائة وولّى مكانه
(محمد بن هشام بن إسماعيل) .

ثم ولى الوليد بن يزيد في خلافته خالد (يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي) على
المدينة وسائر الحجاز في سنة أربع وعشرين ومائة . ثم عزله يزيد في خلافته في سنة

ست وعشرين ومائة وولّى مكانه (عبد العزيز بن عمرو بن عثمان) . ثم ولى مروان^(١) على المدينة وسائر الحجاز . ثم عزله في سنة سبع وعشرين ومائة وولّى مكانه (عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز) . ثم عزله في سنة تسع وعشرين ومائة وولّى مكانه على المدينة وسائر الحجاز (عبد الواحد) .

الطبقة الثالثة

(عُملها في زمن خلفاء بني العباس)

لما ولى السّاق الخليفة ولى على المدينة والحجاز واليمن والشمّامة عمّه (داود) . ثم توفّي داود سنة ثلاث وثلاثين ومائة فولّى مكانه في جميع ذلك (زياد بن عبد الله ابن عبد المّدان الحارثي) . ثم ولى سنة ثلاث وأربعين ومائة على المدينة (محمد بن خالد ابن عبد الله القسري) . ثم آتاه في أمر فزله وولّى مكانه (ربّيع بن عثمان المزني) فقتله أصحاب محمد المهدي ، فولّى مكانه (عبيد الله بن الربيع الحارثي) .

ثم عزله المنصور سنة ست وأربعين ومائة وولّى مكانه على المدينة (جعفر بن سليمان) . ثم عزله في سنة خمسين ومائة وولّى مكانه (الحسن بن زيد بن الحسن) . ثم عزله المنصور في سنة خمس وخمسين ومائة وولّى مكانه عمّه (عبد الصمد بن علي) .

ثم عزله المهدي في خلافته سنة تسع وخمسين ومائة وولّى مكانه (محمد بن عبيد الله الكثيري) . ثم عزله وولّى مكانه (عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان) . ثم عزله وولّى مكانه (زفر بن عاصم) . ثم توفّي على المدينة والحجاز (جعفر ابن سليمان) . ثم كان بها (محمد بن عيسى) بعد مئة ،

(١) لم يذكر من ولاة ملوك الصواب ثم ولاة مروان [أي أقره] على المدينة الخ وأظهر الكلام على مكة

فما ينبغي (٢) في الكامل "محمد بن عبيد الله الخ" .

وعزله المتوكل وولى مكانه (المستنصر بن المتوكل) . وتوالى عليها عمال بنى العباس إلى عشر السنين والمائة .

الطبقة الرابعة

(أمراء الأشراف من بنى حسين الذين منهم الأمراء المستقرون فى إمارتها إلى الآن)

كانت . الرئاسة بالمدينة آنرا لبنى الحسن بن عليّ .

وكان .هم أبو جعفر عبد الله ، بن الحسين الأصغر ، بن عليّ زين العابدين ، ابن الحسين السبط ، بن عليّ ، بن أبي طالب رضى الله عنه .

وكان من جملة ولده جعفر حجة الله ، ومن ولده الحسن ، ومن ولد الحسن يحيى الفقيه النّسابة ، كانت له وجاعة عظيمة ونفر ظاهر ، وتوفى سنة ست وسبعين ومائتين ، ومن ولده أبو القاسم طاهر بن يحيى ، ساد أهل عصره وبني دارا بالعقيق ونزلها ، وتوفى سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة .

وكان من ولده الحسن بن طاهر رحل إلى الأخشيدي بمصر ، وهو يومئذ ملكها ، فأقام عنده وأقطعته الأخشيدي ما يُقِلُّ فى كل سنة مائة ألف دينار واستقر بمصر ، وكان له من الولد طاهر بن الحسن ، وتوفى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، وخلف ابنه محمد الملقب بمسلم ، وكان صديقا لكافور الأخشيدي صاحب مصر ، ولم يكن فى زمنه بمصر أوجه منه . ولما آختل أمر الأخشيدي دعا مسلم هذا للعز صاحب إفريقية يومئذ . ولما قدم المعز إلى الديار المصرية بعد فزع جوهر القائد لها ، تلقاه مسلم بالجال بأطراف برقّة من جهة الديار المصرية ، فأكرمه وأركبه معدلا له وأخص به ، ثم توفى سنة ست وستين وثلاثمائة فصل عليه المعز ، وكانت له جنازة عظيمة .

وكان من ولد مسلم هذا طاهر أبو الحسين فلقى طاهر بالمدينة الشريفة
فقدّمه بنو الحسين على أنفسهم وأستقل بإمارتها ستين، وكان يلقب بالمليح، وتوفى
سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وولى بعده ابنه (الحسين بن طاهر) وكنيته أبو محمد .
قال التّبيّ : وكان موجودا في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة وغلّبه على إمارتها بنوع أبيه
أبي أحمد القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر حجة الله وأستقلوا بها .
وكان لأبي أحمد القاسم من الولد داود ويكنى أبا هاشم . وقال التّبيّ : الذي
ولى بعد طاهر بن مسلم صهره وأبن عمه داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر،
وكناه أبا علي .

وقال ابن سعيد : ملك أبو الفتح الحسن بن جعفر من بني سليمان إمرة مكة
والمدينة سنة تسعين وثلاثمائة بإمر الحاكم العبيدي وأزال إمرة بني الحسين منها ،
وحاول الحاكم نقل الجسد الشريف النبويّ إلى مصر ليلا فهاجت بهم ريح عظيمة
أظلم منها الجوّ، وكادت تقطع المباني من أصلها، فردّهم أبو الفتح عن ذلك وعاد
إلى مكة ورجع أمراء المدينة إليها .

وكان لداود بن القاسم من الولد مهنا وهاني والحسن . قال التّبيّ : ولى هاني
ومهنا وكان الحسن زاهدا .

وذكر الشريف الخزانة النسابة هنا أميرا آخر منهم وهو أبو عمارة مدّة كانت
بالمدينة سنة ثمان وأربعمائة . قال : وخلف الحسن بن داود ابنه هاشما وولى المدينة
سنة ثمان وعشرين وأربعمائة من قبل المستنصر .

قال : وخلف مهنا بن داود عبيد الله والحسين وعمارة فولى بعده ابنه عبيد الله
وكان بالمدينة سنة ثمان وأربعمائة وقتله موالى الهاشميين بالبصرة، ثم ولى الحسين وبعده
ابنه مهنا بن الحسين .

قال الشريف الخوافي : وكان لمهنا بن الحسين من الولد الحسين وعبد الله وقاسم
فولى الحسين المدينة وقتل عبد الله في وقعة نخلة . وذكر صاحب حمة من أمراءها
منصور بن عمارة الحسفي وأنه مات في سنة خمس وتسعين وأربعمائة وقام ولده
مقامه ولم يسمه ، ثم قال وهم من ولد مهنا . [وذكر منهم أيضا القاسم بن مهنا ^(١)]
حضر مع صلاح الدين بن أيوب فتح أنطاكية سنة أربع وخمسين وخمسمائة .
وذكر ابن سعيد عن بعض مؤرخي الجواز أنه عد من جملة ملوكها قاسم بن مهنا
وأنه ولده المستفي . فأقام تسعا وعشرين سنة ومات سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة
وولى ابنه سالم بن قاسم .

قال السلطان عماد الدين صاحب حمة في " تاريخه " : وكان مع السلطان
صلاح الدين يوسف بن أيوب في فوحاته يتبرك به ويؤمن بصحبته ويرجع إلى
قوله . وبقى إلى أن حضر إلى مصر للشكوى من قتادة فأت في الطريق قبل وصوله
إلى المدينة ، وولى بعده ابنه شبعة وقتل سنة سبع وأربعين وستمائة ، وولى ابنه حيني
مكانه . ثم قبض عليه أخوه جحّاز سنة تسع وأربعين وستمائة وملك مكانه ، وأنه
الذي ذكر المقر الشهابي بن فضل الله في " التعريف " : أن الإمرة في بيته إلى زمانه .
قال ابن سعيد : وفي سنة إحدى وخمسين وستمائة كان بالمدينة أبو الحسين بن
شبعة بن سالم . وقال : غيره كان بالمدينة سنة ثلاث وخمسين وستمائة .

وولى أخوه جحّاز فطال عمره وعمرى ومات سنة أربع أو خمس بعد السبعائة .

وولى بعده ابنه منصور بن جحّاز ، ثم وفد أخوه مقبل بن جحّاز على الظاهر بيبرس
بمصر ، فأشرك بينهما في الإمرة والإقطاع ، ثم غلب منصور عن المدينة وأستخلف ابنه

(١) أي المكتى بأبي قتيبة ، والزيادة عن ابن خلدون ليستقيم الكلام . (٢) أي قاسم المكتى بأبا قتيبة .

(٣) أي سالم بن قاسم .

كيشة فجهم عليه مقبل وملكها من يده وخلق كَيْشَةً بأحياء العرب فأستجانبهم وهم المدينة على عمه مقبل فقتله سنة تسع وسبعائة، ورجع منصور إلى إمارته، وبقي ماجد ابن مقبل يستجيش العرب على عمه منصور بالمدينة ويخالفه إلى المدينة كلما خرج منها، ثم زحف ماجد سنة سبع عشرة وسبعائة، وملكها من يد عمه منصور، فأستصرخ منصور بالملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر، فأنجده بالساكر وحاصروا ماجدا بالمدينة فقتلها وملكها منصور، ثم غنط عليه السلطان الملك الناصر فمزله، وولى أخاه ودي بن جَمَاز أباها، ثم أعاد منصورا إلى ولايته، ثم هلك منصور سنة خمس وعشرين وسبعائة، فولى ابنه كيشة مكانه فقتله عسكر ابن عمه ودي وعاد ودي إلى الإمارة، ثم توفي ودي، فولى طُفَيْل بن منصور بن جَمَاز وأقرود بإمرتها، وهو الذى ذكر المقر الشهابي في "التعريف": أنه كان أميرها في زمانه، وبقي إلى سنة إحدى وخمسين وسبعائة فوقع النهب في الركب، فقبض عليه الأمير طَاز أمير الركب، وولى مكانه سيفاً من عقب جَمَاز، ثم ولى بعده فضل من عقب جَمَاز أيضاً، ثم ولى بعد فضل مائع من عقب جَمَاز، ثم ولى جَمَاز بن منصور، ثم قتل بيد الفداوية أيام الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون، وأتفق أمراء الركب على تولية ابنه هبة إلى حين يرد عليهم من السلطان ما يمتدونه، ثم ورد أمر السلطان بتولية هبة من عقب ودي ف عزل ودي وولى مكانه، ثم ولى بعده عطية بن منصور بن جَمَاز، فأقام سنين، ثم عزل وولى هبة بن جَمَاز، ثم عزل وأعيد عطية، ثم تولى عطية وهبة وولى جَمَاز بن هبة بن جَمَاز، ثم عزل وولى نُصَيْر بن منصور بن جَمَاز، ثم قتل، فوثب جَمَاز بن هبة على إمارة المدينة وأستولى عليها، فعزله السلطان، وولى ثابت بن نُصَيْر، وهو بها إلى الآن في سنة تسع وتسعين وسبعائة. وهو ثابت،

أَبْنُ جَمَازٍ، بَنُ هُبَةَ، بَنُ جَمَازٍ، بَنُ مَنْصُورٍ، بَنُ جَمَازٍ، بَنُ شَيْحَةَ، بَنُ سَالِمٍ، بَنُ قَاسِمٍ .
 أَبْنُ جَمَازٍ، بَنُ قَاسِمٍ، بَنُ مَهْنَاءٍ، بَنُ الْحُسَيْنِ، بَنُ مَهْنَاءٍ، بَنُ دَاوُدَ، بَنُ الْقَاسِمِ .
 أَبْنُ عَيْدِ اللَّهِ، بَنُ طَاهِرٍ، بَنُ يَحْيَى، بَنُ الْحَسَنِ، بَنُ جَعْفَرِ حِجَّةِ اللَّهِ، بَنُ عَبْدِ اللَّهِ،
 أَبْنُ الْحُسَيْنِ الْأَصْغَرِ، بَنُ عَلِيِّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ، بَنُ الْحُسَيْنِ السَّبَّطِ، بَنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
 طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ .

وإسرتها الآن متداولة بين بني عطية وبين بني جَمَازٍ . وهم جميعا على مذهب
 الإمامية الرافضة يقولون بإمامة الأئمة عشر إماما وغير ذلك من معتقدات الإمامية ،
 وأمرأة مكة الزيدية أخف في هذا الباب شائنا منهم .

الجملة الثالثة

(في ترتيب المدينة النبوية)

أما معاملاتها فعلى ما تهتم في الديار المصرية من المعاملة بالدنانير والدرهم ، والأمر
 في الفلوس على ما تهتم في مكة ؛ ويعتبر وزنها في الميقات بالنِّزْ وهو مائتان وستون درهما
 على ما تهتم في مكة ؛ ويعتبر كيلها بالمدِّ ، وقياس قماشها بالذراع الشامي ؛ وأسعارها
 نحو أسعار مكة ، بل ربما كانت مكة أرخص سَعْرًا منها لقربها من ساحل البحر يُجَدَّةُ .
 وأما لغاتها فإمارة أعرابية كما في مكة من غير فرق .

وأما وفود الحجيج عليها ، فقد جرت العادة أن كل من قصد السبيل في العود إلى
 الديار المصرية من الحند وغيرهم يزور النبي صلى الله عليه وسلم ! عند ذهاب الركب
 إلى مكة ثم يعود بعد الحج إلى مصر من غير ترجع على المدينة ، وبقي الحجيج وأميرُ
 الركب لا يأتونها للزيارة إلا بعد انقضاء الحج .

وَأَعْلَمُ أَنَّ كِسْوَةَ الْجُمُعَةِ الشَّرِيفَةِ لَيْسَتْ بِمَا يَحْتَدُّ فِي كُلِّ سَنَةٍ كَمَا فِي كِسْوَةِ الْكَعْبَةِ، بَلْ كُلَّمَا بَلَّغَتْ كِسْوَةُ جَدَدَتْ أُخْرَى، وَيَقَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ نَحْوِ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ مَا قَارِبَهَا، وَذَلِكَ أَنَّهَا مَصْنُوعَةٌ عَنِ الشَّمْسِ، بِخِلَافِ كِسْوَةِ الْكَعْبَةِ فَإِنَّهَا بَارِزَةٌ لِلشَّمْسِ فَيَسْرِعُ بَلَاؤُهَا .

وَقَدْ حَكَى أَبُو النَّجَّارِ فِي "تَارِيخِ الْمَدِينَةِ" أَنَّ أَوَّلَ مَنْ كَسَا الْجُمُعَةَ الشَّرِيفَةَ الثَّيَّابُ الْحُسَيْنِيُّ بْنُ أَبِي الْهَيْبَاءِ صَهِرُ الصَّالِحِ طَلَّاحُ بْنُ دُرَيْكٍ وَزِيرُ الْعَاضِدِ، وَالْعَاضِدُ آخِرُ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ، عَمِلَ لَهَا سِتَارَةً مِنَ الدِّبْقِ الْأَبْيَضِ عَلَيْهَا الطَّرِيزُ وَالْجَاهِمَاتُ الْمَرْقُومَةُ بِالْإِبْرِيمِ الْأَصْفَرِ وَالْأَحْمَرِ، مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا سُورَةُ يَسَّ بِأَسْرَافِهَا، وَالْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَضَى بِأَمْرِ اللَّهِ .

وَلَمَّا جَهَّزَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ، آمَنَعَ قَاسِمُ بْنُ مَهْنَا أَمِيرُ الْمَدِينَةِ يَوْمَئِذٍ مِنْ تَعْلِيْقِهَا حَتَّى يَأْذَنَ فِيهِ الْمُسْتَضَى فَقَعَّدَ الْحُسَيْنِيُّ بْنُ أَبِي الْهَيْبَاءِ قَاصِدًا إِلَى بَغْدَادٍ فِي اسْتِئْذَانِهِ فِي ذَلِكَ فَآذَنَ فِيهِ، فَعُلِقَتِ السِتَارَةُ عَلَى الْجُمُعَةِ الشَّرِيفَةِ نَحْوَ سَتِينِ . ثُمَّ بَعَثَ الْمُسْتَضَى سِتَارَةً مِنَ الْإِبْرِيمِ الْبَتَّاسَجِيِّ عَلَيْهَا الطَّرِيزُ وَالْجَاهِمَاتُ الْبَيْضُ الْمَرْقُومَةُ، وَعَلَى دَوَرِ جَاهِمَاتِهَا مَرْقُومٌ "أَبُو بَكْرٍ، وَعِمْرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ" وَعَلَى طَرَاظِهَا أَسْمُ الْإِمَامِ الْمُسْتَضَى بِاللَّهِ، فَعُلِقَتِ الْأُولَى وَنَهَضَتْ إِلَى مَشْهَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ بِالْكُوفَةِ، وَعُلِقَتِ سِتَارَةُ الْمُسْتَضَى مَكَتَبًا . ثُمَّ عَمِلَ النَّاصِرُ لِدِينِ اللَّهِ فِي خِلَافَتِهِ سِتَارَةً أُخْرَى مِنَ الْإِبْرِيمِ الْأَسْوَدِ فُعُلِقَتْ فَوْقَ ذَلِكَ . ثُمَّ عَمِلَتْ أُمُّ الْخَلِيفَةِ النَّاصِرِ عِدَّةٌ مِنْهَا سِتَارَةً عَلَى شَكْلِ سِتَارَةِ أَبْنَاءِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرِ فُعُلِقَتْ فَوْقَ السَّتَارَيْنِ السَّابِقَيْنِ ذَكَرَهُمَا .

قَالَ أَبُو النَّجَّارِ : وَلَمْ يَزَلِ الْخُلَفَاءُ فِي كُلِّ سَنَةٍ يُرْسِلُونَ قَوْمًا مِنَ الْحَرِيرِ الْأَسْوَدِ عَلَيْهِ عَمَلٌ ذَهَبٌ يَكْتَبُ بِهِ الْمُنْتَبَرُ . قَالَ : وَلَمَّا كَثُرَتْ الْكِسْوَةُ عَنْهُمْ أَخَذُوهَا فَعَمَلُوهَا سِتُورًا

على أبواب الحرم ، ولم يزل الأمر على ذلك إلى حين اقتراض الخلافة من بغداد ، فتولى ملوك الديار المصرية ذلك كما تولوا كسوة الكعبة على ما تقدم ذكره .

قلت : والسبب في الآن من حرير أسود عليها طرز مرقوم بحرير أبيض ، وأحر من عملها في العشر الأول من الثمانمائة السلطان الملك الظاهر برفوق .

وقد ذكر ابن النجار في " تاريخ المدينة " أيضا أن الناصر لدين الله العباسي كان يرسل في كل سنة أربعة آلاف دينار للصدقة وألفا ونعمائة ذراع قطن لتكفين من يموت من الفقراء ، خارجا عما يجهزه للمهارة ، وما يعبده من القناديل والشرج والشمع والتد والنايلة المركبة والعود : لأجل تغيير المسجد .

وذكر عن يوسف بن مسلم أن زيت قناديل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ! كان يحمل من الشام حتى آتقطع في ولاية جعفر بن سليمان الأخيرة على المدينة فجعله على سوق المدينة ، ثم لما ولي داود بن عيسى في سنة ثمان وسبعين ومائة ، أخرج من بيت المال ، ثم ذكر أنه كان في زمانه في خلافة الناصر لدين الله يصل الزيت من مصر من أوقاف بها سبعة وعشرين قنطارا ، كل قنطار مائة وثلاثون رطلا .
بالمصرية ، ومائة وستون شمة ما بين كبيرة وصغيرة ، وعلبة فيها مائة منقح نذ .

الباب الرابع

من المقالة الثانية

(في الممالك والبلدان المحيطة بمملكة الديار المصرية ؛ وفيه أربعة فصول)

الفصل الأول

(في الممالك والبلدان الشرقية عنها . وما يخرط في سلكها من شمال

أو جنوب ؛ وفيه أربعة مقاصد)

المقصد الأول

(في الممالك الصائرة إلى بيت جنكرخان ؛ وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في التعريف باسم جنكرخان ومصير الملك إليه ، وما كان له

من الأولاد ، وتقسيمه الملك فيهم)

أما اسمه فقد ذكر في "مسالك الأبصار" : عن الشيخ شمس الدين الأصفهاني أن اسمه في الأصل تمرجين ، وأنه لما عظم شأنه سمي جنكرخان . وقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن بعضهم : أن الصواب في النطق به جنكص خان بالصاد بدل الزاي .

وأما نسبه فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أيضا أنه جنكرخان ، بن يسوك ، بن بهادر ، بن تومان ، بن برتيل خان ، بن تومنيه ، بن بادسقر ، بن تيدوان ديوم ، بن بقا ، ابن بودنجه ، بن ألانقوا ، وألانقوا هذه امرأة من قبيلة من الترتسقي قبات من أعظم قبائلهم شهرة ، كانت متروكة بزوج أولدها ولد بن اسم أحدهما بكتوت ، والآخر

بلكوت ؛ ومن عقبهما الطائفة المعروفة في قبائل التتر بالدوكة إلى الآن ؛ ثم مات زوج ألانقوا أبو هذين الاثنين وبقيت ألانقوا أيما حملت فأُنكر عليها الحمل ، ومُحِلَّت إلى ولي أمرهم حينئذ فسالها بمن حملت ؟ فقالت : إني كنت جالسة وفرجي مكشوف ، فترل نور ودخل في فرجي ثلاث مرات فحملت منه هذا الحمل ، وأنا حامل بثلاثة ذكور ، كل مرة من دخول ذلك النور بدكر ، فأمهلوني حتى أضع . فإن وضعت ثلاثة ذكور فأعلموا صدق ، وإلا فدونيكم وما ترون ؛ فأمهلوها حتى ولدت فأتت بثلاثة ذكور ، فسَمَّت أحدهم ^(١) يوقن قوتايغي ، والثاني يوسن ماغي ، والثالث بودنجير ، وهو جد جنكرخان . وأولاد هذه الثلاثة يعرفون بين التتر بالنورانين نسبة إلى النور الذي زعمت أنه دخل فرجها فحملت منه . قال في "مسالك الأبصار" : "وهذه أكذوبة قبيحة ، وأحدوثه غير صحيحة ؛ وإن صححت عن المرأة فلعلها كانت قد سمعت بقصة مريم البتول عليها السلام ، فأحتالت لسلامة نفسها بالتشبه بشأها" . وأما مصير الملك إليه فقد اختلف فيه على منهيين .

أحدهما - ما حكاها في "مسالك الأبصار" عن صاحب علاء الدين بن عطاء ملك الجوري : أنه كان يملك الترك ملك من عطاء الملوك يدعى أزيك خان ، فتردد إليه جنكرخان في حال صغره وخدمته ، فتوسم فيه النجابة فقتله وأدناه وزاده في الارتقاء على أقاربه ، فحسدوه فوشوا به إلى الملك حتى غيروه عليه فأضمر له المكائد ، وكان بالقرب من أزيك خان ملكهم صغيران يُخْذِمانه فأطلعا على ما أضمره الملك لجنكرخان وعرفاه ما أضمره الملك له وحذراه ؛ وكان جنكرخان قد لَفَّ لفيقا عظيما بجمع لفيقه من قبائل التتر وقصد ذلك الملك في جيوشه ، وكان من أعظم القبائل المحيية لدعوته قبيلتان : إحداها تدعى إديرات والأخرى فيقورات . مع قبيلته قيات المقدم ذكرها ،

(١) وجد في العبر (ج ٥ ص ٢٥٥) فرق في الأسماء ولم تلم العوالب لمجئتها لقبيلتين .

بفرد العساكر لأزبك خان وبجرت الحرب بينهما فقتل أزبك خان وملك جنكرخان وقرب كلاً من الصغيرين وجعل كلاً منهما ترخانا، وكتب لهما بفراغهما من جميع المول والكاف إلى صبغة أبطن من أولادهما .

والثاني - ماحكاه السلطان عماد الدين صاحب حماة في "تاريخه" : عن محمد بن أحمد بن علي المنشئ : كاتب إنشاء السلطان جلال الدين محمد بن خوارزم شاه : أن مملكة الصين كانت منقسمة من قديم الزمان إلى ستة أجزاء كل جزء منها مسيرة شهر، يتولى أمر كل جزء منها خان نيابة عن خاتم الأعظم بطمغاج قاعدة الصين . إلى أن كان خاتم الأكبر في زمان السلطان خوارزم شاه يسمى الطرخان ، وكان من جملة الخانات الستة الذين ينوبون عنه شخص يسمى دوشي خان ، وكان متروجا بعمة جنكرخان فأت دوشي خان زوج عمة جنكرخان ، فحضر جنكرخان إلى عمة مؤزياً ، وكان يحاور دوشي خان خان من الخانات الستة يسمى أحدهما كشلوخان والآخر قلان ، فأرسلت زوجة دوشي خان إليهما بنى زوجها إليهما وتلاطفاتهما في استقرار جنكرخان ابن أخيها مكانه في الخانية على أن يكونا معاضدين له ، فاجابها إلى ذلك . فاستقر جنكرخان في الخانية مكان دوشي خان زوج عمة ، فبلغ ذلك الخان الأعظم الطرخان فأنكر ذلك على كشلوخان وقلان المذكورين ، فانصل ذلك بهما فاجتمعا هما وجنكرخان وخطوا طاعة الطرخان ، ثم مات أحد الخانين وخلف أبنا اسمه كشلوخان فغلب جنكرخان على ملكه ، ثم مات الخان الآخر وأستقل جنكرخان بالملك ، ثم غلب على خوارزم شاه ، ثم على ابنه جلال الدين وأستقل بما وراء النهر .

(١) في تاريخ أبي الفدا "بلوغا وهي واسطة الصين" .

وأما أولاد جنكرخان فقد ذكر في "مسالك الأبصار" : عن الصاحب علاء الدين الجوزي المتقدم ذكره أنه كان له عدة أولاد ذكور وإناث من الخواتين والسراري ، وكان أعظم نسائه أوبولي ، من تيكى . ومن رسم المغل تعظيم الولد بنسب والدته ، وكان له من هذه أربعة أولاد معدين للأولاد الخطية ، هم لتخت ملكه بمنزلة أربع قوائم ؛ وهم توشى وجفظاى ، وهما أصغرهم ، وأوكداى ، وأوتكين نويان ، وأنه جعل موضعه قطعة دائرة ملكه وبنيه حوله كحيط الدائرة ، فجعل ابنه أوكداى ولحقه ورثته لما يتعلق بالمقل والرأى والتدبير والولاية والعزل واختيار الرجال والأعمال وعرض الجيوش وتجهيزها ، وكان موضعه فى حياة أبيه حدود ايمك وقرباق . فلما جلس بعد أبيه على تخت الملك ، انتقل إلى الموضع الأصلي بين الخطا وبلاد الاينور ، وأعطى ذلك الموضع لولده كيوك ، وجعل لابنه أوتكين حدود بلاد الخطا ، وعين لابنه الكبير توشى حدود قياتق (؟) إلى أقصى سفسين (؟) وبلغار ، ورثته على الصيد والقتل ، وجعل لابنه جفظاى حدود بلاد الاينور إلى سمرقند وبخارا ، ورثته لتنفيذ الثغبات والأمور والمقابلات وما أشبه ذلك . قال ابن عطاء ملك : وكانت أولاده وأحفاده تزيد على عشرة آلاف .

وذكر عن الشيخ شمس الدين الاصفهاني أن جنكرخان أولد أربعة أولاد ، وهم جو جى ، وهما أكبرهم ، وكداى ، وطولى ، وأوكداى ، قتل جو جى فى حياة أبيه وخلف أولاداً . قال ابن الحكيم الطيارى : وهم باتو ويقال : باطو ، وأورده ، وبركه ، وتولى ، وحتى . قال الشيخ شمس الدين المذكور : والمشهور باتو وبركه ، وأوصى بأن يكون تحت ولده الصغير أوكداى وأن تكون مملكة ما وراء النهر وما معه لولده الآخر كداى ، وجعل لابنه جو جى دشت القبچاق وما معه وأضاف إليه إيران وتبريز وهمدان

ومراغة، ولم يحصل لطولى شيء. فلما مات جنكرخان أسقل أوكداى بتخت أبيه، وأسقل جوجى بدشت القبچاق وما معه، وأسقل باتو بن جوجى فيما جعله جده جنكرخان لأبيه جوجى من إيران وتبريز وما مع ذلك، ولم يتمكن كداى من مملكة ماوراء النهر، ثم مات أوكداى مالك التخت وملك بعده ولده كيوك، وكان جباراً قوى النفس لحكم على بنى أبيه فقهرهم وأتبع ما يسد باتو بن جوجى من إيران وسائر مامعها، وأقام بها أميراً اسمه الحكراى. ثم جرى بينهم اختلاف كان آخر الأمر فيه أن أسك الحكراى وقتل وحمل إلى باتو بن جوجى وطبخه وأكله، فبلغ ذلك كيوك صاحب التخت فشق عليه وجمع ستمائة ألف فارس، وجمع باتو للقاءه وسار كل منهما لمحاربة الآخر حتى كان بينهما عشرة أيام مات كيوك فكتب خواتينه إلى باتو يعلمونه بموته ويسألونه في أن يكون عوضه على تخت جنكرخان، فلم يرض ذلك وميزله منكونان بن تولى بن جوجى بن جنكرخان، وجهازه معه إخوته قبلاى خان وهولاكو: ولدا تولى، ووجه معهم باتو أخاه بركة بن جوجى في مائة ألف فارس للجلسة على التخت ثم يعود، فتوجه بركة بمنكونان فأجلسه على التخت، ثم عاد فتر في طريقه بيخارا، فأجتمع فيها بالشيخ شمس الدين الباهرزى من أصحاب شيخ الطريقة نعيم الدين كيزى وحادثه فحسن موقع كلامه منه فأسلم على يده، وهو أول من أسلم من بيت جنكرخان؛ وأشار الباهرزى على بركة بموالة المستعصم خليفة بنى العباس ببغداد يومئذ، فكتبه وهاداه وترددت الرسل والمكاتبات بينهما، ثم إن منكونان بعد أسقلا له بتخت جده جنكرخان ملك أولاد جفطاي مملكة ماوراء النهر تنفيذاً لما كان جنكرخان أوصى به لأبيهم جفطاي كما تقدم ومات دونه، وعلت كلمة منكونان صاحب التخت ووصلت إليه كتب أهل قزوین وبلاد الجبال يشكون من سوء مجاورة الملاحدة: وهم الإسماعيلية فجهاز إليهم منكونان أخاه مكوفان لقتال

الملاحدة وأخذ قلاعهم ، وأن يضم إلى ذلك بلاد الخليفة المستعصم فبلغ ذلك بركة
 ابن جوجى فشق عليه لصدقاته مع الخليفة ، وكلم أخاه باتو فى ذلك فكتب باتو
 إلى هولاكو بمنعه من التمرض بممالك الخليفة ، فوافاه الكلاب قبل أن يعبر نهر
 جيحون ، فأقام هناك ستين حتى مات باتو وتسلطن أخوه بركة بعده فكتب هولاكو
 إلى أخيه منكوتان يستأذنه فى إنفاذ ما كان عزم عليه من أخذ ممالك الخليفة
 وحسن له ذلك فلم يأذنه فيه فأصر هولاكو على عزمه فأوقع بالملاحدة وقتل جماعة
 منهم بملاذ بركة ، وأشدت فى البلاد وقصد دشت القبياق بلاد بركة فدمه بركة
 بساكره فكانت الدائرة على هولاكو ففكر راجعا ودخل بلاد الخليفة وقبض عليه
 وقتله وملك بلاده . وكان أمر الله قدرا مقدورا !

الجملة الثانية

(فى عقيدة جنكرخان وأتباعه فى الديانة إلى أن أسلم من أسلم منهم وما جرت

عليه عادتهم فى الآداب وحالهم فى طاعة ملوكهم)

أما عقيدتهم فقد قال صاحب علاء الدين بن عطاء ملك الجوينى : إن الظاهر
 من عموم مذاهبهم الإدانة بوحداية الله تعالى ، وأنه خلق السموات والأرض ،
 وأنه يحيى ويميت ، ويعطى ويفقر ، ويعطي ويمنع ، وأنه على كل شىء قدير ، وأن منهم
 من دان باليهودية ، ومنهم من دان بالنصرانية ، ومنهم من أطرح الجميع ، ومنهم من
 تغزب بالأصنام . قال : ومن عادة بنى جنكرخان أن كل من اتحل منهم مذهباً لم ينكره
 الآخر عليه ، ثم الذى كان عليه جنكرخان فى الدين جرى عليه أعقابيه بعده الجوى
 على منهاج إياسة التى قررها ، وهى قوايين جنهما من عقله وقزرها من ذهنه ، رتب فيها
 أحكاما وحدد فيها حدودا ربما وافق القليل منها الشريعة المحمدية ، وأكثرها يخالف

لذلك سماها الياسة الكبرى، وقد آكثبها وأمر أن تجعل في خزانته تُتوارث عنه في أعقابها وأن يتعلمها صغار أهل بيته .

منها أن من زنى قتل ، ومن أتان أحد خصمين على الآخر قتل ، ومن بال في الماء قتل ، ومن أعطى بضاعة ففسد ثم أعطى ثانيا ففسد ثم أعطى ثالثا ففسد قتل ، ومن وقع حملُه أوقوسه فمز عليه غيره ولم ينزل لمساعدته قُتل ، ومن وجد أسيرا أو هاربا أو عبدا ولم يردّه قُتل ، ومن أطعم أسير قوم أو سقاه أو كساه بنير اذنبهم قتل ، إلى غير ذلك من الأمور التي رتبها مامهم داثون به إلى الآن ، وربما دان به من تحلى بحيلة الإسلام من ملوكهم . ومن معتقدهم في ذبح الحيوان أن تُلق قوائمه ويشق جوفه ويدخل أحدهم يده إلى قلبه فيمرسه بيده حتى يموت أو يخرج قلبه . ومن ذبح ذبحة المسلمين ذبح .

وأما عاداتهم في الأدب فكان من طريق جنكركان أن يعظم رؤساء كل ملة ويتخذ تعظيمهم وسيلة إلى الله تعالى ، ومن حال الترفى الجملة إسقاط المؤن والكُلف عن العلّوين وعن الفقهاء والفقراء والزهاد والمؤذنين والأطباء وأرباب العلوم على اختلافهم ومن جرى هذا المجرى .

ومن آدابهم المستعملة أن لا يأكل أحد من يد أحد طعاما حتى يأكل المُطعم منه ولو كان المُطعم أميرا والأكل أسيرا ، ولا يختص أحد بالأكل وحده بل يطعم كل من وقع بصره عليه ، ولا يمتاز أمير الشيع من الزاد دون أصحابه بل يقسمونه بالسوية ، ولا يخطو أحد موقد نار ولا طبقا راء ، ومن اجتاز يقوم يا كلون فله أن يجلس إليهم ويأكل معهم من غير إذن . وأن لا يُدخل أحد يده في الماء بل يأخذ منه ملء فيه

(١) في الخط الطبريزي (ص ٢٢٠ ج ٢) ما نصه "ولا يخطى أحد نارا ولا مائدة ولا الملبز الذي

يز كل طيه" .

ويغسل يديه ووجهه ، ولا يبول أحدٌ على الرماد . ويقال إنهم كانوا لا يرون غسل ثيابهم البتة ، ولا يميزون بين طاهر ونجس .

ومن طرائقهم أنهم لا يتعصبون لمذهب ، وأن لا يتعزّضوا لمال ميت أصلا . ولو ترك ملء الأرض ، ولا يدخلونه خزانة السلطان .

ومن عاداتهم أنهم لا يُفخّمون الألقاب ، ولا يعظّمون في الألقاب حتى يقال في مراسيم السلطان "اللقان بكذا" من غير مزيد ألقاب .

وأما حالم في طاعة ملكهم فإنهم من أعظم الأمم طاعة لسلطانهم ، لا لمال ولا بحد بل ذلك دأب لهم حتى إنه إذا كان أمير في غاية من القوة والعظمة وبينه وبين السلطان كما بين المشرق والمغرب متى أذنب ذنبا يوجب عقوبة وبعث السلطان إليه من أخس أصحابه من يأخذه بما يجب عليه ألقي نفسه بين يدي الرسول ذليلا ليأخذه بموجب ذنبه ، ولو كان فيه القتل .

ومن طريق أمرائهم أنه لا يتردد أمير إلى باب أمير آخر ، ولا يتغير عن موضعه المعين له . فإن فعل ذلك عوقب أو قتل ، وإذا عرضوا آلات الحرب على أمرائهم وقّوا في العرض حتى بالخيوط والإبرة ، ورعاياهم قائمون بما يلزمون به من جهة السلطان طيبة به نفوسهم ، وإن غالب أحد من الرجال قام النساء بما عليهم .

(١) عبارة الخلط "وأمرهم أن لا يدخل أحد منهم يده في الماء ولكنه يتناول الماء بشيء يشربه به" .

المهـمـيـع الثاني

(في ذكر ممالك بني جتو خان على التفصيل - وهي مملكتان)

المملكة الأولى

(مملكة أيران)

٢١
بفتح الحَمْزة وسكون الياء المثناة تحت والراء المهملة وألف ثم نون . وهي مملكة
الفرس . وتعرف بأيران بن آشور بن سام بن نوح عليه السلام . وهو أول من ملكها
وأضيفت إليه وعرفت به . قال في " التعريف " : وهي مملكة الأكسرة .
ثم قال : وهي من الفرات إلى نهر جيحون حيث يُلغ ، ومن البحر الفارسي وما صَاقَبه
من البحر الهندي إلى البحر المسعى بالقُزُم بحر طَبْرِسْتَان ، وهي المملكة الصائرة إلى
بيت هولاكو . قال : وقد دخل فيها مملكة المِياطلة ، وهي مملكة مازَنْدَرَان وما يليها
إلى آخِرِ كِلان ، وطَبْرِسْتَان واقعة بين مازَنْدَرَان وكِلان ، ومازَنْدَرَان الآخذة شرقاً ،
وكِلان الآخذة غرباً .

وقال في " مسالك الأبصار " : هذه المملكة طولاً من نهر جِيحُون المحيط بآخر
تُرَاسَان إلى الفُرَاتِ القاطع بينها وبين الشام ، وعرضها من كَرْمَانَ المتصل بالبحر
الفارسي المنقسم من البحر الهندي ، إلى نهاية ما كان يبدقياً الملوك السَّجُوقِيَّة بالروم
على نهاية حدود العَلَايا وأنطاليا من البحر الرومي . قال : ويُفَصِّل في الجانب الشِّمَالِ
بين هذه المملكة وبين بلاد القَبْجَاقِ النهرُ المجاور لباب الحديد المسعى باللغة التُّركِيَّة
دَقْرِقِيو ، وبحر طَبْرِسْتَان المسعى ببحر الخَزَر . ثم قال : وأخبرني الفاضل نظام الدين
أبو الفضل يحيى بن الحكيم الطلياري أن هذه المملكة تكاد تكون مُرَبَّعة ، فيكون

(١) لعله المقصد الثاني فإن التقييم كان بالمقاييد .

(٢) ضبطه بالقوس .

طولها بالسير المعتاد أربعة أشهر ، وعرضها أربعة أشهر . وهي من أجل ممالك الأرض ، وأواسطها في الطول والعرض ، متوسطة في الطول والعرض . وإذا أنصفت كانت هي قلب الدنيا على الحقيقة ، ذات أقاليم كثيرة ومدن كثيرة ، مشتملة على رساتيق وأعمال وخطط وجهات ، وهي تمتد من بلاد الشام وما على سمتها إلى بلاد السند والهند وما والاها .
ولها جانبان : جنوبي وشمالي .

الجانب الأول

(الجنوبي)

ويشتمل على ستة أقاليم :

الإقليم الأول

(الجزيرة الفراتية)

وهي أقرب أقطار هذه المملكة لمملكة الديار المصرية والشامية لمجاورتها بلاد الشام . قال في "تقويم البلدان" : ويحيط بها الفرات من حدود بلاد الروم ، وهو طرف الحد الغربي الجنوبي للجزيرة . فيمتد الحد الجنوبي الغربي مع الفرات إلى مَلطية ، إلى شمساط ، إلى قلعة الروم ، إلى البيرة ، إلى قبالة منبج ، إلى السن ، إلى الرقة ، إلى قرقيسيا ، إلى الرحبة ، إلى هيت ، إلى الأنبار . ثم يخرج الفرات عن تحديد الجزيرة ويعطف الحد من الأنبار إلى تكريت ، وهي على نهر دجلة ، إلى بلس ، إلى الحديثة على دجلة إلى الموصل . ثم يعطف من الموصل إلى جزيرة ابن عمر ، إلى آمد . ثم يصير الحد غربيا ممتدا بعد أن يتجاوز آمد على حدود إرمينية ، إلى حدود بلاد الروم ، إلى الفرات عند مَلطية من حيث وقع الابتداء . قال : فعلى هذا يكون بعض إرمينية وبعض الروم غربي الجزيرة ، وبعض الشام وبعض البادية جنوبيها ، والعراق شرقيها ، وبعض

إرمينية شمالها . قال في "تقويم البلدان" : وتشتمل الجزيرة على ديار ربيعة وديار مضر (يعنى بالضاد المعجمة) وبعض ديار بكر ، وهم القبائل الذين كانوا يتنزلونها في القديم على ما تقدم ذكره في الكلام على أحوال العرب في المقالة الأولى .

قال في "مسالك الأبصار" : وقد كانت هذه الجزيرة مجموعها مملكة جليلة باقية بذاتها في الدولة الأتابكية يعنى دولة الأتابك زنكى صاحب الموصل والد نور الدين الشهيد صاحب دمشق . وقاعدتها (الموصل) . قال في "اللباب" : بفتح الميم وسكون الواو وكسر الصاد المهملة ولام في الآخر . وهى مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبع وثلاثون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهى على دجلة من الجانب الغربى . ويقابلها من الجانب الشرقى مدينة نينوى التى بُعث يونس عليه السلام إلى أهلها . وهى الآن خراب . وفى جنوبى الموصل مصب الزاب الأصغر فى دجلة ، وهى فى مستو من الأرض ؛ ولها سوران قد خرب بعضهما ، وسورها أكبر من سور دمشق . قال المؤيد صاحب حماة : والعامر منها فى زماننا نحو ثلثها . ولها قلعة قد صارت فى جملة الخراب . قال قاضى القضاة ولى الدين بن خلدون : وهى قاعدة ملك قديم يُعرف قديما بمملكة الجرامقة . وكانت قد صارت إلى عماد الدين زنكى : والد نور الدين الشهيد ، ثم اتفق بها الحال إلى أن دخلت فى مملكة التتر من بنى هولاكو . قال ابن خردادبه فى كتابه فى المسالك والممالك : ومن أقام بها سنة ثم ... (١) ... عقله وجده قد نقص ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . وذكرها فى "التتيف" وذكر أنه كان بها الأمير أردبغا قبل أن يحصل عليها من يرم خواجا ثم أبو القان أويس .

(١) بياض فى الأصل . وأنظر معجم البلدان فإنه يؤخذ منه أن من أقام بها سنة تبين فى بدنه فضل قوة .

ثم بها عدة مدُن وقلاع مشهورة .

(منها) مَآرِدِينَ . قال في "الباب" : بفتح الميم وسكون الألف وكسر الراء والدال المهملتين ثم ياء مثناة من تحتها ونون - وهى قلعة بديار ربيعة من هذه الجزيرة المذكورة من الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : حيث الطول أربع وستون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهى على جبل عال ، من الأرض إلى ذروتِه نحو فرسخين . قال آيَن حوقل : وهى قلعة منيعة لا يستطاع فتحها عنوة ، ويجلبها جواهر الزجاج ، وبه حيات نفوق غيرها بسرعة القتل .

وأعلم أن ماردِين هذه بيد ملوكها من بنى أَرْتُقٍ ، لما بيدهم الأمد الطويل ، لم تزل أيديهم عنها مذ ملكوها . قال القاضي ولَّى الدين بن خلدون في "تاريخه" : وأوّل من ملكها منهم ياقوق بن أَرْتُقٍ بعد السبع والأربعائة ، تملكها من يد مَنّ كان ملكشا آيَن ألب أرسلان السلجوق أقطعها له ، ثم ملكها بعد ياقوق المذكور أخوه على . ثم عمه سُقْمَان ، ثم أخوه إيلغازى ، ثم أبنه حُسام الدين تَمَرْتاش ، ثم أبنه قطب الدين ألي ، ثم أبنه نظام الدين إيلغازى ، ثم أبنه حُسام الدين بولق أرسلان . ثم أخو ناصر الدين أَرْتُقٍ أرسلان بن إيلغازى ، ثم أبنه نجم الدين غازى ، ثم أخو قرا أرسلان ، ثم أبنه شمس الدين داود ، ثم أخوه نجم الدين غازى ، وتلقب بالمنصور . وهو أوّل من تلقب بالقباب السلطنة منهم ، ثم أبنه شمس الدين صالح وتلقب بالصالح ، ثم أبنه أحمد وتلقب بالمنصور ، ثم أبنه محمود وتلقب بالصالح ، ثم أبنه نصر الدين داود ، وتلقب بالمظفر ، ثم أبنه نور الدين عيسى ، وتلقب بالظاهر ، وهو القائم بملكها إلى الآن ، وهو الظاهر عيسى ، بن المظفر داود ، بن الصالح [محمود] ، بن المنصور أحمد ، بن الصالح^(١) صالح ، بن المنصور غازى ، بن المظفر قرا أرسلان ، بن المنصور أَرْتُقٍ أرسلان [ابن بولق أرسلان] بن إيلغازى ، بن ألي ، بن تَمَرْتاش ، بن إيلغازى ، بن أَرْتُقٍ .

(١) تزيادة عن تاريخ آيَن خلدون (ص ٢٢٠ ج ٥) .

ولما ملك هولاء كوكب بغداد وأعماضا كان القائم بملك ما ردى يومئذ المظفر
قرا أرسلان فأعطاه الطاعة وخطب له في جميع أعماله ، وتبعه على ذلك من بعده
من ملوكها إلى حين موت القان أبى سعيد من بقايا الملوك الهولاء كوبة . فقطع
الخطبة لصاحب بغداد وما معها وخطب لنفسه . والأمر على ذلك إلى الآن .
وملوكها مؤادون لملوك الديار المصرية والمكاتبات بينهم مواصلة .

(ومنها) حصن كيفا . قال في "تقويم البلدان" : بجاء وصاد مهمتين ثم بون
ثم كاف وياه مشاة من تحت وفاء وألف - وهى مدينة من الجزيرة المذكورة من
الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : حيث الطول أربع وستون درجة وثلاثون دقيقة ،
والعرض سبع وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال في "الباب" : وهى من
ديار بكر . قال في "المشترك" : وهى على دجلة بين جزيرة آبن عمر وبين ميا فأريقين .
قال في "الباب" : والنسبة إليها حصن كيفا . بفتح الحاء وسكون الصاد وفتح
الكاف وفاء ثم ياء النسب . قال في "التعريف" : وملكها من بقايا الملوك الأيوبية
ومن ينظر إليه ملوك مصر بين الإجلال ، لمكان ولائهم القديم لهم ، وأستقرار الوداد
الآن . قال في "التثقيف" : وأخبرنى المقر السيفى منجك كافل المالك الشريفة
أن الملك الناصر محمد بن قلاوون كان يعظم سلفه فإنه كان أستاذ قلاوون والده .
قال في "التعريف" : وكان تحروقت منهم الملك الصالح قصد الأبواب السلطانية .
فلما أتى دمشق عقبته الأخبار بأن أخاه قد ساور سريره ، وقصد بسلطنته
سلطانه . ففكر راجعا ولم يعقب ، فلما لبثت الأخبار أن جاءت بأنه حين صعد قلعة ،
وكر نحو سريره رجعت ، وثب عليه أخوه المتوثب فقتله وسفك دمه ، ثم أظهر عليه
ندمه . وكتب إلى السلطان فأجيب بأجوبة دالة على عدم القبول لأعذاره والسرائر
مكدره ، وانحواطر بعضها من بعض منقره . وذكر في "التثقيف" أن الذى أنصحه له

آخرًا في رمضان سنة ست وسبعين وسبعائة أن صاحبها الملك الصالح سيف الدين أبو بكر، ابن الملك العادل شهاب الدين غازي، ابن الملك العادل مجد الدين محمد، ابن الملك الكامل سيف الدين أبي بكر، ابن الملك الموحد تقي الدين عبد الله، ابن الملك المعظم سيف الدين توران شاه، ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب، ابن الملك الكامل ناصر الدين محمد، بن العادل أبي بكر بن أيوب . ثم قال : وما يعد أن الصالح المذكور هو ابن عم العادل مجد الدين محمد، وأن العادل غازي لاحققة له . ثم قال : وهو غلط لأن المستقر إلى آخر سنة ثنتين وستين وسبعائة وما بعدها بمدة هو العادل مجد الدين، وكتبت إليه في هذه المدة بهذا الاسم واللقب، ولم يبلغنا أنه استقر بعده سوى ولده . ثم قل أنه الصالح وقتل الناقل أنه ابن العادل وهو صحيح لكنه قال : إن اسمه شهاب الدين غازي بن العادل مجد الدين وفيه بُعد : كون الولد يلقب بلقب والده الملوكي . انتهى كلامه .

قلت : والذي أخبرني به بعض قُصَّاد صاحبها في سنة تسع وتسعين وسبعائة أن الملك القائم بها يومئذ اسمه سليمان بن داود، وذكر لي لقبه الملوكي فنسيته، وذكر أنه يقول الشعر، وأجضر معه بيتا بقردا من نظمه وهو :

وَجَارِيَّةٌ تُعِيرُ الْبَدْرَ نَوْرًا * وَلَوْلَا نَوْرُهَا عَادَ الظُّلَامُ !

فنظمت له أبياتا وبشت بها إليه محبة قاصده أولها :

سُلَيْمَانُ الزَّمَانِ يَحْيِي كَيْفَا * لَهُ فِي الْمُلْكِ أَنَارُ كِرَامٍ

زَكَ أَصْلًا قَطَابَ الْفَرْعِ مِنْهُ * وَطَابَ الثُّصْنُ إِذْ طَابَ الْيَكَامُ

بَنُو أَيُّوبَ أَقْبَوْا مِنْهُ دُثْرًا * وَنِعَمَ الدُّثْرُ وَالْقَيْلُ الْهَبَامُ

وأثبت البيت الذي قاله في آخر هذه .

(ومنها) حَرَّانُ . قال في "المشترك" : ففتح الحاء وتشديد الراء المهملة وفي آخرها نون بعد الألف - وهي مدينة من ديار مُضَرَ من الجزيرة المذكورة من الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول ثلاث وستون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وكانت حَرَّانُ مدينةً عظيمة أما اليوم فخراب . قال ابن حوقل : وهي مدينة الصابئين ، وبها سَدَتْهُمُ السبعة عشر ، وبها تَلَّ عليه مصلِّ للصَّابِئِينَ يَعْظُمُونَهُ وَيُنْسِبُونَهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وهي قليلة الماء والشجر . قال في "العزري" : والجبل منها في سَمْتِ الجنوب والشرق على فرسخين ، وترتبتها حراء ، وشرب أهلها من قناة تجري من العيون خارج المدينة ومن الآبار ، وحاكمها يَكْتَابُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية على ما سيأتى في المكاتب إن شاء الله تعالى .

(ومنها) شِمَشَاطُ . قال في "اللباب" : بكسر الشين المعجمة وسكون الميم وفتح الشين الثانية ثم ألف فطاء مهملة - وهي بلدة من ديار مُضَرَ ، وقيل من ديار بكر من بلاد الجزيرة من الإقليم الرابع . قال في "رسم المعمور" حيث الطول اثنتان وستون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي بلدة الثغور الجزيرية بين آمد وبين تَخَرْتِ يَرْتُ . وقال ابن حوقل : هي بَحْرُ الجزيرة ، وبها حَاكِمٌ يَكْتَابُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) حَيْرَانُ . قال في "اللباب" : بكسر الحاء المهملة وسكون المثناة من تحتها وفتح الزاي المعجمة وألف ونون - وهي مدينة من ديار بكر من الجزيرة من الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها خمس وستون درجة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي كثيرة

الأشجار خصوصا شجر البُنْدُق . قال : وهى بين جبال ، ولها مياه سارحة ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . وذكر فى "التتقيف" أنه كان اسمه فى زمانه عز الدين ، ثم استقر بعده أبوه أسد الدين .

(ومنها) رَأْس عَيْن . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الراء المهملة ثم سين وعين مفتوحة مهملتان ومثناة تحت ونون فى الآخر - وتسمى عين وَرْدَة أيضا ، وهى مدينة من ديار ربيعة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة فى مستوى من الأرض . قال ابن حوقل : يخرج منها فوق ثلثمائة عين كلها صافية ، ويصير من هذه العين نهر الخابور ، ويوهم السمعاني فجعلها منبع دجلة . قال فى "العزى" : وهى أول مُدُن ديار ربيعة من جهة ديار مُضَرَ ، وذكر السمعاني أنها من ديار بكر ، وأنكره ابن الأثير وقال : ليست من ديار بكر [بل هى] من الجزيرة . قال فى "اللباب" : وهى على يمين من سَرَّان . النسبة إليها رَسَعِيٌّ ، وإليها ينسب الرَّسَعِيُّ المُفَسِّر .

(ومنها) مِيَا قَارِقِينَ . قال فى "اللباب" : بفتح الميم وتشديد المثناة من تحتها وسكون الألفين بينهما فاء مفتوحة وبعدهما راء مهملة ثم قاف وياء آخر الحروف ونون . وهى مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "رسم المعمور" : حيث الطول خمس وستون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال ابن سعيد : وهى قاعدة ديار بكر . وقال ابن حوقل : هى بين الجزيرة وبين إزمينية . قال فى "اللباب" : وعليها سورٌ شجر دائرٌ ، وهى دون حماة فى القدر ، وهى فى ذيل جبل ، فى شمالها وهى فى ذيله . قال فى "اللباب" : والمياه والبساتين محذقة بها ، ولها نهر صغير على شوط فرس منها ، من عين تسمى عين حَبُوص بين الغرب والشمال ، تنحرق دُورَها

وتسقى سائينها، وبينها وبين الموصِل على حصن كيفا نحو ستة أيام وعلى ماردين نحو ثمانية أيام، والنسبة إليها قَارِقُ . قال في "اللباب" : أسقطوا بعضها لكثرة حروفها، وبها حاكم يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) قَرَقِيسِيَا . قال في "تقويم البلدان" : المشهور بفتح القاف الأولى وكسر الثانية وبينهما راء مهملة ساكنة ثم ياء آخر الحروف ساكنة ثم سين مهملة ثم ياء ثانية وألف - وهي مدينة من ديار مَضَر من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول أربع وستون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة . قال في "اللباب" : وهي على الفُرات والخابور، على القرب من الرِّقَّة . قال في "العزى" : وهي شرق الفرات والخابور الخارج من رأس عين فيصب في الفرات على القرب منها . قال : وهي مدينة الزبَاء صاحبة جَذِمة الأبرش، يعنى التى قتله . قال في "اللباب" : وبها مات جَرِير بن عبد الله البجلي الصلبي رضى الله عنه . قال : والنسبة إليها قَرَقِيسِيَا في وقد تحذف النون وتجعل الياء عوضها .

(ومنها) مَاكِينُ . قال في "اللباب" : بفتح الميم وسكون الألف وكسر الكاف والسين المهملة وسكون المثناة من تحت ونون في الآخر - وهي مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "اللباب" : وهي على الخابور . قال في "العزى" : وبينها وبين قَرَقِيسِيَا سبعة فراسخ ، وبينها وبين سنجار اثنتان وعشرون فرسخاً .

(ومنها) نَصِيبِيْنُ . قال في "اللباب" : بفتح النون وكسر الصاد المهملة وسكون المثناة من تحتها ثم باء موحدة وياء ثانية ونون - وهي مدينة من ديار ربيعة من الجزيرة من الإقليم الرابع . قال ابن سعيد : وهي قاعدة ديار ربيعة . قال

وهي مخصوصة بالوُرد الأبيض لا يوجد فيها وردة حمراء ، وفي شمالها جبل عظيم يقال إنه الجودي الذي استقرت عليه سفينة نوح عليه السلام ، منه ينزل نهرها حتى يترعل سورها وعليه إساتينها ، ونهرها يسمى الميرماس ، وبها عقارب قتالة .

(ومنها) جزيرة ابن عمر - وضبطها معروف - وهي مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " القانون " : حيث الطول ست وستون درجة وعشر دقائق ، والعرض سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في " تقييم البلدان " : وهي مدينة صغيرة على دجلة من غربها ذات إساتين كثيرة . وقال في " المشترك " : هي في شمالي الموصل ودجلة محيطة بها مثل الهلال ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) سنجار . قال في " اللباب " : بكسر السين المهملة وسكون النون وفتح الجيم وألف وراء مهملة - وهي مدينة من ديار ربعة من الجزيرة ، من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " تقييم البلدان " : والقياس أنها حيث الطول ست وستون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ابن سعيد : وهي في جنوبي نصيبين - وهي من أحسن المدن وجبلتها من أخصب الجبال . قال ابن حوقل : وهي في وسط برية ديار ربعة بالقرب من الجبل والجل في عاليها ، وليس بالجزيرة بلد فيه نخيل سواها . وهي في جهة الغرب عن الموصل على ثلاث مراحل عنها ، وهي على قدر المعرة من البلاد الشامية ، ولها قلعة وإساتين كثيرة ، وشربها من التقي ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) تل أعقر - وضبط التل معروف ، وأعقر بفتح الهمزة وسكون العين المهملة وفتح الفاء وراء مهملة في الآخر - وهي من الجزيرة من الإقليم الرابع من

الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ست وستون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "المشترك" : وتلّ أعقر قلعة بين سنّجَار وبين المَوْصِل . وذكر في "تقويم البلدان" عن بعض أهلها أنها غربي المَوْصِل فيما بينها وبين سنّجَار ، وربما تكون إلى سنّجَار أقرب . وذكر في "العزيزي" أن بينها وبين سنّجَار خمسة فراعخ ، ولها أشجار كثيرة ؛ وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) الحديثة . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين ثم مناة من تحت وطاء مثلثة وهاء في الآخر وهي مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول سبع وستون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال في "المشترك" : وهي في وسط الفرات والماء محيط بها . وتعرف بحديثة النورة . وهي غير حديثة المَوْصِل : بلدة صغيرة إلا أن لها ذكرا في القديم . قال في "المشترك" : وهي على فراعخ من الأنبار ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) عانة . قال في "اللباب" : بفتح العين المهمله وألف ونون وهاء في الآخر . وهي بلدة من بلاد الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ست وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة . وهي بلدة صغيرة على جزيرة في وسط الفرات . قال في "اللباب" : وهي تقارب الحديثة . وقال ابن حوقل : يطوف بها خليج من الفرات . قال ابن سعيد : وتحررها مذكور في الأشعار ، وأستشهد بقول بعض الشعراء :

« وَمِنْ عَانَةِ أَمِّ مِنْ مَرَّاشِيكَ الْخَمْرُ »

وكثيرا ما تُقَرَّن في الذكر مع الحديثة لقربها يقال غانهُ والحديثة ، وبها حاكم
يكتّاب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) آمِدُ . قال في "اللباب" : بمَدِ الألف وكسر الميم وفي آخرها دال
مهملة . وهي مدينة من ديار بكر ، من الجزيرة ، من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة .
قال في "الأطوال" : حيث الطول سبع وستون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض
سبع وثلاثون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة أَرَلِيَّة على الدجلة .
قال ابن حوقل : وعليها سُورٌ في غاية الحصانة . قال في "العزري" : وسورها
من الحجارة السود التي لا يعمل فيها الحديد ، ولا تضرها النار ، وهو مشتمل عليها
وعلى عيون ماء ، ولها بساتين ومزارع كثيرة . قال ابن حوقل : وهي كثيرة الخصب .
(ومنها) سِعرْتُ . قال في "تقويم البلدان" : قلا عن صالح : بكسر السين
والعين وسكون الراء المهملات وفي آخرها مثناة من فوق ، وقيل إسْعِرْد بكسر
المهمزة وسكون السين وكسر العين وسكون الراء المهملات ودال مهملة في الآخر .
وهي مدينة من ديار ربيعة ، من الجزيرة ، من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال
في "تقويم البلدان" : وهي مبنية على جبل تحيط بها الوطاة ، على القرب من شَطِّ
دجلة من جهة الشمال والشرق ، وهي في المقدار أكبر من المعتة ، وبها الأشجار
الكثيرة من التين والرقان والكروم ، جميع ذلك عَذْيٌ لا يُسْقَى ، وشرب أهلها من بئر
قريبة من وجه الأرض ، وهي عن مَيَّاقَرَقِين على مسيرة يوم ونصف في جهة
الجنوب ، وعن آمِد على مسيرة أربعة أيام في جهة الشمال منها ، وعن المَوْصِل على
خمسة أيام في جهة الشرق والشمال عنها .

(ومنها) يَكْرِيتُ . قال في "اللباب" : بكسر المثناة من فوق وسكون الكاف
وكسر الراء المهملة ثم ياء مثناة من تحت في آخرها تاء مثناة من فوق . وهي مدينة

(١) ضبطها الجيد بالفتح وكذا ياقوت وقال : وكسرها السامة .

ن الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث لطول تسع وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض نحس وثلاثون درجة وأثننا عشرة دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي آخر مدُن الجزيرة مما يلي العراق على غربي دجلة في بر الموصل . قال في "اللباب" : وسميت تِكْرِيتُ تِكْرِيتَ بنت وائل أخت بكر بن وائل .

أما قلعتها فيهاها سابور بن أردشير بن بابك ، وهي الآن خراب . قال ابن سعيد : وفي جنوبها وشرقها النهر الإصحاق ، حفزه إصحاق بن إبراهيم صاحب شُرطة المتوكل ، وهو أول حدود سواد العراق ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) بَرْقِيدُ - بفتح الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح القاف وكسر العين المهملة وسكون المثناة من تحتها ودال مهملة في الآخر . قال في "العزى" : وهي [مدينة] لها سور وأسواق كثيرة .

(ومنها) العَادِيَّة - بكسر العين المهملة وفتح الميم وبعدها ألف ثم دال مهملة مكسورة وياء مشناة تحت مشددة مفتوحة وهاء في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وهي قلعة عامرة على ثلاث مراحل من الموصل في الشرق والشمال ، وهي على جبل من الصخر ، وتحتها مياه جارية وبساتين ، وهي في جهة الشمال عن لاذل ، بناها عماد الدين زنكي صاحب الموصل فنسبت إليه ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) قلعة كُشَاف . قال في "تقويم البلدان" : بضم الكاف والشين المعجمة ثم ألف وفاء في الآخر . وهي قلعة عامرة بين الزَّاب والشَّط ، قرية من مصبه في الشط [وهي في الشرق] والجنوب عن الموصل . قلت : وقد ذكرها في "تقويم البلدان" أولا

في جملة بلاد الجزيرة ووصفها بهذا الوصف ولم يضبطها ، ثم ذكرها في بلاد الجبل المعروفة بـ براق العجم بهذا الوصف أيضا وضبطها على ما تقدم ، والظاهر أنها من بلاد الجزيرة ؛ وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) قلعة فنك . قال في "تقويم البلدان" : نقلنا عن أبي المجد في "كتاب التمييز" : بفتح الفاء والنون - وهي قلعة حصينة فوق جزيرة ابن عمر ،

(ومنها) الشوش . قال في "المشرك" : بضم الشين المعجمة وسكون الواو ثم شين ثانية . قال : وهي قلعة مشهورة من أعمال الموصل في الجبال شرق دجلة ، وإليها ينسب حب الرمان الشوشي .

(ومنها) عقر الحبيدية . قال في "المشرك" : بفتح العين المهملة وسكون القاف ثم واء مهملة - وهي قلعة حصينة مشهورة ، والحبيدية قبيلة من الأكراد بتلك البلاد .

(ومنها) المتأخ . قال في "مزيل الأرتياب" : بفتح الهاء وتشديد التاء المثناة من فوقها وفتحها وبعد الألف خاء معجمة . قال في "تقويم البلدان" : وهي قلعة حصينة .

(ومنها) حاني . قال في "الباب" : على وزن داعي ، يعني بفتح الحاء المهملة وبعدها ألف ثم نون مكسورة وياء مثناة تحت في الآخر . قال : هذا ما تُعرف به الآن ، ولكن السمعاني قد قال فيها حنا ، بفتح الحاء المهملة والنون ؛ وهي مدينة من ديار بكر من الجزيرة [من الإقليم الرابع] من الأقاليم السبعة ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية معدود في الأكراد .

وأعلم أن هذه الجزيرة مجاورة لمملكة الديار المصرية من حيث اتصالها بالبلاد الشامية من الجهة الشرقية ، وقد تقدم أن بعض بلادها داخلة في أعمال حلب

من ممالك الديار المصرية كالرها وقلة جعبر وما والاها ، والمسافة ما بين حلب والرها معلومة ؛ ومن الرها إلى حران يوم واحد ؛ ومن حران إلى رأس عين ثلاثة أيام ، ومن رأس عين إلى نصيبين ثلاث مراحل ؛ ومن نصيبين إلى الموصل أربع مراحل . وقد تقدم أن الموصل هي قاعدة الجزيرة في القديم ، ومن الموصل إلى تكريت سبعة أيام ، وقد تقدم أن تكريت هي آخر مدُن الجزيرة مما على العراق ، ومن الموصل أيضا إلى آبد أربعة أيام ، ومن آبد إلى شمشاط ثلاثة أيام .

الإقليم الثاني (المِراق)

قال في " الباب " : بكسر العين وفتح الراء المهملتين ثم ألف وقاف . قال الجوهري : وهو يذكّر ويؤنث . قال أبو المجد إسماعيل الموصلي في كتابه المسمى " بالتمييز والفصل " : وإنما سمي عراقا لأنه سفل عن نجد ودنا من البحر . أخذنا من عراق القربة ، وهو الخروء الذي في أسفلها ؛ ويعرف بعراق العرب لأن العرب كانت تنزله لقربه من بلادهم . قال في " تقويم البلدان " : ويحيط به من جهة الغرب الجزيرة والبادية ؛ ومن الجنوب البادية وبحر فارس وحدود خوزستان ؛ ومن الشرق حدود بلاد الجبال . إلى حُلوان ؛ ومن الشمال من حلوان إلى الجزيرة من حيث وقع الابتداء .

قال : والعراق على ضفتي دجلة مثل ما بلاد مصر على ضفتي النيل ، ويمر دجلة من الشمال بميلة إلى الغرب ، إلى الجنوب بميلة إلى الشرق . وامتداد العراق طولا وشمالا وجنوبا من الحديثة على دجلة إلى عبادان على مصب دجلة في بحر فارس ، وامتداده غربا وشرقا من القادسية إلى حُلوان . فالحدثة في وسط الحدّ الثاني

بميلة إلى الغرب، والقادسية في وسط الحدة الغربي بميلة إلى الجنوب، وعبادان في وسط الحدة الجنوبي بميلة إلى الشرق، وحلوان في وسط الحدة الشرق بميلة إلى الشمال، ووسط العراق الذي من القادسية إلى حلوان هو أعرض ما في العراق . وأما رأس العراق الذي عند عبادان، فيدق عن ذلك . ثم قال : والذي يستدير على العراق - معنى والعراق على شماله - إذا ابتدأ من تكريت من بلاد الجزيرة المتقدمة، يمر منها إلى حدود شمرزور، وهي بين الشرق والشمال عن العراق، ثم إلى السروان، وهي في الشرق، إلى حدود جبا، وهي في الشرق والجنوب، ثم إلى البحر يعني بحر فارس، وهو في الجنوب عن العراق . وفي هذا الحدة من تكريت إلى البحر قويس، ثم من البحر إلى البصرة، وهي في الجنوب عن العراق، ثم من البصرة إلى البادية على سواد البصرة، ثم إلى بساتين البصرة، ثم إلى واسط، ثم إلى سواد الكوفة وبساتينها، ثم على ظهر الفرات إلى الأنبار، ثم من الأنبار إلى تكريت حيث وقع الابتداء .

ثم للذن قواعد ومدن .^(١)

القاعدة الأولى

(بائيل)

بفتح الباء الموحدة ثم ألف وباء موحدة ثانية مكسورة ولام في الآخر - وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث . قال في " الأطوال " حيث الطول سبعون درجة، والعرض آثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي أقدم أبنية العراق، وإليها ينسب إقليم بابل لقدمها، وكانت ملوك الكنعانيين

(١) لعل الصواب " ثم للعراق قواعد ومدن " .

وغيرهم يقيمون بها . قال في "تقويم البلدان" : وبها آثار أبنية أجسبها أن تكون في قديم الأيام مصرا عظيما ، ويقال إنها من بناء الضحّك : أحد ملوك الفرس الذي ملك الأقاليم السبعة . قال : وفيها أُلقي إبراهيم الخليل عليه السلام في النار ، وقد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز أن بها هَارُوتَ وَمَارُوتَ الْمَلَكَيْنِ اللّٰذِينَ يَعْلَمَانِ النَّاسَ السَّحَرُ ، ويقال إنهما بها في بئر وإن البئر ظاهرة بها إلى الآن . قال صاحب حماة : وهي اليوم مدينة خراب ، وقد صار في موضعها قرية صغيرة .

القاعدة الثانية

(المدائن)

جمع مدينة وضبطها معروف . قال في "تقويم البلدان" : وأسمها بالفارسية طَلَيْسَقُونُ - بفتح الطاء المهملة وسكون المثناة التحتيّة وفتح السين المهملة وضم الفاء وبعدها واو ونون - ثم قال : وكل ذلك سمعا وقد تبدل الفاء باء . وهي واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبعون درجة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وعشر دقائق . قال في "تقويم البلدان" : وهي على دجلة من شرقها تحت بغداد على مرحلة منها . قال في "العزيزي" : والمدائن في جنوبي بغداد ، وكان بالمدينة الكبرى منها إيوانٌ كُسر في شرق دجلة ارتفاعه ثمانون ذراعا . وتقل في "تقويم البلدان" عن بعض التفات في سعة من ركنه إلى ركنه خمسة وتسعون ذراعا . وكانت هي قاعدة ملوك الفرس ، فلما ولد النبي صلى الله عليه وسلم ، أنشئ هذا الإيوان ثم خرب هو وسائر المدائن في الإسلام .

القاعدة الثالثة

(بَنَدَاذ)

قال في "الباب" : يفتح الباء الموحدة وسكون الفين المعجمة وفتح الدال المهملة وفي آخرها ذال معجمة . وموقعها في آخر الإقليم الثالث . قال في "القانون" : حيث الطول سبعون درجة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : سميت بَنَدَاذ بهذا الاسم لأن كسرى أهدى إليه خي من المشرق فأقطعه بَنَدَاذ . وكان له صنم يعبد به المشرق يقال له النِّع فقال ذلك الخبيث بن داذ يعني أعطاني الصنم ، وكان عبد الله بن المبارك يكره أن يقال لها بَنَدَاذ بالذال المعجمة في آخرها ، فإن بن شيطان وداذ عطية فعناه عطية الشيطان وهو شرك . قال : وإنما يقال بَنَدَاذ بالذالين المهملتين . وقد قال بعضهم : إن بن الفارسية البُستان وداذ بإهمال الأولى وإعجام الثانية أسم رجل ومعناه بستان داذ ، ويقال فيها أيضا بَنَدَان بإبدال الدال الأخيرة نونا ، ومَنَدَان بإبدال الباء الأولى ميما . وكان المنصور يسميها مدينة السلام لأن دجلة كان يقال لها وادي السلام . وبَنَدَاذ على جانبي دجلة من الشرق والغرب ، والجانب الغربي منها يسمى الكَوْخ ، وبه كان سكنى أبي جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس ، والجانب الشرقي منها بناه المهدي بن المنصور المقدم ذكره وسكنه بسكره فسمى عسكر المهدي . ثم بنى فيه الرشيد بن المهدي قصرا سماه الرِّصَافَة فأطلق على الجانب كله الرِّصَافَة ، ويسمى جانب الطاق أيضا نسبة إلى رأس الطاق ، وهو موضع السوق الأعظم منها . وبهذا الجانب محلة تسمى (الحَرِيم) يعني حريم دار الخلافة . قال في "المشترك" : يفتح الحاء وكسر الراء المهملتين ثم مثناة من تحتها ساكنة وفي آخره ميم . قال : وهي قريب من ثلث الجانب الشرقي ، وعليه سور آبتداؤه من دجلة وآتياؤه إليها أيضا

كهيشة الهلال أو كنصف دائرة، وله أبواب أولها باب القربة، وهو على دجلة، ثم يليه باب سوق التمر، وهو باب شاقق ولكنه أُغلق في خلافة الناصر لدين الله، ثم استمرَّ غلقه، ثم باب البدرية، ثم باب النوب. وفيه العتبة التي كانت تقبلها الملوك والرُّسل، ثم باب العائمة، ويقال له أيضا باب عمورية. ثم يمتد السور نحو ميل لا باب فيه إلا باب بستان تحت المنطرة التي تتحرق تحتها الضحايا. ثم باب المراتب بينه وبين دجلة نحو رميتهم.

وبهذا الحريم محالٌّ وأسواق ودور كثيرة للريعة وهو كأكبر مدينة تكون. قال :
وبين دور الريعة التي داخل هذا السور وبين دجلة سور آخر، وداخل السور الثاني دور الخلافة لا يدخلها شيء من دور العائمة. قال في "مسالك الأبصار" : وبين الجانبين جدران منصوبان على دجلة شرقا بغرب على سُفْر وزوارق أوقفت في الماء وامتدت بينها السلاسل الحديد المكعبة بالمكعبات الثقيل، وفوقها الخشب الممدود، وعليها التراب يمر عليها أهل كل جانب إلى الآخر بالحجر والجمال والحول، وعلى ضفتي دجلة قصور الخلافة والمدارس والأبنية العلية بالشبابيك والطاقات المطلة على دجلة، وبنائها بالآجر.

ومن بيوتها ما هو مفروش بالآجر أيضا ملصق بالقيرو وهو الزفت، ولهم الصنائع العجيبة في الترويق والآجر، وبها وجوه الخير من الجوامع والمساجد والمدارس وأنقوانق والربط والبيارستانات والصدقات الجارية ووجوه المعونة، وناهيك أنها كانت دار الخلافة ومقر ملوك الأرض. ومنها قلائد الأعناق، وترابها إلى القبيل وإئتمد الأحداق.

قال في "مسالك الأبصار" : قال الحكيم نظام الدين بن الطياري : وأوقافها جارية في مجاريها، لم تعرضها أيدي العدوان في دولة هؤلاء ولا فيما بعدها، بل

كل وقف مستمر بيد متوليه، ومن له الولاية عليه، وإنما قصت الأوقاف من سوء ولادة أمورها لا من سواها . وبها البساتين الموقفة، والحدائق المحذقة، وبها تمر النخل المفضلة على ما سواها من الرطب والتمر، وبها أنواع الزياحين والخضرراوات والفلال، وسعرها متوسط في الغالب لا يكاد يرخص . قال المقر الشهابي بن فضل الله : سألت الصدر محمد الدين بن الدوري عن السبب في قلة الفلال ببلاد العراق مع امتداد سوادها، فقال : قلة الزرع مع ما استهلكه القتل زمن هولاكو وحيزه^(١) للعراق وما جاوره من البلاد .

قلت : وبنداد وإن كانت أم الممالك ودار الخلافة، قد أغفل ملوك التتر الألتفات إليها، وصرفوا عنايتهم إلى تيزيز والسلطانية وصيروها قاعدتين لهذه المملكة على ما سيأتي ذكره في الكلام على إقليم أذربيجان فيما بعد إن شاء الله تعالى

القاعدة الرابعة

(مُرَّ من رأى)

من السرور والرؤية، ثم خففها الناس فقالوا سأمراً . قال في "اللباب" : بفتح السين المهملة وسكون الألف وفتح الميم وفي آخرها راء مهملة مشددة - وهي مدينة واقعة في الإقليم الرابع . قال في "القانون" حيث الطول ثمان وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة، والعرض أربع وثلاثون درجة . قال في "العزري" : وهي على شاطئ الدجلة من الشرق . قال آبن سعيد : بناها المعتصم، وأضاف إليها الواقف المدينة المارونية، والمتوكل المدينة الجعفرية فجعلهم قدرها . قال في "اللباب" : ثم خربت عن قريب من عمارتها . قال في "العزري" : ولم يبق فيها عامر سوى مقدار يسير كالقرية .

(١) بمعنى حوزة واستلاكه، لغة قلها القويوم في مصباحه .

وأما المَدُنُ التي بالعراق :

(فنها) هَيْتُ . قال في "المشترك" : بكسر الهماء وسكون المثناة تحت وتاء مثناة من فوق في الآخر - وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثمان وستون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في "العزري" : وهي من حدود العراق . قال ابن سعيد : وإليها ينتهي حد الجزيرة . قال في "تقويم البلدان" : وهي على شمالي الفرات ، ويقيم في "العزري" : بجعلها غربي الفرات . قال في "المشترك" : وهي من أعمال بغداد . قال في "اللباب" : وهي فوق الأنبار . قال صاحب "التهذيب" : وتُسمَّى هيت لكونها في هوة من الأرض . قال في "اللباب" : وبها قبر عبد الله بن المبارك رحمه الله ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) حَيْرَةُ . قال في "اللباب" : بكسر الحاء المهملة وسكون المثناة من تحت وراء مهملة وهاء في الآخر - وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث . قال في "القانون" : حيث الطول ثمان وستون درجة وخمس وعشرون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . [والحيرة مدينة جاهلية كثيرة الأشجار ، وهي عن الكوفة على نحو فرسخ . وقال في "العزري" : "مدينة قديمة على ثلاثة أميال من الكوفة" وكانت منازل آل الثمان بن المنذر ، وبها تنصر المنذر بن أمرئ القيس وبنى بها الكنائس العظيمة . والحيرة على موضع يقال له التَّجْفُ ، زعم الأوائل أن بحر فارس كان يتصل به ، وبينهما اليوم مسافة بعيدة . قال في "اللباب" : والحيرة مدينة قديمة عند الكوفة ، وبها الخوَرَق . قال في "الترتيب" : إن تبعا لما سار من ابن إلى خراسان وأنهى إلى موضعها ليلا فتخير ونزل وأمر بدناها فسميت الحيرة .

(ومنها) الأثير . قال في "المشترك" : بفتح الميمزة وسكون النون ثم باء موحدة مفتوحة وراء مهملة بعد الألف - وهى من آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . طولها تسع وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ثمان وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة ، قال في "المشترك" : والأثير عن بغداد [على عشر فراع منها . قال في "المشترك" : وهى من نواحى بغداد على شاطئ الفرات . قال ابن حوقل : وهى أول بلاد العبراق ، وبها كان مقام السُّحاح : أول خلفاء بنى العباس حتى مات ، ويقال إن أول ما نقلت الكتابة العربية إلى مكة من الأثير على ما تقدم في المقالة الأولى في الكلام على الخط .

(ومنها) الكوفة . قال في "اللباب" : بضم الكاف وسكون الواو ثم فاء وهاء - وهى مدينة إسلامية بُنيت في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" حيث الطول ثمان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة ، وهى على ذراع^(١) من الفرات خارج منه جهة الجنوب والمغرب . قال في "الترتيب" : وسميت كوفة لاستدارتها ، أخذاً من قول العرب رأيت كوفناً إذا رأوا رملة مستديرة ، وقيل لاجتماع الناس ، أخذاً من قولهم تكوَّف الرملُ إذا ركب بعضه بعضاً . وهى واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" حيث الطول ثمان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال في "العزيزى" : وهى قدر نصف بغداد ، وعلى القرب منها مشهد أمير المؤمنين على كرم الله وجهه حيث دفن ، يقصده الناس من أقطار الأرض .

(١) وقع في الأصل سقط من النسخ في أثناء الكلام على الحيرة والأثير . وقد استوفينا من تنجيم البلدان ، وأثبتناه بين دائرتين مريتين هكذا [] .

(٢) في مصب البلدان "شعبة" وهى المراد بالقراع .

(ومنها) البَصْرَةُ . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون الصاد وفتح
 الراء المهملةين - وهي مدينة إسلامية بنيت في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه أيضا ، واقعة في الإقليم الثالث . قال في "القانون" حيث الطول
 أربع وستون درجة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة ، وسميت بالبَصْرَةَ أخذًا من
 البَصْرَةِ ، وهي الحجارة السود ، وفي جنوبها وغربها البرية ، وليس في برّتها ماء ، يزرع
 على المطر . قال في "المشترك" : وبالبصرة محلة يقال لها المِرْبَدُ - بكسر الميم وسكون
 الراء المهملة وفتح الباء الموحدة ثم دال مهمل - وهي محلة عظيمة من جهة البرية
 كانت العرب تجتمع فيها من الأقطار ويتناشدون الأشعار ويبيعون ويشتررون .

(ومنها) وآسِطُ . قال السمعاني في "الأنساب" : بفتح الواو وسكون الألف
 وكسر السين المهملة وطاء في الآخر - وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم
 السبعة . قال في "القانون" حيث الطول إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ،
 والعرض اثنتان وثلاثون درجة ونحو عشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" :
 سميت واسط لوسطها بين مدُن العراق إذ منها إلى البَصْرَةَ نحوون فرسخًا ، ومنها إلى
 الكوفة نحوون فرسخًا ، ومنها إلى الأهواز نحوون فرسخًا ، ومنها إلى بغداد نحوون
 فرسخًا . وهي نصفان على جانبي دجلة بينهما جسر من السفن كما تقدّم في بغداد .
 قال في "المشترك" : وهي من بناء الحجاج آخذتها بين الكوفة والبصرة في سنة
 أربع وسبعين من الهجرة ، وفرغ منها في سنة ست وسبعين .

(ومنها) حُلَوَانٌ . قال في "المشترك" : بضم الحاء المهملة وسكون اللام . قال
 في "اللباب" : ثم ألف وواو ونون - وهي مدينة من أول الإقليم الرابع . قال
 في "القانون" حيث الطول إحدى وسبعون درجة ، والعرض أربع وثلاثون

(١) في تقويم البلدان وسمي البلدان : أربع وسبعون .

درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي آخر مُدُن العراق ، ومنها يُصعد إلى الجبال ، وقيل هي من الجبال ، وليس بالعراق مدينة بالقرب من الجبل غيرها . قال ابن حوقل : وبها شجر النخل والتين الموصوف ، وأكثر ثمارها التين ، والثلج يسقط على جبلها دائماً ، وهو منها على مرحلة ، وبينها وبين بغداد خمس مراحل .

(ومنها) الحِلَّة . قال في "المشارك" : بكسر الحاء المهملة وتشديد اللام . وهي واقعة في الإقليم الثالث . قال في "تقويم البلدان" : حيث الطول ثمان وستون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمسة وخمسون دقيقة . قال ياقوت الحموي : وتعرف بحِلَّة بن مَرْيَد . وأول من أختط بها المنازل وعمرها سيف الدولة صدقة بن دُبَيْس بن علي بن مَرْيَد الأسدي في سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، وكان موضعها قبل ذلك يسمى بالجامعين .

(ومنها) التَّهْرَوَانُ . قال في "اللباب" : بفتح النون وسكون الهاء وضم الراء المهملة وفتح الواو وبعد الألف نون . وهي مدينة في آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة على ضفَى نهر . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمسة وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : التَّهْرَوَانُ اسم للمدينة والنهر الذي يشقها ، وهي مدينة صغيرة على أربعة فراسخ من بغداد . قال في "اللباب" : ولها عِدَّة [نَوَاحٍ] خرب أكثرها . وقال السمعاني في "الأنساب" : هي على أربعة فراسخ من دجلة ، والتَّهْرَوَانُ هذه هي التي انحاز إليها الخوارج عند فراقهم لعلّ بعد وقعة صِفِّين على ما تقدم ذكره في الكلام على التحليل والمِلل في المقالة الأولى .

(ومنها) الأُبُلَّة . قال في "تقويم البلدان" : بضم الهمزة والباء الموحدة وتشديد اللام وهاء في الآخر . وهي مدينة في فوهتها نهر طوله أربعة فراسخ بينها وبين البصرة

على جانبيه قصور وبساتين ومُدُن على خط واحد كأنها بُستان واحد ، وهو أحد متبَرَّهات الدنيا .

(ومنها) القَادِسيَّة - بفتح القاف ثم ألف ودال مهملة مكسورة وياء مثناة من تحت ثم هاء . وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثمان وستون درجة وخمس وعشرون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وهى منبئة صغيرة ذات نخيل ومياه ، وهى على حافة البادية وحافة سَوَادِ العراق ، البادية من جهة الغرب والسواد من جهة الشرق . قال فى "المشترك" : وبناها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً فى طريق الحاج . قال فى "تقويم البلدان" : وسميت القادسية لتزول أهل قادس بها ، وقادِسُ قرية بمرور الرُودُ ، وعليها كانت الوقعة المعروفة بوقعة القادسية .

(ومنها) عَبَّادَانُ - بفتح العين المهملة وتشديد الباء الموحدة ثم دال مهملتين الفين وفى آخرهما نون - وهى بلدة من آخر العراق من الإقليم الثالث . قال فى "الزيج" : حيث الطول خمس وسبعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة . قال ابن سعيد . وعَبَّادَانُ على بحر فارس ، وهو يحيط بها لا يبقى منها فى البر إلا القليل ، وعندهما مَصْبُ دجلة فى جنوبى عَبَّادَانَ وشرقيها ، وهى عن البصرة على مرحلة ونصف ، وفى جنوبها وشرقيها علامت للراكب يمر فارس لا يتجاوزها المراكب ، وهى حُشْبٌ منصوبة حيث يكون البحر عند الجزر فى بعض البحر . قال فى "المزى" : فى طريق العراق من الغرب القادسية وهيئ ، ومن الشرق حُلَوَانُ ، ومن الشمال سُرْمَنْ رَأَى ، ومن الجنوب الأبلَّة .

الإقليم الثالث (خُوزِسْتَانُ وَالْأَهْوَازُ)

بضم الخاء وسكون الواو وضم الزاي المعجمة وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة فوقُ وألف ثم نون . قال في "المشترك" : ويقال لها أيضا خُوزُ بضم الخاء المعجمة ثم واو وزاي معجمة . قال : وخُوزِسْتَانُ إقليم واسع بين البصرة وفارس يشتمل على مُدُن كثيرة . قال في "تقويم البلدان" : والذي يُحيط به من الغرب رُسْتاقٌ واسعٌ ودُور الراسبيّ ، ومن جهة الجنوب من عبادان على البحر إلى مَهْرُوبَان ، إلى الدُورق ، إلى حدود فارس ، ومن الجهة الشرقية التي إلى جهة الجنوب حدود فارس ، ومن الجهة الشرقية التي إلى جهة الشمال حدود أصفهان وبلاد الجبل ، ومن جهة الشمال حدود الصيّم ، والكرجة ، وجبال اللور ، وبلاد الجبل إلى أصفهان . قال : وخُوزِسْتَان في مني من الأرض ليس بها جبال ، وهي كثيرة المياه الحارّة . وتجتمع مياهه وتعرض وتتصل ببحر فارس عند حصن مَهْدِيّ .

وقاعدتها على ما ذكره صاحب حمّة في "تاريخه" (كُستَر) . قال في "اللباب" : بضم المثناة من فوق وسكون السين المهملة وفتح التاء الثانية وفي آخرها راء مهملة ، والعامّة تسميها كُستَر بإبدال التاء الأولى شينا - وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث . قال في "القانون" : حيث الطول خمس وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وجعلها في "تقويم البلدان" من الأهواز ، ولها نهر معروف بها ، بنى فيه سابور : أحد ملوك الفرس بناء عظيمًا حتى ارتفع الماء إلى المدينة ، على مرتفع من الأرض ؛ ويقال إنه ليس على وجه الأرض مدينة أقدم منها . قال في "اللباب" : وبها قبر البراء بن مالك الصحابي رضي الله عنه . وقد ذكر في "تقويم البلدان" : بخوزستان عتّة مُدُن .

(منها) السُّوس . قال في "المشترك" : بضم السين المهملَة وسكون الواو ثم سين ثانية . قال أبو الرِّيحان : وهي بالفارسية معجمة . وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمس ونحسون دقيقة . قال في "المشترك" : وهي بلدة قديمة ، قال : وبها قبر دانيال النبي عليه السلام . قال في "تقويم البلدان" : ولها بساتين وفيها ^{ترج} كالأصابع .

(ومنها) الطَّيْبُ . قال في "المشترك" : بكسر الطاء المهملَة وسكون المثناة من تحتها وفي آخرها باء موحدة ، وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال في "المشترك" : وهي بلدة بين واسط وبين الأهواز . ثم قال : وفيها عجائب ولم يذكر ما هي ؛ وإلى الطَّيْب هذد ينسب الطَّيْبُ صاحبُ الحواشي على "كشف الزمخشري" .

(ومنها) جُبِّي . قال في "المشترك" : بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة وياه آخر الحروف في الآخر . وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم العرفية . قال في "الأطوال" : حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاثون درجة ونحسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي كثيرة النخل . قال : وإليها ينسب أبو علي ^(٢١) الجبائي المعتزلي .

(ومنها) مَهْرُوبَانُّ . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الميم وسكون الهاء وضم الراء المهملَة وسكون الواو ثم باء موحدة وألف ونون . وعنها ابن حوقل وآبن

(١) في معجم البلدان "بالضم ثم التشديد والقصر" .

(٢) أي على غير قياس والقياس جُبِّي .

سعيد من فارس؛ وهي مدينة من فارس صغيرة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ست وسبعمون درجة وعشرون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة . وهي فرضة أرجان وما والاها . قال في "العريزي" :
وهي على البحر .

(ومنها) أرجان . قال في "اللباب" : بفتح الألف وسكون الراء المهملة وفتح الجيم وفي آخرها نون بعد الألف . وقال ابن الجواليقي في المعرّب من العجمية للمربية : إنها بتشديد الراء . وقال ابن حوقل : هي من آخر فارس من جهة خوزستان . وقال في "العريزي" : هي أول مدن فارس . وهي مدينة كبيرة كثيرة الخير، وبها النخل والزيتون بكثرة، برية بحرية، سهيلة جبلية، على مرحلة من البحر . قال في "العريزي" : وهي مدينة جليلة لها كورة وأعمال نفيسة؛ وإليها ينسب القاضي الأرجاني الأديب الشاعر .



وأما الأهواز . فقال في "اللباب" : هي بفتح الألف وسكون الهاء وفي آخرها زاي معجمة . وهي كورة من كور خوزستان المقسم ذكرها كما ذكره في "تقويم البلدان" وإن كان قد ذكر في أول الكلام على إقليم فارس أن خوزستان هي الأهواز إلا أنها غلب ذكرها فصارت كالإقليم المنفرد بذاته .
ولها عدة مدن تعرف بها .

(منها) سوق الأهواز . وهي مدينتها، فقد قال في "المشترك" : وسوق ذاهواز هي مدينة الأهواز، وذكر مثله في "العريزي" . قال في "المشترك" : وقد حُرِبَ أكثرها . قال في "العريزي" : ومنها إلى أصفهان ثمانون فرسخاً .

(ومنها) قَرْقُوبٌ . قال في "اللباب" : بضم القافين وبينهما راء مهملة ثم واو وفي الآخراء - وهى مدينة واقعة في الإقليم الثالث ، قال في "القانون" حيث الطول أربع وسبعون درجة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة . وهى مدينة مشهورة . قال في "اللباب" قرية من الطَّيِّب قال في "العزيرى" وبينهما سبعة فراسخ ومنها إلى مدينة السُّوس عشرة فراسخ .

(ومنها) جُبْدَى سَابُورَ . قال في "اللباب" : بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال المهملة بعدها مثناة من تحتها وفتح السين المهملة وألف وباء موحدة وواو وراء مهملة . وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس دقائق ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهى مدينة خِصْبَةٌ كثيرة الخير . قال ابن حوقل : وبها نخيل وزروع كثيرة ومياه . قال في "العزيرى" : منها إلى سُتْرَمَانِيَّة فراسخ ، ومنها إلى السُّوس ستة فراسخ .

(ومنها) عَسْكَرُ مَكْرَمٍ . قال في "اللباب" : بفتح العين وسكون السين المهملتين وفتح الكاف وفي آخرها راء مهملة . قال في "تقويم البلدان" : عن الثقات أن مكرم بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء المهملة ثم ميم - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ست وسبعون درجة وثمان دقائق ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال في "العزيرى" : وهى مدينة مُحَدَّثة ، وكانت قرية يزلها مكرم بن القُرْزَر أحد بني جَعْفَرٍ بِسَكْرَكَان قد أخذته به الجماج لمحاربة تُرْدَاذ بن بارس ، فأقام بها مدة وأبقي بها البناءات فسميت عَسْكَرُ مَكْرَمٍ . قال : وليس بالأهواز مدينة مُحَدَّثة سواها ، وبها عقارب صفار مشهورة بالقتل .

(ومنها) رَامَهْرُمَنْ . قال في "اللباب" : بفتح الراء المهملة والميم وضم الهاء وسكون الراء المهملة وضم الميم الثانية وفي آخرها زاي معجمة - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ست وسبعون درجة والعرض ثلاثون درجة ونحس وأربعون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي كُورَة من كُور الأهواز . قال ويقال إن سلمان الفارسي رضي الله عنه منها . قال المهلب : وبينها وبين سوق الأهواز تسعة عشر فرسخا .

(ومنها) الدُورُ . قال في "المشترك" : بفتح الدال المهملة وسكون الواو وفتح الراء المهملة وفي آخرها قاف - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول خمس وسبعون درجة ونحس وخمسون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة كبيرة . قال في "العزى" : ومنها إلى أَرْجَانْ ثمانية عشر فرسخا .

(ومنها) حِصْنُ مَهْدِيٍّ . وضبطه معروف ، وموقعه في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : حيث الطول أربع وسبعون درجة ونحس وأربعون دقيقة ، والعرض ثلاثون درجة ونحس وأربعون دقيقة . وهو حصن تجتمع فيه مياه خوزستان ثم تصير نهرا وتصب في بحر فارس ، وبينه وبين البصرة خمسة عشر فرسخا .

(ومنها) جُرْحَانُ . قال في "اللباب" : بضم الجيم وسكون الراء المهملة وخاء معجمة ثم ألف ونون . قال : وهي بلدة بقرب الشوس .

(ومنها) جِبَالُ اللُّور . قال في "اللباب" : بضم اللام وسكون الواو وفي آخرها راء مهملة . قال : وبها جبال يقال لها لُورُستان من بلاد خُوزُستان . وقال ابن حوقل : غالب بلاد اللور جبال وكانت قديما من خُوزُستان ، قال في "توهم البلدان" : وهي بلاد خُصْبَةٌ والغالب عليها الجبال ، وهي متصلة بخوزستان ولكن

أُقرئت عنها . قال في "الأطوال" : وهى بين نُستَر وأصْبَهَان ، وأمتدادها طولاً نحو ستة أيام ، وفيها خَلْقٌ عظيم من الأكراد . قال : وهى حيث الطول أربع وسبعون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة . قال في "مسالك الأبصار" : وهم طائفة كثيرة العدد ومنهم فِرَقٌ مفرقة في البلاد ، وفيهم مُلُك وإمارة ، ولم خِفة في الحركات يقف الرجل منهم إلى جانب البناء المرتفع وبلُصق بطنه باحدى زوايا القائمة ثم يصعد فيه إلى أن يرتقى صهوة العُليا .

ومما يحكى أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حضره رجل منهم وصعد في جدار كذلك ، فأنعم عليه الإنسَامُ الجزيل وأمره أن يُحضِر كل من قدر عليه من أصحابه فأحضر منهم جماعة ، وهو يُمَيِّن إليهم إلى أن لم يبقَ منهم أحدٌ فقتلهم عن آخرهم خشيةً مما لهم من قوة التسوّر ، ومن هؤلاء طوائف بمصر والشام يُرتَوون بالنُورة ، يجالس أحدهم الرجل فيسرق ماله وهولا يدري ، ويمشون على الجبال المرتفعة ولنسائهم في ركوب الخيل القروسية العظيمة .

الإقليم الرابع

(فارس)

بفناء مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهملة مكسورة وسين مهملة في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : ويحيط ببلاد فارس من جهة الغرب حدودُ خُوزِسْتَان ، وتنام الحدّ الغربى إلى جهة الشمال حدودُ أَصْفَهَان والجبال ، ويحيط بها من جهة الجنوب بحر فارس ، ومن جهة الشرق حدودُ كَرْمَان ، ومن جهة الشمال المُقَاذَة التى بين فارس وخراسان ، وتنام الحدّ الشمالى حدودُ أَصْفَهَان وبلاد الجبال ، قال في "العزيزى" : وعلى نهاية فارس الشرقية ناحية يَزْد ، وعلى نهايتها من الجنوب سِيرَاف والبحر ، وحدها

من الشمال الرّبيّ . قال ابن حوقل : وقاعدتها فيما ذكره صاحب حماة في تاريخه : (شيراز) . قال في "اللباب" : يكسر الشين المعجمة وسكون المثناة من تحت وفتح الراء المهملّة وفي آخرها زاي معجمة بعد الألف - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثمان وسبعون درجة، والعرض ثمان وعشرون درجة وست وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة إسلامية محدّثة، بناها محمد بن القاسم بن أبي عقيل التّقيّ^(١)، وهو ابن عم الحجاج بن يوسف . قال : وسميت بشيراز تشبيهاً بحوف الأسد لأنّ عامّة الميرة بتلك النواحي تُحمّل إلى شيراز ولا يحمل منها شيء إلى غيرها . قال المهلبّي : وهي مدينة واسعة سرية كثيرة المياه؛ وشربهم من عيون تتفرّق البلد وتجرى في دُورهم، وليس تكاد تخلو دار بها من بُستان حسن ومياه تجري، وأسواقها عامرة جليّة؛ واليه ينسب الشيخ أبو إسحاق الشيرازيّ صاحب "التّبيه" رحمه الله؛ وبها قبر سيّويه النحويّ، وبينها وبين أصبهان اثنتان وسبعون فرسخاً؛ وبها حاكم يكتّاب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) جُور . قال في "اللباب" : بضم الجيم ثم واو وراء مهملة - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول ثمان وسبعون درجة، والعرض إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" . وهي من قواعد فارس . قال ابن حوقل : وعليها سور من طين وخندق؛ ولها أربعة أبواب وفيها المياه جارية - وهي مدينة زُرّة كثيرة البساتين جدّاً ويرتفع منها ماء ورد يُسمّى البلاد، وهي في ذلك كمنشَق . قال "الزّيري" : ومنها إلى شيراز أربعة وعشرون فرسخاً، وقال في موضع آخر عشرون فرسخاً .

(١) كذا في التقويم أيضاً وفي سيم البلدان ابن عقيل .

(ومنها) كَازَرُونُ . قال في "اللباب" : بفتح الكاف وسكون الألف وفتح الزاي المعجمة وضم الراء المهملة وواو ساكنة وفي آخرها نون - وهي مدينة من كُورَة سابور واقعة في الإقليم الثالث . قال في "القانون" حيث الطول سبع وسبعون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة ونحسون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي أعظم مدينة في كُورَة سابور . وقال المهلب : هي مدينة لطيفة صالحة العبارة . قال ابن حوقل : وهي صحبة التربة والهواء ومائها من الآبار . قال في "اللباب" : ونخرج منها جماعة من العلماء .

(ومنها) قِيرُوزَابَاد . قال في "المشترك" : بفتح الفاء وكسرهما وسكون المثناة من تحت وضم الراء المهملة ثم واو ساكنة وزاي معجمة ثم ألف وباء موحدة وألف ثانية وذال - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول سبع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون درجة وعشر دقائق . قال في "المشترك" : وكانت تسمى في القديم جُور ثم غيرَ اسمها ، وهي بلدة مشهورة على الغرب من شيراز ، وهي أصل بلد الشيخ أبي إسحاق الشيرازي المقدم ذكره في شيراز .

(ومنها) سِيرَاف . قال في "اللباب" : بكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحت وفتح الراء المهملة وفاء في الآخر - وهي بلدة على البحر واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثمان وسبعون درجة ، والعرض ست وعشرون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي أعظم قُرْصَة لفارس ، وليس لها زرع ولا ضرع بل هي مدينة حَطَّ وإقلاع للراكب ، وهي مدينة أهلة ، ولهم عناية بالبُنيان حتى إن الرجل من التجار ينفق في عمارة داره ثلاثين ألف

دينار، وليس حولها بساتين ولا أشجار، وبنائهم بالساج والخشب، يحمل اليهم من بلاد الزنج، وهي شديدة الحر.

(ومنها) البيضاء - بفتح الموحدة وسكون اليا المثناة من تحت وفتح الضاد المعجمة وألف في الآخر. وهي مدينة من عمل إصطخر واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة. قال في "القانون": حيث الطول ثمان وسبعون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة. قال ابن حوقل: وهي من أكبر مدُن كورة إصطخر. قال: وسميت البيضاء لأن لها قلعة بيضاء ترى من بُعد، وأسمها بالفارسية نسانك، ويقال إن الحسين الحلاج منها، وإليها ينسب القاضي ناصر الدين البيضاوي صاحب "المنهاج" في أصول الفقه، و"الطوال" في علم الكلام وغير ذلك. قال المهلب: وبينها وبين شيراز ثمانية فراسخ.

(ومنها) إصطخر. قال في "اللباب": بكسر الألف وسكون الصاد وفتح الطاء المهملة وفي آخرها راء مهملة قبلها خاء معجمة - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة. قال ابن سعيد حيث الطول تسع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة وأثنان وثلاثون دقيقة. قال في "تقويم البلدان": وهي من أقدم مدُن فارس، وبها كان سرير الملوك في القديم، وبها آثار عظيمة من الأبلية حتى يقال إنها من عمل الجن كما يقال عن تدمر وبلبك من بلاد الشام. قال في "العزري": وبينها وبين شيراز اثنا عشر فرسخا. قال [وينسب إليها] أبو سعيد الإصطخري أحد أصحابنا الشافعية.

(ومنها) بسا. قال في "اللباب": بفتح الباء الموحدة والسين المهملة ثم ألف - وهي مدينة من كورة ديار بجرّد واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة. قال

(١) الزائد مأخوذ بالمعنى من "تقويم البلدان".

في "الأطوال" حيث الطول ثمان وسبعون درجة ونحوه ونحوه دقيقة ،
والعرض تسع وعشرون درجة . قال ابن حوقل : وهي تقارب شيراز في الكبر وأكثر
خشب أبنيتها السرو ، ويجمع فيها الطلح (؟) والرطب والجوز والأترج ، وإليها ينسب
الساسري الذي خطب لخلقاء مصر في بغداد .

(ومنها) يزد . قال السمعاني في "الأنساب" : بفتح المثناة التحتية وسكون الزاي
المعجمة وفي آخرها دال مهملة - وهي مدينة من كورة إصطخر . قال في "الأطوال"
حيث الطول ثمان وسبعون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة . يخرج منها
جماعة من العلماء وإليها ينسب القماش اليزدي .

ومنها - (داراً بيجرد) . قال في "اللباب" : بفتح الدال المهملة وسكون الألفين
بينهما راء ثم باء موحدة وجيم مكسورة وراء مهملة ساكنة وفي آخرها دال مهملة -
وهي مدينة من فارس واقعة في الإقليم الثالث . قال في "القانون" حيب الطول
ثمان وسبعون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : ومعنى
دارا بيجرد تحمل دارا ، وهي مدينة لها سور وخندق تتولد المياه فيه ، وفيه حشيش
يلتف على السابح فيه حتى لا يكاد يسلم من الفرق ، وفي وسط المدينة جبل كالقبة
ليس له اتصال بشيء من الجبال ، وبنواحيها جبال من الملح الأبيض والأسود
والأصفر والأحمر والأخضر ، نجت منه ويحمل منها إلى البلاد . قال في "المشارك" :
وعملها من أجل كود فارس . قال في "العزيزي" : وبأعمالها معدن موريا
ومعدن زئبق .

الإقليم الخامس (كُرمات)

كما قاله في "مسالك الأبصار" : قال في "المشرك" : بفتح الكاف، ومنهم من يكسرها . قال : وهو صُقع كبير بين فارس ومِجِسْتَانْ ومُكْرَانْ من بلاد الهند . ويحيط به من جهة الغرب حدود فارس ؛ ومن جهة الجنوب بحر فارس ؛ ومن جهة الشرق أرض مُكْرَانْ من وراء البلُوص إلى البحر ؛ ومن الشمال المُقَاذَة التي هي فيما بين فارس وكُرمات وبين نُحْرَاسَان . قال في "تقويم البُلْدَان" : وأرض كُرمات داخلية في البحر ، والبحر ساعدان قد اعتنقا أرض كُرمات ، فالبحر على ساحل كُرمات قطعة قوس من دائرة . وقاعدتها فيما ذكره المؤيد صاحب حماة في "تاريخه" السَّيرجَان . قال في "اللباب" : بكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحتها والراء المهملة وفتح الجيم وبعد الألف نون - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" حيث الطول ثلاث وثمانون درجة، والعرض اثنتان وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي أكبر مدينة بكرمات، وأبنيتها أقباء لقلة الخشب بها وداخلها قُتِي الماء . قال في "اللباب" : وهي مما يلي فارس . وتشتمل كُرمات على عتة مُدُن .

(١) (منها) جِيْرُفْت . قال في "اللباب" : بكسر الجيم وسكون المثناة تحت وضم الراء المهملة وسكون الفاء وفي آخرها تاء مشناة من فوق - وموقعها في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثلاث وثمانون درجة، والعرض اثنتان وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي مدينة تجمع للتجار الواصلين من نُحْرَاسَانْ ومِجِسْتَانْ،

وهي حصينة للغاية . قال المهلبى : وهي من أعظم مدينة بكران كثيرة النخل والأترج وبينها وبين السرجان مرحلتان .

(ومنها) زَرْدُ . قال في "المشترك" : بفتح الزاى المعجمة والراء المهملة وسكون النون وفي آخرها دال مهملة - وموقعها في الإقليم الثالث . قال في "القانون" حيث الطول ثلاث وثمانون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة . قال في "المشترك" : وهي مدينة مشهورة . قال "المهلبى" : وبينها وبين مدينة السرجان تسعة وعشرون فرسخا .

(ومنها) بَم . قال في "الباب" : بفتح الباء الموحدة ونسديد الميم - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "العزى" : وهي من كبار مدُن كَرْمَانَ ، وهي مصر من الأمصار . قال ابن حوقل : وهي أكبر من جِرْفَتَ ، وبها ثلاثة جوامع .

(ومنها) هُرْمُرُ . قال في "المشترك" : بضم الهاء وسكون الراء المهملة وضم الميم وفي آخرها زاي معجمة - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول خمس وثمانون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي قُرْصَةُ كَرْمَانَ . قال في "المشترك" : تدخل إليها المراكب من بحر الهند في خليج . قال صاحب حماة : وهي مدينة كثيرة النخل شديدة الحر . ثم قال : أخبرني من رآها في زماننا يعني في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون أن هُرْمُرَ العتيقة نخرت من غارات التتروان أهلها أنتقلوا عنها إلى جزيرة في البحر تسمى زَرُونَ - بفتح الزاى المعجمة وضم الراء : المهملة ثم واو وفي الآخرون - وهي جزيرة قريبة من البرغري هُرْمُرَ العتيقة ،

ولم يبق بهرمز العتيقة إلا قليل من أطراف الناس ؛ ومنها إلى أول حدود فارس نحو سبع مراحل .

قلت : وفي سنة ثلاث عشرة وثمانمائة كُتِبَ إلى صاحبها عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية في النولة الناصرية أبي السعادات فرج بن السلطان الشهيد الظاهر برقوق ، وسيأتي الكلام على صورة المكتبة إليه في المكتبات في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

الإقليم السادس (بجستان والرُخج)

أما بِجِسْتَانُ فقال في "المشترك" : بكسر السين المهملة وكسر الجيم وسكون السين الثانية ثم مثناة من فوقها وألف ونون . قال : وبِجِسْتَانُ إقليم عظيم بين نُحْرَاسَانَ وبين مُكْرَانَ والسند وبين كَرْمَانَ . قال ابن حوقل : ويحيط بِجِسْتَانُ من جهة الغرب نُحْرَاسَانَ ، ومن جهة الجنوب المفازة التي بين بجستان وفارس وكَرْمَانَ ، ومن جهة الشرق مَفَازَةٌ بين بجستان وبين مُكْرَانَ ، وهي المفازة الواصلة بين مُكْرَانَ والهند^(١) ، وتقام الحدّ الشرق في شيء من عمل المُكْتَنان من الهند ، ومن جهة الشمال أرض الهند ، وفيها على نحر اسان والفُور والهند تقويس . وقال في "العزيزي" : بجستان شرق كَرْمَانَ إلى الشمال . قال ابن حوقل : وأراضى بِجِسْتَانُ بها الرمال والنخيل ، وهي أرض سهلة لا يُرى فيها جبل ، وتشتد بها الريح وتدمم ، وبها أرحية تطفح بالريح ، والرياح تنقل رمالهم من مكان إلى مكان ، وإذا أرادوا نقل الرمل عن مكان ، عملوا هناك حائطا من خشب أو غيره وجعلوا في أسفله طوقا وأبوابا

(١) في "تقوم البلدان" والسند وهو الصواب بدليل ما سيأتي .

فقدخل فيها الريح من تلك الأبواب وتطير الرمل وتربيه بيدا، وبجستان خصبة كثيرة الطعام والتمر والأعاب وأهلها ظاهر واليسار . وقال في "اللباب" : والنسبة إلى بجستان بجزى بكسر السين المهملة وسكون الجيم ثم زاي معجمة على غير قياس . قال : وينسب إليها بجستانى أيضا يعنى على الأصل .

وقاعدتها (زَرْجُجْ) . قال في "اللباب" : بفتح الزاي المعجمة والراء المهملة وسكون النون وجيم في الآخر . وهى مدينة كبيرة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبع وثمانون درجة، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وقد يطلق على زَرْجُجْ نفسها بَجِسْتَانُ . قال في "المشرك" : بل أنشئ اسم زرجج وأطلق اسم الإقليم وهو بجستان على المدينة . وجعل في "اللباب" : زَرْجُجْ ناحية بسجستان . قال ابن حوقل : ولها سورٌ وَخَنَقٌ يَبُيعُ فيه الماء، وأبنيتها عقود لأن الخشب فيها يسوس ولا يَبُتُّ . وفيها مياه تجري في البيوت والأزقة وأرضها سبخة . قال في "اللباب" : ونخرج منها جماعة من العلماء منهم محمد بن كَرَامَ الزُّرْجُجِيِّ صاحب المذهب المشهور . ولها مُدُنٌ .

(منها) جِصْنَ الطاق - وضبطه معروف . قال ابن سعيد : وهو حصن واقع في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول ثمان وثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة، على جبل عند أتواء النهر في غاية المنعة لا يرام يحصار . قال وبه يعتصم ملوك هذه البلاد ويعملون فيه خزائهم . أما الطاقُ المضاف إليها فمدينة صغيرة لها رُستاق، وبها أعاب كثيرة يتسع بها أهل بَجِسْتَان .

(ومنها) سَرَوَان . قال في "تقويم البلدان" : قال بعض الثقات - بفتح السين وسكون الراء المهملة - وقع الواو ثم ألف ونون - وهي مدينة من آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول تسعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة صغيرة بها فواكه كثيرة ونخيل وأعناب .

(ومنها) بُسْتُ . قال في "اللباب" : بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفي آخرها تاء مثناة من فوقها - وهي مدينة على شط نهر الهند مند . قال في "القانون" : حيث الطول إحدى وتسعون درجة وثمان وثلاثون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة كبيرة خصبة كثيرة النخل والأعناب . وقال في "اللباب" : هي مدينة حسنة كثيرة المياه والخضرة . وقال في "العزيزي" : مدينة جليظة بها عتة منابر ورياحات كثيرة عظيمة . وذكر في "اللباب" : أنها من بلاد كابل بين هراة وغزنة . قال ابن حوقل : وبينها وبين غزنة نحو أربع عشرة مرحلة .

وأما (الرُخج) فقال في "اللباب" : بضم الراء المهملة وفتح الخاء المعجمة المشددة وفي آخرها جيم . قال ابن حوقل : وهو إقليم عظيم متصل بـسجستان فيه مدة مدن وهي على غاية الخصب والسعة . قال : ومن منها بـجوان (؟) ولم يزد على ذلك .

الجانب الثاني

(من مملكة إيران الشمالي)

ويشتمل على عدة أقاليم من الأقاليم العرفية .

الإقليم الأول (إرمينية)

قال ياقوت : بكسر الهمزة وسكون الراء المهملة وكسر الميم وسكون الياء آخر الحروف وكسر النون ثم ياء ثانية مخففة وقد تشدد - وضبطها في "اللباب" : بفتح الهمزة . قال في "تقويم البلدان" : وقد جمع أرباب المسالك والممالك إرمينية وأزنان وأذربيجان لعسر أفراد إحداها عن الأخرى . قال : ويحيط بها على سبيل الإجمال من الغرب حدود بلاد الروم وشيء من حدود الجزيرة ؛ ومن جهة الجنوب بعض حدود الجزيرة وحدود العراق ؛ ومن جهة الشرق بلاد الحيل والدليم ؛ إلى بحر الخزر ؛ ومن جهة الشمال بلاد القتيق ؛ ثم أفرد أذربيجان بحدود تخصها فقال : يحدها من جهة الشرق بلاد الجليل وتام الحد الشرق بلاد الديلم ؛ ويحدها من جهة الجنوب العراق عند ظهر حلوان وشيء من حدود الجزيرة . وذكر في "مسالك الأبصار" نحوه إلا أنه ذكر أن حدها الغربي إلى بلاد الأرمن . قال ابن حوقل : والفلب على إرمينية الجبال .

وقاعدتها (الدبيل) فيما ذكره ابن حوقل والمهلبي . قال في "المشترك" : وهي بفتح الدال المهملة وكسر الباء الموحدة ثم مثناة من تحتها ساكنة وفي آخرها لام - وتوقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول اثنتان وسبعون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي مدينة كبيرة والنصارى فيها كثيرة ، وبها جامع للساميين إلى جانب كنيسة النصارى . قال في "المزني" : وهي من أجل البلاد وأخصها وهي مستقر سلطانها . وبها عتقة مدن .

(منها) أَرْزَنْجَانُ . قال في "تقويم البلدان" : ففتح الحمزة وسكون الراء المهملة وفتح الزاي المعجمة وسكون النون وفتح الجيم ثم ألف ونون، ويقال بالكاف أيضا عوضا عن الجيم - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثلاث وستون درجة، والعرض تسع وثلاثون درجة ونحسون دقيقة . قال ابن سعيد : وهي بين سيواس وبين أَرْزَنَ الروم، وبينها وبين كل واحدة منها أربعمائة فرسخا . وما بينها وبين أَرْزَنَ كله مروج ومرعى، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) أَرْزَنُ . قال في "المشترك" : ففتح الحمزة وسكون الراء المهملة وفتح الزاي المعجمة ثم نون في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وهي من أطراف إرمينية - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول خمس وستون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة ونحس ونحسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي غير أَرْزَنَ الروم، وهي عن خلاط على ثلاثة أيام . قال : وهم في "اللباب" بفعلها من ديار بكر من الجزيرة ، والصحيح ما تقدم . وصاحبها يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، على ما سيأتي ذكره في الكلام على المكتوبات في المقالة الثانية فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(ومنها) بَدْلِسُ . قال في "تقويم البلدان" : بكسر الباء الموحدة ثم دال مهملة ساكنة ولا م وياء مثناة من تحت ساكنة وسين مهملة . قال : وعن بعضهم أنها بفتح الباء الموحدة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول خمس وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة

ونحس وأربعون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وعن بعض أهل تلك البلاد أنها بين ميا قَارِقَيْنِ وبين خَلَاط . قال : وهي مدينة مسورة . وقد خرب نصف سورها ، والمياه تخرق المدينة من عيون في ظاهرها ، ولها بساتين في وادٍ وهي بين جبال تَحْفُ بها . قال وهي دون حماة في القدر . وقال ابن حوقل : بلد صغير عامر خُصْبٌ كثير الخير ، وهي شديدة البرد كثيرة الثلوج ، وصاحبها يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية على ما سيأتى ذكره في الكلام على المكتابات في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

(ومنها) أَخْلَاط . قال في "تقويم البلدان" : بفتح المعجمة وسكون الخاء المعجمة وفتح اللام ثم ألف وطاء مهملة ، ويقال فيها خَلَاط ^(١) بفتح الخاء من غير همز - وموقعها في الإقليم الخامس . قال في "الأطوال" حيث الطول نحس وستون درجة ونحسون دقيقة ، والعرض تسع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : عن بعض أهلها إنها في مستو من الأرض ، ولها بساتين كثيرة . وبها عِدَّةُ أنهار على شِبْهِ أنهار دِمَشْقَ ، وليس يدخل المدينة منها إلا النسيء اليسير ، ولها سور خراب ، وهي قَدْرُ دِمَشْقَ ، والجبال عنها على أكثر من مسيرة يوم ، وبردتها شديد . قال ابن سعيد : وهي أجمل مدينة بإرمينية ، وذكرها جليل الشيرة . وقال ابن حوقل : وهي بلدة صغيرة عامرة كثيرة الخير . قال في "العزى" : وبينها وبين بَلَيْس سبعة فراسخ .

(ومنها) خِرْتِ بَرْت - بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء وتاء مثناة فوق ثم باء موحدة مكسورة بعدها راء مهملة ساكنة وتاء مثناة فوق في الآخر ، وتعرف

بِحَصْن زِيَاد . قال في "تقويم البلدان" : وهي بلدة بإرمينية على القرب من خَلَّاط ، وحاكمها يَكْتَب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

الإقليم الثاني (أذربيجان)

قال ابن الجوالقي في "المعرب من العُجْمَة إلى العربية" بقصر الألف وإسكان النزال المصجمة . قال ابن حوقل : الغالب عليها الجبال أيضا . قال في "مسالك الأبصار" : وهي أجل الأقاليم الثلاثة ، وهي كانت قَرَارَ ملوك بني جَنْجَرخان . وبها ثلاث قواعد .

القاعدة الأولى (أَرْدُبِيلُ)

قال في "اللباب" : بفتح الهمزة وسكون الراء وضم الدال المهملة وسكون الباء الموحدة وسكون الباء المثناة من تحت ولام في الآخر . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ونحوون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال في "اللباب" : لعله بناها أَرْدَبِيل بن أَرْدَنْبِي بن لَمْطِي بن يُونان فنسبت إليه . قال في "العزيزي" : وهي في الجهة الشمالية من أَذَرْبَيْجَان . قال : وهي مدينة كثيرة الحُصْب ، وعلى فرسخين منها جبل عظيم الارتفاع لا يفارقه الثلج . قال المهلبي : وأهلها غليظو الطبع شرسو الأخلاق . قال : وبينها وبين تبريز خمسة وعشرون فرسخا . قال في "مسالك الأبصار" : وأعمالها تكون ثلاثين فرسخا . قال : وبها كانت دار الإمارة في صدر الإسلام .

(١) كذا في النجوم أيضا وضبطه ياقوت بفتح الدال وهو المشهور .

القاعدة الثانية

(تَسْبِيْرُ)

قال في "اللباب": بكسر المثناة من فوق وسكون الباء الموحدة وكسر الراء المهملة ثم مثناة من تحت وفي آخرها زاي معجمة ، والجاري على ألسنة العامة توريْز بالواو بدل الموحدة - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض تسع وثلاثون درجة ونحوه وأربعون دقيقة . قال ابن سعيد : وهي قاعدة أذربيجان في عصرنا . قال في "اللباب" : وهي أشهر بلدة بأذربيجان ؛ وبها كان كرسى بيت هولاكو من التتر ، ثم انتقل بعد ذلك إلى السلطانية الآتية ذكرها . ومبانيها بالقاشاني والحِصّ والكِلْس ، وبها مدارس حسنة ولها غوطة رائعة . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة أعمرت في السعادة أنسابها ، وثبتت في النعمة قواعدها . قال : وهي مدينة غير كبيرة المقدار . والماء منساق إليها ؛ وبها أنواع الفواكه لكن ليست بفاية الكثرة ، وأهلها من أكبر الناس حشمة ، وأكثرهم تظاهرا بنعمه ؛ ولهم الأموال المديدة ، والنعم الوفرة ، والنفوس الأبية ؛ ولهم التجل في زيهم : من المأكول والمشروب ، والملبوس والمركوب ؛ وما منهم إلا من يأنف أن يذكر الدرهم في معاملته ، بل لا معاملة بينهم إلا بالدينار . وسيأتي ذكر مقدار دينارهم في الكلام على معاملة هذه المملكة فيما بعد إن شاء الله تعالى - وهي اليوم أم إيران جميعا توجّه المقاصد من كل جهة إليها ، وبها يحطّ رجال الثّجّار والسّفّار ؛ وبها دور أكثر الأمراء الكبراء المصاحين لسلطانها لقربها من أَرْجان محلّ مَشْتاهم . قال : ويشتدّ البرد بتوريْز كثيرا ، وتوالى التلوج بها حتى إن سُرّوات أهلها يمحّذون في أدريهم ، ليس فيها فرجة ولا يدخلها ضوء إلا ما يروّنه من طاقات حيطانها من وراء الزجاج المركب عليها .

القاعدة الثالثة

(السُّلْطَانِيَّةُ)

نسبة إلى السلطان ، وأسمها هُنُتُلَان . قال في "تقويم البلدان" : يضم القاف وسكون النون وضم الغين المعجمة وسكون الراء المهملة ولام ألف ونون - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول ست وسبعون درجة ، والعرض تسع وثلاثون درجة . قال : وهي عن توريز في سمت المشرق بيملة يسيرة إلى الجنوب على مسيرة ثمانية أيام منها - وهي مدينة مُحَدَّثَةٌ ، بناها خربندا بن أرغون بن أبنا بن هولاكو ، على القرب من جبال رِكِلَان ، على مسيرة يوم منها ، وجعلها كرمي مملكته ، وهي في مستو من الأرض ، ومياهها فُتِي ، قليلة البساتين والقواكه ، وإنما تجلب إليها القواكه من البلاد المُصَاقِبَةِ لها . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة قد رُفِعَ بناؤها ، وأتسع فَنَائِها ، وأُثْقِنَتْ فقسمتها في الخلط والأسواق ، وجَلَبَ إليها بانها الناس من أقطار مملكته ، وأستجلبهم إليها بما بسط لسكَّانها من العدل والإحسان . قال : وهي الآن عامرة أهلة كأنما مر عليها مئو ثون سنين لكثرة من آستوطنها وتآهل بها وأولد من الولد فيها ، وقد مضت عليها مدة بنوها مَبَالِغُ الرجال ، وفيهم من جاز إلى الأكتال .
وبها عِدَّةُ مَدُنٍ غير هذه القواعد .

(منها) سَلْمَاسُ . قال في "اللباب" : بفتح السين المهملة واللام والميم وفي آخرها سين مهملة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال المهلِّي : وهي على آخر حدود أذربيجان من الغرب ، وهي مصر من الأمصار جليل والمتاجر بها وإليها متصلة .

(١) لله "حتى بلغ بنوها" أو نحو ذلك .

(ومنها) حُوى . قال في " اللباب " : بضم الحاء وفتح الواو وتشديد المشنة من تحت - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " حيث الطول تسع وستون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال في " اللباب " : وهي آخر مُدُنْ أذربيجان، وبينها وبين سَلَمَاسَ أحد وعشرون ميلا .

(ومنها) أُرْمِيَّة . قال في " اللباب " : بضم الألف وسكون الراء المهملة والميم في آخرها هاء بعد ياء مشاة من تحتها . قال ابن الجوالقي في " المعزب " : ويجوز في قياس العربية تخفيف الياء منها وتشديدها - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " القانون " حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال المهلبي : وهي آخر حدود أذربيجان، وهي مدينة جليلة . قال : ويقال إن زَرَادُشت نبي المجوس منها . قال في " تقويم البلدان " : وعن بعض أهلها أنها مدينة وَسْطِي عاصمة، وهي في أوّل الجبال وآخر الوطاة . في الغرب عن سَلَمَاسَ على ستة عشر فرسخا منها، وبينها وبين الموصل قاعدة الجزيرة أربعون فرسخا، والموصل في سمت الغرب عنها، ولأُرْمِيَّة قلعة على جبل تسمى قلعة تلا في غاية الحصانة، كان هولاكو قد جعل أمواله فيها لحصاتها والنسبة إلى أُرْمِيَّة أُرْمِيَّة .

(ومنها) مَرَاغَة . قال في " المشترك " : بفتح الميم والراء المهملة وألف وغين معجمة وهاء - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " القانون " حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وعشر دقائق، والعرض سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال المهلبي : وهي مدينة مُحْتَدَة كانت قرية، فنزل بها مَرْدَان بن محمد وكان

(١) التي في " تقويم البلدان " وهي في آخر الجبال وأوّل الوطاة التي خلف جبال المعج .

هناك سرجين^(١) فترغ الناس فيه دوابهم فبناها مدينة فسميت مراغة . قال ابن حوقل :
وهى من قواعد أذربيجان ، وهى حصينة ، نزهة كثيرة البساتين والرساتيق ،
(ومنها) بياحج . قال فى "المشترك" : بفتح الميم والمنشأة من تحتها وسكون الألف
وكسر التون وفى آخرها جيم - وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال
فى "القانون" : حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة .
قال فى "المشترك" : وهى مدينة كبيرة على مسيرة يومين من مرآغة . وسمّاها
فى "الباب" : ميانة بفتح الميم والمنشأة من تحتها وألف ونون وهاء . وقال : نخرج
منها جماعة من العلماء .

(ومنها) مرند . قال فى "الباب" : بفتح الميم والراء المهملة وسكون التون وفى آخرها
دال مهملة - وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" : حيث
الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال فى "الباب" :
وهى قرية من تبريز فى جهة الشرق عنها بميلة يسيرة إلى الشمال . وقال المهلبى :
هى عن تدمر على أربعة عشر فرسخا . قال فى "تقويم البلدان" : وذكر من رآها
أنها بلدة صغيرة ذات أنهار وأشجار .

الإقليم الثالث (آران)

قال فى "المشترك" : بفتح الهمزة وتشديد الراء المهملة ثم ألف ونون .
ولها قاعدتان .

(١) فى "تقويم البلدان" عن ابن حوقل "خبة" .

القاعدة الأولى

(برّدة)

قال في " اللباب " : بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح الدال المهملتين ثم عين مهملّة وهاء في الآخر - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في " القانون " حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة . قال في " تقويم البلدان " : وهي قاعدة تملكه أزان . وقال في " اللباب " : هي من أقاصي أذربيجان . قال ابن حوقل : وهي مدينة كبيرة كثيرة الحُصْب تَزْهه . قال : وعلى أقل من فرسخ منها موضع [يسمى الأندراب يكون] مسيرة يوم في يوم بساتين مشبكة كلها فواكه . قال المؤيد صاحب حماة : هذا ما كانت عليه في زمان ابن حوقل ، أما في زماننا فأخبرني من رعاها أنها خربت ولم يبق منها معمور إلا دون المَعْرَة في القدر ، وهي في مستو من الأرض ذاتُ بساتين ومياه ، وهي على القرب من نهر الكُرّ .

القاعدة الثانية

(تَقْلِس)

قال في " اللباب " : بفتح المثناة فوق وسكون الفاء وكسر اللام وسكون المثناة التحتية وفي آخرها سين مهملّة - وموقعها في آخر الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في " القانون " : وهي قَصَبَة كرجستان . وقال في " اللباب " : هي آخر بلدة من أذربيجان . قال ابن حوقل : وهي مدينة مسورة عليها سُورَان ، ولها ثلاثة أبواب ، وبها حَمَامَات مثل حَمَامَات طَبْرِيَّة مَأْثُهَا يَنْبُعُ بِخُفْضَا بَغِير نَار ، وهي كثيرة

الخطيب . قال ابن سعيد : وكاتب المسلمون قد فتحوها وسكنوها مدة طويلة ،
 وخرج منها جماعة من العلماء ، ثم أسترجمها الكُرُج وهم نصارى ، وهى بأيدى الكُرُج
 إلى الآن ؛ وملك الكُرُج صاحبها يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية على
 ما ساقى ذكره فى الكلام على المكتبات فى المقالة الرابعة فيما بعد إن شاء الله تعالى .
 وبها عدة مدن .

(منها) تَسْوَى . قال السمعاني فى "الأنساب" : بفتح النون والشين المعجمة
 وفى آخرها واو ثم ياء آخر الحروف . وسماها ابن سعيد قَحْوَان - بفتح النون وسكون
 القاف وفتح الجيم والواو وبعد الألف نون - وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم
 السبعة . قال فى "الأطوال" : حيث الطول إحدى وسبعون درجة وثلاثون
 دقيقة ، والعرض تسع وثلاثون درجة . قال ابن سعيد : وهى من المدن المذكورة
 فى شرق أَرَان . "قال السمعاني" : وهى بلدة متصلة بإرمينية وأذربيجان . قال
 ابن سعيد : وهى فى شمالى نهر الكُر . قال فى "الأنساب" : وبينها وبين تَرِيزنة
 فراسخ . قال ابن سعيد : وقد تحربها التتروقتلوا جميع أهلها .

(ومنها) مُوقَان . قال فى "اللباب" : بضم الميم وسكون الواو وفتح القاف
 وسكون الألف وفى آخرها نون . والعامة تُبدل القاف غينا معجمة فيقولون مُوْغان .
 قال فى "الأطوال" : حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون
 درجة . قال السمعاني : وهى بَدْرَبَنْدَ فيما أظن ، وقال المهلبى : هى من عمل أَرْدَبِيل .
 وقال المهلبى : مُوقَانُ فى نهاية بلاد كِلَانَ فى جهة الغرب . قال ابن حوقل : وبينها
 وبين باب الأبواب يومان . قال فى "تقويم البلدان" : لم يبق للمدينة مُوقَان فى هذا
 الزمان شهرة بل المشهور أراضى مُوقَان ، وهى أراضى كثيرة المياه والأغصان والمرعى

في ساحل بحر طبرستان على القرب من البحر، وهي في سمت الشمال والغرب، عن يمين
على نحو عشر مراحل منها، وبها يشق أردو التتر في غالب السنين .

(ومنها) شَمَكُورُ . قال في "اللباب" : بفتح الشين المعجمة وسكون الميم وضم
الكاف وسكون الواو وفي آخرها راء مهملة - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم
السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثلاث وسبعون درجة، والعرض
إحدى وأربعون درجة ونمسون دقيقة . قال في "اللباب" : وهو حصن من أعمال
أَرَان . قال في "تقويم البلدان" : وَشَمَكُورُ بِقُرْبِ بَرْدَعَة، وبها منارة في غاية
الارتفاع والشهوق .

(ومنها) أَيْلَقَان . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون المثناة من تحت
وفتح اللام والقاف ثم ألف ونون . قال في "القانون" : حيث الطول أربع وستون
درجة، والعرض تسع وثلاثون درجة ونمسون دقيقة . وهي عند شَرَوَان . قال :
ولعلها بناها بَيْلَقَان بن أرميني بن لمطي بن يونان فنسبت إليه . قال في "اللباب" :
وهي مدينة من دَرَبَنْدِ نَزَرَان . قال في "المشترك" : وهي من مشاهير البلدان .
قال ابن حوقل : وهي كثيرة الخَيْر .

(ومنها) كَنْجَة . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الكاف وسكون النون وفتح
الجيم ثم هاء ساكنة - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال :
والقياس أنها حيث الطول أربع وسبعون درجة، والعرض ثلاث وأربعون درجة
وعشر دقائق . قال في "المشترك" : وهي من مشاهير بلاد أَرَان . قال المؤيد صاحب
حماة : وأخبرني مَنْ أقام هناك أنها على مرحلتين من بَرْدَعَة، وبردة عنها في جهة
الغرب بميلة يسيرة إلى الشمال، وهي قصبة تلك الناحية، وهي في مستو من الأرض
وفها بساتين كثيرة، وبها التين الكثير . وقد شهر أن من أكل من ذلك التين حُم

(ومنها) شَروان . قال في "اللباب" : بفتح الشين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح الواو ثم ألف ونون في الآخر . وهي واقعة في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول ثمان وستون درجة وست ونحسون دقيقة ، والعرض إحدى وأربعون درجة وثلاث وأربعون دقيقة . قال في "اللباب" : بناها أبو شَروان فأسقطوا أنو للتخفيف وبق شَروان . قال ابن سعيد : وهي من أَرزان . وكانت قاعدةً لبلادها ، ثم صارت مملكتها مضافة إلى أذربيجان . قال : وبشَروان الدربند المشهور . قال السلطان عماد الدين صاحب حاة : وهو المعروف في زماننا بدربند باب الحديد . قال ابن الأثير : وقد نخرج منها جماعة من العلماء .

(ومنها) باب الأبواب . قال في "تقويم البلدان" : بإضافة الباب المفرد الذي يُدخل منه إلى جمعه . قال في "القانون" : ويعرف باب الأبواب بدربند خَزْوان . قال في "تقويم البلدان" : ويعرف هذا المكان في زماننا باب الحديد بإضافة الذي ينفق إلى الذي يتطرق . قال ابن حوقل : وهي على بحر طَيْرِستان ، وتكون في القدر أصغر من أردبيل . قال : ولهم الزرع الكثير وثمار قليلة تحمل إليهم من النواحي . قال : وهي فُرْضة الخَزَر والسَّير و سائر بلاد الكفر ، وهي أيضاً فُرْضة جُرجان والدَّيْلَم وطَيْرِستان ، ويحلب إليها الرقيق من سائر الأجناس ، قال في "تقويم البلدان" : وهذه الصفات التي ذكرها ابن حوقل على ما كانت في زمانه ، أما اليوم فمن بعض المسافرين أن باب الحديد بُليدة هي بالقرى أشبه ، على بحر الخَزَر وهي كالحلج بين التتر الشماليين المعروفين ببكة وبين التتر الجنوبيين المعروفين ببكة هؤلاء كوي وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية على ما سيأتي ذكره في الكلام على المكتبات في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

الإقليم الرابع

(بلاد الجبل)

بفتح الجيم والباء الموحدة ولام في الآخر، وصاحب "مسالك الأبصار" يسميها بلاد الجبال على الجمع، والعامية تسميها عراق العجم. قال في "تقويم البلدان": ويحيط بها من جهة الغرب أذربيجان، ومن جهة الجنوب شيء من بلاد العراق وخوزستان، ومن جهة الشرق مفازة نراسان وفارس، ومن جهة الشمال بلاد الديلم وقزوین والرّي عند مَنْ يخرجهما عن بلاد الجبل ويضمهما إلى الديلم من حيث إن جبال الديلم تحفّ بهما.

وقاعدتها فيا ذكره المؤيد صاحب حماة في "تاريخه" (أصفهان) قال في "اللباب": بكسر الألف وفتحها وسكون الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة والماء وألف ثم نون في الآخر. قال في "تقويم البلدان": وقد تبدل الباء فاء. قال السمعاني: وسمعت من بعضهم أنها تسمى بالعجمية سياهان. قال وسيا العسكرة، وهان الجمع. وذلك أن عساكر الأكاسرة كانوا إذا وقع لهم بكار يجتمعون بها فعبت فصيل أصفهان - وموقعها في الإقليم الثالث. قال في "القانون" حيث الطول سبع وسبعون درجة ونحسون دقيقة. والعرض ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة. قال ابن حوقل: وهي في نهاية الجبال من جهة الجنوب. قال: وهي مدينتان وإحداهما تعرف بالبودية، وهي من أخصب البلاد وأوسعها خطّة، وبها معبد الكحل الذي لا يساوى. مصابقا لفارس، وإلى أصفهان ينسب الليث بن سعد الإمام الكبير.

قلت: وقد تقدم في الكلام على أعمال الديار المصرية من أول هذه المقالة عند ذكر الأعمال القليوبية أنه ينسب إلى بلدتنا قفّسننة أيضا وأنه كان له دار بها،

فيحتمل أنه كان أولاً بأصهبان، ثم لما رحل عنها إلى مصر نزل قَلْقَشْدَةَ فنسب إليها على عادة من ينتقل من بلد إلى آخر .
ولها عدة مدن .

(منها) إِرْبُل . قال في "المشترك" : بكسر الهمزة وسكون الراء المهملة وكسر الياء الموحدة ولام في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وهي قاعة بلاد شَهْرُزُور، وموقعها في الإقليم الرابع . قال ابن سعيّد حيث الطول سبعون درجةً وعشرون دقيقةً ، والعرض خمس وثلاثون درجةً وثلاثون دقيقةً . قال : وهي مدينةٌ محدّثة . قال في "المشترك" : بين الزَّائِن، فيما بين المشرق والجنوب عن المَوْصِل، على مسيرة يومين خفيفين . قال في "تقويم البلدان" : وعن بعض أهلها أنها مدينة كبيرة قد تحرّب غالبها، ولها قلعة على تلٍّ عالٍ داخل السور مع جانب المدينة في مستوى من الأرض، والجبال منها على أكثر من مسيرة يوم، ولها قنطرةٌ تدخل منها اثنتان إلى المدينة للجامع ودار السلطان، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) شَهْرُزُور . قال في "اللباب" : بفتح الشين المعجمة وسكون الهاء وضّم الراء المهملة والزاي المعجمة وسكون الواو وفي الآخر اراء مهملة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" حيث الطول سبعون درجةً وعشرون دقيقةً ، والعرض سبع وثلاثون درجةً وخمس وأربعون دقيقةً . قال في "اللباب" : وهي بلدة بين المَوْصِل وبين هَمْدَانَ بناها زُورُ بن الضَّحَّاك فقبيل شهر زور، يعنى مدينة شهر . قال ابن حوقل : وهي مدينة صغيرة . قال في "العريزي" : وهي خضبة كثيرة المتاجر في عُرْلَةٍ إلا أن في أهلها غلظةً وجفاءً . قال : وبينها وبين المراكفة ست مراحل .

(١) ضبطها ياقوت بفتح الراء وهو المشهور . (٢) في تقويم البلدان "مدينة زور" وهو الصواب .

(ومنها) **الدينور** . قال في "اللباب" : بفتح الدال المهملة وسكون المثناة من تحت، وموقع النون والواو ثم راء مهمله في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول ست وسبعون درجة، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي غربي همدان بميلة إلى الشمال، وهي مدينة كثيرة المياه والمنازه كثيرة الثمار خصبة . قال في "العريزي" : وبينها وبين الموصل أربعون فرسخاً، وبينها وبين مراغة كذلك .

(ومنها) **ماسبدان** - بفتح الميم وبعد الألف سين مهمله وباء موحدة وذل معجمة بفتح الجيم وبعد الألف نون . وهي مدينة من سيراوان - بكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحتها وفتح الراء المهملة وواو وألف ونون . كورة من كورة عراق العجم . قال أحمد بن يعقوب الكاتب : وهي مدينة قديمة بين جبال وشعاب . قال : وهي في ذلك تشبه مكة شرفها الله تعالى وعظمتها ، وفيها عيون ماء تجري في وسطها . قال ابن خلكان : وكان المهدي العباسي يسكنها وبها مات ودفن .

(ومنها) **قصر شيرين** - بإضافة قصر إلى شيرين - بكسر الشين المعجمة ثم ياء آخر الحروف وراء مهمله ثم ياء ثانية بعدها ونون في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال في "المشترك" : وهو قصر شيرين حظية كسرى أبرويز . وقال الإدريسي : شيرين امرأة كسرى . قال : وبهذا الموضع آثار لملوك الفرس عجبية، ومنه إلى شهرزور عشرون فرسخاً، ومنه إلى حلوان من بلاد العراق خمسة فراسخ .

(ومنها) **الصيمرة** . قال في "المشترك" : بفتح الصاد المهملة وسكون المثناة من تحتها وفتح الميم والراء المهملة وهاء في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع - قال في "القانون" :

حيث الطول إحدى وسبعون درجة ونمسون دقيقة، والعرض أربع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة صغيرة تربة ذات زروع وأشجار، والمياه تجري في دورها وعالمها . قال أحمد بن يعقوب : وهي في مَرِيجٍ أَفِيحٍ، فيه عيون وأنهار .

(ومنها) قَرْمِيسِيْنُ ، قال في "اللباب" : بكسر القاف وسكون الراء المهملة وكسر الميم وسكون المثناة من تحتها وكسر السين المهملة ومثناة تحته ثانية ونون في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : ووجدناها في كثير من الكتب بإبدال الياء الأولى ألفا . قال في "اللباب" : وهي مدينة بجبال العراق - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثلاث وسبعون درجة، والعرض أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "اللباب" : ويقال لها كَرَمَانِشاه . قال في "العزيزي" : وهي من أجل مُدُن الجبل وأعظمها خطراً، وهي عامرة غاصّة بالناس . قال : وينتهي بها الزعفران .

(ومنها) سَهْرَوَزْدُ . قال في "اللباب" : بضم السين المهملة وسكون الهاء وفتح الواو وسكون الراء الثانية وفي آخرها دال مهملة . قال في "تقويم البلدان" : كذا ضبطها ولم يذكر الراء الأولى - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي مدينة صغيرة، والغالب عليها الأكراد .

(ومنها) زَنْجَانُ . قال في "اللباب" : بفتح الزاي المعجمة وسكون النون وفتح الجيم وألف ونون - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي أقصى مُدُن الجبال

في الشمال . قال في " الباب " : وهى على حدٍّ أذربيجان من بلاد الجبل ، ينسب إليها جماعةٌ من أهل العلم .

(ومنها) تَهَاوَنْدُ . قال في " الباب " : بضم النون وفتح الهاء وسكون الألف وفتح الواو وسكون النون وبسند دالٍ مهملة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " : حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ونحس وأربعون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة على جبل ، ولها أنهار وبساتين ، وهى كثيرة القواكه ، وغواكها تحمل إلى العراق لجودتها . قال في " الباب " : ويقال إنها من بناء نوح عليه السلام ، وإنه كان أسمها نوح أو ند ، فأبدلوا الحاء هاء .

(ومنها) هَدَّانُ . قال في " الأنساب " : بفتح الهاء والميم والذال المعجمة وبعد الألف نون - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " : حيث الطول أربع وسبعون درجة ، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهى وسط بلاد الجبال ، ومنها إلى سَلَوَانَ : أقل بلاد العراق سبعة وستون فرسخاً . قال : وهى مدينة كبيرة ، ولها أربعة أبواب ، ولها مياه وبساتين وزروع كثيرة . قال في " الأنساب " : وهى على طريق الحاج والقوافل .

(ومنها) أَمِيرُ . قال في " المشترك " : بفتح الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح الهاء ثم راء مهملة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " : حيث الطول أربع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في " المشترك " : وهى مدينة بين قزوین ورجنان . قال ابن خرداذبه : ومنها إلى رَجَّيَان خمسة عشر فرسخاً .

(١) قال ياقوت : " بفتح النون الأولى وتكرّر " .

(ومنها) سَاوَة . قال في "اللباب" : بفتح السين المهملة وبسملها ألف ثم واو وهاء - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وسبعون درجة، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال "المهلي" : وهي مدينة جبلية على جادة مُجَاج حُرَّاسَانْ؛ وبها الأسواق الحسنة، وبها المنازل الحسنة .

(ومنها) قَزْوِينُ . قال في "اللباب" : بفتح القاف وسكون الزاي المحجمة وكسر الواو وسكون المشاة من تحت وفي آخرها نون - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "القانون" و"رسم المعمور" حيث الطول خمس وسبعون درجة، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي مدينة لها حصن وماؤها من السماء والآبار، ولها قنّاة صغيرة للشرب فقط . وهي مدينة حصينة، وبها أشجار وكروم كلها عذى لا تسقى، وليس بها ماء جار سوى ما يشرب ويجرى إلى المسجد . قال ابن حوقل : وماء قناتها وريء .

(ومنها) آبَة . قال في "المشترك" : بفتح الهمزة وسكون الألف ثم باء موحدة وهاء - وموقعها في الإقليم الرابع . قال : والعامة تسميها آوَة . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وسبعون درجة وعشر دقائق، والعرض أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال المهلي : وهي مدينة في الشرق بانحراف إلى الشمال عن هَمْدَانْ، وبينهما سبعة وعشرون فرسخا . قال في "المشترك" : وبينها وبين ساوَة خمسة أميال .

(ومنها) قُمْ . قال في "اللباب" : بضم القاف وتشديد الميم - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس عشرة دقيقة، والعرض خمس وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال في "اللباب" : وكان بناؤها في سنة ثلاث وثمانين للهجرة، بناها عبد الله بن سعد

والأحوص وإسحاق ونعيم وعبد الرحمن بنو سعد بن مالك بن عامر الأشعري^١ من أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عند أنهزامهم من الحجاج، وكان مكانها سبع قرى فأهلكوا أهلها وبنوها مدينة، كل قرية محلة من محلات المدينة. قال ابن حوقل: وهي مدينة غير مسورة حصينة البناء، وماؤها من الآبار. وبها البساتين على السواني، وبها شجر الفستق والبندق، وأهلها شيعة. قال المهلب^٢: وهي في مرج تقدير سبعة عشر فراسخ في مثلها ثم تفضى إلى جبالها، وبها من الفستق ما ليس بغيرها.

(ومنها) الطالقان. قال في "المشترك": بفتح الطاء المهملة واللام والقاف ثم ألف نون. وقال في "اللياب": بتسكين اللام - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة. قال في "المشترك": وهو مدينة وكورة بين توريز وأهر^(١). قال ابن حوقل: وهي أقرب إلى الديلم من قزوین. وقد أوردتها في "كتاب الأطوال" المنسوب لأفروس مع بلاد الديلم. قال أحمد الكاتب: وهي بين جبلين عظيمين، وهي تسمى الطالقان بلاد خراسان^(٢).

(ومنها) قاشان. قال في "اللياب": بفتح القاف ومكون الألف والسين المعجمة وبعد الألف نون. قال: ويقال بالسين المهملة أيضا - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة. قال في "الأطوال": حيث الطول ست وسبعون درجة، والعرض أربع وثلاثون درجة. قال المهلب^٣: وهي مدينة لطيفة. قال ابن حوقل: هي أصغر من قم وغالب بنائها بالطين، وهي خصبة، وقد خرج منها جماعة من العلماء. قال في "اللياب": وأهلها شيعة.

(١) في تقويم البلدان، بين قزوین وأهر.

(٢) كذا في الأصل بالاممال، ولعله وهي غير الطالقان ببلاد الخ.

(ومنها) الرّئي . قال في "الباب" : بفتح الراء وتشديد الياء آخر الحروف . قال في "القانون" حيث الطول ثمانٌ وسبعون درجة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة كبيرة . قدر عمارتها فرسخ ونصف في مثله ، وفيها نهران يجريان . وبها قني تجرى غير ذلك . وعدها في "الباب" من الديلم ، ويخرج منها قطنٌ كثير للعراق . وبها قبر محمد بن الحسن صاحب الإمام أبي حنيفة ، والكسائي أحد الفراء السبعة ، والنسبة إليها رازي على غير قياس ، وإليها ينسب الإمام نضر الدين الرازي الإمام المشهور .

(ومنها) الكرج . قال في "المشترك" : بفتح الكاف والراء المهملة وفي آخرها جيم - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ست وسبعون درجة وأربعون دقيقة . والعرض أربع وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي مدينة متفرقة البناء ليس لها اجتماع المذهب ، وتعرف بكرج أبي دلف . قال في "المشترك" : لأن أول من مَصَرَّها أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي وقصده الشعراء . قال ابن حوقل : ولها زروع ومواش . ولكن ليس لها بساتين ولا متزهات ، والفواكه تجلب إليها .

(ومنها) حُوار . قال في "المشترك" : بضم الحاء المعجمة وتخفيف الواو وسكون الألف وراء مهملة في الآخر - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ثمانٌ وسبعون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال في "المشترك" : وهي مدينة من نواحي الرّئي تخترقها القوافل . قال في "القانون" : وقُلِّبَ يذكر إلا منسوباً إلى الرّئي فيقال حُوار الرّئي .

(ومنها) جبال الأكراد . قال في "مسالك الأبصار" : والمراد بهذه الجبال
الجبال الحاجزة بين ديار العرب وديار العجم ، دون أما كن من توغل من الأكراد
في بلاد العجم . قال : وأبتدأوها جبال همذان وشهرزور ، وأتتهاها صياصي الكفرة
من بلاد الكفوز . وهي مملكة سييس وما هو مضاف إليها مما بأيدي بيت لاون ،
ثم ذكر منها عشرين مكانا في كل مكان منها طائفة من الأكراد .
الأول - (دياوشت) . من جبال همذان وشهرزور ، وهو مقام طائفة من
الأكراد ولهم أمير يخصهم .

الثاني - (دراتك) . وهو مقام طائفة ثانية من الكورانية أيضا ، ولهم أمير
يخصهم . قال في "مسالك الأبصار" : والطائفتان جميعا لا تريد عتسهم على خمسة
آلاف رجل .

الثالث - داترك ونهاوند إلى قرب شهرزور . وهي مقام طائفة منهم تعرف
بالكلالية . يعرفون بجماعة سيف ، عتسهم ألف رجل مقاتلة ، ولهم أمير يخصهم ، وهو
يحكم على من جاورهم من الأكراد .

الرابع - مكان بجوار ديار الكلالية المقسم ذكرهم بجبال همذان . وهو مقام
طائفة من الأكراد يقال لهم زنكية . وعتسهم نحو ألفين ذوو شجاعة وحيلة ، ولهم
أمير يخصهم . يحكم على بلاد كيكور وما جاورها من البقاع والكور .

الخامس - نواحي شهرزور . قال في "مسالك الأبصار" : كانت يسكنها
طوائف من الأكراد طائفتان إحداهما يقال لها اللوسة والأخرى يقال لها الباسرية ،
رجال حرب ، وأقيال طعن وضرب ، نزحوا عنها بعد واقعة بغداد ، ووقدوا إلى مصر
والشام . وسكن في أماكنهم قوم يقال لهم الحوسة ليسوا من صميم الأكراد .

السادس - مكان بين شهرزور وبين أشتة من أذربيجان؛ به طائفة من الأكراد يقال لهم السولية، يبلغ عددهم نحو ألفي رجل؛ وهم ذوو شجاعة وحمية، وهم طائفتان لكل طائفة منهم أمير يختصم .

السابع - بلاد بسقاد - وهي مقام طائفة من الأكراد يقال لهم القرياوية ويبلغ من بلاد أذربك أماكن أخرى، قال : وعددهم يزيد على أربعة آلاف، ولم أمير يختصم .

الثامن - بلاد الكركار - وهي مقام طائفة منهم يقال لها الحسانية، وهم على ثلاثة أبطان : أحدها طائفة عيسى بن شهاب الدين، ولم خفر قلعة برى والحامى، وثانيها طائفة تعرف بالتلية، وثالثها طائفة تعرف بالحاكية . وجميعهم نحو الألف رجل، ولكل طائفة منهم أمير يختصم .

التاسع - دربند قرار - وهو مقام الطائفة القرياوية، ولم خفارة الدربند المذكور، وصاحبه يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . وقد ذكر في "التتيف" أن صاحبه كان سيف الدين بن سيرا الحسانى .

العاشر - بلاد الكرجين ودقوق الناقة - وبه طائفة منهم عنتهم تزيد على سبعمائة ولم أمير يختصم .

الحادى عشر - بين الجبلين، من أعمال إربل . قال في "مسالك الأبصار" : وبها قوم كانوا يشارون الترومولوك الديار المصرية . ففي الشتاء يعاملون التتر بالمجاملة؛ وفي الصيف يعينون سرايا الشام في المجاملة . قال : وعددهم كعدد الكلاية، ولم أمير يختصم . وذكر أنه كان لهم في الدولة المنصورية قلاوون أمير يسمى الحضرن ابن سليمان، كاتب شجاع، وأنه وفد إلى الديار المصرية فأخترته المنية قبل عوده، وكان معه أربعة أولاد فسادوا بعد موته في الدولة الزينية كتبها .

الثاني عشر - مازنجان، ويره، وصحمة، والبلاد البرانية - وهي مقام طائفة منهم يقال لها المازنجانية لا تريد عتقهم على نعمائنا، وهم طائفة يتسبون إلى الحمديّة، والمازنجانية هم طائفة المبارز كك الموجود اسمه ورسم المكتبة إليه في دساتير المكتبات القديمة، وقد أضيف إليهم الحمديّة، وهم طائفة من الأكراد لا تنقص عتقهم عن ألف مقاتل، لأن أميرهم مبارز الدين كك، كان من أمراء الخلافة في الدولة العباسية، ومن ديوان الخلافة لُقّب بمبارز الدين، وكك اسمه . قال : وكان يدعى الصلاح وتذكر له النذور، فإذا حملت إليه قبلها وأضاف إليها مثلها من عنده وتصدق بهما معا . وذكر نحوه في "التعريف" . ثم كان له في الدولة الهولاء كويّة المكانة العلية، وأستتابوه في إربل وأعمالها، وأقطعوه عقرشوش بكالما وأضافوا إليه هراة وتل حفتون وقدموه على نعمائنا فارس، وتولى الإمارة وقوانين^(٩) نحو عشرين سنة، وبقى حتى جاوز التسعين وهمة همة الشبان، ثم مات وخلفه ولده عز الدين، فكان من أبيه نيم الخلف، وجرى على نهج أبيه في ترتيب المملكة وعلت رتبته عند ملوك التروملوك الديار المصرية، ثم خلفه أخوه نجم الدين خضر بجرى على سمع أبيه وأخيه . ثم قال : وكانت تريد على الأبواب السلطانية بمصر ونواب الشام كتب تنهل بماء الصّباحة كالسحب، وتسرح من أجنابها الأبقار العرب . ثم خلفه ولده بجرى على سنّيه وبقيت الإمارة في بني . والأمير القائم منهم هو المعبر عنه في الدساتير بصاحب عقرشوش، وله مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

الثالث عشر - بلاد شعلاباد إلى خفتيان، وما بين ذلك من الدشت والذربند الكبير - وهو مقام طائفة منهم تعرف بالشهرية معروفون باللصوصية، وهم قوم لا يبلغ عددهم ألفا وجالهم عاصية، ودرّبندهم بين جبلين شاهقين يسقيهما الزاب

الكبير . قال في "مسالك الأبصار" : وعليه ثلاث قناطر : اثنتان منها بالمجر والطين ، والوسطى مضمورة من الخشب كالخصير ، علوها عن وجه الماء مائة ذراع في الهواء ، وطولها بين الجبلين نحسبون ذراعا في عرض ذراعين ، تمر عليها الدواب بأحمالها ، والخليل يراها . وهي ترتفع وتخفض ، يخاطر المجتاز عليها بنفسه ، وهم يأخذون الحفارة عندها ، وهم أهل غدر وخديعة لا يستطيع المسافر مدافعتهم ، ولم أمير يخصصهم ، ولصاحبها مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

الرابع عشر - ما ذكره والرساق ، وصرت ، وجبل جنجرين المشرق على أشنه من ذات اليمين - وهو مقام طائفة منهم يقال لهم الزرزارية ، ويقال إنهم ممن بكَدَّ من العجم ، ولم عدد جم ، يكاد يبلغ خمسة آلاف ما بين أمراء وأغنياء وفقراء وأكابر وغيرهم ، وجبلهم في غاية العلو والشهووق في الهواء ، شديد البرد ، بأعلاه ثلاثة أحجار طول كل حجر منها عشرة أشبار في عرض دون الثلاثة ، متخذة من الحجر الأخضر المائع ، وعلى كل منها كتابة قد أضحت لطول السنين ، يقال إنها نصبت لمعنى الإنذار والإخبار عن أهل كه التلج والبرد هناك في الصيف ، وهم يأخذون الحفارة تحته .

قال في "مسالك الأبصار" : وكان لهم أمير جامع لكلمتهم اسمه نجم الدين باشاك ، ثم تولاهم من بعده أبنته جيئة ، ثم أبنته عبد الله . قال : وكان لهم أمراء آخرون منهم الحسام شير الصغير ، وأبنته باشاك وغيرهم . قال : وينضم إلى الزرزارية شردمة قليلة تسمى باسم قريتها بالكان نحو ثلثمائة رجل منفردين بمكان مشرف على عقبة الحان يأخذون عليها الحفارة ، ولصاحب ما ذكره مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . ثم قال في "التحيف" : وهو حنش بن إسماعيل .

الخامس عشر - جولرك - وهو مقام طائفة تسمى الجولركية ، وهم قوم نسبوا إلى مكانهم ذلك غمروا به ، ويقال : إنهم طائفة من العرب بنى أمية اعتصموا

بهذه الجبال عند غلبة بنى القباس عليهم ، وأقاموا بها بين الأكراد فانخرطوا في ملكهم . قال في "مسالك الأبصار" : وهم الآن في عدد كثير ، يزيدون على ثلاثة آلاف ، كان ملكهم في أوائل دولة التتر أسد بن مكلان ، ثم خلفه أبنه عماد الدين . ثم أبنه أسد الدين . وبيلاده معدن الزرنيخين : الأحمر والأصفر ، ومنها ينقل إلى سائر الأقطار . قال : وكان قد ظهر عنده معدن لا تزود فأخفاه لئلا يسمع به ملوك التتر فيطلبونه ، ومعقله من أمنع المساقل ، على جبل مقطوع بذاته ، والزاب الكبير محنق به ، لا يحط للجيش عليه . ولا وصول للسهام إليه ، وسطحه منسح للزراعة ، وفي كل ضلع من أضلاعه كهف مرتفع يأوى إليه من أراد الامتناع ، وأعلاه مغمور بالتلج ، والصعود إليه في بعض الطريق يستدعى العبور على أوتاد مضروبة . ومن لا يستطيع التساقى بحر الجبال ، وكذلك بنال الطواحين . وملكهم معتمد عند الأكراد ، وهو يأخذ الخفارة من جميع الطرقات من تبريز إلى خوى وتصفهان ، وهذا هو المعبر عنه في "التعريف" وغيره من الدساتير في المكاتبات بصاحب جولرك ؛ وهو يكتب من الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

السادس عشر - بلاد مركوان - على القرب من الجولركية ، كثيرة الثلوج والأمطار ، بلاد زرع وضرع - وهي متاخمة لأرمية من بلاد أذربيجان ، وبها طائفة من الأكراد تبلغ عدتهم ثلاثة آلاف ، وهم أحلاف للجولركية .

السابع عشر - بلاد كواردات - وهي بلاد مجاورة لبلاد الجولركية من جهة بلاد الروم ، وهي بلاد خصبة ، وبها طائفة من الأكراد ينتسبون إليها لا إلى قبيلة ، وعدتهم نحو ثلاثة آلاف ، ولهم أمير يخصهم .

الثامن عشر - بلاد الدينار - وهي بلاد تلي بلاد الجولركية ، وبها طائفة من الأكراد يقال لهم الدينارية نسبة إلى بلدتهم ، وعددهم نحو خمسمائة ، ولهم سوق وبلد ،

وكان لهم أميران، أحدهما الأمير إبراهيم بن الأمير محمد، كان له وجه عند الخلفاء، والثاني الشاب بن بدر الدين، توفي أبوه وخلفه كبيرا خلفه في امرته، وكان بينهم وبين المازنجانية حروب.

التاسع عشر - بلاد الصّادية وقلة هارون. وهي بالقرب من بلاد الجولمية، وبها طائفة منهم يقال لهم المكارية يزيد عددهم على أربعة آلاف مقاتل، ولم إمارة تخصهم. قال في "مسالك الأبصار": وهم يأخذون الخفارة في أماكن كثيرة من بخارا إلى بلد الجزيرة. وصاحب هارون يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية.

العشرون - القمرائية وكهف داود - وبها طائفة منهم يقال لهم التنبكية. قال في "مسالك الأبصار": وقليل ما هم لكنهم جماعة رماة وطعامهم مبدول على خصاصة.

وقسم أنه بعد أن ذكر في "مسالك الأبصار" ما تقدم ذكره عقب ذلك بذكر جماعة من الأكراد تغزقوا في الأقطار بعد اجتماع، منهم الصحنية، وهم قوم كانوا يضاهون الحميدية كان لهم أعيان وأمراء وأكابر، فهلك أمرؤهم ونسيت كبرؤهم، ولم يبق منهم إلا شذمة قليلة تغزقت بين القبائل والشعوب. ثم قال: وتُسببهم كثيرة: منهم السندية وهم أكثر سُببهم عددا، وأوفرهم مددا، كانوا يبلغون ثلاثين ألف مقاتل. ومنهم الحميدية، وكان لهم أمير لا يزيد جمعه على ستمائة رجل. ومنهم الراسية، كانوا أوفى عدد وعدد، وجمع ومدد، ثم تشتت شملهم، وتفرقت جمعهم؛ وعادت عتقتهم في بلد الموصل لا تزيد على ألف رجل؛ وكان لهم أمير يقال له علاء الدين كورك بن إبراهيم في بلد العقر، ولا ينقص عن خمسمائة؛ ومنهم الدينكية، وهم متفرقون في البلاد لا يزيد عددهم على ألف رجل.

قلت : وقد ذكر في "التتيف" عدة أماكن من بلاد وقلاع يكاتب أصحابها من الأكراد سوى من تقلم ذكره، وهي خمسة وعشرون موضعا .

إحداها - برجو . الثانية - البلهية . الثالثة - كرم ليس . الرابعة - اندشت . الخامسة - حردقيل . السادسة - سكراك . السابعة - قبليس . الثامنة - جرموك . التاسعة - شنكوس . العاشرة - بهمان . الحادية عشرة - حصن أران وهو حصن الملك . الثانية عشرة - ...^(١) الثالثة عشرة - سونج . الرابعة عشرة - اكريسا . الخامسة عشرة - يزار كرد . السادسة عشرة - الزاب . السابعة عشرة - الزينة . الثامنة عشرة - الدزبندات العراقية . التاسعة عشرة - قلعة الجليلين . العشرون - سيدكان . الحادية والعشرون - صاحب رمادان . الثانية والعشرون - الشعبانية . الثالثة والعشرون - نمرية . الرابعة والعشرون - المحمدية . الخامسة والعشرون - كركيك .

الإقليم الخامس

(بلاد الديلم)

بفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام وميم في الآخر . وهم جيلٌ من الأعاجم سكنوا هذه البلاد فُصِّرت بهم ، وبعض الناس يزعم أنهم من العرب من بني ضبة ، ومنهم كان بنو بويه القائمون على خلفاء بني العباس يفتاد . قال ابن حوقل : وهي جبال متسعة إلى الغاية ، وبها غياض وفياض مشيكة في الوجه الذي يقابل طبرستان والبحر ، وبين ذيل الجبل وبين البحر مسيرة يوم ، وربما قصص عن ذلك ، وربما زاد حتى يبلغ يومين .

(١) يياض بالأصل .

وقاعدتها (رُودَبَار) . قال في "المشترك" : يضم الراء المهملة وسكون الواو وفتح الذال المعجمة والباء الموحدة ثم ألف وراء مهملة في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وسبعون درجة وسبع وثلاثون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة وإحدى وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وبه مقام ملوكهم .

ومن بلادها (كَلَار) . قال في "تقويم البلدان" : بكاف ولام وألف وفي الآخر راء - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "القانون" حيث الطول سبع وسبعون درجة، والعرض ست وثلاثون درجة . قال المهلب : وهي مدينة الديلم، وهي في جهة الشرق والجنوب عن لَافْجَان من بلاد كِلَان .

الإقليم السادس (الجيل)

قال في "المشترك" : بكسر الجيم وسكون المثناة من تحت ثم لام - وهو اسم لصُفْعٍ واسع مجاور لبلاد الديلم، ليس فيه قرى كثيرة، وليس فيه مدينة عظيمة . وقال في "اللباب" : الجيل اسم لبلاد متفرقة وراء طَبَرِستان . قال : ويقال لها أيضا كِلَان وكِل ، فلما عُرِبَتْ قيل كِلَان وكِل ، ومنها كُوشِيَار الحكيم الجيلي . فيما ذكره ياقوت، وإليها ينسب الشيخ عبد القادر الكيلاني، وبالجملة فهما صُفْعَان متلاصقان ينسرين أَسَدُهُمَا عن الآخر . قال في "مسالك الألبار" عن الشريف محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد الجيلي : إن بلاد كِلَان في وطأة من الأرض، وإنه يحيط بها أربعة حدود : من الشرق إقليم مَازَنْدَرَان، ومن الغرب مَوْقَان، ومن الجنوب عراق العجم، يفصل بينهما جبل يعرف بأَسْتَادِه، ومن الشمال بحر

الْقَلْبُزْمُ يعني بَحْرَ طَبْرِسْتَانَ . قال : وطول مجموع كيلان مما بأيدي ملوكها ، وهو شرق
 بغرب نحو عشرة أيام ، وعرضها وهو جنوب بشمال نحو ثلاثة أيام تزيد وتنقص ،
 وهي شديدة الأمطار ، كثيرة الأنهار . كثيرة القواكه خلا الفحل والموز وقصب السكر
 والشمش ، ويحلب إليها الحمضات من مازندران . قال : ومُنْدُ كيلان غير مسورة ،
 وملوكهم قصور علية ، وجميع مبانيها بالأجر مفروشة به أيضا كما في بغداد ، مسقفة
 بالخشب . وبعضها معقودة أقباء وعليها قش مصفور ، وفي غالب ديارها آبار قريبة
 المستقى نحو ذراعين أو ثلاثة أو أقل ، والأنهار ساكنة على مُنْهَاجِها وبها حَمَامَاتُ
 يجرى إليها الماء من الأنهار وبها المساجد والمدارس وتسمى بها الخوانق ، وغالب
 أقواتهم الأرز يعمل منه الخبز والرقاق مع تيسر القمح والشعير عندهم ، والبقر والغنم
 عندهم بكثرة ، وأسعارهم متوسطة إلى الرخص ، وبها الحرير الكثير ، ولها حصون
 في نواحي مازندران وجزائري ببحر طَبْرِسْتَانَ ، بها الرمان والبلوط والقواكه ، وفيها
 تَحَصُّنُهم عند مغالبة العدو لهم ، ولباسهم الألفية الإسلامية الضيقة الأكام وتخافف
 صفار على رؤوسهم ، ويشقون المناطق والبُتُود وخيلهم براذين ، وفي سروجهم الخيل
 بالفضة وغيره ، وملوكهم زى جميل على ضيق بلادهم وقلة متحصلها ، ويركب
 الملك بالرقبة السلطانية والمجتاب والسلاح دارية والجمدارية والجنائب المجرورة ،
 ويقتد بظواهر قصور ملوكهم ميادين خضر ، في أوساطها قصور صفار من الخشب
 فيها جلوسهم للخدم والمظالم . ولا يزال بين ملوكهم الخلف ، فإذا قصدهم عدو خارجي
 عنهم تألفوا وأجمعوا عليه ، حتى إن هؤلاء كوجهز إليهم جيشا عدته سبعون ألفا
 مصحة نائبه قتلوشاه فلم ينل منهم قصدا ، وكان آخر الأمر أن قيل قتلوشاه وهلك
 جُلٌّ من معه . وقد ذكر في " مسالك الأبصار " أن بها ثمان قواعد بكل قاعة
 منها ملك ، بعضهم أكبر من بعض ، وموقع جميعها في الإقليم الرابع .

فاما الكبار فأرجع قواعد .

القاعدة الأولى

(يُومِنُ)

قال في "تقويم البلدان" : بضم الباء الموحدة التي بين الفاء والباء الموحدة وسكون الواو وكسر الميم ثم نون في الآخر . قال : وهي قرية من البحر، وبها فيها يحاذيها معدن حديد، وبها من معمولات التماس . قال في "مسالك الأبصار" : وصاحبها شافعي المذهب دون غيره من ملوك الجبل، مذهب نشأ عليه ملوكها ، قال : وعسكره يزيد على ألف فارس ، وبلاده قليلة ولكن غالب دخله من التجار، والحرير بها كثير . قال : وصاحبها يدعى النسبة إلى بيت الشرف، وله اعتناء بأهل العلم والفضل، ولباس الملك والجند بها نوع من لباس التتر، ولباس غلمانها قريب من زى التجار، ولم عذاب كالصوفية قدامهم، وعامة أهلها كغيرهم ممن جاورهم .

القاعدة الثانية

(تُؤْمِنُ)

قال في "تقويم البلدان" : بضم المثناة الفوقية وواو ولام وميم، وصاحب "مسالك الأبصار" ثبت فيها باء مثناة تحتية بين اللام والميم - وهي قرية من البحر أيضا . قال في "مسالك الأبصار" : وأمر صاحبها قريب من صاحب يَومِنَ ولكن لاسم يري في بلاده، وهو حننيلي المذهب، وعقبة عسكره نحو ألف فارس وهم أفرس إخوانهم، ولم على ملوك الجبل استظهار لما ظهر من تكايتهم في عسكر التتر . قال : وزينها كرى يَومِنَ .

(١) لم يذكر إلا ثلاثا . ولعل الرابعة دولاب .

القاعدة الثالثة

(كسّر)

قال في "تقويم البلدان": يفتح الكافين وسكون السين المهملة بينهما وراء مهملة في الآخر. وقد ذكر أنها دُولَابٌ - بضم الدال المهملة وسكون الواو ولام ألف وباء موحدة في الآخر. قال: وعن السمعاني فتح الدال وأنه أنصح وأنها من حدود الديلم. وذكر في "اللباب" أنها قرية من أعمال الرّي. قال في "مسالك الأبصار": وصاحبها له صَوْلَةٌ في ملوك تورم، وجيشه أكثر عندنا من غيره من ملوك الحيل، وبلاده أوسع، وأرضه أخصب وأكثر حَبًّا وفاكهة وأغناما وأبقارا مما حولها، وهي كثيرة السمك والطير. ومنها الشيخ العارف السيد عبد القادر الكيلاني قدس الله روحه.

وأما الصغار فاربع أيضا.

القاعدة الأولى

(لَا هَجَاءُ)

قال في "تقويم البلدان": يفتح اللام ويبدلها ألف وهاء وجمع مفتوحتان ثم ألف بعدنا نون، ثم قال: وهي من الديلم أو كيلان. قال في "الأطوال" حيث الطول أربع وسبعون درجة، والعرض ست وثلاثون درجة ونحو عشرة دقيقة قال في "تقويم البلدان": ومنها يحلب الحرير المشهور إلى البلاد. قال في "مسالك الأبصار": وهي في حال الحرير كما في يومن بخلاف غيرها من سائر بلاد الحيل.

القاعدة الثانية - (سَخَامُ).

القاعدة الثالثة - (مَرَّسَتْ).

القاعدة الرابعة - (تَفَقُّسُ).

ولها عدة مُدُن غير القواعد .

(منها) كُوتُمْ . قال في "تقويم البُلْدَان" : بضم الكاف وواو ساكنة ثم تاء مثناة فوقية مضمومة ثم ميم في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ست وسبعون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة . قال في "تقويم البُلْدَان" : قال من رأها إنها مدينة لها بساتين ، وهي ناقلة عن البحر مسيرة يوم . قال المهلبى : وهي مدينة كبيرة للجليل .

(ومنها) سألُوس . قال في "تقويم البُلْدَان" : المشهور بالسين المهملّة وألف ولام مضمومة وواو ساكنة ثم سين ثانية وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ست وسبعون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي على البحر ولها مَنَعَةٌ وهي صعبة المسلك . قال المهلبى : وهي آخر حدّ طَبْرِسْتَانَ من جهة العرب .

الإقليم السابع

(طَبْرِسْتَانُ)

بفتح الطاء المهملّة والباء الموحدة والراء المهملّة وسكون السين المهملّة وفتح التاء المثناة فوق وألف ثم نون . قال في "تقويم البُلْدَان" : وهي في جهة الشرق عن بلاد الديلم ويكلان . قال : وإنما سميت طَبْرِسْتَانُ لأن طَبْرَ بالفارسية القأسُ ، وهي من كثرة أشجارك أشجارها لا يسلك فيها الجيُوش إلا بعد أن تقطع الأشجار بالطَّيْرِ من بين أيديهم ، وأستان بالفارسية الناحية ، فسُميت طَبْرِسْتَانُ أى ناحية

(١) ضبطها ياقوت بفتح الكاف والتاء .

(٢) ضبطه ياقوت بكسر الراء ، وقد تابناه في ضبط ما تقدم .

الطَّيْر . قال في "العزرى" : وهى فى غاية المنعة والحصانة بالجبال المنية المحيطة بها من كل جانب ، وفى وسط الجبال الأراضى السهلة ، وفيها من كثرة المياه والنباض ما لا يساويها فيه بلد آخر ، وهى عن قَرْوِينَ فى الشرق بانحراف إلى الشمال . قال ابن حوقل : وهى بلاد كثيرة المياه والأشجار والغالب عليها النياض ، وأبنيتها بالخشب والقصب . وهى بلاد كثيرة الأمطار . ويرتفع منها حريريم الآفاق . وغالب خبرهم الأرز . قال : وليس بجميع طَبَرَسْتَانَ نهر تجرى فيه السفن . إلا أن البحر قريب منهم على أقل من يوم . قال ابن خلكان : والنسبة إليها طَيْرِيٌّ .

وقاعدتها (أَمَلُ) . قال فى "المشترك" : بهمزة مفتوحة بعدها ألف ثم ميم مضمومة ولام فى الآخر - وهى مدينة من طَبَرَسْتَانَ واقعة فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : حيث الطول سبع وسبعون درجة وعشرون دقيقة . والعرض ست وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال فى "القانون" : وهى قصصة طَبَرَسْتَانَ ، وهى أكبر من قَرْوِينَ ، مشتبكة بالهارة لا يعلم على قدرها عمر منها فى تلك النواحي . قال أحمد الكاتب : وهى على بحر الديلم . وقال فى "المشترك" : هى أكبر مدينة بطَبَرَسْتَانَ . ومنها أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى - الإمام الكبير المشهور . ولها عدة مدن .

(منها) رُويَانُ . قال فى "المشترك" : بضم الراء المهملة وسكون الواو ثم ياء - مثناة من تحت وألف وون - وهى مدينة من طَبَرَسْتَانَ واقعة فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "رسم المعمور" : حيث الطول ست وسبعون درجة وخمس وثلاثون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة . قال فى "المشترك" : وهى مدينة كبيرة فى جبال طَبَرَسْتَانَ - ولها كورة عظيمة وعمل . قال فى "الباب" : ونخرج منها جماعة كثيرة من العلماء .

(ومنها) مَا طَبْرُ . قال في "الباب" : بفتح الميم وكسر الطاء المهملة وسكون
المنثناة من تحت وراء مهملة في الآخر . قال في "اللباب" : وهي بلدة من عمل
أمل ، خرج منها جماعة من العلماء .

(ومنها) دِهْشَتَانُ . قال في "الباب" : بكسر الدال المهملة والهاء وسكون
السين المهملة وفتح المثناة من فوق ثم ألف ونون . قال ابن حوقل : وهي مدينة
من طَبْرَسْتَان ، وقيل هي من تُرْسَات - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم
السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول إحدى وثمانون درجة وعشر دقائق ،
والعرض ثمان وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "تهويم البلدان" : وهي
مدينة مشهورة عند مَازَنْدَرَان ، بناها عبد الله بن طاهر ، ومعناها بالفارسية موضع
القرى ، وهي آخر حد طَبْرَسْتَان بين جُرْجَان وُخَوَارَزْم .

الإقليم الثامن

(مَازَنْدَرَانُ)

بفتح الميم وبعدها ألف وفتح الزاي المعجمة وسكون النون وفتح الدال والراء
المهملتين وألف ثم نون ، وهو إقليم على القرب من طَبْرَسْتَان وقاعتها (جُرْجَانُ) .
قال في "الباب" : بضم الجيم وسكون الراء المهملة وجم ثمانية وألف وفي آخرها نون .
قال في "المشارك" : والعجم تسميها كُرْكَانَ بضم الكاف وسكون الراء المهملة .
وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول
ثمانون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة ونحوون دقيقة . قال "المهلي" : وهي

مدينة جليلة بين خُراسَانَ وبين طَبْرَسَانَ . فَخَوَارِزْمُ منها في جهة الشرق وطَبْرَسَانُ منها في جهة الغرب . قال : وهي بلدة كثيرة الأمطار متصلة الشتاء ، وفي وسطها نهر يجري ، وهي قرية من بحر الخزر ، والجبال مُحِطَةٌ بها فهي سُهْلَةٌ جَبَلِيَّةٌ ، يجتمع فيها فواكه الغور والتَّجَد . قال : وبها من خشب الخَلْجِ ما ليس في بلد آخر مثله .
ولها مَدَنٌ أخرى .

(منها) سَارِيَّةٌ . قال في "اللباب" : بفتح السين المهملة والفاء وراء مهملة ومثناة من تحتها وهاء . قال في "اللباب" : وهي مدينة من مَازَنْدَرَانَ . وقال ابن سعيد : من طَبْرَسَانَ - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . وفي شرقها خَوَارِزْمُ - وبينهما نحو ثمانين ميلاً .

(ومنها) أَسْتَرَبَادُ . قال في "المشترك" : بفتح الهمزة . وقال في "اللباب" : بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وكسر المثناة من فوق وفتح الراء المهملة وبالياء الموحدة بين الفين وفي آخرها ذال معجمة . قال في "اللباب" : وقد يُلْحَقُونَ فيها ألفاً أخرى بين التاء والراء . قال في "المشترك" : أَسْتَرَامُ رجل وابذَ أَسَمُ عمارة ، فكأنه قال عمارة أَسْتَرُ . وهي مدينة من مَازَنْدَرَانَ . وقيل من خُراسَانَ . وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول تسع وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمس دقائق . قال في "التنزيه" : وهي على حَدِّ طَبْرَسَانَ ، وبينها وبين أَمَلٍ : قَصْبَةُ طَبْرَسَانَ تسعة وثلاثون فرسخاً .

(١) التي في قوم البهتان من الباب بكسر الألف

(٢) ضبطها ياقوت بالفتح .

(١) (ومنها) أَبْسُكُونُ . قال في "اللباب" : بفتح الألف الممدودة وضم الباء الموحدة
وسكون السين المهملة وضم الكاف وفي آخرها نون - وهى بلدة على ساحل بحر
الخرز واقعة في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول
تسع وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وعشر
دقائق . قال في "القانون" : وهى قُرْصَة بُرْجَان . قال ابن حوقل : وإليها ينسب
بحر أَبْسُكُون ، ومنها يركب إلى الخرز وإلى باب الأبواب والجليل والديلم وغير ذلك .

الإقليم التاسع (قُومَسْ)

(٢) قال في "اللباب" : بضم القاف وسكون الواو وفتح الميم وفي آخرها سين
مهملة . قال : ويقال لها بالفارسية قُومَسْ بإبدال القاف كافا . قال : وهى من
بَسْطَام إلى سَمْتَان ، وهما من قُومَسْ بين خُرَاسَانَ وبين الجبال ، أولها من ناحية الغرب
سَمْتَان . قال أحمد الكاتب : وقُومَسْ بلد واسع جليل القدر . وقال في "المشترك" :
قُومَسْ موضع كبير فيه بلاد كثيرة وقُرَى - وقاعدتها (سَمْتَانُ) . قال في "المشترك" :
بكسر الشين المهملة وسكون الميم ونونين بينهما ألف . قال في "القانون" حيث
الطول تسع وسبعون درجة وخمس عشرة دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة .
قال في "المشترك" : وهو بلد مشهور بين أَرَبِّ والدَّامَقَان .
وبها مُدُنٌ أيضا .

(منها) الدَّامَقَانُ . قال في "اللباب" : بفتح الدال المهملة وألف وفتح الميم
والغين المعجمة وألف ثانية ثم نون - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "القانون"

(١) ضبطها ياقوت بفتح الباء . (٢) ضبطها ياقوت بكسر الميم .

حيث الطول تسع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وعشرون دقيقة .

(ومنها) بَسْطَامُ . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون السين وفتح الطاء المهملتين وفي الآخريم - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "اللباب" : وهي بلدة مشهورة . قال ابن حوقل : ولها البساتين الكثيرة . وهي كثيرة الفواكه ، وإليها ينسب أَبُو يَزِيدَ الْبَسْطَامِيُّ الزاهد .

الإقليم العاشر (خُرَّاسَانُ)

قال في "اللباب" : يضم الخاء المعجمة وفتح الراء المهملة وألف ثم سين مهملة وألف ونون - وهي بلاد كثيرة . قال : وأهل العراق يقولون إنها من لَرِيٍّ إِذْ مَطْلَعُ الشَّمْسِ ، وبعضهم يقول من حُلُوتَانَ إِلَى مَطْلَعِ الشَّمْسِ ، ومعنى خُرَّاسَمُ لِلشَّمْسِ ، واسان موضع الشيء ومكانه ، وقيل معنى خُرَّاسَانُ كُلُّ بِالرَّفَاهِيَةِ . قال في "تقويم البلدان" : ويحيط بها من جهة الغرب المفازة التي بينها وبين بلاد الحِمْيَلِ وَجُرْجَانَ ، ومن جهة الجنوب مفازة فاصلة بينها وبين فَارِسَ وَقُومَسَ ، ومن الشرق نواحي بِيحْسَتَانَ وبلاد الهند ، ومن جهة الشمال بلاد ماوراء النهر ووشِيٌّ مِنْ تَرْمِيذَانَ . قال : وخُرَّاسَانُ تستعمل على عدة حُكُورٍ كُلِّ حُكُورَةٍ منها نحو إقليم .

ومن كورها المشهورة (جُورِيٌّ) يضم الجيم وفتح الواو وسكونُ المثناة من تحت ووزن في الآخر ، (وقُوهَسْتَانُ) يضم القاف وسكون الواو وفتح الهاء وسكون السين المهملة وفتح المثناة فوق وألف ثم نون . و(بَشُورُ) بفتح الباء الموحدة والسين المعجمة

الساکنة ثم شين معجمة وواو وراء مهملة في الآخر. و(مَرَوْ) بفتح الميم وسكون الراء المهملة وواو في الآخر. و(كُوسْ) بضم الطاء المهملة وسكون الواو وسين مهملة في الآخر. و(بَهَقْ) بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة التحتية وفتح الهاء وقاف في الآخر. و(بَاخَرْزْ) بفتح الباء الموحدة ثم ألف وخاء معجمة وراء مهملة ساكنة وزاي معجمة ؛ وإليها ينسب البَاخَرْزِيُّ الذي أسلم على يديه بركة .

وقاعدتها فيما ذكره المؤيد صاحب حماة في تاريخه (نَيْسَابُورْ) . قال في "اللباب" :
 بفتح النون وسكون المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وسكون الألف وضم الباء الموحدة وبمدا وواو وراء مهملة . قال في "اللباب" : وسميت نَيْسَابُورَ لأن سابور الملك لما رآها ، قال : يصلح أن يكون هاهنا مدينة ، وكانت قَصْبًا فأمر بقطع القَصَب وأن تبني مدينة ، فقبل نيسابور والتي هو القَصَب . قال ابن سعيد : والعجم تسميها نَسَاور . قال في "تقويم البلدان" : وأسمها الآن نَسَاورُ ؛ يعني بفتح النون والشين المعجمة وألف وفتح الواو وراء مهملة في الآخر . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثمانون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة مشهورة في أرض سهلة ، وهي مقترشة البناء مقدار فرسخ في فرسخ ، وبها قنطرة ماء ، وهي صحيجة الهواء . قال في "اللباب" : وهي أحسن مَدُنِ تَرَسَانِ وأجمعها للغير . قال أحمد بن يعقوب الكاتب : وبينها وبين كُلِّ من مَرَوْ ومن هَرَاةَ ومن بُرْجَانٍ ومن الدَّامَغَانِ عشر مراحل .

وبها مدن عديدة .

(منها) الطَّابَرَانُ . قال في "اللباب" : بفتح الطاء المهملة والياء الموحدة والراء المهملة وبسد الألف نون . قال في "القانون" : وهي قصبه طُوسَ من كُورِ

نُحْرَاسَانَ - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض خمس وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "العريزي" : وهي من أَجَلٍ مَدَن نُحْرَاسَانَ .

(ومنها) نَوَقَانُ . قال في "اللباب" : يفتح النون وسكون الواو وفتح القاف وبعد الألف نون - وهي مدينة من أعمال طُوسَ من نُحْرَاسَانَ ، موقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول أثنان وثمانون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال المهلبى : وهي من أَجَلٍ مَدَن نُحْرَاسَانَ وأعرها ، وبظاهرها قبر الإمام علي بن موسى بن جعفر الصادق ، وقبر هارون الرشيد الخليفة العباسى ، وبها معدن القيرورج والذهب .

(ومنها) إِسْفَرَايُنُ . قال في "اللباب" : بكسر الألف وسكون السين المهملة وفتح الفاء والراء المهملة وكسر المثناة التحتية ونون في الآخر - وهي بلدة بنواشى نَبَسَابُورَ من نُحْرَاسَانَ - موقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول إحدى وسبعون درجة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وتسمى المِهْرَجَانُ أيضا بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الراء المهملة والجيم وألف ونون في الآخر . يقال إن كسرى سماها بذلك تشبيها بالمِهْرَجَانِ أحد أعياد الفُرس : لأن المِهْرَجَانِ أطيب أوقات الفصول ، شبهها بذلك لخُصْرَبِا وتُضَارَبَتَا ، وإليها ينسب الأستاذ أبو إسحاق الإسفَرَايُنِي الإمام الكبير المشهور .

(ومنها) خُسْرُوجُودُ . قال في "اللباب" : بضم الخاء المعجمة وسكون السين وفتح الراء المهملتين وسكون الواو وكسر الجيم ثم راء ودال مهملتان - وموقعها

(١) ضبطها بالثبوت بالضم .

(٢) ضبطها بالثبوت بالفتح ، ثم قال وياه مكسورة وياه أخرى ساكنة .

في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول إحدى وثمانون درجة ونحس دقائق، والعرض ست وثلاثون درجة . قال في "المشترك" :
وهي قصبة ناحية يهق من خراسان . وقال في "اللباب" : كانت قصبتها ثم صارت القصبة سبروار .

(ومنها) نسا . قال في "المشترك" : بفتح النون والسين المهملة وألف مقصورة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول أثنان وثمانون درجة، والعرض تسع وثلاثون درجة . قال في "المشترك" :
وهي مدينة من خراسان بين أيسودة وسرخس . قال ابن حوقل : وهي مدينة سبة، ومنها الإمام أحمد النسائي صاحب السنن .

(ومنها) أزدآوار . قال في "تقويم البلدان" : بالمعزة والزاى المعجمة ثم ألف وذال معجمة وواو مفتوحةين وألف وراء مهمل في الآخر . وهي قصبة جوين من خراسان . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثمانون درجة ونحس وأربعون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة، ومنها إمام الحرمين الإمام الشافعي المشهور .

(ومنها) قازين . قال في "اللباب" : بفتح القاف وبعد الألف ياء مثناة تحية مكسورة ثم نون . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول أربع وثمانون درجة ونحس وثلاثون دقيقة [والعرض ثلاث وثلاثون درجة ونحس وثلاثون دقيقة^(١)] . قال ابن حوقل : وهي قصبة قوهستان، من خراسان على مفازة . قال : وهي مثل سرخس في الكبر، وماؤها من القتي، وبساتينها قليلة، وقراها متفرقة . قال في "اللباب" : وإليها ينسب جماعة من العلماء .

(١) الزيادة عن تقويم البلدان نقلا عن القانون .

(ومنها) سَرَحْس . قال في "تقويم البلدان" : بفتح السين والراء المهملة ثم خاء معجمة ساكنة وسين مهملة ساكنة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول خمس وثمانون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة بين نيسابور وبين مرو في أرض سهلة ، وليس لها ماء جار إلا نهر يجري في بعض السنة ، وهو فضلة مياه هَرَاة ، والغالب على نواحيها المرائي ، ومعظم مال أهلها الجبال ، وماؤهم من الآبار ، وأرجيتهم على الدواب . قال المهلب : والرمال محففة بها .

(ومنها) بُوَشْنَج . قال في "اللباب" : بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح اللشين المعجمة وسكون النون وجيم في الآخر . قال في "اللباب" : ويقال لها أيضا بُوشْنَج بالفاء بدل الباء . قال في "تقويم البلدان" : ويقال لها أيضا بُوشْنَك بالكاف بدل الجيم . قال ابن حوقل : وهي مدينة على نحو النصف من هَرَاة في مستوى من الأرض ، ولها مياه وأشجار كثيرة ، وماؤها من نهر هَرَاة ، وهو يجري من هَرَاة إلى بُوَشْنَج إلى سَرَحْس .

(ومنها) هَرَاة . قال في "اللباب" : بفتح الهاء والراء المهملة ثم ألف وهاء في الآخر . قال في "التعريف" : ولا يسمع عجمي يقول إلهري - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول خمس وثمانون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي من نَرَسَانَ ، ولها أعمال ، وداخلها مياه جارية ، والجبل منها على نحو فرسخين ، ومنه تعمل حجارة الأرحية وغيرها ، وليس به محتطب ولا مَرَعَى ، وعلى رأسه بيت تاركان للقرنيس ، وخارج هَرَاة المياه والبساتين . قال في "المشتركة" : وكانت مدينة عظيمة فخرها التتر . قال في "اللباب" : وكان فتحها في خلافة أمير المؤمنين

عثمان رضى الله عنه . قال : والنسبة إليها **مَرَوِيٌّ** . قال في "مسالك الأبصار" :
ومن الناس من يعمد **هَرَاة** مفردة بذاتها عن **نُحْرَاسَانَ** ؛ وصاحبها يكتب عن الأبواب
السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) **مَرَوُ الرُّوْدِ** . قال في "المشترك" : بفتح الميم وسكون الراء المهملة
وفي آخرها واو . وقال في "اللباب" بفتح الواو وألف ولام وضم الراء الثانية
وسكون الواو وذال معجمة ، والرُّوْدُ بالسجمية النهر ، ومعناه **مَرَوُ النهر** . وموقعها
في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول سبع وثمانون
درجة وأربعون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال
أبن حوقل : وهي أكبر من **بُوشَنَج** ، ولها نهر كبير وعليه البساتين ، وهي طيبة التربة
والهواء ، والجبل عنها في جهة الغرب على ثلاثة فراسخ . قال في "اللباب" : وهي
من أشهر مدُن **نُحْرَاسَانَ** ، والنسبة إليها **مَرَوُ رُوْدِيٌّ** و**مَرَوِيٌّ** أيضا .

(ومنها) **مَرَوُ الشَّاهِيحَانِ** . قال في "المشترك" : بفتح الميم وسكون الراء المهملة
في واو في الآخر ، وهو مضاف إلى الشاهجان بفتح الشين وألف بعدها هاء ثم جيم
وألف وتون - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال في "المشترك" :
و**مَرَوُ الشَّاهِيحَانِ** مناه **رُوح الملك** . قال في "الأطوال" حيث الطول سبع
وثمانون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال أبن حوقل :
وهي مدينة قديمة يقال إنها من بناء طهمورث : أحد ملوك الفُرس . قال في "مسالك
الأبصار" : ويقال إنها من بناء ذى القرنين . قال : وهي في أرض مستوية بعيدة
عن الجبال لا يرى منها الجبل ، وأرضها كثيرة الرمل وفيها **سُبُوحَة** ، ويجرى على بابها
نهرٌ يدخل منه الماء إلى حياض المدينة ، ومنه شرب أهلها ؛ ولها ثلاثة أنهار أخرى ،
وبها القواكه الحسنة تقدد وتعمل إلى البلاد ؛ وبها الزبيب الذي لا نظير له ؛ ولها من

النظافة وحسن الترتيب وتقسيم الأبنية والفُروس على الأنهار، وتميز كل سوق عن غيره مالم يس لغيرها من البلاد . قال في "المشترك" : والنسبة إليها مَرْوِزِيٌّ . قال في "تقويم البلدان" : وبها كان مُقام المأمون لما كان بِمُحْرَاسَانَ ؛ وبها قُتِلَ يَزْدَجَرْدُ آخرُ ملوك الفُرس ؛ ومنها ظهرت دولة بني العباس ، وبها صُيِّغَ أوَّلُ سواد ليستة المسوَّدة ؛ ومنها يرتفع الحرير الكثير والقطن . قال في "المشترك" : وبينها وبين كُلِّ من نَيْسَابُورَ وَهَرَّاتَ وَبَلَّخَ وَبُخَّارَا مسيعةُ اثْنَيْ عَشْرَ يَوْمًا .

(ومنها) الطَّلَاقَانُ . قال في "المشترك" : بفتح الطاء المهملة واللام والقاف ثم ألف ونون . وقال في "اللباب" : بسكين اللام - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثمان وثمانون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة نحو مَرَوَ الرَّوْذِ في الكُبرى ؛ ولها مياه جارِية وبساتين قليلة ؛ وهي في جبل ، ولها رُستاق في الجبل ، وهي غير الطَّلَاقَانِ المُقَدَّمِ ذَكَرَها في عراق المعجم .

(ومنها) بَلَّخَ . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون اللام وفي آخرها خاء معجمة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : و"القسانون" حيث الطول إحدى وتسعون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وإحدى وأربعون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة في مستوٍ من الأرض ، بينها وبين أقرب جبل إليها أربعة فراسخ ، والمدينة نصف فرسخ في مثله ؛ ولها نهر يُسمى الدُهاشُ يجري في رِضْها ، وهو نهر يدير عَشْرَ أَرْجِيَةٍ ؛ والبساتين تحتف بها من جميع جهاتها ؛ وبها الأُتْرُجُ وَقَصَبُ الشُّكْرِ ؛ وقع في نواحيها التلوج . قال في "اللباب" :

(١) وقع في التقويم بإهمال السين ، ولم تُشرط عليه في المعجم ولا في القاموس .

فتبعها الأحنف بن قيس التيمي في خلافة عثمان رضي الله عنه؛ ونخرج منها مالا يخصى من الأئمة والعلماء والصلحاء .

(ومنها) شَهْرَسْتَانُ . قال في "اللباب" : بفتح الشين المعجمة وسكون الهاء وفتح الراء وسكون السين المهملتين وفتح التاء المثناة من فوقٍ وبعد الألف نون - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال في "الأطوال" و "القانون" حيث الطول إحدى وتسعون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وإحدى وأربعون دقيقة . قال في "المشترك" : شَهْرَبَلغة الفرس المدينة ، وإستان الناحية ، فمعى اسمها مدينة الناحية . قال : وهي مدينة مشهورة بين نَيْسَابُورَ وَخُورَازْمَ في آخر حدود خُرَاسَانَ وأول حدود رمال خُورَازْمَ .

الإقليم الحادى عشر

(زَابُلْسْتَانُ)

بفتح الزاى المعجمة ثم ألف بعدها باء موحدة ولام مضمومتان وسين مهملة ساكنة وتاء مثناة فوقٍ مفتوحة ثم ألف ونون - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول اثنتان وتسعون درجة ونحسون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة ونحس عشرة دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة لها بلاد وأعمال ، وهي عن يُلُغ على عشر مراحل ، وعندنا نهر كبير يجرى ، وليس لها بساتين بل هي مدينة على جبل ، والقواكه تأتينا مجلوبة . قال في "اللباب" : وبها قلعة حصينة . ولها مدن غيرها .

(منها) غَزْنَةُ . قال في "اللباب" : بفتح النين وسكون الزاى المعجمتين وفتح

النون - وموقعها في آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" و "القانون" حيث الطول أربع وتسعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة ونحس وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : هي من عمل الباميان؛ وقد تقدم أن الباميان من زابلستان . وقال في "اللباب" : هي من أول بلاد الهند . وقال في "مزيل الارتباب" : هي في طرف ترأسان وأول بلاد الهند، وهي كالحد بينهما . قال ابن حوقل : وهي فُرْضة الهند وموطن التجار، ولها دَرَبَتٌ مشهور .

(ومنها) بَجْبِيرٌ . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون النون وفتح الجيم وكسر الهاء وسكون المثناة تحت وراء مهملة في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول أربع وتسعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي مبنية من أعمال الباميان على جبل، والغالب على أهلها النيت والفساد . قال في "اللباب" : وبها جبل الفضة، والدرهم بها كثيرة، لا يشترون ولو بأقّة بقل بأقل من درهم، وقد جعلوا السوق كهيفة الغربال لكثرة الحفر . قال : وإنما يتبعون عروقاً يحدونها تُفْضِي إلى الفضة، فإذا وجدوا عروقاً حفروا أبداً إلى أن يصيروا إلى الفضة، والرجل منهم يُنْفِقُ الأموال الكثيرة في الحفر، وربما خرج له من الفضة ما يستفي به هو وعتيقه، وربما خاب عمله لقلة المال وغير ذلك، وربما وقف رجل على العرق ووقف آخر عليه في موضع آخر فإخذاً جميعاً في الحفر، والعادة عندهم أن من سبق فاعترض على صاحبه فقد آستحق .

الإقليم الثاني عشر (الشور)

قال في "القباب" : يضم الفين المصجمة وسكون الواو وراء مهملة في الآخر . قال : وهي بلاد في الجبال بخراسان قريبة من هراة، وهي مملكة كبيرة، وغالبها جبال عامرة ذات عيون وبساتين وأنهار، وهي بلاد حصينة منيعة، وتحيط بها خراسان من ثلاث جهات ولذلك حُصيت من خراسان، والحد الرابع لها قبلى - سيجستان .

• قاعدتها فيما قاله في "تقويم البلدان" (پروزكوه) . قال في "المشترك" : بكسر الباء الموحدة وسكون المثناة التحتية وضم الراء المهملة وواو ثم زاي معجمة وضم الكاف وواو وهاء - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "المشترك" : معنى پروزكوه الجبل الأزرق ؛ وهي قلعة حصينة دار مملكة جبال النور . قال : وبها كان مستقرًا بنو ساجان ملوك النور .

قلت : وبلاد النور وغزنة وما والاها وإن عتدا في "مسالك الأبصار" من مملكة التورانيين، فإنها ليست من أصل مملكة توران، وإنما تغلب ملوكها عليها من مملكة إيران، فذلك أثبتنا في مملكة إيران؛ وماغلب عليه بنو هولانكو من مملكة الروم، وهو قونية وما معها ليس من مملكة إيران بل هو مملكة مستقلة بذاتها كما سيأتي ، ولذلك لم أثبتنا في مملكة إيران والله أعلم .

(١) كما في الأصل على هذه الصورة، والذى في التقويم "بها كان مستقر آل سام الخ" وفي معجم البلدان

هو ماها بنو سام ملوك النورية .

الجملة الثالثة

(في الأنهار المشهورة)

واعلم أن بهذه المملكة عدة أنهار، والمشهور منها ثلاثة عشر نهرًا :

الأول - الفُرات وما يصب فيها^(١) ويخرج منها . فاما نهر الفرات فأوله من شمال مدينة أَرَزِن الروم وشرقها ، وأَرَزِن هذه آخر حد بلاد الروم من جهة الشرق ، ثم يأخذ إلى قرب مَلْطِيَّة ثم إلى شِمَشَاط ، ثم يأخذ مشرقًا ويتجاوز قلعة الروم ويتز مع جانبها من شمالها وشرقها ، ثم يسير إلى اليَبَرَة ، ويتز من جنوبها ، ثم يتز مشرقًا حتى يتجاوز بالس قلعة جَمَبَر ويتجاوزها إلى الرِّقَّة ، ثم يتز مشرقًا ويتجاوز الرِّجَّة من شمالها ويسير إلى عانة ثم إلى هَيْب ، ثم يسير إلى الكُوفَة . فإذا جاوز نهر كُوفَى بستة فواضع أقسم نصفين ، ومرت الجنوبي منهما إلى الكوفة ويتجاوزها ويصب في البطائح . ويتز القسم الآخر وهو أعظمهما ويعرف بنهر سُودا ، ويتز بإزاء قصر ابن هُبَيْرَة ، ويتجاوزها إلى مدينة بابل القديمة ، ويتفرع منه عدة أنهر ويتز عموده إلى النيل ويسمى من بعد النيل نهر الصَّراة ، ثم يتجاوز النيل ويصب في دِجْلَة .

وأما الأنهار التي تصب فيه ، فمنها نهر شِمَشَاط ، ونهر البليخ ، ونهر الخابور ، ونهر الهرماس ، وغيرها .

وأما الأنهار التي تخرج من الفرات ، فمنها نهر عيسى ، ونهر صرصر ، ونهر الملك ، ونهر كُوفَى وغير ذلك .

الثاني - دِجْلَة وما يصب إليها ويخرج منها . فاما دِجْلَة فقال في "المشترك" :

بكر المال المهمة وسكون الجيم . قال : وهي نهر عظيم مشهور يخرج من بلاد .

(١) كذا في النسخ أيضا بالتأنيث والأول التأنيث .

الرَّومَ؛ ثُمَّ يَمُرُّ عَلَى أَمْدٍ، وَيَحْصِنُ كَيْفَا، وَجَزِيرَةُ ابْنِ عُمَرَ، وَالْمَوْصِلُ، وَتُكْرِيتُ، وَبَغْدَادُ، وَوَاسِطُ، وَالْبَصْرَةُ؛ ثُمَّ يَصُبُّ فِي بَحْرِ قَارَسَ . وَذَكَرَ فِي "الْعَزِيزِيِّ" :
 أَنَّ رَأْسَ دِجْلَةَ شِمَالِي مِائَتَيْ رَقِيصٍ مِنْ تَحْتِ حِصْنٍ يَعْرِفُ بِحِصْنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ .
 وَيَجْرِي مِنَ الشِّمَالِ وَالْقَرْبِ إِلَى جِهَةِ الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ ؛ ثُمَّ يَشْرِقُ وَيَرْجِعُ إِلَى جِهَةِ
 الشِّمَالِ ؛ ثُمَّ يَغْرُبُ بِمِيلَةٍ إِلَى الْجَنُوبِ إِلَى مَدِينَةِ أَمْدَ ؛ ثُمَّ يَأْخُذُ جَنُوبًا إِلَى جَزِيرَةِ
 ابْنِ عُمَرَ؛ ثُمَّ يَأْخُذُ شَرْقًا وَجَنُوبًا إِلَى مَدِينَةِ بَلَدَ ؛ ثُمَّ يَشْرِقُ إِلَى الْمَوْصِلِ، ثُمَّ يَسِيرُ
 مَشْرِقًا إِلَى تِكْرِيتَ ؛ ثُمَّ يَأْخُذُ مَشْرِقًا نَصَبًا إِلَى سُرْمَنْ رَأْيَ ؛ ثُمَّ يَأْخُذُ جَنُوبًا عَلَى
 عَكُوبَرَى ؛ ثُمَّ يَأْخُذُ مَشْرِقًا إِلَى الْبَرْدَانِ، ثُمَّ يَأْخُذُ جَنُوبًا بِمِيلَةٍ إِلَى الشَّرْقِ إِلَى بَغْدَادَ؛
 ثُمَّ يَسِيرُ جَنُوبًا إِلَى كَلَّوَادَا، وَيَأْخُذُ إِلَى الْمَدَائِنِ وَيَتَجَاوَزُ إِلَى دِيرِ الْعَاقُولِ ؛ ثُمَّ يَسِيرُ
 مَشْرِقًا إِلَى التَّعْمَانِيَّةِ؛ ثُمَّ يَسِيرُ جَنُوبًا وَمَشْرِقًا إِلَى قَمِ الصَّلُحِ ؛ ثُمَّ يَسِيرُ مَقَرَّبًا إِلَى
 وَاسِطَ ؛ ثُمَّ يَشْرِقُ إِلَى بَطَاحِ وَاسِطَ ؛ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ بَطَاحِ وَيَسِيرُ بَيْنَ الشَّرْقِ
 وَالْجَنُوبِ حَتَّى يَتَجَاوَزَ الْبَصْرَةَ، وَيَمُرُّ عَلَى قُوَّةِ الْأُبَلَّةِ، ثُمَّ يَسِيرُ إِلَى عِبَادَانَ وَيَصُبُّ
 فِي بَحْرِ قَارَسَ .

وَأَمَّا الْأَنْهَارُ الَّتِي تَصُبُّ فِي دِجْلَةَ : فَهِيَ نَهْرُ أَرْزَنَ، وَنَهْرُ الْقَرَارِ، وَنَهْرُ الْفَرَاتِ
 الْأَعْلَى، وَهُوَ الْأَكْبَرُ، وَنَهْرُ الزَّابِ الْأَصْفَرُ، وَغَيْرُهَا .

وَأَمَّا الْأَنْهَارُ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ دِجْلَةَ فَهِيَ أَنْهَارُ : مِنْ أَشْهَرِهَا نَهْرُ الْأُبَلَّةِ، وَنَهْرُ مَعْقِلِ
 الْمُقْتَدِمِ ذَكَرَهُمَا فِي الْكَلَامِ عَلَى مَتَرَهَاتِ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ .

الثَّالِثُ - دِجْلَةُ الْأَهْوَازِ . وَهِيَ نَهْرٌ يَنْبُعُ مِنَ الْأَهْوَازِ، وَيَمُرُّ فِي جِهَةِ الْغَرْبِ
 إِلَى عَسْكَرِ مُكْرَمَ، وَهُوَ قَرِبَ دِجْلَةِ بَغْدَادِ فِي الْمَقْدَارِ؛ وَعَلَيْهِ مَرَارِعٌ عَظِيمَةٌ مِنْ قَصَبِ
 الشَّكْرِ وَغَيْرِهِ .

الرابع - نهر شيرين . وهو نهر يخرج من جبل دینار من ناحية بازرع ويختلج بلاد فارس ويقع في بحر فارس عند جَنَابَة ، من بلاد فارس .

الخامس - نهر المشرقان . وهو نهر عظيم في بلاد خُوزستان ، يجري من ناحية نُستَر ، ويمر على عسكر مكرم ، ويسقي بجميع مائه النخل والزرع وقصب السكر ، ولا يضيع شيء من مائه .

السادس - نهر نُستَر . وهو نهر يخرج من وراء عسكر مكرم . ويمر على الأهواز ، ثم يتهى إلى نهر السدرة إلى حصن مهدى ، ويصب في بحر فارس .

السابع - نهر طاب . وتجره من جبال أَصفهان من قرب المَرِج ، وينضم إليه نهر آخر ويسير حتى يمر على باب أَزجان ، ويقع في بحر فارس عند شير .

الثامن - نهر سگان . وهو نهر يخرج من رُستاق الرويجان من قرية تدعى ساركى ، ويسقي شيئاً كثيراً من كُور فارس ، ثم يصب في بحر فارس ؛ وعليه من الهامة ما ليس على غيره .

التاسع - نهر زَندورَد ، بفتح الزاى المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة والواو ثم راء مهملة ساكنة وذال معجمة فى الآخر . وهو نهر كبير على باب أَصفهان .

العاشر - نهر الهندمند . قال ابن حوقل : وهو أعظم أنهار جِستَان ، ويخرج من ظهر الفور ، ويمر على حدود الرُخج ، ثم يعطف ويمر على بُست ، حتى يصير على مرحلة من جِستَان ، ثم يصب في بحيرة زَرَه ؛ وإذا تجاوز بُست يشعب منه أنهار كثيرة ؛ وعلى باب مدينة بُست على هذا النهر جسر من السفن كما في دجلة .

(١) فى التوقيم "تاريخ" ولم تشرى المسم على كلا القطبين .

(٢) فى التوقيم "الرويجان ... ساذغرى" .

الحادى عشر - نهر الرّس . وهو نهر يخرج من جبال قَالِقَلَا ، ويمتد إلى وَرْتَانْ ، ثم يلتقى مع نهر الكَرَّ الآتى ذكره بالقرب من بجر الخَزَرِ فيصيران نهرا واحدا . ويصبان في بحر الخَزَرِ المذكور . قال في "تقويم البلدان" : وخلف نهر الرّس فيما يقال ثلثائة وستون مدينة خراب ، يقال إنها المراد في القراءان بقوله تعالى ﴿ وَأَصْحَابُ الرّسِّ ﴾ .

الثانى عشر - نهر الكَرَّ . وهو نهر فاصل بين أَرَاَنْ وَأَذَرَبَيْجَانْ كالحلّة بينهما ، وأوله عند جبل باب الأبواب ، ويمتد في بلاد أَرَاَنْ ويصب في بحر الخَزَرِ . وذكر ابن حوقل أن نهر الكَرَّ يمر على ثلاثة فرائخ من بَدَعَة . وبقَارِسْ أيضا نهر يقال له نهر الكَرَّ إلا أنه دون هذا في القُدْر والشهرة .

الثالث عشر - نهر جُرْجَانْ . ويخرجه من جبل جرجان ، ويسير غربا بمجنوب إلى أَبْسُكُونْ ثم يفرق من أَبْسُكُونْ نهرين ويصب في بحر الدَّيْلَمِ .

الجملة الرابعة

(في الطرق الموصلة إلى قواعد هذه المملكة ، وذكر شيء من المسافات بين بلادها)

وأعلم أن آخر المملكة المضافة إلى الديار المصرية من جهة الشرق مملكة حَلَبْ . فتعين الابتداء منها . ونحو نورد ذلك على ما يقتضيه كلام عبيد الله بن عبد الله ابن نرداذبة في كتابه "المسالك والممالك" مقتضرا على ذكر مشاهير البلاد .

(الطريق من حَلَبْ إلى الموصل) - من حَلَبْ إلى مَنبِجْ ، ومن مَنبِجْ إلى الرّسْتَنْ ، ومن الرّسْتَنْ إلى الرّقّة إلى رأس عين سبعة عشر فرسخا ، ومن رأس عين إلى كَفَرْتَوْتَا سبعة فرائخ ، ومن كَفَرْتَوْتَا إلى دَلَا خمسة فرائخ ، ومن دَلَا إلى تَصْبِيَيْنْ أربعة فرائخ . ثم إلى بَلَدْ ثلاثون فرسخا ، ثم إلى الموصل سبعة فرائخ .

(الطريق من الموصل إلى بغداد) - من الموصل إلى الحديثة أحد وعشرون فرسخا .
ثم إلى السن خمسة فراسخ ، ثم إلى سمرن رأى ثلاثة فراسخ ، ثم إلى القادسية تسعة
فراسخ ، ثم إلى عكبرى ثمانية فراسخ ، ثم إلى البردان أربعة فراسخ ، ثم إلى بغداد خمسة
فراسخ [. وأخبرني بعض أهل تلك البلاد أن الطريق من حلب إلى البيرة يومان .
ومن البيرة إلى الرها يومان ، ومن الرها إلى مايردين أربعة أيام ، ثم من مايردين إلى
جزيرة ابن عمر ثلاثة أيام ، ثم من جزيرة ابن عمر إلى الموصل يومان ، ومن الموصل
إلى تكريت يومان ، ومن تكريت إلى خوى يومان ، ومن خوى إلى بغداد يومان .

(الطريق إلى نيسابور : قاعدة خراسان) - من بغداد إلى التبروان أربعة فراسخ .
ثم إلى الدسكرة اثنا عشر فرسخا ، ثم إلى جلولاء سبعة فراسخ ، ثم إلى خاتقين سبعة
فراسخ ، ثم إلى قصر شيرين ستة فراسخ ، ثم إلى حلوان خمسة فراسخ ، ثم إلى مرج
القلعة عشرة فراسخ ، ثم إلى قصر يزيد أربعة فراسخ ، ثم إلى قصر عمرو ثلاثة عشر
فرسخا ، ثم إلى قصر اللصوص سبعة عشر فرسخا ، ثم إلى قرية العسل ثلاثة فراسخ ،
ثم إلى همدان خمسة فراسخ ، ثم إلى الأساورة اثنا عشر فرسخا ، ثم إلى ساوة
خمسة عشر فرسخا ، ثم إلى الرى أربعة وعشرون فرسخا ، ثم إلى قصر الملح أحد
وثلاثون فرسخا ، ثم إلى رأس الكلب سبعة فراسخ ، ثم إلى سيمتان ثمانية فراسخ ،
ثم إلى بومن سبعة عشر فرسخا ، ثم إلى أسدآباد أربعون فرسخا ، ثم إلى خسروجرّد
اثنا عشر فرسخا ، ثم إلى نيسابور خمسة عشر فرسخا .

(الطريق من نيسابور إلى بلخ ثم إلى نهر جيحون) - من نيسابور إلى طوس ثلاثة
عشر فرسخا ، ثم إلى مرو الزود أحد عشر فرسخا ، ثم إلى سرخس ، ثم إلى قصر النجار
ثلاثة فراسخ ، ثم إلى مرو الشاهجان سبعة وعشرون فرسخا ، ثم إلى القريتين خمسة

وعشرون فرسخاً، ثم إلى أسدآبَازَ على النهر سبعة فراسخ، ثم إلى قصر الأحنف على النهر عشرة فراسخ، ثم إلى مَرَوِ الرُّوذ خمسة فراسخ، ثم إلى الطَّالْقَانِ ثلاثة وعشرون فرسخاً، ثم إلى أربعين تسعة فراسخ، ثم إلى العاديات عشرة فراسخ، ثم إلى السِّدْرَةِ من عمل بَلْخ أربعة وعشرون فرسخاً، ثم إلى النُّور تسعة فراسخ، ثم إلى بَلْخ ثلاثة فراسخ، ثم إلى شَطِّ جِيحُونِ اثنا عشر فرسخاً. فذات اليمين كورة خُتَل ونهر الصَّرْغام؛ وذات اليسار خُوَارْزَمُ، وسيأتي ذكرهما في الكلام على مملكة تُوْران فيما بعد إن شاء الله تعالى.

(الطريق إلى شيراز قاعدة فارس) - قد تقدم الطريق من حَلَب من مضافات الديار المصرية إلى بغداد، ومن بغداد إلى واسط خمسة وعشرون سِكَّةً، ومن واسط إلى الأهواز عشرون سِكَّةً، ثم إلى التُوْبَنْدَجَان تسع عشرة سِكَّةً، ثم إلى شيراز اثنتا عشرة سِكَّةً.

(الطريق من شيراز إلى السَّيرْجَان: قاعدة كَرْمَانَ) - من شيراز إلى اِصْطَخَرِ نَحْسُ سِكَّةً، ثم من اِصْطَخَرِ إلى البحيرة ثلاثة عشر فرسخاً، ثم إلى شَاهَكِ الكَبْرِى سبعة عشر فرسخاً، ثم إلى قرية المَلِّح تسعة فراسخ، ثم إلى مَرَزْمَانَه ثمانية فراسخ، ثم إلى اروان ثلاثة فراسخ، ثم إلى المَرْمَان وهو آخر عمل فارس إلى السَّيرْجَان ستة عشر فرسخاً.

(الطريق إلى أَصْبَهَانَ) - من بُوْمَنِ المَقْتَمِ ذكرها إلى الرِّبَاطِ ثلاثة عشر فرسخاً، ثم إلى أَصْبَهَانَ أربعة عشر فرسخاً.

(الطريق إلى البصرة) - قد تقدم الطريق من حَلَب إلى بَغْدَاد، ثم إلى واسط، ثم إلى القاروث، ثم إلى دير العَلال، ثم إلى الحَوَانِيت، ثم يسير في البَطَايِح، ثم إلى نهر أبي الأسد، ثم في دِجْلَةِ المَوْرَا، ثم في نهر مَقِيل، ثم بمعنى إلى البصرة.

(الطريق إلى تبريز^(١)) - قد تقدم الطريق من حلب إلى ماريدين، ثم من ماريدين إلى حصن كيفا يومان، ومن الحصن إلى سيمرت يومان، ومن سيمرت إلى وان يومان، ومن وان إلى وسطان ثلاثة أيام، ومن وسطان إلى سلباس يومان، ومن سلباس إلى تبريز أربعة أيام، فيكون بين حلب وتبريز ثلاثة وعشرون يوما .

(الطريق إلى السلطانية) - من تبريز إليها سبعة أيام، فيكون من حلب إلى السلطانية ثلاثون يوما .

الجملة الخامسة

(في بعض مسافات بين بلاد هذه المملكة)

(بعض مسافات بلاد الجزيرة) - من أنبار إلى تكريت مرحلتان، ومن تكريت إلى الموصل ستة أيام، ومن الموصل إلى آمد أربعة أيام، ومن آمد إلى ممشاط ثلاثة أيام، ومن الموصل إلى نصيبين أربع مراحل، ومن نصيبين إلى رأس عين ثلاث مراحل، ومن رأس عين إلى الرقة أربعة أيام، ومن رأس عين إلى حران ثلاثة أيام، ومن حران إلى الرها يوم واحد .

(بعض مسافات خوزستان) - من عسكر مكرم إلى الأهواز مرحلة، ومن الأهواز إلى الدورق أربع مراحل، وكذلك من عسكر مكرم إلى الدورق^(٢) ومن عسكر مكرم إلى سوق الأرباء مرحلة، ومن سوق الأرباء إلى حصن مهدي مرحلة، ومن السوس إلى بصني مرحلة خفيفة، ومن السوس إلى متوت مرحلة .

(بعض مسافات فارس) - قال ابن حوقل : من شيراز إلى سیراف نحو ستين فرسخا، ومن شيراز إلى إصطخر نحو آخى عشر فرسخا، ومن شيراز إلى كازرون

(١) في القاموس "تبريز وقد تكسر... .."

(٢) الزيادة عن "تقويم البلدان" ليم اليان .

نحو عشرين فرسخا ، ومن كازرون إلى جنابة أربعة وأربعون فرسخا ، ومن شيراز إلى أصبهان اثنتان وسبعون فرسخا ، ومن شيراز مغربا إلى أول حدود خوزستان ستون فرسخا ، ومن شيراز إلى بسا سبعة وعشرون فرسخا ، ومن شيراز إلى البيضاء ثمانية فراسخ ، ومن شيراز إلى دارابجردهمسون فرسخا ، ومن مهرuban إلى حصن ابن عماره نحو مائة وستين فرسخا .

(بعض مسافات كerman) - من السيرجان إلى المفازة مرحلتان ، ومن السيرجان إلى جيفت مرحلتان ، ومن السيرجان إلى مدينة الزند تسعة وعشرون فرسخا .
(بعض مسافات إرمينية وآران وأذربيجان) - قال ابن حوقل : من بردعة إلى شمشكور أربعة عشر فرسخا ، ومن بردعة إلى تغليس ثلاثة وأربعون فرسخا ، ومن أردبيل إلى المراغة أربعون فرسخا ، ومن المراغة إلى أرمية أربع مراحل ، ومن أرمية إلى سلماس مرحلتان ، ومن سلماس إلى خوى سبعة فراسخ ، ومن خوى إلى برزكي ثلاثون فرسخا ، ومن برزكي إلى أرجيش يومان ، ومن أرجيش إلى خلط ثلاثة أيام ، ومن خلط إلى بدليس ثلاثة أيام ، ومن بدليس إلى ميا فارقين أربعة أيام .

[ذكر الطريق من المراغة إلى أردبيل ، من مراغة إلى أرمية ثلاثون فرسخا]^(١) ، ومن أرمية إلى سلماس أربعة عشر فرسخا ، ومن خوى إلى نسوى [ثلاثة أيام ، ومن نسوى] إلى ديبيل أربع مراحل ، ومن المراغة إلى الدينور ستون فرسخا ، ومن خوج إلى مراغة [ثلاثة عشر فرسخا]^(١) ، ومن بردعة إلى ورنان سبعة فراسخ ، ومن ورنان إلى يلقان سبعة فراسخ ، ومن شروان إلى باب الأبواب نحو سبعة أيام ، ومن بردعة إلى تغليس نحو اثنين وستين فرسخا .

(١) الزائد من تعويم البلدان عن ابن حوقل ليستقيم الكلام .

(بعض مسافات عراق الحميم) - من همدان إلى النينوى ما ينف على عشرين فرسخا ، ومن همدان إلى ساوة ثلاثون فرسخا ، ومن ساوة إلى الرى ثلاثون فرسخا أيضا ، ومن همدان إلى زنجان على شهرزور ثلاثون فرسخا ، ومن همدان إلى أصهبان ثمانون فرسخا ، ومن همدان إلى أول نرسان نحو سبعين فرسخا ، ومن ساوة إلى قم نحو اثني عشر فرسخا ، ومن قم إلى قاشان نحو اثني عشر فرسخا أيضا ، ومن الرى إلى قزوین ثلاثون فرسخا ، ومن النينوى إلى شهرزور أربع مراحل ، ومن أصهبان إلى قاشان ثلاث مراحل .

(بعض مسافات طبرستان ومازندران وقومس) - قال ابن حوقل : بين أمّل وسارية مرحلتان ، ومن سارية إلى أسياباذ نحو أربع مراحل ، ومن أسياباذ إلى بجران نحو مرحلتين ، ومن أمّل إلى ما مطير مرحلة ، ومن ما مطير إلى سارية مرحلة ، ومن بجران إلى بسطام مرحلتان .

(بعض مسافات نرسان) - قال في "تقويم البلدان" : من أول أعمال نيسابور إلى وادی جيجون ثلاث وعشرون مرحلة ، ومن سرخس إلى آسا سبعة وعشرون فرسخا ، ومن هراة إلى نيسابور أحد عشر يوما ، ومن هراة إلى مرو كذلك ، ومن هراة إلى نيسستان كذلك ، ومن مرو الروذ إلى مرو الشاهجان أربعة أيام ، ومن بلخ إلى قرغانة ثلاثون مرحلة مشرقا ، ومن بلخ إلى الرى ثلاثون مرحلة مغربا ، ومن بلخ إلى نيسستان ثلاثون مرحلة جنوبا ، ومن بلخ إلى كرمات ثلاثون مرحلة ، ومن بلخ إلى خوارزم ثلاثون مرحلة .

الجملة السادسة

(فيما بهذه المملكة من النفائس العلية القدر، والعجائب الغريبة الذكر،

والمتزهات المرتفعة الصيت)

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" : بها عدة نفائس وعجائب .

أما النفائس فإن بها مناص اللؤلؤ ببحر فارس بجزيرة كيش وشمسان، وهما من أحسن المناصات وأشرفها وأعلاها قدرا في حسن اللؤلؤ على ما تقدم ذكره في الكلام على الأحجار النفيسة فيما يحتاج الكاتب إلى معرفته في المقالة الأولى .

وبالدائمات في جبلها معدن ذهب . قال الشيخ شمس الدين الأصفهاني : وهو قليل المتحصل لكثرة ما يحتاج إليه من الكلف حتى يستخرج وبذخشان^(١) شرق عراق العجم البازهر الحيواني الذي لا يباريه شيء في دفع السموم يوجد في الأيائل التي هناك ، وقد مر ذكره في الكلام على ما يحتاج الكاتب إلى معرفته في المقالة الأولى .

وبها الإمداد الأصفهاني الذي لا يساوى رتبة، وقد مر ذكره في الكلام على ما يحتاج الكاتب إلى معرفته في المقالة الأولى، ولكنه قد عثر الآن حتى لا يكاد يوجد قال المقر الشهابي بن فضل الله : سألت الشيخ شمس الدين الأصفهاني عن سبب قلته، فقال : لا تقطع عرقه فما بقي يوجد منه إلا مالا يرى . قال في "مسالك الأبصار" : وبهذه المملكة مستعملات القناش الفانر من النخ ، والمخمل ، والكفا ، والعنابي ، والنصافي ، والصوف الأبيض المارديني ؛ وتعمل بها البسط الفانرة في عدة مواضع مثل شبراز وأقصرا وتوزر إلى غير ذلك من الأشياء النفيسة التي لا يضاهاها غيرها فيها .

(١) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل .



وأما العجائب ، فقد ذكر الشيخ شمس الدين الأصفهاني أن بمدينة قشعر على ثلاثة أيام عن أصفهان عين ماء سارحة يسمى ماؤها بماء الجراد ، إذا حمل ماؤها في إناء وعلق في تلك الأرض على عال ، أتاها طير يقال له سارفاكل ما فيها من الجراد حتى لا يدع منه شيئا بشرط أن لا يوضع على الأرض حتى يثقب به إلى مكان الجراد فيعلق . وحكى محمد بن حيدر الشيرازي في مصنف له : أن بين الدانان واستراباذ من خراسان عينا ظاهرة إذا ألقيت فيها نجاسة فار ماؤها وأزبدت شيئا تبعته دودة طول أكلة الإنسان حتى لو حمل الماء تسعة وكان معهم عاشر لم يحمل الماء ، تبع كل واحد من حمل الماء دودة ، ولم يتبع الآخر منها شيء ، فلو قتل واحد منهم تلك الدودة استحال الماء مرا لوقته ، وكذلك ماء كل من هو وراءه ، ولا يستحيل ماء من هو إلى جانبه مرأ . قال ابن حوقل : وبكورة سابور من بلاد فارس جبل فيه صورة كل ملك وكل مرزبان معروف للعجم وكل مذكور من سدة النيران . وفي كورة أربان قرية يقال لها طبريان [بئر^(١)] يذكر أهلها أنهم امتحنوا قعرها بالمتقلات فلم يلحقوا لها قعرا ، ويفور منها ماء بقدر ما يدير رحي تسقى أرض تلك القرية . قال : وفي كورة رستاق [بئر^(٢)] تعرف بالهنديجان بين جبلين يخرج منها دخان لا يستطيع أحد أن يقربها ، وإذا طار عليها طائر سقط فيها وأحرق . وبساحية داذين نهر ماء عذب يعرف بنهر أخشين ، يشرب منه الناس وتسقى به الأرض ، وإذا غسلت به الثياب خرجت خضرا .

(١) لعله ولو حمل واحد من ماها شيئا الخ .

(٢) الزيادة من تميم البلدان ليستقيم الكلام .



وأما المنتزهات فيها نهر الأبله وشعب بوان - وهما نصف منتزهات الدنيا الأربعة : وهي نهر الأبله وشعب بوان المذكوران وصغد سمرقند وغوطة دمشق - وقد تقدم أن نهر الأبله نهر شق زباد مقابلة نهر معقل، وبينهما البساتين والقصور العالية والمباني البديعة، يتسلسل مجراه، وتهلل بركه وعشاياه، ويظله الشجر وتغنى به زمر الطير . وفيه يقول القاضى التنوخى من أبيات :

وإذا نظرت إلى الأبله حلتها * من جنة الفردوس حين تحل!
كَمْ مَرَّيْلٍ فِي نَهْرِهَا إِلَى السُّرُو * رَبَّاهُ فِي غَيْرِهَا لَا يَسْتَرْل!
وَكَأَنَّمَا تِلْكَ الْقُصُورُ عَرَائِسُ * وَالرُّوْضُ حُلٌّ وَهِيَ فِيهِ تَرْفُل!

وشعب بوان - وهو علة قرى مجتمعة ومياه متصلة، والأشجار قد غطت تلك القرى فلا يراها الإنسان حتى يدخلها ، وهو بظاهر همدان يشرف عليها من جبل، وهو في سفح الجبل والأنهار تحيط عليه من أعلى الجبل، وهو من أبدع بقاع الأرض منظرًا . قال المبرد : أشرفت على شعب بوان فنظرت فإذا بماء يتحدر كأنه سلاسل فضة، وتربة كالكاغور، وتربة كالثوب الموشى، وأشجار متهادلة، وأطيار متجاوبة . وفيه يقول أبو الطيب المتنبى حين مر به :

مَعَايِ الشَّعْبِ طَيِّبًا فِي الْمَنَاقِبِ * بِمَرْتَلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ!
وَلَيْسَكِنَّ النَّقَى الرَّيِّ فِيهَا * غَيْرُ بُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ!

الجملة السابعة

(فذكر من ملك مملكة إيران جاهلية وإسلاما)

وهم على ضربين :

الضرب الأول

(ملوكها قبل الإسلام)

وأعلم أن هذه المملكة لم تزل بيد ملوك الفُرس لابتداء الأمر وإلى حين اقتراض دولتهم بالإسلام على ما سيأتي ذكره . قال المؤيد صاحب حماة : وهم أعظم ملوك الأرض من قديم الزمان ، ودولتهم وتزيينهم لا يماثلهم في ذلك أحد .
وهم على أربع طبقات :

الطبقة الأولى

(الفيشاذية)

سُموا بذلك لأنه كان يقال لكل من ملك منهم فيشاذ ومعناه سيرة العدل .
وأول من ملك منهم (أوشهنج) وهو أول من عُقد على رأسه التاج وجلس على السرور ورتب الملك ونظم الأعمال ووضع الخراج . وكان ملكه بعد الطوفان بمائة سنة ، وهو الذي بنى مدينتي بابل والسُوس ، وكان محمود السيرة ، حسن السياسة .
ثم ملك بعده (طهمورث) وهو من عقب أوشهنج المتقدم ذكره ، وبينهما عثة آباء ، وسلك سيرة جدّه ، وهو أول من كتب بالفارسية .
ثم ملك بعده أخوه (جَمشيد) ومعناه شُعاع القمر ، وسار سيرة من تقدّمه وزاد عليها ، وملك الأقاليم السبعة ، ورتب طبقات الجبابر والحُكَّاب ونحوهم ، وهو الذي أحدث التبرُّوز وجعله عيداً ، ثم حاد عن سيرة العدل قتلته الفُرس .

(١) في تاريخ أبي الفدا (ماتى) بالثنية .

وملك بعده (بيوراسب) ويعرف بالدهاك^(١)، ومعناه عشر آفات، والعامة تسميه الضحاك، وملك جميع الأرض فسار بالجور والعسف، وبسط يده بالقتل، وأحدث المكوس والعشور، واتخذ المنين والملاهي، وميأق خبره لاهمه مع كابي الخارج عليه في الكلام على النحل والملل، ويقال إنه هو ومن قبله كانوا قبل الطوفان .

ثم ملك بعده (إفريدون) ويقال إنه التاسع من ولد "بحشيد" المقدم ذكره، وفي أول ملكه كان إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو ذو القرنين المذكور في القرآن على أحد الأقوال، وملك جميع الأرض أيضا وقسمها بين بنيه ومات .

فلك بعده آبنه (إيراج) بهمد من أبيه، ثم ملك بعده أخوه (شرم) و(طوج) ثم غلبهما على الملك (منوچهر بن إيراج) وفي أيامه ظهر موسى عليه السلام . ويقال إن فرعون موسى كان عاملا له على مصر داخلا تحت أمره .

ثم تغلب على المملكة (فراسياب بن طوج) فافسد ونحرب، ثم غلبه عليها (زو بن طهماسب) من أولاد منوچهر، فأحسن السيرة وعمر البلاد، وشق نهر الزاب وبني مدينة على جانبه .

ثم ملك بعده (كرشاسف) من أولاد طوج بن إفريدون، وهو آخر ملوك هذه الطبقة.

الطبقة الثانية

(البيكانية)

سموا بذلك لأن في أول أسم كل واحد منهم لفظة كي، ومعناه الروحاني وقيل الجبار.

وأول من ملك منهم بعد كرشاسف المقدم ذكره (كيقباد) بن زو، فسار سيرة أبيه في العدل ومات، فلك بعده (كيكاؤوس) بن كيينه بن كيقباد ومات، فللك

(١) كذا في المختصر أيضا وفي السبأ "الزدهاك" بصاد بين السين والزاى وحاء قرية من الماء وكاف قرية من القاف، وفي المسعودي "الدهاك" .

بعده أبنته (كيهنخرو بن سياووس بن كيكازوس) بولاية من جدته ، ثم أعرض
عن الملك .

وملك بعده (كيهراسف بن أنى كيكازوس) وأخذ سريرا من ذهب مرصعا
بالجوهر ، كان يجلس عليه ، وبني مدينة بلخ بأرض خراسان وسكنها لقتال الترك ،
وفي زمنه كان ^{يؤسس} بختنصر بفعله نائبا له ثم مات .

وملك بعده (كيهتاسف) وبني مدينة نسا ، وفي أيامه ظهر زرادشت صاحب
” كتاب المجوس “ الآتى ذكره في الكلام على النحل والملل ، وتبعه كيهتاسف على
دينه ثم قُتِل .

وملك بعده (أردشير بهمن) ومعنى بهمن الحسن البتة ابن إسفنديار بن
كيهتاسف ، وأسمه بالبرانية كوروش ، وملك الأقاليم السبعة ، وهو الذى أمر بجمارة
البيت المقدس بعد أن خربه ^{بجور} بختنصر .

ثم ملك بعده أبنته (دارا بن أردشير) وفي زمنه ملك (الإسكندر بن فيلبس)
وغلب دارا على ملك فارس ، وأستتاب به عشرين رجلا ، وهم المسمون بملوك
الطوائف ، فأقاموا على ذلك خمسمائة وأتت عشرة سنة ، ثم بطل حكم ذلك .

الطبقة الثالثة

(الإشتاقية ^(١) ، يقال لكل منهم اشقا)

وأول من ملك منهم بعد ملوك الطوائف (اشقا بن اشقان) . ثم ملك بعده أبنته ^(٢)
(سابور بن اشقان) عشرين سنة . ثم ملك بعده (بسين بن اشقا) عشرين سنة . ثم ملك
بعده (جور بن اشقان) عشرين سنة . ثم ملك بعده (يرن الاشقاني) إحدى وعشرين

(١) في الكبير ” الاشكافية وكانها أقرب إلى العين “ فنه .

(٢) هنا مخالفة لـ في كتابي مختصر أبي الفداء والكبير فراجعهما .

سنة ومات . فملك بعده (جودرز الاشغاني) تسع عشرة سنة ومات . فملك بعده (نزي الاشغاني) أربعين سنة ومات . فملك بعده (هرمز الاشغاني) تسع عشرة سنة ومات . فملك بعده (اردوان الاشغاني) اثني عشرة سنة ومات . فملك بعده (خسرو الاشغاني) أربعين سنة ومات . فملك بعده (بلاش الاشغاني) أربعاً وعشرين سنة ومات . فملك بعده (اردوان الأصغر) وهو آخر ملوكهم من هذه الطبقة .

الطبقة الرابعة

(الأكاسرة)

وأول من ملك منهم (أردشير بن بابك) من عقب ساسان بن "أردشير بهمن" قتل "اردوان" وأستولى على ملكه ، فأقام أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وكتب عهداً بالملك في عقبه ومات . فملك بعده أبنة (سابور) إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر ، وفي أيامه ظهر "ماني الزنديقي" وأدعى النبوة ، وأضنى بنقل كتب الفلاسفة من اللغة اليونانية إلى اللغة الفارسية ، ويقال إن العود الذي يُتغنّى به حدث في أيامه ومات . فملك بعده أبنة (هرمز) سنة واحدة وستة أشهر ومات . فملك بعده أبنة (بهرام) ثلاث سنين وثلاثة أشهر ومات ، فملك بعده أبنة (بهرام بن بهرام) سبع عشرة سنة ومات . فملك بعده أبنة (بهرام بن بهرام بن بهرام) أربع سنين ثم مات . فملك بعده أخوه (نزي بن بهرام) تسع سنين ثم مات . وملك بعده أبنة (هرمز) تسع سنين أيضاً ومات . فملك بعده أبنة (سابور) وهو الذي عمل الجسر الثاني لدرجة ليكون أحد الجسرين للذهابين ، والآخر للآسيين . وفي زمنه كان قسطنطين ملك الروم ومات . فملك بعده أخوه (أردشير) بوصية منه ، ثم مات . فملك بعده أبنة (سابور

(١) قال في العبر "ضبطه الدارصلي بالراء المهملة" .

(٢) صوابه ابن أخيه .

آبن سابور) ثم ملك بعده أخوه (بهرام بن سابور) ثم ملك بعده أبنته (يزدجرد) المعروف بالأنيم؛ ثم ملك بعده (كسرى) من ولد "أردشير" ثم ملك بعده (بهرام جور بن يزدجرد الأنيم) وكانت مدة ملكه [ثلاثا وعشرين سنة ومات . فملك بعده أبنته (يزدجرد) ثمانيا وعشرين سنة ومات . فملك بعده أبنته (هرمز) ثم مات . فملك بعده أخوه (فيروز) سبعا وعشرين سنة ، وظهر في أيامه غلاء شديد . ثم ملك بعده أبنته (بلاش) أربع سنين ومات . فملك بعده أخوه (قباد) ثلاثا وأربعين سنة "وفي أيامه ظهر مردك الزنديق وادعى النبوة" ثم خلع . وملك بعده أخوه (جاماسف) (ثم تغلب عليه قباد واستمر في الملك^(١)) ثم مات . وملك بعده (أنوشروان) ثمانيا وأربعين سنة، وقتل مردك الزنديق وأتباعه وجماعة من المانوية، وغلب على اليمن وأترعها من الحبشة . وفي زمانه ولد عبدالله أبوالنبي صلى الله عليه وسلم؛ ثم ولد النبي صلى الله عليه وسلم في آخر أيامه؛ ثم مات . وملك بعده أبنته (هرمز) نحو ثلاث عشرة سنة ونصف . ثم ملك (أبرويز بن هرمز)؛ ثم غلبه على الملك (بهرام جوين) من غير أهل بيت الملك؛ ثم عاد أبرويز إلى الملك وملك ثمانيا وثلاثين سنة، وتزوج شيرين المغنية وبني لها القصر المعروف بقصر شيرين . ثم ملك بعده أبنته (شيرويه) تغلبا على أبيه ثمانية أشهر . ثم ملك بعده أبنته (أردشير) سنة وستة أشهر . ثم ملك بعده (شهربان) من غير بيت الملك ثم قتل . وملك بعده (بوران) بنت أبرويز سنة وأربعة أشهر . ثم ملك بعدها (خشنشه) من بنى عم أبرويز أقل من شهر . ثم ملك بعده (أزريدخت) بنت أبرويز أخت بوران . ثم قتلت ؛ وملك بعدها (كسرى بن مهر خشنش)؛ ثم قتلوه بعد أيام؛ ثم ملك بعده

(١). الزيادة من تاريخ أبي القداء ليم الكلام ويستقم .

(٢) » » » » بالمعنى لتسم الكلام .

فرخ زاد خسرو [من أولاد أنوشروان وملك ستة أشهر وقتلوه، ثم ملك] (يزدجرد)
وهو آخرهم .

الضرب الثاني

(ملوكها بعد الإسلام، وهم على ثلاث طبقات)

الطبقة الأولى

(عمال الخلقاء)

قد تقدم أن فتحها كان في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فتوالت عليها أعمال الخلقاء في بقية خلافة عمر ، ثم في خلافة أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضي الله عنه ، ومقامهما يومئذ بالمدينة النبوية ؛ ثم لما يبيع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة بعد قتل عثمان ، جعل إقامته بالعراق ؛ ثم كان بعده ابنه الحسن السبط رضي الله عنه ، فأقام بالعراق إلى أن سَلِمَ الأمر للمنى (معاوية بن أبي سفيان) فجمارت الخلافة إلى بني أمية ، وجعلوا دار إقامتهم بالشام وتوالت على هذه المملكة توابعهم في خلافة معاوية ؛ ثم (أبنة يزيد) ؛ ثم (أبنة معاوية بن يزيد) ؛ ثم (مروان بن الحكم) ؛ ثم (عبد الملك بن مروان) ؛ ثم (الوليد بن عبد الملك) ؛ ثم (سليمان بن عبد الملك) ؛ ثم (عمر بن عبد العزيز) ؛ ثم (يزيد بن عبد الملك) ؛ ثم (هشام بن عبد الملك) ؛ ثم (الوليد بن يزيد بن عبد الملك) ؛ ثم (يزيد بن الوليد بن عبد الملك) ؛ ثم (إبراهيم بن الوليد) ؛ ثم (مروان بن محمد ابن مروان بن الحكم) وهو آخرهم .

(١) أي آيين شهر يار - وبقيّة نسبه في تاريخ أبي القداء والزيادة منه ليم الكلام .

والبريدى على خوزستان، وعماد الدولة بن بويه على فارس، ومحمد بن الياس على كرمان، وركن الدولة بن بويه على الرمي وأصفهان، وبنو حمدان على الموصل وديار بكر وديار مصر وديار ربيعة، وغير أقطار هذه المملكة مع ملوك أخر. ولم يبق للتليفة غير بغداد وأعمالها، واستولى ابن رائق على جميع الأمور وخطب باسمه على المنابر، وأقام سنة وعشرة أشهر، ثم صار الأمر بعده إلى (يحكم) مملوك وزير (ماكان) بن كاكي الديلمي، واستقر أيام الراضي ققتل، واستقر (البريدى) بعده في أيام المتقي وأيام المستنكى. وصيرت ألقابه على الدنانير والدرهم، وخطب باسمه على المنابر، واستقر ذلك لذويه من بعده، ثم ملك بعده (بختيار)، ثم ابن عمه (عضد الدولة) بن ركن الدولة حسن بن بويه، ثم ابنه (صمصام الدولة) بن عضد الدولة، ثم أخوه (شرف الدولة) شيرزبك، بن عضد الدولة، ثم أخوه (بهاء الدولة أبو نصر) بن عضد الدولة، ثم ابنه (سلطان الدولة أبو شجاع)، ثم ابنه (بهاء الدولة^(٢))، ثم أخوه (مشرف الدولة) ابن بهاء الدولة، ثم أخوه (جلال الدولة) أبو الطاهر بن بهاء الدولة، ثم ابن أخيه (أبو كاليبجار) بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة، ثم ابنه الملك الرحيم (خسرو فيروز) ابن كاليبجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة ابن بويه. وبنو بويه هؤلاء ينسبون إلى يزدجرد ملك الفرس.

ثم كانت دولة السلجوقية. وهى من أعظم الدول الإسلامية، ونسبتهم إلى سلجوق بن دقاق أحد مقدسى الأتراك، وبهم زالت دولة بنى بويه عن بغداد وأعمال الخلافة.

وأول من ملك منهم (طغرل بك) بن ميكائيل بن سلجوق فى سنة اثنتين وثلاثين وأربعائة، ثم ملك بعده ابن أخيه (ألب أرسلان) بن داود بن ميكائيل، ثم ابنه

(١) فى الأصل "ثم آية" وهو خلاف الواقع.

(٢) أجمت التواريخ على إسقاط هذا من النص. وهو ما تخفيه عبارة المؤلف.

(ملكشاه) بن ألب أرسلان ؛ ثم أبنيه (محمود بن ملكشاه) ؛ ثم أخوه (بركازق) ابن ملكشاه ؛ ثم أخوه (محمد بن ملكشاه) ؛ ثم أبنيه (محمود بن محمد) ؛ ثم أبنيه (داود بن محمود) ؛ ثم عمه (طغرليک) بن محمد ؛ ثم أخوه (مسعود) بن محمد ؛ ثم ابن أخيه (ملكشاه) بن محمود ؛ ثم أخوه (محمد بن محمود) . ثم قام منهم ثلاثة : وهم (ملكشاه بن محمود) أخو محمد المذكور ؛ و (سليان شاه) بن محمد بن ملكشاه . وهو عم محمد المذكور ؛ و (أرسلان شاه) بن طغرليک بن محمد بن ملكشاه . ثم قبض علي سليان شاه ، ومات ملكشاه ، وأنفرد أرسلان شاه بن طغرليک بالسلطنة . ثم ملك بعده أبنيه (طغرليک) بن أرسلان شاه وبقي حتى قتل علاء الدين تگش صاحب خوارزم وبعض نرأسان والرئى وغيرها ، في خلافة الناصر لدين الله في سنة تسعين وخمسمائة ، واشتغل (خوارزم شاه) عن فصل العراق فبق بيد الخلقاء من لدن الناصر لدين الله ، ومن بعده إلى أن انقرضوا بفعله هُولاكو ملك التتر الآتى ذكره .

الطبقة الثالثة

(ملوكها من بني جنكركخان)

واوّل من ملكها منهم (هُولاكو) بن طولي بن جنكركخان المقدم ذكره ، قصدها بأمر أخيه منكوقان بن طولي صاحب التخت في سنة تحسين وسثمائة ، وقتل المُستعصم آخر الخلقاء ببغداد ، وأستولى على جميع المملكة . قال في "مسالك الأبصار" : قال شيخنا العلامة شمس الدين الأصفهاني : إلا أن هُولاكو لم يملك ملكا مستقلا بل كان نائباً عن أخيه منكوقان ، ولم يضرب باسمه سكة درهم ولا دينار ، وإنما كانت تضرب باسم أخيه منكوقان . قال : وكان يكون لصاحب التخت أميراً يزال مقيماً في مملكة إيران مع هُولاكو ، ومات في تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين

وسمائه؛ وملك بعده (أبنا) . قال الشيخ شمس الدين الأصبهاني: ولما ملك
أضاف اسمه في السكة إلى اسم صاحب النُخت ، وكان قد وجه أخاه منكوتر إلى
الشام وأتقى مع الجيوش الإسلامية على حِمَص ، وأنكسر عليها؛ ومات سنة إحدى
وثمانين وسمائه؛ وملك بعده أخوه (بوكدار بن هولاكو) وأسلم وحسن إسلامه
ونلقب أحمد سلطان ، وحمل العسكر على الإسلام فقتلوه؛ وملك بعده ابن أخيه
(أرغون) بن أبنا بن هولاكو في جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين وسمائه ،
وتوفي في ربيع الأول سنة تسعين وسمائه؛ وملك بعده أخوه (كيتخو) ففرج
عن الياسة وأغش في التسقي بنساء المغل وأبنائهم ، فوثب عليه بنو عمه فقتلوه
في ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وسمائه؛ وملك بعده (بيدو بن طرغاي)
ابن هولاكو ، وبقي حتى قتل في ذي الحجة من السنة المذكورة ؛ وملك بعده
(محمود غازان) بن أرغون بن أبنا بن هولاكو ، ودخل إلى الشام ، وكان بينه
وبين الملك الناصر محمد بن قلاوون وقعات بِحِمَص وغيرها آخرها على شَقِيب ، كُسر
فيها كسرة فاحشة ، هلك فيها معظم عسكره في سنة اثنتين وسبعائة ، وبقي حتى توفي
في ثالث عشر شوال سنة ثلاث وسبعائة ؛ وملك بعده أخوه (خدابندا) والعامه
تقول خربندا بن أرغون بن أبنا بن هولاكو في الثالث والعشرين من ذي الحجة
سنة ثلاث وسبعائة ؛ ثم ملك بعده (أبو سعيد بن خدابندا) وهو آخر من ملك من
بنى هولاكو ، وكان بينه وبين الناصر محمد بن قلاوون مكاتبات ومراسلات وتودد
بعد وخشة ، وبموته تفرقت المملكة بأيدي أقوام ، وصارت شبيهة بملوك الطوائف
من الفُرس .

قال في "مسالك الأبحار" بعد ذكر أبي سعيد : ثم هم بعده في دهماء مظلمة ،
وعبياء مقممة ؛ لا يُفِيضُ ليلهم إلى صَبَاح ، ولا فرقهم إلى اجتماع ، ولا فسادهم إلى

صَلَّاحٌ ؛ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ هَاتِفٌ ، يَدْعِي بِأَسْمِهِ ، وَخَافَتُ ، أَخَذَ جَانِبًا إِلَى قَسِيهِ ؛ وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَتَلَبَّ وَتَقِيمُ قَائِمًا يَقُولُ هُوَ مِنْ أَبْنَاءِ الْقَانِ ، وَتَنْسِبُهُ إِلَى فُلَانٍ ؛ ثُمَّ يَضْمَحَلُّ أَمْرَهُ عَنْ قَرِيبٍ ، وَلَا تَلْحَقُ دَعْوَتُهُ حَتَّى يَدْعِيَ فَلَا يَجِيبُ ، وَمَا ذَلِكَ مِنَ الدَّهْرِ بِمُعْجِبٍ . وَذَكَرَ نَحْوَهُ فِي "التَّعْرِيفِ" وَزَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ : "وَكَانَ الْعَهْدُ بِهَذِهِ الْمَمْلَكَةِ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ وَسُلْطَانٍ فَرْدٍ مَطَاعٍ ، وَعَلَى هَذَا مَضَتْ الْأَيَّامُ إِلَى حِينٍ وَقَعَتْ أُنَى سَعِيدٍ ، فَصَاحَ فِي جَنَابَاتِهَا كُلِّ نَاعِقٍ وَقَطَعَ رِذَائِهَا كُلَّ جَاذِبٍ ، وَتَفَرَّدَ كُلُّ مُتَغَلِّبٍ مِنْهَا بِجَانِبٍ ؛ فَهِيَ الْآنَ نَهْيٌ بِأَيْدِيهِمْ .

فَأَمَّا عِرَاقُ الْعَرَبِ وَهُوَ بَغْدَادُ وَبِلَادُهَا وَمَا يَلِيهَا مِنْ دِيَارٍ بَكْرٍ ، وَرَبِيعَةٌ وَمُضَرٌّ ، فَبِيدُ الشَّيْخِ حَسَنِ الْكَبِيرِ ، وَهُوَ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَقْبَا مِنْ طَائِفَةِ التُّورَانِيِّينَ ، كَانَ جَدُّهُ نَوَكْرًا مُؤَلَّاكُو بْنُ طُولِي بْنِ جَنْجَرَخَانَ ، وَالنَّوَكْرُ هُوَ الرَّفِيقُ .

وَأَمَّا بَقِيَّةُ دِيَارِ بَكْرٍ ، فَبِيدُ إِبْرَاهِيمَ شَاهِ بْنِ بَارَنْبَايَ بْنِ سُونَايَ .

وَأَمَّا مَمْلَكَةُ أَدَرْبِيْجَانَ وَهِيَ قَطْبُ مَمْلَكَةِ إِيرَانَ ، وَمَقَرُّ كَرْمِيٍّ مُلُوكِهَا مِنْ بَنِي جَنْجَرَخَانَ ؛ فَهِيَ الْآنَ بِيْدُ أَوْلَادِ جَوَابَانَ ، وَبِهَا الْقَانُ الْقَائِمُ بِهَا (سَلْمَانُ شَاهٍ) . قَالَ : وَلَا أَعْرِفُ صَحَّةَ نَسْبِهِ وَلَا سِيَاقَتَهُ بِالدَّعْوَى .

وَأَمَّا خِرَاسَانُ ، فَبِيدُ الْقَانِ طَفَيْتَمَرِيَارٍ . وَهُوَ صَحِيحُ النِّسْبِ ، غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَعْرِفْ أَسْمَ آبَائِهِ .

وَأَمَّا بِلَادُ لُرُومٍ ، فَقَدْ أُضْيِفَتْ إِلَى إِيرَانَ مِنْهَا قِطْعَةٌ صَالِحَةٌ ، وَبِلَادُ نَازَحِهِ ؛

ثُمَّ قَالَ : وَهِيَ الْآنَ بِيْدُ أَرْتَا ، وَقَدْ نَبِهَ عَلَى ذَلِكَ لِيَعْرِفَ .

قُلْتُ : ثُمَّ تَغَيَّرَتِ الْأَحْوَالُ عَنْ ذَلِكَ .

الجملة الثامنة

(في معاملاتها وأسعارها)

أما معاملاتها فالمعتبر فيها معاملة ثلاث قواعد .

الأولى - (بَدَاد) . قد ذكر في "مسالك الأبصار" : أن ببغداد دينارين . أحدهما يسمّى العوال ، عنه أثنا عشر درهما ، الدرهم بقيراط وحبّتين . وذلك أن الدينار عشرون قيراطا ، كل قيراط ثلاث حبات ، كل حبة أربعة فلوس من الدرهم النقرة ، عن كل فلّين فلّسان أحمران . والثاني الدينار المرسل ، عنه عشرة دراهم ، وبه أكثر مبيعاتهم ومعاملات تجّارهم . وقد اختلف أصحابنا الشافعية في رطل بَدَاد . فذهب الرافعي إلى أنه مائة وثلاثون درهما وهو الموجود فيها الآن ، وعليه أقصر في "مسالك الأبصار" . وذهب الشيخ محي الدين النووي إلى أنه مائة وسبعة وعشرون درهما وأربعة أسباع درهم ، والمنها رطلان بالتوراني . ومكاييلها أكبرها الكُرّ ، وهو ثلاثون كارة ، كل كارة قفيزان ، فيكون الكُرّ [ستين] قفيزا ، والقفيز مكوكان كل مكوك خمس عشرا^(١)ق . وتختلف الكارة في الغلال ، فالقمح كارته مائتان وأربعون رطلا ، وكارة الأرز ثلثمائة رطل ، وكارة كل من الشعير والحبّس والعَدَس والمُرطمان مائة رطل ، وكارة الحبة السوداء ، وهي الثونيز مائة رطل .

الثانية - (تَوْرِيْز) قاعدة أذربيجان وسائر المملكة غير بغداد وخراسان . فمعاملاتها بدينار يسمّى عندهم بالراجح ، عنه ستة دراهم .

الثالثة - (يَسَابُود) قاعدة خراسان . فدينارها أربعة دراهم ، وفي بعضها الدينار الراجح المقدم ذكره . قال في "مسالك الأبصار" : ولا يساع بتوريز وبلادها

(١) كذا في الأصل ، وقد تكلم على المكوك صاحب القاموس وصاحب اللسان بأوضح مما هنا .

في الغالب قُح ولا شعير ونحوهما إلا بالميزان ، وليس لهم إلا المَنُّ ، وهو يتوزر طُلان
بالفدادى ، فتكون زنته مائتين وستين درهما ، وبالسلطانية المَنُّ ستمائة درهم .

وأما أسعارها فنقل في "مسالك الأبصار" عن يحيى بن الحكيم الطيارى في السعر
ببغداد : أن كُرَّ القمح بسعة وثلاثين دينارا ونصف دينار ، والشعير بخمسة عشر
دينارا ، كلاهما من العوال . ثم قال : ولعل هذا هو السعر المتوسط ، لا يكاد يميل فيه
القانون عن معتله . وذكر أن الأسعار بتبريز والسلطانية إذا لم يتزل عليها السلطان ،
فأسعارها رخيصة لا إلى غاية ، وكل بلد نزل عليه السلطان غلت أسعاره ، ولعل هذا
قد تغير كلها في زماننا كما تغير غيره من الأحوال .

الجملة التاسعة

(في ترتيب هذه المملكة على ما كانت عليه في زمن نبي هولاكو ، آخر أيام
أبى سعيد : من الأمراء والوزراء وأرباب الوظائف)

أما الأمراء . فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أنهم عندهم على أربع طبقات
أعلاها النوين ، وهو أمير عشرة آلاف ، ويعبر عنه بأمير تومان ، إذ التومان عندهم
عبارة عن عشرة آلاف ، ثم أمير ألف ، ثم أمير مائة ، ثم أمير عشرة . قال
في "التعريف" : (وحكام دولة هذا السلطان أمراء الألوُس ، وهم أربعة ، أكبرهم
بكلارى بك : وهو أمير الأمراء ، كما كان قطلوشاه عند غازان ، وجوبان عند خدابندا ،
ثم عند أبى سعيد) . قال : وهؤلاء الأمراء الأربعة لا يَفْصَل جليل أمر إلا بهم ،
فن غاب منهم كتب في البرالغ : وهى المراسيم كما يكتب لو كان حاضرا ، ونائبه يقوم
عنه . وهم لا يَمُضُّون أمرا إلا بالوزير ، والوزير يعضى الأمور دونهم ويأمر توابهم
فتكتب أسماءهم ، والوزير هو حقيقة السلطان ، وهو المنفرد بالحديث في المال ،

والولاية، والعزل، حتى في جلائل الأمور كما كانت بكلارى بك يتحدث في أمر
السكركمفردة. فاما الاشتراك في أمور الناس فيهم أجمعين، وليس للأمرءاء في غالب
ذلك من العلم إلا ما علم قوايهم .

قال في "مسالك الأبصار" قولا عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى : وأمر
الجيش والعساكر إلى كبير أمرءاء الأوكوس المسمى بكلارى بك ، كما كان قطلوشاه مع
السلطانين محمود غازان وأخيه محمد خدابندا ، وجوبان مع خدابندا ، ثم بعده مع ولده
السلطان أبى سعيد بهادرخان ، والشيخ حسن بن حسين بن أقبا مع خاتنه السلطان
محمد بن طشتمر بن اشتمر بن غبرجى ، وإليه يقطع أمر كل ذى سيف . قال : وأمر
متحصلات البلاد ودخلها ونخرجها إلى الوزير ، وإليه يرجع أمر كل ذى قلم ومنصب
شرعى ، وله التصرف المطلق في الولاية والعزل والعطاء والمنع ، لا يساور السلطان
إلا فيما جلّ من المهمات وما قلّ من الأمور ، وهو السلطان حقيقةً ومصاحب البلاد
معنى ، وإليه ترجع الأمور كلها ، وإليه عقدها وحلّها . أما السلاطين بها فلا ألتفات
لهم لأمر ولا نهى ولا نظر في متحصّل ولا دخل ولا خرج . قال : وعدة جيشهم
المتزلة في دواوينهم لا تبلغ عشرين تومانا . أما إذا أرادوا فإنهم يركبون بثلاثين تومانا
وما يزيد عليها ، وعامة السكركم لا تزال أسمائهم في دواوينهم على الأفراد ، وكل طائفة
منهم عليهم في الديوان فارس معين ، إذا رسم لهم بالركوب ركب العدة المطلوبة . قال :
وقد ذكر أنه كان في هذه المملكة عدة ملوك كصاحب هراة ، وحلول الجبل هم كالعبيد
لقائها الأكبر متقادون إليه وداخلون تحت طاعته .

وأما القضاة فعادة هذه المملكة أن يكون بها في محبة السلطان قاضى قضاء الممالك ،
وهو الذى يولى القضاء في جميع المملكة على نسائى أقطارها إلا العراق ، فإن لبغداد
قاضى قضاء مستقل بها يولى فيها وفي بلادها من جميع عراق العرب .

وأما السُّكَّابُ وأصحاب الدَّواوين : من ديوان الإنشاء ودواوين الأموال . فعلى
أتمَّ نظام وأعدل قاعدة .

الجلسة العاشرة

(فيما لأرباب المناصب والجُند من الرزق على السلطان)

قد قل في "مسالك الأبصار" عن نظام الدين الطيارى : أن المقرَّ للأُمراء
في القديم من زمن هولاكو لكل نون (أمير) تومانٌ . وهو عشرة آلاف دينار راجح ،
عنها ستون ألف درهم . ثم تزايد الحال بهم حتى لا يقنع النون فيهم إلا بمخمين
ألف^(١) تومان . وهي خمسمائة ألف دينار راجح ، عنها ثلاثة آلاف ألف درهم ، ومن
خمسين تومانًا إلى أربعين تومانًا . وكان قد استقر لجو بان ، وهو يومئذ بكلارى بك
ثم لمن بعده ثلثمائة تومان ، وهي ثلاثة آلاف ألف دينار راجح . عنها ثمانية عشر
ألف ألف درهم مع ما يحصل لكل من أمراء الألوس الأربعة من الخدم البكثيرة
في البلاد جميعها عند تقريرات الضمان بها على صُفَّتها . قال : وأما أمير ألف ومن
دونه ، فلا يتجاوز أحد منهم تقريره القديم في الديوان : وهو لأمر الألف ألف دينار
راجح . عنها ستة آلاف درهم . وأما أمير المائة وأمير العشرة وكل واحد من العسكرية
إلى الجند مائة دينار راجح ، عنها ستمائة درهم لا تفاوت بينهم ، وإنما تبقى منزلة أمير
المائة أو العشرة أنه يأخذ لنفسه شيئًا مما هو للعسكرية ، ولكل طائفة أرض لتزويجهم ،
توارثها الخلف عن السلف منذ ملك هولاكو البلاد ، فيها منازلهم ، ولم يها مزدراع
لأقواتهم ، لكنهم لا يعيشون بالحرث والزرع .

وأما الخواتين فإنه يبلغ ما للخاتون الواحدة في السنة مائتي تومان ، وهو ألف ألف^(٢)

(١) لعل لفظ ألف من زيادة الناصح كما يستفاد من القللكة بعد فاعل .

(٢) كذا في الأصل ، ولعل الصواب ألفا ألف بالثنية ليستقيم الحساب .

دينار راجح، عنها آتتا عشر ألف ألف درهم، وما دون ذلك إلى عشرين تومانا،
وهو مائتا ألف دينار. عنها ألف ألف ومائتا ألف درهم.

وأما الوزير فله مائة وخمسون تومانا، وهو ألف ألف وخمسمائة ألف دينار راجح،
عنها تسعة آلاف ألف درهم، ولا يقنع بمشرة أضعاف هذا في تقادير البلاد.

وأما الخواجكية من أرباب الأقاليم، فمنهم من يبلغ في السنة ثلاثين تومانا، وهي
ثلاثمائة ألف دينار، عنها ألف ألف وثمانمائة ألف درهم. ثم قال: والذي للأمرء
والسكينة لا يكتب به مرسوم، لأن كل طائفة ورثت مالها من ذلك عن آبائها،
وهم على الجهات التي قررهما لم هؤلاء لم تتغير بزيادة ولا نقص، إلا أكابر الأمراء
الذين حصلت لهم الزيادات فإنه في ذلك الوقت كتب لهم بها بأمر القان أصدرها
الوزراء عنه، ومن الخواطين من أخذ بماله أو ببعضه بلادا فهي له. قال: وفي
هذه المملكة ما لا يحصى من الإدارات والرسومات حتى إن بعض الرواتب يبلغ
ألف دينار.

وأما الإدارات من المبلغ أو القرى، فإنها تبقى لصاحبها كالمملك يتصرف فيه
كيف شاء من بيع وهبة ووقف لمن أراد.

الجملة الحادية عشرة

(في ترتيب أمور السلطان بهذه المملكة على ما كان الأمر عليه)

حكى في "مسالك الأبصار" عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى أن أهل هذه
المملكة من التتر كانوا قد داخلوا الحزم وزوجهم وتزوجوا منهم، وخطبوا بالنفوس
في الأمور، فتضمت قواعدهم، وجرى على عوائد الخلفاء والملوك في غالب الأمور
قوانينهم.

ثم للسلطان بهذه المملكة مَشَقَّى ومَصِيف :

فأما مَشَتْاه فبأوجان بظاهر تبريز ، وهو مكان متسع ذو مَرُوج ومياه على ما تقدم ذكره ، وبه قُصُور لأكابر الأمراء والخَوَاتين . أما عامة الأمراء والخواتين ، فإنهم يتخذون زُرُوبا من القصب كالخُطائر يترَّبون بها ، ويتَّصِبون معها الخمركاوات والخيام ، قصير مدينة متسعة الجوانب ، فسيحة الأرجاء ، حتى إذا خرجوا لمَعيَهم راحلين عنها ، أحرقوا تلك الخُطائر لكثرة ما يتولد فيما بقي منها من الأفاعى والحيات ، ولا يزالون بما يُقرم عليها من كثير الأموال .

وأما مَصِيفه فكان يُعرف بقراباغ ، ومعناه البستان الأسود ، وفيه قُرَى ممتدة ، وهو صحيح الهواء ، طيب الماء ، كثير المَرعى . وإذا نزل به الأردوا ، وهو وطاق السلطان وأخذت الأمراء والخواتين منازلهم ، تُصَب هناك مساجدُ جامعة ، وأسواق منوعة ، يوجد بها من كل ما في أمهات المدن الكبار حتى يكون بها أسواق لا ينكر أحد على أحد ، بل كل أحد وما استحسن ، إلا أن الأسعار تغلو حتى يصير الشيء بقيمة مثليه أو أكثر لكثرة الحمل ومشقة السفر . وذكر أنه كان من عادة سلطانهم أنه لا يعمل موكبا . ولا يجلس لخدمة ولا لقراءة قصص حكيمة وإبلاغ مظالم إليه ، بل له من أبناء الأمراء خاصة له يقال لهم الإينافية ، يكونون حوله لا يكاد منهم من يفارقه . فأما الأمراء فإنهم يركبون في غالب الأيام على نحو عشرين غَلاة منهم منها إلى باب الكرباس ، وتتصب لهم هناك كراسى صندلية ، يجلس كل أمير منهم على كرسى منها بحسب مراتبهم : الأعلى ثم الأدنى ، ويدخل الوزير في بكرة كل يوم على القان ، ويبقى الأمراء على باب الكرباس ، فإذا أن يخرج لهم القان ، وإما أن يأذن لهم في الدخول ، أو لا هذا ولا هذا . فإذا حضر طعام القان بعث إلى كل أمير منهم شيئا للأكل بمفرده يأكله هو ومن أنضم معه ، فيأكلون ثم يتفرقون ويذهبون إلى حالهم ، ومن تأخر منهم عن الحضور لم يطلب بحضور إلا أن تدعو الحاجة .

أما الظَّلَامَات فإن كانت متعلّقة بالعسكرة، فإن أمير الألوُس، وإن كانت متعلقة بالبلاد والأموال أو الرعايا، فإن الوزير، بل أكثر الظَّلَامَات لا يفصلها إلا الوزير. ولما لم يمتنع باب القان، بخلاف أمير الألوُس لقلّة ملازمته، ثم قال: وليس في هذه البلاد قاعدة محفوظة، بل كل من أنصوى إلى خاتون من الخواتين أو أمير من الأمراء أو كبير من الخواجكية، قام بأمره إما في قضاء حاجة يطلبها، أو إزالة ظُلّامة يشكوها، حتى إن من الخواتين والأمراء من يقتل ويؤسّط بيده بغير أمر القان ولا أمير الألوُس.

الجملة الثانية عشرة

(فيما يتعلق بترتيب ديوان الإنشاء بهذه المملكة)

أما اليرلغ: وهى المراسيم، فالمتعلق بالأموال تسمى الطن طمغا ويكون صدورها عن رأى الوزير، وكذلك المتعلق بالبريد. والمتعلق بالعسكرة صادر عن أمير الألوُس، وليس لأحد على الجميع خط إلا الوزير، وإنما العادة أن يأمر الوزير بكتابة ما يرى، ثم تؤخذ خطوط المتحدثين فيما يكتب، ثم تحرر مسودة وتعرض على الوزير فيأمر بتبويضها، فإذا بيّضت كتب عليها اسم السلطان، ثم تحته اسم الأمراء الأربعة، ويخلّ تحته مكان لخط الوزير، ثم يكمل اليرلغ ويختمه بالتاريخ شخص معدّ لذلك غير من يكتب، ثم يكتب الوزير في المكان الخالى "فلان شورى" أى هذا كلام فلان يسمى نفسه.

ثم إن كان متعلقا بالمسال أثبت بالديوان المتعلق به، وإلا فلا. وأما المتعلق بالعسكر، فنشأ الأمر فيه عن أمير الألوُس يأمرهم على بقية الترتيب، ولا خط لأمر الألوُس بيده. وعادة أصحاب الدواوين عندهم كما هو بمصر والشام لا يعلم صاحب علامة حتى يرى خط نائبه عليه أولا ليعلم أنه قد ثبت عنده.

قلت: وقد اختلفت الأحوال بعد ذلك وتغيرت عما كانت عليه في جُل الأمور.

المملكة الثانية

(مما بيد تبي جنكرخان مملكة توران)

قال في "المشترك" : بضم المثناة من فوق وسكون الواو ثم راء مهملة وألف ونون . قال في "التعريف" : وهى من نهر يُلغ إلى مطلع الشمس على سمت الوسط ، فما أخذ عنها جنوبا كان بلاد السند ثم الهند ، وما أخذ عنها شمالا كان بلاد الخفجاء ، وهى طائفة القَبجاق ، وبلاد الصقَب ، والجها ركس ، والروس ، والماجار ، وما جاورهم من طوائف الأمم المختلفة سُكَّان الشمال . قال : ويدخل في توران ممالك كثيرة ، وبلاد واسعة ، وأعمال شاسعة ، وأمم مختلفة لا تكاد تحصى ، تستعمل على بلاد غزنة ، والباميان ، والقور ، وما وراء النهر الذى هو نهر جيحون ، نحو بخارا وسمرقند والصغد وتجنبد وغير ذلك ، وبلاد تركستان وأشروسنة وفرغانة ، وبلاد ساغون وأطراكر وصر يوم ، وبلاد الخطاء نحو بشالي والماليق إلى قراقوم ، وهى قرية جنكرخان التى أنجرت ، وعيريسته التى أدرجته . إلى ما وراء ذلك من بلاد الصين وصين الصين . ثم قال : وكل هذه ممالك جليله ، وأعمال حفيله . أما في "المشترك" : فإنه قد جعل توران أسماء لمجموع ما وراء النهر من مملكة المياطلة ، وهى جزء مما تقدم ذكره .

وقد قسم في "التعريف" : مملكة توران إلى ثلاثة أقسام .

القسم الأول - منها غزنة وبخارا وسمرقند وعامة ما وراء النهر و تركستان .

قال في "مسالك الأبحار" : وما بعده ومابعه . قال : وهى من أجل الممالك وأشهرها . ثم قال : وهى ممالك طائفة السمع ، طائفة البقعة ، أسرة ملوك ، وأفق علماء ، ودارة أكابر ، ومعقد ألوية وبود ، ومجرى سوابق وجنود ، كانت

(١) عبارة "التعريف" : وأما مملكة توران فهى مقسمة ثلاثة أقسام وهى سلطانان سلطان و سلطان كافر . ثم تكلم على المكتبة إلى الجميع .

بها سلطنة الخانية وآل سامان وبني سُبُكْتِكِين والغورية، ومن ألقها بزغت شمس آل سَلْجُوق، وامتدت في الإشراف والشرق، وغير هذه الدول مما طمَّ سهول هذه الممالك على قريها . كانت قبل آتقالها إلى الإسلام ، في ملوك الترك لا ترائى ولا ترام، ولا يشق لها سهام؛ حتى [إذا] خيم بها الإسلام وحاز ملكها هذه الأمة، برقت بالإيمان أُسْرَتُها، وتطوّزت بالجوامع والمساجد قراها، ثم نهت بها المدارس والخوانق والرُّبُط والزوايا، وأجريت الأوقاف عليها، وكثر من العلماء أهلها، وسارت لها التصانيف المشهورة في الفقه والحديث والأصول والخلاف، وكان فيهم الرؤساء والأعلام، والكبراء أهل البحث والنظر . ثم قال : وهى فى أواسط المعمور وأوسع الأرض إذا قيل إنها أخصب بلاد الله تعالى وأكثرها ماء ومرعى، لم يَغَيِّرِ القائل الحقُّ في أوصافها؛ ذات الأنهار السارحة، والمروج الممتدة؛ كأنما نشرت الحُلل على آفاقها، وقرت الحلل على حصبائها .

ويرجع المقصود منها إلى سبع حمل .

الجملة الأولى

(وذكر حدودها، وطولها وعرضها، وموقعها من الأقاليم السبعة)

أما حدودها وطولها وعرضها، فقال في "مسالك الأبصار" : وهى واقعة بشرق محض آخذة إلى الجنوب؛ يحدها السُّند من جنوبيها، والصَّين من شرقيها، وخُوارزْم وإيران من جنوبيها، وطولها من ماء السند إلى ماء أيل المسعى قراخوجا، وهى تلى بر الخطأ، وعرضها من وِج وهو منبع نهر جِيحُون إلى حدود كُرْكَانَج قاعدة خُوارزْم؛ وحدها من الجنوب جبال البُتْم وماء السُّند الفاصل بينها وبين السُّند؛ ومن الشرق أوائل بلاد الخطأ؛ ومن الشمال مراعى باران وبكنند وبعض خراسان

إلى بحيرة خُوارزَم، ومن الغرب بعض تُرَّاسَانَ إلى خُوارزَم إلى مجرى النهر آخذنا على الختل . ثم حكى عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى أن بلاد هذه المملكة متصلة بِتُرَّاسَانَ متداخلة بعضها ببعض، لا يفصل بينهما بحر ولا نهر ولا جبل ولا مَقَاة، بل بينها وبين تُرَّاسَانَ أنهار جارية ومزارع متصلة .

الجملة الثانية

(فيا يدخل في هذه المملكة من الأقاليم العرفية، وهى سبعة أقاليم)

الإقليم الأول منها

(ما وراء النهر)

قال في "تقويم البلدان" : والذى ظهر لنا في تحديد ما وراء النهر أنه يحيط به من جهة الغرب حدود خُوارزَم، ومن الجنوب نهر جِيحُون من لَدُنْ بَدَخْشَانَ إلى أن يتصل بحدود خُوارزَم، فإن جِيحُون في الجملة يجرى من الشرق إلى الغرب، وإن كان يعرض فيه عطفات تجري جنوبا مرة وتسمي ألا أخرى . ثم قال : أما حدوده من الشرق والشمال فلم تتضح لى . قال صاحب "كتاب أشكال الأرض" : وما وراء النهر من أخصب الأقاليم منزلة، وأزهرها وأكثرها خيرا، وأهلها يرجعون إلى رغبة في الخير، وأستجابة لمن دعاهم، مع قلة غائلة، وسلامة ناحية، وسماحة بما ملكت أيديهم، مع شدة شوكة ومنعة وأناس وجمدة وعثة وعُدَّة، وآلة وكراع وبسالة وعلم وصلاح، وليس من إقليم إلا ويُقحطُ أهله مرارا قبل أن يُقحطَ ما وراء النهر مرة واحدة، ثم إن أحسوا يرد أو يجراد أو باقة تآق على زروعهم وغلاتهم، ففى قبضل ما يسلم فى عروض بلادهم ما يقوم بأودهم حتى يستفتوا به عن شىء ينقل إليهم من غير بلادهم . قال : وليس بما وراء النهر مكان يخلو من مُدُنْ

أو قرى أو مزارع لسوائهم؛ وليس من شيء لا يبد للناس منه إلا وعندهم منه ما يقيم
أودهم ويفضل عنهم لغيرهم؛ ومياهم أعذب المياها وأبردها وأخفها، وقد عمت
جبالها وضواحيها وممتها إلى التحكن من الحذ في جميع أقطارها، والتلوج من جميع
نواحيها؛ والغالب على أهل المال والثروة بها صرف المال في عمل المدارس وبناء
الرُبط وعمارة الطرق، والأوقاف على سبيل الجهاد ووجوه الخير، وعقد القناطر،
إلا القليل من ذوى البطالة .

وفيها من الدواب الخيل والبغال والحمير والإبل البخت والبقر، والغنم أكثرهم
فإنها كما يقال أعوزها للزرائب، وفيها من المباح ما فيه كفايتهم، ولهم من تساج الغنم
الكثير والسائمة المفرطة . وذكر أنه يوجد عند آحاد العامة من عشرين دابة إلى
خمسين دابة لا تكلفه عليه في أقتنائها لكثرة الماء والمرعى .

وفيها من الحبوب القمح والشعير والحبص والأرز والدخن وسائر الحبوب خلا
الباقلا؛ وبها من القواكه المتنوعة الأجناس العنب، والتين، والرمان، والتفاح،
والكمثرى، والسفرجل، والخبث، والمشمس، والتوت، والبطيخ الأصفر، والبطيخ
الأخضر، والليار، والقناء .

وفيها من البقول اللقث والجزر والكرب والبادنجان والقرع وسائر أنواع البقول .
وفيها من الرياحين الورد والبنفسج والياس واللينوفر والحب، ولا يوجد بها الأريج
والنارج والليمون والليم . ولا الموز ولا قصب السكر، ولا القلقاس، ولا الملوخيا،
فإنها من ذلك عارية الحدائق، خالية المروج؛ إلا ما أتى به إليها من الحمضات مجلوبة .
وفيها أصناف الملابس : من القز، والصوف، وطرائف البر .

وفيها من المعادن معدن زئبق لا يعادله معدن في القزارة .

وقد اشتغل ما وراء النهر على عدة كور .

(منها) السُّفْد . قال في "اللباب" : يضم السين المهملة وسكون الغين المعجمة ودال مهملة في الآخر، ويقال السُّفْدُ بالصاد بدل السين، ويضاف إلى سَمَرْقَنْدَ، فيقال سُدُّ سَمَرْقَنْدَ، وهو أحد منزهات الدنيا الأربعة التي هي غوطة دِمَشْقَ، ونهر الأَبْلَهَ، وشعب بَوَّانَ، وسُدُّ سَمَرْقَنْدَ . قال ابن حوقل : وهو أنزه الأربعة لأنه ممتد نحو ثمانية أيام، مستبك الخُضرة والبساتين، لا يتقطع ذلك في موضع منه، وقد حُفَّت تلك البساتين بالأنهار الدائم بحرِّيها، ومن وراء الخُضرة من الجانبين مزارعٌ، ومن وراء المزارع مَرَاغَى السوائم . ثم قال : وهي أركن بلاد الله وأحسنها أنجارا .

ومنها أَسْرُوشَنَةُ . قال في "اللباب" : يضم الألف وسكون السين وضم الراء المهملتين وسكون الواو وفتح الشين المعجمة ثم نون . قال ابن حوقل : والغالب عليها الجبال، ويحيط بها من الشرق بعض فَرَّغَانَةَ، ومن الغرب حدود سَمَرْقَنْدَ، ومن الشمال بعض فَرَّغَانَةَ أيضا، ومن الجنوب بعض حدود كَشَّ والصَّفَايَا . قال أحمد الكاتب : ولها عدة مُدُنَ، ويقال إن بها أربعمائة حصن .

(ومنها) فَرَّغَانَةُ . قال في "المشترك" : بفتح الفاء وسكون الراء المهملة وفتح الغين المعجمة وألف ونون . قال ابن حوقل : وفيها مُدُنٌ وكُورٌ، وإليها ينسب جماعة من العلماء، منهم أبو سعيد الفَرَّغَانِيُّ شارح "تائية ابن الفارض" قال ابن حوقل : ويجهل فَرَّغَانَةَ معادن الذهب والفضة والفيروزج والحديد .

وقاعدتها بُخَارَا . قال في "اللباب" : يضم الباء الموحدة وفتح الخاء المعجمة ثم ألف وراء مهملة مفتوحة - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول سبع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض

تسع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة خارجها زره كثير البساتين . قال : وليس بتلك البلدان بلد أهلها أحسن قياما على عمارة قراهم منهم . ويحيط بها وبقرأها ومزارعها سور واحد اثنا عشر فرسخا، ولها كورة عظيمة تصاقب جحون على معبر ترسان ، وبها يتصل سفد سمرقند . قال في "مسالك الألبار" : وهي أم الأقاليم ويم التقاسيم ، وقد كانت [مستقرا] للدولة السامانية ومركز أفلاكهم الدائرة ، وكانت تلك الممالك كلها تبعها لها . قال صاحب "أشكال الأرض" : ثم لم أر ولم أسمع بظاهر بلد أحسن من بخارا ، لأنك إذا علوت لم يقع نظرك من جميع النواحي إلا على خضرة تتصل خضرتها بلون السماء ، مكبة زرقاء على بساط أخضر ، تلوح القصور فيها بين ذلك كالتراس التنية ، أو الخيف الطيبة ، أو الكواكب العلوية ، بين أراض وضياح مقسومة بالاستواء ، ممهدة كوجه المرأة في غاية الهندسة ، ولها سبعة أبواب حديد : وهي باب المدينة ، وباب يون ، وباب خضرة ، وباب الحديد ، وباب قهندر ، وباب بنى أسد ، وباب بنى سعد . وليس فيها ماء جار لأرتفاعها ، ومياههم من النهر الأعظم الجارى من سمرقند ، وإليها ينسب الإمام الحافظ (أبو عبد الله البخارى) صاحب الجامع الصحيح في الحديث . ولها عنة مدد :

(منها) الطواريس . قال في "الباب" : بفتح الطاء المهملة والواو وبعد لألف واو ثانية مكسورة ومثناة تحت ساكنة وسين مهملة في الآخر . وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبع وثمانون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة من مضافات بخارا داخل الحافظ الدائر على أعمال سارا ، كثيرة البساتين والماء الجارى . قال : وقد تحربت الآن . وقال في "الباب" :

هى قرية من قرى بشارا نخرج منها جماعة من العلماء، وبينها وبين بشارا سبعة فراسخ، وإليها ينسب الطاوسى صاحب "المصباح على الحساوى الصغير" فى فقه الشافعية، ردا لها فى النسب إلى المفرد وهو الطاوس .

(ومنها) تَحْشَبُ . قال فى "اللباب" : بفتح النون وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين ثم باء موحدة . قال فى "تقويم البلدان" : فلما عربت قيل نَسَفَ - يعنى بفتح النون والسين المهملة وفاء فى الآخر . قال ابن حوقل : وهى فى مستو من الأرض، والجبال منها على نحو مرحلتين مما على كَشَ، وبينها وبين جَبَّحُونَ مفازة، ولها نهر يجرى فى المدينة وينقطع فى بعض السنة، والغالب عليها الخِصْبُ . قال المهلبى : وهى وَبَيْةٌ .

(ومنها) كَشَ . قال فى "المشارك" : بفتح الكاف ثم شين معجمة مشددة - وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : حيث الطول تسع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض تسع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة قدرها ثُلُثُ فرسخ فى مثله، وهى خِصْبَةٌ وفواكهها تُدْرِكُ قبل فواكه غيرها من بلاد ما وراء النهر؛ وطول عملها أربعة أيام فى نحوها . قال المهلبى : ولها رستاق جليل، ولها نهران، وإليها ينسب جماعة من العلماء .

(ومنها) سَمَرَقَنْدُ . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح السين المهملة والميم وسكون الزاء المهملة وفتح القاف وسكون النون ثم دال مهملة - وموقعها فى الإقليم الخامس . قال فى "القانون" : حيث الطول ثمان وثمانون درجة وعشرون دقيقة، والعرض أربعون درجة . قال ابن حوقل : وهى قَصَبَةُ السَّغْدِ، وهى مبنية على صَفَةِ واديه، وهى مرخمعة عى الوادى؛ وحول سُورِها رَسْمٌ خندق عظيم؛ ولها نهر يدخل إليها على حالات فى الخندق معمول بالِرَّصَاصِ، وهو نهر جاهلي يُسْقَى السوق

بموضع يعرف برأس الطاق . قال ابن حوقل : ورأيت على باب من أبوابها يسمى باب كثر صفحة من حديد وعليها كُتِبَتْ يزعم أهلها أنها بالحِمْيَرِيَّة ، وأن الباب من بناء شَيْع ملك اليمن ، وأن من صَنَعَهُ إلى سَمَرْقَنْد ألف فرسخ ، وأن ذلك مكتوب من أيام شَيْع . قال : ثم وقعت فتنة بها في أيام مُقَامَى بها وأُحْرِقَ البابُ وذهبت الكتابة ، ثم أعاد عمارَةَ الباب محمد بن قُتَيْب بن نصر الساماني ولم يُعَدِ الكتابة . قلت : والمراد تبع المسمى بأُسْعَد أبا كَرْبٍ . وقد أشرت إلى قضية شَيْع في بناء سَمَرْقَنْد في الكتاب الذي أنشأته لأن يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية إلى تملنك عند إرساله بالمفاوضة في الصلح بعد واقعة دِمَشْقَ والقَبِضِ على ابن عثمان صاحب برسا من بلاد الروم بقول بعد الدعاء : ” ولا زال بالنصر تَقْضِي قَواضِيهِ . وبالظفر وحسن الأثر تَمْضِي مَقَانِيهِ وَتَشَاعُ مَنَاقِيهِ ، ولسان دولته القاهرة يُصَاحُ بِتَبِيعِ سَمَرْقَنْدَ لَنْ تَبْلُغَ هَذِهِ الرِّبَةَ حَتَّى نَقْظُمَ الْحَزْنَ نَاقِبَهُ “ . على ما سيأتي ذكره في الكلام على مكتبة القان صاحب ماوراء النهر ، في الكلام على المكتبات في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى . ٩ -

قال في ” مسالك الأبحار “ : وسَمَرْقَنْدُ مدينة مرتفعة يُشْرِفُ الناظر بها على شجر أخضر . وقُصُورٌ تَزْهَرُ ، وَأَنْهَارٌ تَغْطُرُ ، وعمارَةٌ تَنْقُدُ ، لا يقع الطرف بها على مكان إلا ملاءهُ ، ولا بستان إلا استحسنه . قال صاحب ” أشكال الأرض “ : وقد نصبت^(١) أسحار السير ، وتشبهت بطوائف الحيوان : من الفيلة والإبل والبقر والوحوش المقبل بعضها على بعض . قال : وبها حصن ولها أربعة أبواب : باب مما على المشرق يعرف بباب الصين ، مرتفع عن وجه الأرض ينزل إليه (٩) بدرج كثيرة ، مطل على وادي السغد ؛ وباب مما على المغرب يعرف بباب النوبهار على نَشْرَمَ من

(١) كذا في الأصل والمراد وصف المدينة بالتقدم والآخرة .

الأرض: وباب مما إلى الشمال يعرف بباب بُخَّاراء وباب مما إلى الجنوب يعرف بباب كَشْر. قال: وفيها مافي المدن العظام من الأسواق الحسان والحمامات والحنانات والمساكن، وبنائوها من طين وخشب؛ والبلد كله: طُرُقُه وسِكَكُه وأسواقُه وأزِقَّتُه مفروشة بالحجارة.

(ومنها) يَنْكُثُ. قال في "اللباب": بكسر الباء الموحدة وسكون النون وفتح الكاف وفي آخرها تاء مثثة - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة. قال في "الأطوال" حيث الطول تسعون درجة، والعرض إحدى وأربعون درجة وعشرون دقيقة. وطها سور ورَّيْض وبساتين كثيرة.

(ومنها) نوبكت - بنون وواو وباء موحدة ثم كاف ومثناة من فوق. قال ابن حوقل: وهي قصبة ناحية لإِلاق^(١)، وعليها سور وطها عدة أبواب، وفيها مياه وبساتين كثيرة.

(ومنها) مُجَنَّدَةٌ. قال في "اللباب": بضم الخاء المعجمة وفتح الجيم وسكون النون ثم دال مهملة - وهي مدينة على طرف سَيْحُون مضمومة إلى فَرَّغَانَة، واقعة في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة. قال في "القانون" حيث الطول تسعون درجة، والعرض أربعون درجة ونمسون دقيقة. قال في "اللباب": وهي مدينة كبيرة، وهي في مستوى من الأرض، وطها بساتين كثيرة. قال أحمد الكاتب: ومنها إلى سَمَرْقَنْد سبع مراحل، ومنها إلى الشاش كذلك.

(ومنها) تَنْكُثُ. قال في "اللباب": بضم المثناة من فوق وسكون النون وفتح الكاف وفي آخرها تاء ثانية - وهي مدينة من مدن الساحل، وقيل هي قصبة لإِلاق؛

(١) الذي في "تقوم البلدان" عن ابن حوقل أن عاصمة إِلاق تسمى نوبكت، وكذلك في "معجم البلدان" لياقوت، إلا أنه نض على أن آخرها تاء مثثة، وهي تنكت الآتية بعد قلنبه.

وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول إحدى وتسعون درجة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة . قال في "اللباب" : ولها نهر ودار إمارة ، ونخرج منها جماعة من العلماء .

(ومنها) أَخْسِيَكْتُ . قال في "اللباب" : بفتح الألف وسكون الخاء المعجمة وكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحتها وفتح الكاف وفي آخرها ثاء مثناة . وهي مدينة من بلاد قَرْطَانَةَ ، واقعة في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول إحدى وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض اثنتان وأربعون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي على شَطِّ نهر الشاش في أرض مستوية بينها وبين الجبال نحو فرسخ .

(ومنها) تَرِيدُ . قال في "اللباب" : قيل بفتح التاء ثالثة الحروف وقيل بضمها وقيل بكسرها . قال : والمتداول على لسان أهلها فتح التاء وكسر الميم ، والمشهور في القديم كسر التاء والميم جميعاً ، وقيل بضم التاء والميم وبينهما راء ساكنة . وفي آخرها ذال معجمة . وهي مدينة على شَطِّ جَيْحُونَ ، واقعة في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول إحدى وتسعون درجة وخمس وعشرون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : ومعظم مساكنها وأسواقها مفروشة بالآبِجَر ، وهي قَصَبَة تلك النواحي ، وأقرب الجبال إليها على مرحلة ، وليس لقراها شَرْب من جَيْحُونَ بل من نهر الصَّغَايَان . قال : ولها مدُن كثيرة وكُوَر مضافة إليها . قال في "اللباب" : وهي مدينة قديمة . (ومنها) الصَّغَايَانُ . قال في "اللباب" : بفتح الصاد المهملة والسين المعجمة وألف ونون ومثناة تحته ونون في الآخر ، جميع ذلك بالتخفيف . قال : ويقال لها بالعجمية جَغَايَان - وهي مدينة موقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة .

قال في " الأطوال " حيث الطول تسعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثلاث وأربعون درجة وثلاث عشرة دقيقة . قال ابن حوقل : وهي أكبر من ترمذ إلا أن ترمذ أكثر أهلا . ثم قال : وهي كورة كبيرة كثيرة الماء والشجر، والنسبة إليها صغاني وصغاني .

الإقليم الثاني (تَرَكْسْتَان)

بضم التاء المثناة من فوق وسكون الراء المهملة وضم الكاف وسكون السين المهملة وألف بعدها نون، ومعناه ناحية الترك . قال في " مسالك الأبحار " : وهي مملكة لو انفردت لكانت ملكا كبيرا وسلطنة جليلة (زهرة الدنيا ، وطرز الأرض بلاد الترك) وحقيقة من تكسها رعت غزلاتها، ومن غالبا أخصرت ليوتهم . وهي إقليم فسيح المدى، قديم الذكر، منشأ حماة، ومفسب كجاء . قال : وهو المراد بقولهم بلاد الأتراك، ولم تزل الملوك تلحقها لأتقاء بواجرها، وأتقاء ذواجرها، فاشتد مانعها الأيام معالمها، وغيبت غير أحوالها . قال : ولقد صادفت حدة النار، في أقل التيارات، بغامت قدامهم في سورة غضبهم، ونفحة نارهم، فأملت السيوف حصائد أجبالحم، ولم يبق إلا من قل عديده . ثم قال : حكى لي من جال في رساتيقها، وجاز في قرأها، أنه لم يبق من معالمها إلا رسوم دائرة، وأطلال ناتئة، يرى على البعد القرية مشيدة البناء، محضرة الأكثاف، فيأنس لعله يجد بها أنيسا ساكنا، فإذا جاءها وجدها عالية البديان، خالية من الأهل والسكان، إلا أهل العمل وأصحاب السائمة . ليست بذات حرث ولا زرع، وإنما خضرتها مروج أطلمها بأريها بها من النباتات البرية، لا يذرهما بأذر، ولا زرعهما زارع. ويوجد بها خلف من بقايا العلماء، ويميز في التيمع فيها بالتراب بعد المساء .

ومن نواحيها (فَارَابُ) . قال في "المشترك" : بفتح الفاء والراء المهملة بين الفين وفي آخرها باء موحدة . وقال في "مسالك الأبصار" : الصواب إبدال الفاء بـاء موحدة لأنه ليس في اللغة التركية فاء . قال ابن حوقل : وهي ناحية لها غياض ، ولهم مزارع ، ومقدارها في الطول والعرض أقل من يوم . قال في "تقويم البلدان" : وتسمى أطرار .

وقاعدتها (قَاشَنَر) . قال في "الباب" : بفتح القاف وسكون الألف ثم سكون الشين المعجمة أيضاً وفتح الغين المعجمة وفي آخرها راء مهملة . قال في "تقويم البلدان" : ويقال لها كَاشَنَر يابдал القاف كافاً . وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ست وتسعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض أربع وأربعون درجة . قال المهلب : وهي مدينة عظيمة أهلة عليها سُورُ وأهلها مسلمون . قال في "القانون" : وتسمى أزدوكتد .

قال في "مسالك الأبصار" : أما الآن فقاعدتها (قرشي) بقاف وراء مهملة وشين معجمة ثم ياء مثناة من تحت في الآخر . قال في "مسالك الأبصار" : وهي على نهر قراخوجا في نهاية الحُد . قال : وهي وإن لم تكن شيئاً مذكوراً ، ولا لها على اختلاف حالات الزمان شهرة تُذكر ، لكن قد شملها في دولة ملوكها الآن من نظر السعادة لنسبتها إلى أنها سكن لهم ، وإن كانوا ليسوا بسكانٍ جدار ، ولا متديّرين في ديار ، ولكن لا سمّ وُسِّمَتْ به . وبها عدّة مدن أيضاً :

(منها) كدر . قال في "الأطوال" : وهي قَصْبَة فَارَاب . قال في "مسالك الأبصار" : وإليها ينسب فيلسوف الإسلام أبو نصر الفارابي .

(ومنها) حُتَن . قال في "اللبب" : بضم الحاء المعجمة وفتح المثناة من فوق ونون في الآخر - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ست وثمانون درجة، والعرض ثنتان وأربعون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي أقصى تَرْكُتَانَ . قال في "العريزي" : وهي مدينة خِصْبَةُ أَهْلَةٍ عامرة، بها أنهار كثيرة .

(ومنها) جَنْد . قال في "اللباب" : بفتح الجيم وسكون النون وفي آخرها دال مهملة - وهي بلدة واقعة في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبع وثمانون درجة وخمس وأربعون دقيقة، والعرض سبع وأربعون درجة . قال في "اللباب" : وهي في حدود التُّرْكِ على طَرَفِ سَيْغُونٍ، خرج منها جماعة من الفضلاء .

(ومنها) إِسْفِيَجَابُ . قال في "اللباب" : بكسر الألف وسكون السين المهملة وكسر الفاء وسكون المثناة من تحت وفتح الجيم وفي آخرها باء موحدة بعد الألف - ووقع في "مسالك الأبصار" إبدال الفاء بَاءً موحدة - وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول تسع وثمانون درجة وخمسون دقيقة، والعرض ثلاث وأربعون درجة . قال في "اللباب" : وهي بلدة كبيرة . قال في "تقويم البلدان" : وهي من ثغور التُّرْكِ .

(ومنها) طَرَّازُ . قال في "اللباب" : بفتح الطاء والراء المهملتين وألف وزاي معجمة - وهي مدينة على حَدِّ بلاد التُّرْكِ واقعة في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول تسع وثمانون درجة وخمسون دقيقة . والعرض ثلاث وأربعون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وحولها حبيون منسوبة إليها .

(ومنها) نيلي . قال في "مسالك الأبصار" : وهي أربعة مُدُن بين كل مدينة والأخرى فرسخ واحد ، ولكل واحدة منها اسم يخصها : فالأولى نيلي ، والثانية نيلي مالى ، والثالثة بكك ، والرابعة تلان . قال : وبينها وبين سمرقند عشرون يوما .

(ومنها) أَلْسَالِي - بفتح الهجزة وسكون اللام وفتح الميم وألف بملها ثم لام مكسورة وقاف في الآخر . قال في "مسالك الأبصار" : وبينها وبين نيلي عشرون يوما . ونقل عن الشيخ محمد التَّجَنُّدِي الصوفي وغيره أن بها من الخيل والأغنام مالولاموتان يقع فيها في بعض السنوات ، لما بيعت ولا يوجد من يشتريها لكثرتها وبركات نتاجها .

الإقليم الثالث

- (طَخَارِسْتَان)

قال في "الباب" : يضم الطَّاء المهملَة وفتح الحاء المعجمة وألف وضم الراء وسكون السين المهملين وفتح المثناة من فوق وألف ونون . قال : وهي ناحية مشتملة على بلدان في أعلى نهر جِيحُون . وقال ابن حوقل : هو إقليم له مُدُن كثيرة من مضافات بلخ . وقاعدتها فيما ذكره في "القانون" - ولؤلؤج . قال في "تقويم البلدان" : يواوين بينهما لام ساكنة ثم ألف ولام وجيم - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول اثنتان وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في "القانون" : وهي مقر مملكة المِيَاطِلَة في القديم . قال المهلب : وهي في مستوي من الأرض .

ولها مُدُن .

(منها) إِسْكَلْكَنْدُ . قال في "اللباب" : بكسر الألف وسكون السين المهملة وفتح الكافين ، بينهما لام ساكنة ثم نون كذلك ودال مهملة في الآخر . قال : وقد تحذف الألف من أولها . وهي مدينة صغيرة موقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول اثنتان وتسعون درجة ونحسون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة ونحسون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي مدينة صغيرة كثيرة الخير .

(ومنها) رَاوُنُ . قال في "اللباب" : بفتح الراء المهملة والواو ونون في الآخر . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول اثنتان وتسعون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة ونحس وثلاثون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي مدينة من طَخَارُستَانَ ولم يزد .

الإقليم الرابع (بَنَخْشَانُ)

قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة والذال وسكون الخاء وفتح الشين المعجمات ونون في الآخر . قال ابن حوقل : وهو آمم للدينة والإقليم معاً . قال في "اللباب" : وهي في أعلى طَخَارُستَانَ مناحية لبلاد التُّرك . وقال في "مسالك الأبصار" : هي مع مملكة ما وراء النهر وليست حقيقة منها ولا من تَرَكْمَنَانَ ، بل هو إقليم قائم بذاته ، مملود المجاورة مع أخوانه ، قد حوى كل بديع من حيوانه ومعدنه ونباته .

ثم حكى عن محمد بن محمد بن أبي الصوفى وغيره أن بها معدن البَلَّخَش ، ومعدن الأَلَاوَزْد ، وهما في جبل بها ، يُحَفَرُ عليهما في معادنهما ، فيوجد الأَلَاوَزْدُ بسهولة ، ولا يوجد البَلَّخَش إلا بتعب كثير وإنفاق زائد ، وقد لا يوجد بعد التعب الشديد

والإنفاق الكثير . ولذلك عَزَّ وجوده ، وعلت قيمته ، وكثر طلبه ، وألقتفت الأعناق إلى التحلِّي به . وقد تقدّم ذكره في المقالة الأولى في الكلام على ما يحتاج الكاتب إلى معرفته ليصفه عند ذكر الأشجار النفيسة . وقد تقدّم هناك أن أنفس قطعة وصلت إلى بلاد الشام منه قطعة زِتُّها نحسون درهما . وقد ذكر في "الباب" أن بها معدنَ البُلُور أيضا ، وقد تقدّم ذكره هناك في الكلام على الأشجار النفيسة .

الجملة الثالثة

(في الطرق الموصلة إليها ، وبعض المسافات الواقعة بين بلادها)
قد تقدّم في الكلام على مملكة إيران الطريق إلى أَمَل الشَّطِّ بسط جَيَّحُونَ . قال ابن خرداذبه : ومن أَمَل إلى بُخَّارَا تسعة عشر فرسخا ، ومن بُخَّارَا إلى سَمَرْقَنْد سبعة وثلاثون فرسخا ، ومن سَمَرْقَنْد إلى الشَّاش أثنان وأربعون فرسخا ، ثم إلى باب الحديد نِيلَان ، ثم إلى كَار فرسخان ، ثم إلى إسفيجاب عشرة فرامخ ، ومن إسفيجاب إلى أَطْرَارَ وهي قَارَابُ ستة وعشرون فرسخا . قال في "تقويم البلدان" : ومن سَمَرْقَنْد إلى مُجَنْدَة سبع مراحل ، ومن مُجَنْدَة إلى الشَّاش أربع مراحل .

الجملة الرابعة

(في عِظَام الأنهار الواقعة في هذا القسم من مملكة تُوْرَان ، وهي نهران)
الأول - نهر جَيَّحُونَ - بفتح الجيم وسكون الياء المثناة تحت وضم الحاء المهملة وسكون الواو ثم نون ؛ ويسمى نهر بَلَّغ أيضا ، إضافة إلى مدينة بَلَّغ من بلاد قَارَسَ المقدّم ذكرها . قال في "تقويم البلدان" : وقد اختلف النقل فيه ، وأقرُّه ما نقله ابن حوقل أن عمود نهر جَيَّحُونَ يخرج من حدود بَدَخْشَانَ ، ثم يجتمع إليه أنهار

كثيرة . ويسير غربا وشمالا حتى يصل إلى حدود بلخ . ثم يسير إلى ترمذ ، ثم غربا وجنوبا إلى زَمَ وأسمها أمويّة ، ويجرى كذلك غربا وشمالا إلى خوارزم . قال في "رسم المعمور" : ويخرج جنوبا ويمر قرب مُجَنَّدَة ويتجاوزها ويصب في البحر الأخضر .
الـثـانـي - نهر سِيحُون . قال في "تقويم البلدان" : وقد اختلف النقل فيه أيضا . قال : والمختار ما ذكره ابن حوقل ، لأنه يحكي ذلك عن مشاهدة . فقال : إن نهر الشاش بقدر الثلاثين من نهر جِيحُون . وهو يجري من حدود بلاد التُّرك ويمر على أَسِيكْت . ثم يسير مغربا بعبلة إلى الجنوب إلى مُجَنَّدَة . ثم يجري إلى قَارَاب إلى يَنْغِي كَنْت ثم يقع في بحيرة خوارزم على مرحلتين من يَنْغِي كَنْت .

الجملة الخالصة

(في معاملاتها وأسعارها)

أما معاملاتها فبالدينار الرابع ، وهو ستة دراهم كما في معظم مملكة إيران . وفي بعضها بالدينار انخراساني وهو أربعة دراهم . قال في "مسالك الأبصار" : ودراهمهم وعان . درهم بثنائية فلوس ، ودرهم بأربعة فلوس . قال : ودراهمها فِضَّة خالصة غير منقوشة . وهي وإن قلّ وزنها عن معاملة مصر والشام فإنها تجوز مثل جوازها .
وأما أسعارها فأسعارها جميعها رخيّة حتى إذا غلت الأسعار فيها أعلّ الفلوق ، كانت مثل أرخص الأسعار بمصر والشام .

الجملة السادسة

(في مَنْ ملك هذا القسم من مملكة تُوْرَان)

قد تقدم في الكلام على أصل مملكة تُوْرَان أنها كانت مملكة التُّرك في القديم .

وأنة كان بها أفواسياب بن^(١) شبك بن رستم بن ترك بن كوبر بن يافت بن نوح عليه السلام على الخلاف السابق فيه ، وكانت تعرف بمملكة الخانية .
أما في الإسلام فملوكها على طيقتين :

الطبقة الأولى

(ماهو عقيب الفصح ، وهم على ضربين)

الضرب الأول

(ملوك ماوراء النهر)

وكانت بيد تواب الخلقاء برهة من الزمان في صدر الإسلام ، ثم تغلب عليها الملوك بعد ذلك وحازوها ، وتوالت عليها أيديهم إلى الان . وأول من تغلب عليها من الملوك السامانية ، وهم بنو سامان بن جثان بن طمعان بن بوشرد بن بهرام جوين المذكور في أخبار كسرى أبرويز أحد ملوك القروس .

وأول من ملكها منهم أولاد أسد بن سامان في خلافة المأمون في سنة أربع ومائتين . فتولى (أحمد بن أسد) قرغانة ، و (يحيى بن أسد) الشاش وأسرؤشنة و (نوح ابن أسد) سمرقند ، ثم مات نوح بن أسد بسمرقند ، ثم مات أحمد بقرغانة واستخلف ابنه نصر على أعماله ، وكان إسماعيل بن أحمد يخدم أخاه نصرًا فولاه نصرًا بحارا في السنة المذكورة . وكان إسماعيل رجلا خيرا يحب أهل العلم ويكرمهم ، فاستقرت قدمه ببخارا وملك جميع ماوراء النهر . وملك إسماعيل المذكور نحرسان مع ماوراء النهر في سنة سبع ومائتين .

(١) في " الأعيان الطوال " لدينوري ابن تودل بن الترك بن يافت ، وفي أبي القداء " ابن طويع " وفي غيرهما غير ذلك . نينا على ذلك ليعلم أن بين المؤرخين اختلافًا ، ولم يتقدم المؤلف في توران شي من هذا النسب ، فكتبه .

ثم ملك بعده ماوراء النهر وخراسان (أبنة أحمد بن إسماعيل) حتى قتل في سنة إحدى وثلاثمائة؛ وولى بعده ماوراء النهر وخراسان أبنة (أبو الحسن نصر بن أحمد) وتوفي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة .

وولى بعده ماوراء النهر وخراسان أبنة (نوح بن نصر) وتوفي في سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة .

وولى بعده ماوراء النهر وخراسان أبنة (عبد الملك بن نوح) وبقي حتى قبض عليه إيليك خان ملك الترك، وحبس هو وجميع أقاربه، ومات في الحبس في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، وأعرضت بموته دولة بني سامان، وكانت دولتهم من أحسن الدول وأعدلها، وكانت ولايتهم إمارة لأملاك .

وملك بعدهم ماوراء النهر (إيليك خان) المتقدم ذكره، وتوالت بأيديهم حتى ملكها منهم رجل اسمه (أحمد خان) فبقيت بيده حتى ملكها منه (ملكشاه السلاجوقي) في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة، وأطاعه صاحب تركستان فغلب له وضرب السكة باسمه، ثم خرج عنها وعاد أحمد خان إليها، فبقي حتى ثبتت زندقته وضرب عنقه في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

وملك بعده ابن عمه (مسعود)، ثم أقيمت الخطبة بما وراء النهر (بريكارقي)، ثم خطب بريكارقي فيها بيده بما وراء النهر وغيه لأخيه محمد بن ملكشاه. ثم غلب عليها لخطأ الكفار في سنة ست وثلاثين وخمسائة وأتبعوها من يد سنجر بن ملكشاه. ثم صارت بيد الفز: وهم طائفة من الترك مسلمون .

ثم استولى عليها بنو أنوشكين ملوك خوارزم الآتي ذكرهم، إلى أن غلب عليها جنك خان في سنة ست عشرة وسبعمائة .

وأما غَزَنَةُ وما معها فكانت بيد بني سامات ، ثم غلب عليها سُبُكْتِكِين : وهو أحد مسالك أبي إسحاق بن البتكين صاحب جيش غزنة للسامانية المقدم ذكره في سنة ست وستين وثلاثمائة بعد موت أبي إسحاق المذكور ، ثم مات وقام بالأمر بها بعده ابنه إسماعيل ، ثم غلبه عليها أخوه محمود بن سُبُكْتِكِين ، وأستضاف إليها بعض نُرَّاسَانَ في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ، وقطع الخطبة السامانية ، وبقي حتى توفى سنة إحدى وعشرين وأربعمائة .

وملك بعده ابنه (محمّد بن محمود) بعهد من أبيه ، ثم قُتِلَ أهلُ المملكة عليه أخاه (مسعود بن محمود) ومَلِكُوهُ عليهم ، وبقي حتى قُتِلَ في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة . ثم ملك بعده أخوه محمد المقدم ذكره وقتل من عامه ، وملك بعده ابن أخيه (مودود بن مسعود) وتوفى سنة إحدى وأربعين وأربعمائة .

وملك بعده عمه (عبد الرشيد بن محمود) وقتل في سنة أربع وأربعين وأربعمائة . وملك بعده أخوه^(١) (فرخزاد بن مسعود بن محمود) ، وتوفى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة . وملك بعده أخوه الملك المؤيد (إبراهيم بن مسعود) ، وتوفى سنة إحدى وثمانين وأربعمائة . وملك بعده ابنه (مسعود بن إبراهيم) ، وتوفى سنة ثمان وخمسمائة . وملك بعده (أرسلان شاه بن مسعود) .

ثم ملك بعده (بهرام شاه بن مسعود) ثم توفى . وملك بعده ابنه (خسرو شاه بن بهرام) ، وتوفى سنة خمس وخمسين وخمسمائة . وملك بعده ابنه (ملكشاه بن خسرو شاه بن بهرام بن مسعود بن محمد بن سُبُكْتِكِين) ، وهو آخرهم . ثم انتقل الملك إلى الغورية .

(١) الضمير راجع إلى مودود والأولى أن يقال "ابن أخيه" ليعود الضمير إلى عبد الرشيد .

فأول من ملك منهم علاء الدين (الحسين بن الحسين)، ملك عند اقراض الدولة السُكُكِيَّة، واستضافها إلى القُور في سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وتلقب بالملك المعظم، وتوفي سنة ست وخمسين وخمسمائة .

وملك بعده غياث الدين (محمد بن سام بن الحسين) ؛ ثم أمستولى عليها الفُرنجُ نحو خمس عشرة سنة ؛ ثم ملكها (شهاب الدين) أخو غياث الدين المقدم ذكره سنة تسع وسبعين وخمسمائة، وقتل سنة اثنتين وستمائة، وفي أيامه كان الإمام نضر الدين الرازي وكان يَشَاء وَيَعْظُمُ .

ثم ملك بعده علاء الدين (محمد بن سام بن محمد بن مسعود بن الحسين) ؛ ثم غلبه عليها (يلدز) مملوك غياث الدين أنشئ شهاب الدين ؛ ثم غلبه عليها علاء الدين المذكور؛ ثم غلب عليها يلدز أيضا ؛ ثم غلب عليها علاء الدين (محمد بن تكش) بن خوارزم شاه في سنة اثنتي عشرة وستمائة، وبقي حتى غلبه عليها جنكرخان الآتي ذكره في سنة سبع عشرة وستمائة .

الطبقة الثانية

(ملوكها من بني جنكرخان)

قال في "مسالك الأبصار" : كان جنكرخان قد أوصى بمملكة ماوراء النهر لولده جدای، ويقال له جفطای فلم يتمكن من ذلك .

ثم ملك بعده ابنه قراهورلاوو، ثم ولده مبارك شاه ؛ ثم غلب عليه قیدو بن قاشی ابن یكوك بن أوكداي بن جنكرخان ؛ ثم غلب عليه براق بن بسنطو بن منكوقان ابن جفطای بن جنكرخان .

ثم ملك بعده ابنه دوا بن براق، ثم أخوه كنتجك، ثم أخوه اسبغنا، ثم أخوه كيوك، ثم أخوه الجلكداي، ثم أخوه دراتمر، ثم أخوه ترما شیرين .

ثم ملك بعده رجل ليس من أولاد دوا اسمه توزون بن أويّا كان . قال : ونخل في خلال ذلك منّ شب على الملك ، ولم ينظم له حال ولاصلت له أعلام دولة ، وبقى الملك بعد ترماشيرين غير منظم حتى قام جنفصوبن دراتمر بن حلون براق بن بسطلو ابن منكوقان بن جفطاي بن جنكرستان . إلى هنا آقضى كلامه في "مسالك الأبصار" .

وأول من أسلم من ملوك هذه المملكة "ترماشيرين" المقدم ذكره سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، فأسلم وحسن إسلامه وأخلص في إسلامه وأيد الإسلام ، وقام به حق القيام ، وأمر به أمراءه وعساكره ، ففهم من كان سبق إسلامه ومنهم من أجاب دأبيه فأسلم ، وفشأ فيهم الإسلام ، وعلا لوائه حتى لم تمض عشرة أعوام ، حتى أشتمل فيها ببلايته الخالص والعام ، وأعان على ذلك من في تلك البلاد من الأئمة العلماء والمشايخ الصلحاء . وصارت التجار من مصر والشام مترددة إلى تلك الممالك ، وهو يكرمهم أتم الإكرام ، على أن رعايا هذه المملكة من قدماء الإسلام ، السابقين إليه كانوا مع كفر ملوكهم في جانب الإعرزاز والإكرام ، لا يتطرق إليهم منهم أذية في دين ولا حال ولا مال .

الجملة السابعة

(في ترتيب هذه المملكة وحال عساكرها)

أما ترتيبها فقد أشار في "مسالك الأبصار" إلى أنها على نحو ما تقدم في مملكة إيران لاخفاق ملوك بني جنكرستان في الترتيب على طريقة واحدة .

وأما عساكرهم فذكر أن عساكرهم من أهل النجدة والبأس ، لا يصعد ذلك من طوائف الترك جاحد ، ولا يخالف فيه مخالف ، حتى حكى في "مسالك الأبصار" عن مجد الدين إسماعيل السلامي أنه كان إذا قيل في بيت هؤلاء : العساكر ،

تَحَرَّكَتْ مِنْ حُوَارِزْمَ وَالْقَبْجَاقِ، لِأَجْلِ لِنَاكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ هَـ . وَإِذَا قِيلَ : إِنْ
الْعَاكِرُ تَحَرَّكَتْ مِمَّا وَرَاءَ النِّهَرِ، تَأَمَّرُوا لِنَاكَ غَايَةَ التَّائِبِ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ أَقْوَى نَاصِرًا وَإِنْ
كَانَ أَوْلَاكَ أَكْثَرُ عِدْدًا، لِأَنَّهُ يُقَالُ : إِنْ وَاحِدًا مِنْ هَؤُلَاءِ بِمِائَةٍ مِنْ أَوْلَاكَ، وَلِذَلِكَ
كَانَتْ تُخْرَسَانُ عَنْدهُمْ تَقْرَأُ لِأَجْلِ سِدَادِهِ، وَلَا يَزَالُ فِيهِ مَنْ يَسْتَحِقُّ مِيرَاثَ التَّخْتِ
أَوْ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ، لَمَّا وَقَرَ فِي صُدُورِهِمْ لِهَؤُلَاءِ مِنْ مَهَابَةٍ لَا يُقْفَلُ طَوْدُهَا، لِأَنَّهُمْ
طَالَمَا بَلَّوْهُمْ فِي الْحَرْبِ وَأَبْتَلَوْهُمْ فِيهَا .

القسم الثاني

(من مملكة تُورَانِ حُوَارِزْمَ وَالْقَبْجَاقِ)

قال في "مسالك الأبصار" : حدثني الشيخ نجم الدين بن الشَّعَامِ الموصلي :
أَنَّ هَذِهِ الْمَمْلَكَةَ مَتَسَعَةٌ الْجَوَانِبِ طَوْلًا وَعَرْضًا، كَبِيرَةُ الصَّحَرَاءِ، قَلِيلَةُ الْمَدَنِ، وَبِهَا
عَالَمٌ كَثِيرٌ لَا يَدْخُلُ تَحْتَ حَدٍّ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ كَثِيرٌ نَفْعَ ثِقَلَةِ السِّلَاحِ وَرِدَاةِ الْخَيْلِ،
وَأَرْضُهُمْ سَهْلَةٌ قَلِيلَةُ الْحَجَرِ، لَا تُطَبَّقُ خَيْلٌ رُبِّيَتْ فِيهَا الْأَوْعَارُ، فَذَلِكَ يَقِلُّ غَنَاؤُهَا
فِي الْحُرُوبِ . قَالَ فِي "التعريف" : وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَمْلَكَةُ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ زَمَانِ الْخُلَفَاءِ
وَمَا قَبْلَهُ تَعْرِفُ بِصَاحِبِ السَّرِيرِ . قَالَ فِي "الروض المعطار" : وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ بِهَا
سَرِيرٌ مِنْ ذَهَبٍ يَجْلِسُ عَلَيْهِ مُلُوكُهَا نَقْلُهُ إِلَيْهَا مُلُوكُ الْفَرَسِ . قَالَ فِي "التعريف" :
وَكَانَ صَاحِبُهَا فِي الْأَيَّامِ النَّاصِرِيَّةِ (يَعْنِي أَبْنَ فُلَاوُونَ) السُّلْطَانُ أَرْبُكَ خَان . قَالَ :
وَقَدْ خُطِبَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ فَرُوحُ بَنِي تَمْرُبُكْ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ : وَمَا زَالُ بَيْنَ مُلُوكِ هَذِهِ
الْمَمْلَكَةِ، وَبَيْنَ مُلُوكِ قَدِيمِ اتِّحَادٍ، وَصِدْقٍ وَدَادٍ، مِنْ أَوَّلِ الدَّوْلَةِ الظَّاهِرِيَّةِ بِبَيْرُتِ
وإِلَى آخِرِ وَقْتٍ .

وَيَحْصِلُ الْفَرْصُ مِنْ ذَلِكَ فِي ثَمَانِ جُمَلٍ :

المجلة الاولى

(في ذكر حدود هذه المملكة ومساقها)

قد ذكر في "مسالك الأبحار" قلا عن الشيخ علاء الدين بن النعمان الخوارزمي أن طول هذه المملكة من بحر أصطنبول إلى نهر أريس ستة أشهر، وعرضها من بلغار إلى باب الحديد أربعة أشهر تقريبا . ثم ذكر عنه في موضع آخر : أن مجموع هذه المملكة من ورعات خوارزم من الشرق إلى باشقرد، وعرضا من خوارزم إلى أقصى بلاد سير، وهي منتهى الهارة في الشمال . وذكر في موضع آخر عن ابن النعمان أن مبدأ عرض هذه المملكة من ديرمو، وهي مدينة من بناء الإسكندر، كان عليها باب من حديد قديما، إلى بلاد بوغره (١)، وطولها من ماء أريس، وهو أعظم من نيل مصر بكثير من ناحية بلاد الخطا، إلى أصطنبول يعني القسطنطينية . قال : ويتجاوز هذا الطول قليلا إلى بلاد تسمى كنج مشتركة بين الروس والفرنج . وذكر في موضع آخر أن خوارزم إقليم منقطع عن خراسان وعن ما وراء النهر، والمقلاو محيطه به من كل جانب ، وحدّه متصل بغزنة مما إلى الشمال والغرب وجنوبه وشرقيه ، وهو على جانبي جيحون . قال ابن حوقل : وبلاد خوارزم من أبرد البلاد، ومنها يبتدئ الجمود في نهر جيحون . قال في "العزى" : وبلاد خوارزم في جهة الجنوب والشرق عن بحيرة خوارزم، وبينهما نحو ست مراحل . قال في "مسالك الأبحار" : وأولى حدّ خوارزم بلدة تسمى الظاهرية مما إلى أمل، وتمتد الهارة في جانبي جيحون معا ، وحكى عن حسب الرومي التاجر السفار أن طولها من مدينة باكو المعروفة بالباب الحديد إلى حدود بلاد الخطا ، فيكون بسير القوافل خمسة أشهر، وعرضها من نهر

(١) كذا في الأصل . ولها درخان الآتية قريبا .

جَيَّحُونَ إِلَى نَهْر طُونَا . وقال في "مسالك الأبصار" : وهذه المملكة واقعة في الشمال
أخذة إلى الشرق، تحدها أطراف الصين من شرقها ، وبلاد الصَّغَلْب وما يليها من
كشماليها، وَخُرَّاسَانَ وما ساحتها من جنوبيها، والخليج القاطع من بحر الروم من غربيها .

الجملة الثانية

(فما اشتملت عليه من الأقاليم العُرفية)

اعلم أن هذه المملكة قد اشتملت على عدة أقاليم :

الإقليم الأول

(خُوارزَمُ)

بضم الخاء المعجمة وفتح الواو وألف بعدها راء مهملة ثم زاي معجمة ساكنة
وميم في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وهو إقليم متقطع عن خُرَّاسَانَ وعن
ماوراء النهر، والمفاوز محيطة به من كل جانب . قال : ويحيط به من الغرب بعض
بلاد الترك؛ ومن جهة الجنوب خُرَّاسَانُ؛ ومن الشرق بلاد ماوراء النهر؛ ومن الشمال
بلاد الترك أيضا . قال : وإقليم خُوارزَمَ في آخر جَيَّحُونَ، وليس بعده على النهر
عمارة إلى أن يقع جَيَّحُونَ في بحيرة خُوارزَمَ، وهو على جانبي جَيَّحُونَ . قال
ابن حوقل : (وبلاد خُوارزَمَ من أبرد البلاد، ويتبدى الجلود في نهر جَيَّحُونَ من
جهة خُوارزَمَ) . وقال المهلب : بلاد خُوارزَمَ في جهة الجنوب والشرق عن بحيرة
خُوارزَمَ إلى أُمْل نحو آفتق عشرة مرحلة، ومن خُوارزَمَ إلى بحيرة خُوارزَمَ نحو ست
مراحل . قال في "مسالك الأبصار" : ويخُوارزَمَ جَبَل يقال له جبل الخير به عين
تعرف به، يقصدها ذوو الأمراض المزمنة، ويقيمون عندها سبعة أيام، في كل يوم

(١) نفذت هذه الجملة بتمامها في الصفحة التي قبل هذه، فأعادتها غير مفيدة .

يفتسلون بها بكرة وعشية، ويشربون منها عقب كل اغتسال حتى يتضلعوا، فيحصل البرء . قال : وَخَوَارِزْمٌ عَلَى جَيْحُونَ بَيْنَ شُعْبَتَيْنِ مِنْهُ مِثْلُ السَّرَاوِيلِ . قال : وَيَلِي خَوَارِزْمَ أَرْضٌ مَدَوْرَةٌ تَسْمَى قَسْلَاعَ ، طَوَّلَهَا خَمْسَةُ أَشْهُرَ . وَعِزَّضَهَا كَذَلِكَ كُلُّهَا صَحْرَاءَ ، يَسْكُنُهَا أُمٌّ كَثِيرَةٌ مِنَ الْبَرْجَانِ ، وَيَفْضُلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ نَهْرِ جَيْحُونَ جَبَلٌ اسْمُهُ أَوِيلْتَانِ شِمَالِيٌّ نُرَّاسَانٌ . وَلَهَا قَاعِدَتَانِ .

القاعدة الأولى

(القديمة مدينة كاث)

بكاف وألف وباء مثلثة . قال ابن حوقل : وهو اسمها بالخوارزمية ، وهي مدينة واقعة في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول خمس وثمانون درجة ، والعرض إحدى وأربعون درجة وست عشرة دقيقة . قال في "القانون" : وهي في شرقي جَيْحُونَ . قال المهلب : وبينها وبين القرية الحديثة من بلاد الترك خمسون فرسخا . قال : وهي من أجل مدُنْ خَوَارِزْمَ . قال ابن حوقل : وقد نحرِبها التترو بنى الناس لهم مدينة ورامعا . قال : وكانت هذه المدينة في الجانب الشمالي عن جيجون . قال في "مسالك الأبصار" : وبها مائة بيت من اليهود ، ومائة بيت من النصارى ، لا يسمع لهم بأكثر من ذلك .

القاعدة الثانية

(كُورْكَانْج)

قال في "المشترك" : بضم الكاف وسكون الراء المهملة ثم كاف ثانية وألف ونون ساكنة وفي آخرها جيم . قال : ويلتقي فيها ساكنان (يعني الألف والنون) ولذلك يكتبونها كُورْكَانْج بغير ألف ، وتعرف بِكُورْكَانْجِ الْكُجُرِّيِّ ، والعرب تسميها

البحرانية - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" "والقانون" حيث الطول أربع وثمانون درجة ودقيقة واحدة، والعرض اثنتان وأربعون درجة وسبع وخمسون دقيقة . قال في "المشترك" : وهي على ضفة جيجون . قال في "القانون" من غريبه . وبها عدة مدن أيضا :

(منها) كركنج الصغرى . وتعرف بالبحرانية أيضا - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة أيضا . قال في "الأطوال" حيث الطول أربع وثمانون درجة وخمس دقائق ، والعرض اثنتان وأربعون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال في "المشترك" : وهي مدينة قريبة من كركنج الكبرى ، بينهما عشرة أميال ، وهي في غربي جيجون .

(ومنها) زحشُر . قال في "اللباب" : بفتح الزاى المعجمة والميم وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين وراء مهملة في الآخر - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول أربع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض إحدى وأربعون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وإليها ينسب الإمام أبو القاسم محمود الزحشيري صاحب "الكشاف" في التفسير وغيره من المصنفات الفاتحة النافعة .

(ومنها) هرَآرسُب . قال في "اللباب" : بفتح الهاء والزاى المعجمة وسكون الالف وفتح الراء وسكون السين المهملتين وباء موحدة في الآخر - وهي قلعة بخوارزم موقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وثمانون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض إحدى وأربعون درجة وعشرون دقيقة . قال السمعاني : ويقال لها بالفارسية هرَآرسُف . قال : وهي قلعة حصينة . قال المهلبى غريبى جيجون ، وبينها وبين مدينة كاث ستة فراسخ .

(ومنها) دَرْعَان . بَدَال وراء وعين مهملات وألف ثم نون - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ست وثمانون درجة وأربع وعشرون دقيقة، والعرض أربعون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي آخر حدود خُوارزَم إلى جهة مَرَو . قال المهلبي : وبينها وبين هَرَارَاسَب أربعة وعشرون فرسخًا .

(ومنها) قَرَبْرُ . قال في "اللباب" : بفتح القاء والراء المهملة وسكون الباء الموحدة . وقال في "مزيل الأرتباب" : بفتح القاء وكسرهما ، كل منهما مسموع - وهي مدينة على طرف جَيْحُون مما إلى بَحَارَا - موقعها في آخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول سبع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثمان وثلاثون درجة ونحس وأربعون دقيقة . قال في "القانون" : وهي المَعْبَر من بلاد ما وراء النهر إلى نَحْرَاسَانَ . وجعلها ابن حوقَل من أعمال بَحَارَا . فتكون مما وراء النهر، وهي خصبة ولها قرى عامرة .

الإقليم الثاني (النَّشْتُ)

بفتح الدال المهملة وسكون الشين المعجمة وتاء مثناة فوق في الآخر - وهي صحارى في جهة الشمال ، وتضاف إلى القَبَجَائِي بفتح القاف وسكون الباء الموحدة وفتح الجيم وألف بعدها ثم قاف - وهم جنس من التُّرك يسكنون هذه الصحارى ، أهل حَلَّ وَرَحَالٍ على عادة البدو .

وقاعدة المملكة بها (صراى) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الصاد والراء المهملتين وألف وياء مثناة تحتية . ووقع في "مسالك الأبصار" بالسين المهمللة بدل الصاد . وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة عظيمة في مستو من الأرض على شط نهر [الأبل] من الجانب الشمالى [الشرقى] غربى بحر الخزر وشماله على مسيرة نحو يومين ، وبحر الخزر شرقها بجنوبها ، ونهر الأبل عندها يجرى من الشمال والغرب إلى الشرق والجنوب حتى يصب في بحر الخزر . وهي فُرْصَة عظيمة للتجار ورقيق التُّرك . وذكر في "مسالك الأبصار" عن عبد الرحمن الخوارزمي التبرجاني : أنها بناء بركة بن طوحى بن جنكوخان ، وأنها في أرض سيخة بغير سور ، ودار الملك بها قصر عظيم على عليائه هلال من ذهب زنته قطاران بالمصرى ، ويحيط بالقصر سور وأبراج فيها الأمراء ، وهذا القصر يكون مشتهم ، والسراى مدينة كبيرة ذات أسواق وحمامات ووجوه رى مقصودة بالإجلاب ، وفي وسطها بركة ماؤها من نهر الحل ماؤها للاستعمال . أما شربهم فنهر يسقى لهم في حرار فغار ، وتصف على التجللات وتجوز إلى المدينة وتباع بها . قال : وبعدها عن خوارزم نحو شهر ونصف . قال في "تقويم البلدان" : وقد نبى بها السلطان أربك مدرسة للعلم . قال في "مسالك الأبصار" : وهم في جهد من قشيف العيش لأنهم لبسوا أهل حاضرة ، وشدة البرد تهلِك مواشيهم ، قال : وهم لشدة ما بهم من سوء الحال إذا وجد أحدهم لحماً صلقه ولم ينضجه وشرب مرقة ، وترك اللحم لئلا كله مرة أخرى ، ثم يجمع العظام ويماود صلقها مرة أخرى ويشرب مرقتها ، وقس على هذا بقية عيشتهم . ونقل عن جمال الدين عبد الله الحصنى التاجر : أن لبس كثير منهم الجلود : مذكاة كانت أو ميتة ، مذبوحة أو غير مذبوحة ، من حيوان

(١) الزيادة عن تقويم البلدان . (٢) لعل هذا اللفظ زائد من النسخ .

طاهر أو غيره؛ ولا يعرفون في المآكل ما يُصاف مما لا يُصاف، ولا التحريم من التحليل، وأنهم يبيعون أولادهم في بعض السنين لضيق العيش . قال : ومع ذلك فليس لهم تمسك بدين ولا رزاة في عقل؛ ثم عقب ذلك بأن قال : ومع ذلك فهم من خيار الترك أجناسا لوفائهم وشجاعتهم وتجنّبهم القدر، مع تمام قناعتهم وحسن صُورهم وطرافة شمائلهم . ثم قال : ومنهم معظم جيش الديار المصرية من ملوكها وأمرائها وجُنُدها، إذ لما رغب الملك الصالح (نجم الدين أيوب) في مشترئ الممالك منهم، ثم صار من ممالكه من انتهى إلى الملك والسلطنة، فصالت الجنسية إلى الجنسية . ووقعت الرغبة في الاستكثار منهم حتى أصبحت مصر بهم أهلة المعالم، تحميّة الجوانب؛ منهم أقارب مواكبها، وصدور مجالسها، وزعماء جيوشها، وعظماء أرضها . وحمد الإسلام موافقهم في حماية الدين، حتى إنهم جاهدوا في الله أهليهم . قال : وكُنِيَ بالنصرة الأولى يوم عَيْنِ جَالُوتَ في كسر الملك المظفر قطز صاحب مصر إذ ذاك في سنة ثمان ونسحين وستمائة عساكر هولاكو ملك التتر بعد أن عجز عنهم عساكر الأقطار، وأسناصلوا شافة السلطان (جلال الدين محمد بن خوارزم شاه) وقتلوا عساكره؛ مع أن الجيش المصري بالنسبة إلى العساكر الجلالية كالنقطة من الدائرة، والنقبة من البحر، والله يؤيد بنصره من يشاء .

أما في زماننا هذا فإنه منذ قام السلطان الملك الظاهر برفوق من جنس الجركس، رغب في الممالك من جنسه وأكثر من الممالك الجراكسة حتى صار منهم أكثر الأمراء والجند، وقلّت الممالك الترك من الديار المصرية حتى لم يبق منهم إلا القليل من بقاياهم وأولادهم .

الإقليم الثالث

(بلاد الخزر)

بفتح الخاء والزاي المعجمتين وراء مهمله في الآخر .

وقاعدته مدينة (بَلَنْجَر) . قال في "الباب" : بفتح الباء الموحدة واللام ونون ساكنة وجيم مفتوحة ثم راء مهمله - وهي مدينة بَدْرَبَنْد خزران ، واقعة في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والمرض خمسون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "كتاب الأطوال" : وهي إترل . قال في "اللباب" : وهي داخل الباب والأبواب ، قيل إنها نسبت إلى بَلَنْجَر بن يافث .

الإقليم الرابع

(القيرم)

قال في "تقويم البلدان" : بكسر القاف والراء المهمله وميم في الآخر . قال

وهو اسم لإقليم يشتمل على نحو أربعين بلدا .

وقاعدتها (صُلْفَاتُ) . قال في "تقويم البلدان" : بضم الصاد المهمله وسكون اللام وفتح الشين المعجمة وألف وياء مثناة فوقية في الآخر - وقد أطلق الناس اسم القيرم عليها حتى إذا قالوا القيرم لا يريدون إلا صُلْفَاتُ - وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال : والقياس أنها حيث الطول سبع وخمسون درجة وعشر دقائق والمرض خمسون درجة . قال : وهي عن البحر على نصف يوم ، وهي عن الأترق في الغرب والشمال .

ويصرأى بلاد مضافة إليها .

(منها) الأَكْكُ . قال في "تقويم البلدان" : بضم الحمة وضع الكاف الأولى ثم كاف ثانية - وهي بلدة من بلاد الصَّراى ، موقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : القياس حيث الطول ثمان وسبعون درجة ، والعرض تسع وأربعون درجة وخمسون دقيقة ، وهي على جانب نهر إبل من الجانب الغربى بين صَرَائى وبلار ، على قرب منتصف الطريق بينهما ؛ وهي عن كل واحدة منهما على نحو خمس عشرة مرحلة . وإلى الأَكْكِ هذه ينتهى أردو القان صاحب هذه المملكة ؛ ولها مُدُن أخرى تقدم . وهي عن الكَفَا شمالاً بقرب ، وعن صُودَاق شمال شرق ، وبين كل منهما مسيرة يوم ؛ وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) صُودَاقُ . قال في "تقويم البلدان" : بضم الصاد المهملة وواو ، وضع الدال المهملة وألف وقاف في الآخر ، والعامة يقولون : صُرداق ، فيبدلون الصاد سيناً مهملة والواو راءً مهملة - وموقعها في آخر الإقليم السابع من الأقاليم السبعة أو في الشمال عنه . قال ابن سعيد حيث الطول ست وخمسون درجة ، والعرض إحدى وخمسون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي في ذيل جبل على شَطِّ بحر القيرم ، وأرضها عجروهي مسورة ، وهي مُرضة للتجار ؛ ويقال لها من البر الآخرة مدينة سامسُون ، من سواحل بلاد الروم الآتى ذكرها . قال : وأهلها مسلمون . وقال ابن سعيد : أهلها أخلاط من الأهم والأديان ، والأمر فيها راجع إلى النصرانية . وإليها يُنسب الجبلد الشرداق المعروف .

(ومنها) كَفَا . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الكاف والفاء وألف مقصورة . وهي مُرضة القيرم - وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال : والقياس أنها حيث الطول سبع وخمسون درجة ، والعرض خمسون درجة ، وهي في وطاة

من الأرض؛ وهى على ساحل بحر القيرم، ويقابلها من البر الآخر مدينة طَرَازُون من سواحل بلاد الروم، وهى شرق صُودَاق، وعليها سورٌ من لَين، ومن شمالها وشرقها صحراء القَبْجَاق، وهى عن صُودَاق فى سمت الشرق، والكُفَا وصُودَاق وصلَفَات كالأثافي .

الإقليم الخامس

(بلاد الأَزَق)

قال فى "تقويم البُلدان" : بفتح الهمزة والراى المعجمة وقاف فى الآخر .

وقاعدته مدينة الأَزَق بالضبط المعروف - موقعها فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البُلدان" : والقياس أنها حيث الطولُ خمس وستون درجة، والعرض ثمان وأربعون درجة . قال : وإليها ينسب بحر الأَزَق المعروف فى الكتب القديمة ببحر مانيتش، وهى فُرْضة على بحر الأَزَق فى مستوٍ من الأرض عند مَصَب نهر "تان" فى بحر الأَزَق، وبناؤها بالخشب، وبينها وبين القيرم نحو خمس عشرة مرحلة، وهى فى الشرق والجنوب عن القيرم . ولها مدن أخر .

(منها) الكَرْش . قال فى "تقويم البُلدان" : بفتح الكاف وسكون الراء المهملة وشين معجمة فى الآخر - وهى بلدة صغيرة على ساحل بحر الأَزَق، واقعة فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البُلدان" : القياس حيث الطول ستون درجة ، والعرض سبع وأربعون درجة وثلاثون دقيقة . وهى بلدة صغيرة بين الكُفَا والأَزَق على فَمِ بحر الأَزَق، ويقابلها من البر الآخر الطامان من سواحل أَرْمِينِيَّة وبلاد الروم، وأهلها قَبْجَاق كُفَّار .

الإقليم السادس

(بلاد الجُرْكِس)

يقتح الجليم وسكون الراء وفتح الكاف وسين مهملة في الآخر. قال المؤيد صاحب حماة في "تاريخه": وهو على بحر نيطنش من شرقه، وهم في شَطَف من العيش . قال : وقد غلب عليهم دينُ النصرانية ، وقد صار في زماننا منهم أكثرُ عسكر الديار المصرية من لدن ملك الظاهر يرقوق فإنه أكثر الإجلاب منهم .

الإقليم السابع

(بلاد البُلْغَار)

بضم الباء الموحدة وسكون اللام وفتح الفين المججمة وألف ثم راء مهملة في الآخر . وهم جنس معروف أيضا . قال صاحب حماة في "تاريخه" : وهم منسوبون إلى بُلْدَان يسكنونها .

وقاعدتها مدينة (بَلَار) بضم الباء الموحدة وفتح اللام وألف وراء مهملة في الآخر. قال في "تقويم البلدان" : ويقال لها بالعربي بُلْغَار - وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة ، أوفى الشمال عنه . قال في "الأطوال" وطولها ثمانون درجة ، والعرض خمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وهي بلدة في نهاية البحارة قريبة من شَطَف نهر إزِل من البر الشمالي الشرقي ، وهي وصَرَاى في بر واحد ، وبينهما فوق عشرين مرحلة ، وهي في وطاة والجبال عنها أقل من يوم ، وأهلها مسالمون حَنَفِيَّة ، وليس بها شيء من الفواكه ولا أشجار الفواكه لشدة بردها ، والقَيْطَل الأسود في غاية الكبر . قال السلطان عماد الدين صاحب حماة : وقد حكى لي بعض أهلها أن في أول الصيف لا ينسب الشَّقَق عنها ويكون ليها في غاية القِصَر . ثم قال :

وهذا الذى حكاه صحيح موافق لما يظهر بالأعمال الفلكية ، لأن من عرض ثمانية وأربعين ونصف يتدنى عدم غيوبة الشفق فى أول فصل الصيف ، وعرضها أكثر من ذلك ، فصح ما تقدم على كل تقدير . قال فى "مسالك الأبصار" : وحكى لى الحسن الإدريلى أن أقصر ليها أربع ساعات ونصف ، وهو غاية نقصان الليل . قال حسن الرومى : وسألت مسعودا المؤقت بها عن هذا فقال : جربناه بالآلات الرصدية فوجدناه كذلك تحريرا . قال فى "مسالك الأبصار" : وقد ذكر المسعودى فى "مروج الذهب" أنه كان فى السرب والبغارى من قديم دار إسلام ومستقر إيمان . فأتا الآن فقد تبدلت بليمانها كغفرا ، وتداولها طائفة من عباد الصليب ، ووصلت منهم رُسل إلى حضرة مصر سنة إحدى وثلاثين وسبعائة من صاحب السرب والبغارى ، يعرض نفسه على موذته ، ويسأله سيفا يتقلده ومنجفا يقهر أعداءه به ، فأكرم رُسله ، وأحسن زُله ، وجعله معه خُلعة كاملة : طرد وحش بقصب بسنجاب مقدس على مقرح مكندرى وكلونة زركش بطرفين ، ومنطقة ذهب ، وكلاليب ذهب وسيف محلى ، ومنجق سلطان أصفر مُتعب . قال : وهم يدارون سلطان القبطاق لعظيم سلطانه عليهم ، وأخذة بخناقهم لقرىبهم منه . وذكر فى "التعريف" قريبا منه ؛ ولصاحب السرب مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، أتى ذكرها فى المكتبات إن شاء الله تعالى .

وبين السرب والبغارى وبلاد الترك بلاد :

(منها) أقباجرَمان - بفتح الهمزة وسكون التاف وفتح الجيم وألف ونضع الكاف والراء المهمله والميم وألف والنون فى الآخر - وهى بليدة على بحر نيطش المعروف ببحر القرم ، واقعة فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول خمس وأربعون درجة ، والعرض خمسون درجة ، وهى

في مستوي من الأرض، وأهلها أخلاط من مسلمين وكفار، وعلى القرب منها يصب نهر طرؤو.

(ومنها) صَارِي كَرْمَانَ . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الصاد المهملة وألف وكسر الراء المهملة وياء مثناة تحته - وَكَرْمَانُ عَلَى مَا تَقْدَمُ، منخرطة في أَقْبَا كَرْمَانَ، وهي بليدة أصغر من أبقا كرمَان - وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" حيث الطول خمس وخمسون درجة، والعرض خمسون درجة قياساً، ويقابلها من البر الآخر مدينة سَسُونَب من سواحل بلاد الروم، وهي شرقي أَقْبَا كَرْمَانَ المتقدم ذكرها، وبينهما نحو خمسة عشر يوماً، وبينها وبين صُلْفَات نحو خمسة أيام .

الإقليم الثامن (بلاد الأولاق)

بضم الهمزة وسكون الواو ولام ألف بعدها قاف، ويقال لهم البرغَال بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح النين المعجمة وألف ثم لام، وهم جنس معروف . وقاعدتها مدينة (طِرْتُو) . قال في "تقويم البلدان" : بالطاء المكسورة والراء الساكنة المهملين والنون المفتوحة وواو في الآخر - وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول سبع وأربعون درجة وثلاثون دقيقة، والبرض خمسون درجة . قال : وهي غربي صَحْجِي عَلَى ثلاثة أيام منها، وأهلها كُفَّارٌ من المجلس المذكور . ولهم بلاد أخرى :

(منها) صَحْجِي . قال في "تقويم البلدان" : قال بعض الفقهاء^(١) : بفتح الصاد المهملة وسكون القاف وكسر الجيم المشربة بالشين المعجمة وفي الآخر ياء مثناة تحته -

(١) التي في تقويم البلدان "عن بعض أهلها" .

وهى من أولاق وبلاد القسطنطينية . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثمان وأربعون درجة وسبع وثلاثون دقيقة، والعرض خمسون درجة، وهى متوسطة بين الصَّغِيرِ والكَبِيرِ فى مستوى من الأرض، عند مصب نهر طُتّا فى بحر نيطنش المعروف ببحر القريم فى الجانب الجنوبى الغربى منه . وهى عن أَقْبَا كَرَمَانَ على مسيرة خمسة أيام، وبينها وبين القسطنطينية فى البحر عشرون يوما، وغالب أهلها مسلمون .

الإقليم التاسع

(بلاد الأَصْر)

بفتح الهمزة المدودة وصاد مهملة - وهم جنس معروف . وقاعدته (قِرْقِر) . قال فى "تقويم البلدان" : بكسر القاف وسكون الراء المهملة وسكون القاف الثانية (؟) وكسر الراء المهملة فى الآخر. ومعنى "أسمها بالتركية أربعون رجلا، وموقعها فى آخر الإقليم السابع . قال فى "تقويم البلدان" : القياس أنها حيث الطول خمس وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض خمسون درجة . قال : وهى قلعة عاصية على جبل لا يقدر أحد على الطلوع إليه، ووسط ذلك الجبل وطاة تسع أهل البلاد؛ وهى بعيدة عن البحر فى شمالى صَارَى كَرَمَانَ على نحو يوم، وعندها جَبَلٌ عظيم شاهق فى الهواء يقال له (جَاطُوطَاغ) بفتح الجيم وألف وطاء مكسورة وواو ساكنة وطاء مهملة وألف وغين معجمة، يظهر للراكب من بحر القريم .

الإقليم العاشر

(بلاد الرُّوس)

بضم الراء المهملة وسكون الواو وسين مهملة فى الآخر . وهم جنس معروف . قال فى "تقويم البلدان" : فى شمالى مدينة بَلَار المذكورة . قال صاحب حماة

في "تاريخه" : ولم يجرأ أيضا في بحر نيطنش وبلار في شماله . قال : وقد غلب عليهم دين النصرانية . قال في "مسالك الأبصار" : وإذا سافر المسافر على غربي جوليان وصل إلى بلاد الروس ، ثم إلى بلاد الفريج وسكان البحر الفريج . قال في "تقويم البلدان" : وفي شمالي الروس الذين يبيعون مغالية . ونقل عن بعض من سافر إلى تلك البلاد أنهم يتصلون بساحل البحر الشمالي ، فإذا وصلوا إلى نحوهم ، أقاموا حتى يملأوا بهم ، ثم يتقدمون إلى المكان المعروف بالبيع والشراء ، ويحط كل تاجر بضاعته معلقة ويرجعون إلى منازلهم ، فيحضر أولئك القوم ويضعون قبالة تلك البضاعة السمور والتعلب والوشق وما شاكل ذلك ، ويدعونه ويمضون ، ثم يحضر التجار فن أعجبه ذلك أخذه ، وإلا تركه حتى يتفصلوا على الرضا .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن الشيخ علاء الدين بن النعمان : أن البلاد التي يطلب منها السمور والتعلب هي بلار المقدمة الذكر . قال ابن النعمان : وتجار بلادنا لا يتعدون بلاد البلغار ، وتجار البلغار يسافرون إلى بلای جقطاي ، وتجار جوليان يسافرون إلى بلاد بوغز ، وهي في أقصى الشمال ليس بعدها عمارة سوى برنج عظيم من بناء الإسكندر على هيئة المنارة العالية ، ليس وراءه مذهب لأحد إلا الظلمات ، فسل عن الظلمات فقال : صحار وجبال لا يارقها الثلج والبرد ، ولا تطلع عليها الشمس ، ولا ينبت فيها نبات ، ولا يعيش فيها حيوان ، متصلة ببحر أسود لا يزال يطرأ الغيم منقذ عليه .

وَأَمَّا أَنْ صَاحِبُ "تَقْوِيمِ الْبِلَادَانِ" : قَدْ ذَكَرَ عَنَّا أَمَا كُنْ مِنْ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ سَوِيٍّ مَا حَقَّقَ وَلَمْ يَنْسِبْهَا إِلَى أَقْلَامٍ .

(منها) كوكمجر - بضم الكاف وسكون الواو والميم المشددة وألف وجيم وراء مهمل - وهي مدينة قريبة من الوسط ما بين باب الحديد والأزرق ، شرق الأزرق وغرب باب الحديد .

(ومنها) مدينة لُكر - بفتح اللام وسكون الكاف وفي آخرها زاي مسجمة -
وهي مدينة يسكنها جنس من الترك يقال لهم التكري ، وهم في الجبل الفاصل بين
تريملكة بركة ، وتريملكة هولاكو .

(ومنها) بلاد القتيق - بفتح القاف وسكون المثناة تحت وفتح المثناة من فوق وفي
آخرها قاف ثانية ، وهم جنس من الترك يسكنون الجبل المتصل باللكر من شماليه .
قال في "تقويم البلدان" وهم قُطَاع طريق ، وجبلهم متحكم على باب الحديد .
قلت : وهذه المملكة أوسع من أن يحاط ببلادها ، وفيها ذكرناه مقنع لمن تأمله .

الجملة الثالثة

(في ذكر الأنهار العظام والبيعات الواقعة في هذه المملكة)

أما الأنهار فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن بهذه المملكة سَيحُونٌ وَبِيحُونٌ
المقدم ذكرهما في مملكة ماوراء النهر ، وذلك أنها يمتدان من هذه المملكة إلى تلك ،
فيصدق وجودهما في الملكتين جميعا . وقد تقدم ذكرهما هناك فأغنى عن إعادتهما .
ثم المشهور مما يختص بهذه المملكة خمسة أنهار .

أحدها - نهر أتل - بفتح الهززة وكسر المثلثة ولام في الآخر - فعرف بأتل ،
وهي مدينة بَلَنْجَرُ المَقدَّم ذكرها ، ويقال فيه نهر الأتل بالالف واللام أيضا ، وهو
من أعظم الأنهار بتلك البلاد وأشهرها . ذكر في "مسالك الأبصار" عن القاضل
شجاع الدين عبد الرحمن الخوارزمي الترمذاني أنه يكون قدر النيل ثلاث مرات
أو أكثر . قال : وأصله من بلاد الصَّقْلِب . قال في "تقويم البلدان" : وهو يأتي
من أقصى الشمال والشرق من حيث لا حمارة ، ويمتز بالقرب من مدينة بلار ، وهي

(١) كذا في "التقويم" ونس ياقوت على أنه بالثناة النونية وأنه يهز إلى

بَلْعَارَ، ويستدير عليها من شمالها وغربها، ويمر منها إلى بَلْدَةِ عَلٍ سَطَهٗ يقال [لها أوكك] ثم يتجاوزها إلى قرية يُقَالُ لها بلجمن، ويمر جنوباً ثم يعطف، ويمر إلى الشرق والجنوب، ويمر على مدينة صَرَاى من جنوبها وغربها، فإذا تجاوز مدينة صَرَاى أَقْرَقَ، ويصير على ما قيل أَلَفَ نهر ونهر، ويصب الجميع في بحر انخَرْزَر. قال في "مسالك الأبصار": ويمر في السفن الكبار، ويسافر فيه المسافرون إلى الرُّوسِ والصَّقَلَبِ .

الثاني - نهر طُنَا . قال في "تقويم البلدان" : بضم الطاء المهملة وفتح النون وألف . قال في "تقويم البلدان" : وهو نهر عظيم يكون أكبر من دجلة والقُرَاتِ إذا اجتمعما بكثير . قال : ويمر من أقصى الشمال إلى جهة الجنوب، ويمر في شرق جبل يسمَّى (قشغا طاغ) . ومعناه الجبل الصَّعْبُ ، وهو جبل فيه أجناس مختلفة من أهم الكُفَر مثل الأولاق والماجار والتَّسَرَّب وغيرهم، فيمر في شرقه، وكلما جرى جنوباً قرب من بحر نِيَطِش المعروف الآن ببحر القرم، ولا يزال يتقارب منه ويقرب ما بين الجبل والبحر المذكور حتى يصب فيه في شَمَالِى مدينة صَقِجِي في شمالِ القُسْطَنْطِينِيَّةِ بميلة إلى الغرب .

(٢)
الثالث - نهر أَرُو . قال في "تقويم البلدان" : بالزاي المعجمة [المفخمة] بعد الألف وواو في الآخر . قال : وهو نهر عظيم يأتي من الشمال شرق نهر طُنَا المقدم ذكره، ويمر مقرباً، ثم يعطف ويمر مشرقاً حتى يصب في خَوْر من بحر القرم بين صَارِي كَرْمَانَ وأَقْبَا كَرْمَانَ المقدم ذكرهما .

الرابع - نهر تَان . قال في "تقويم البلدان" : بناء مثناة من فوق وألف (٣)
[مسألة] ونون في الآخر . قال : وهو نهر عظيم شرق أَرُو المقدم ذكره وغرب نهر

(١) الزيادة عن "التقويم" . (٢) الزيادة عن تقويم البلدان .

الأبل يجرى من الشمال إلى الجنوب . ويصب في بحيرة مانيطش المعروفة في زماننا
ببحر الأزقي عند مدينة الأزقي من غربيها .

الخامس - نهر طرلوك . قال في "تقويم البلدان" بضم الطاء وسكون الراء
المهملتين ولام وواو . قال : وهو نحو عاصي حمّة ، ويصب على القرب من
أقبا كرمآن في بحر نيطش المعروف ببحر القريم .



وأما البحيرات فالمشهور بها بحيرة خوارزم : وهي بحيرة كبيرة مأثمة ملح . قال
ابن حوقل : دورها مائة فرسخ ، وفيها يصب نهر جيحون في جانبها الجنوبي ، وفيها
يصب نهر الشاش أيضا ، وبينها وبين البحر عشرون مرحلة ، وبينها وبين خوارزم
مئتين مرحلة .

الجملة الرابعة

(في الطرق الموصلة إلى هذه المملكة)

ولها طريقان : طريق في البر ، وطريق في البحر .
فأما طريق البر فقد تقدم في الكلام على ملكة إيران الطريق إلى شط جيحون .
وقد ذكر في "تقويم البلدان" أن بين أطل الشط وبين خوارزم نحو اثنتي عشرة
مرحلة . وذكر في "مسالك الأبصار" أن بين خوارزم ومدينة صراى نحو شهر
ونصف . وأن بين خوارزم ومدينة صراى مدينة وجق ومدينة قتلود .

وأما طريق البحر فهو أن يركب المسافرين إليها في بحر الروم من مدينة الإسكندرية
أو مدينة دمياط من شمالي الديار المصرية ، ويسير إلى خليج القسطنطينية المتصل
ببحر الروم من جهة الشمال ، ويركب فيه ويمارزه إلى بحر نيطش المعروف ببحر القريم ،
ثم إلى بحر مانيطش المعروف ببحر الأزقي وينتهي إلى آخره .

الجملة الخامسة

(في الموجود بها)

قد ذكر في "ممالك الألبان" أن فيها من الحبوب القمح، والشعير، والدخن، ويسعى عندهم الأرزن، والماس، والجأوس، وهو شبه حب البرسيم، على قلة في القمح والشعير. أما القول فلا يكاد يوجد عندهم، وأكثر حبوبهم الدخن ومنه أكلمهم، وبها من الفواكه جميع أنواع الفواكه إلا التفاح، والزيتون، وقصب السكر، والموز، والأترج، والليمون، والتاريخ. وذكر من بلاد القباقي أنها كانت قبل استيلاء التتار عليها مسمورة الجوانب، وأنها في بقايا تلك العارة والفراس، وأن فيها من الفواكه العنب، والرمان، والسفرجل، والتفاح، والتفاح، والمشمش، والنخلة، والجوز، وفاكهة تسمى بلغة القباقي بانيك شبيهة بالين، وأن الفواكه كثيرة الوجود في جبالهم مع كثرة ما يأت منها. قال: وأما البطيخ فينبج عندهم بحماية خاصة الأصفر، وهو في غاية صدق الحلاوة يقتدونه ويحفظونه فيبقى عندهم من السنة إلى السنة، وربما استخرجوا مائه وصنعوا منه الحلوى، وعندهم من الخضراوات الفستق، والجوز، والكزب، وغير ذلك. ثم قال: وكذلك مدن الحرثين والرؤيس والأيس، وبها السبل الكثير الأبيض اللون اللذيذ الطعم الخالي من الحدة.

الجملة السادسة

(في الممالك والأساطير بها)

أما الممالك فقد ذكر في "ممالك الألبان" عن عبدالرحمن الخوارزمي التميمي أن دينارهم راجح في غالب مملكة إيران، وهو الذي عنه ستة دراهم، وأن الحبوب تباع كلها عندهم بالرطل، وذكر أن رطل خوارزم زنته ثمانية وعلاون درهما.

وأما الأسعار فقد ذكر في "مسالك الأبحار" عن الصدر زين الدين عمر بن مسافر أن الأسعار في جميع هذه المملكة رخيصة إلى الغاية إلا كركنج ثم إقليم خوارزم فإنها مقاسكة في أسعار الغلات قل أن ترخص، بل إما أن تكون غليظة أو متوسطة لا يعرف [بها] الرخص أبدا. ثم ذكر عن شجاع الدين عبد الرحمن الخوارزمي الترحان: أن الأسعار في خوارزم والسراي لا يكاد يتباين ما بينهما. قال: والسعر المتوسط عندهم القمح بدينارين ونصف، وكذلك الماش والشعير بدينارين، وكذلك الدخن والبطا ورش، وربما زاد، والغالب أن يكون سعره مماثل سعر القمح، والقمح الضان على السعر المتوسط كل ثلاثة أوطال بدرهم. وذكر ابن مسافر أن القوم بها رخيصة، وأكثر ما يذبح بها النخيل.

وأما سكان البر فإن القوم لا يبيع لديهم ولا يشتري لكثرة، وغالب أكلهم لحوم الطير واللبن والسمن، وإن تلف لأحد منهم ذبابة من قرس أو بقرة أو شاة أو غير ذلك، ذبحها وأكل هو وأهلها منها، وأهدى لغيره. فإذا تلف عند من أهدى إليه شيء من ذلك، ذبحه أيضا وأهدى لغيره، فلهذا لا تكاد بيوتهم تخلو من اللحم.

الجملة السابعة

(في ذكر ملوك هذه المملكة)

قد تقدم أنها قسم من مملكة توران، ومملكة توران كانت في القديم بيد افراسياب ملك الترك، وتداولها ملوك الترك بعده إلى الفتح الإسلامية، وأسلم من أسلم من ملوكهم.

أما خوارزم فتوالت عليها الأيدي حتى صارت إلى (محمود بن سبكتكين) المقتم ذكره في ملوك غزنة من القسم الأول من هذه المملكة، ثم صارت (للسعود) آتية،

واستتاب فيها خُوَارَزْمَ شاه هارونَ بن الطيطاش؛ ثم قتله غلمانه عند خروجه إلى الصيد؛ وأستولى عليها رجل يقال له (عبد الجبار)؛ ثم وثب غلمانُ هارونَ بعد الجبار فقتلوه. وولَّوا مكانه (إسماعيل بن الطيطاش) أخا هارون؛ ثم غلبه عليها (شاه ملك) ابن علي؛ ثم غلبه عليها (طغرل بك) بن ميكائيل بن سلجوق، وبقيت بيد السلجوقية المقدم ذكرهم في مملكة إيران، إلى أن صارت منهم إلى (بركيارق) بن ملكشاه بن أرسلان ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق، فأستتاب فيها علاء الدين محمد أنوشتهكين في أيام بركيارق بن ملكشاه بن ميكائيل بن سلجوق السلجوقي، ولُقِّب خُوَارَزْمَ شاه في سنة تسعين وأربعمائة.

ثم ولي بعده آبنه (أطسز) بن محمد؛ ثم غلبه علي ذلك (سنجر) بن ملكشاه أخو علاء الدين محمد، وأقام بها من يحفظها في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، [ثم غلبه عليها أطسز بن محمد المقدم ذكره^(١)]، وبقي بها حتى توفي سنة إحدى وتسعين وخمسمائة. وملك بعده آبنه (أرسلان بن أطسز) وتوفي سنة ثمان وستين وخمسمائة.

وملك بعده آبنه (منطغان شاه محمود) صغيرا، وقامت أمه بتدبير دولته؛ ثم غلب علي الملك أخوه (علاء الدين تكش) ثم غلبه أخوه (سلطان شاه) وطرده، ثم مات سلطان شاه وأنفرد (تكش بالملك) ثم مات في سنة ست وتسعين وخمسمائة.

وولي بعده آبنه (محمد بن تكش) وكان لقبه قُطْبُ الدين فتلقب علاء الدين، وبقي حتى غلبه جنكركخان وهزمه في سنة تسع عشرة وستمائة، ثم مات بعد ذلك. ولما ملك جنكركخان أوصى بدشت القبيجاقي، وما معه لابنه طوجي، ويقال له دوجي أيضا، فمات طوجي في حياة أبيه جنكركخان. فلما مات جنكركخان أستقر في مملكة ماوراء النهر، وما معه ياتو بن طوجي بن جنكركخان، ثم مات ياتو.

(١) الزيادة عن تاريخ أبي الفدا ليوافق الواقع.

وملك بعده أخوه (بركة بن طوجي) وهو الذي تنسب هذه المملكة إليه، فيقال فيها بيت بركة، بمعنى هذه مملكة بيت بركة، كما يقال في مملكة إيران هي مملكة بيت هولأكو. قال صاحب "الذيل على الكامل" وكانت المكتبة بينه وبين الظاهر بيبرس لاستقطع، وبقى حتى توفي سنة خمس وستين وسقائة عن غير ولد.

وملك بعده ابن أخيه (منكوتمر بن طغان) بن باطون بن دوجي خان، ابن جنكرخان، وتوفي سنة إحدى وثمانين وسقائة.

وملك بعده أخوه (تدان منكوتمر) بن طغان بن باطون بن دوجي خان، ابن جنكرخان وقبل سنة آتنتين^(١) وثمانين وسقائة، وكان صاحب مصر قد جهز إلى منكوتمر هدية فلم تصل إليه حتى مات، وأستقر (تدان منكو) فقدمت إليه فابتج بها، وعادت الرسل بجوابه بذلك، وبقى إلى سنة ست وثمانين وسقائة فظهر الولة وتغل عن المملكة وأتى إلى المشايخ والفقراء.

وملك بعده (تلابغا) بإشارته [ابن منكوتمر بن طغان بن باطون] بن دوجي خان ابن جنكرخان، وبقى حتى قتل في سنة تسعين وسقائة.

وملك بعده (طقطغا) بن منكوتمر بن طغان بن باطون خان ابن جنكرخان.

والذي ذكره قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون في "تاريخه" أنه ملك بعد باطون خان أخوه طرطو، ثم أخوه بركة، ثم منكوتمر بن طغان خان ابن باطون خان ابن دوشي خان، ثم ابنه تدان منكو، ثم أخوه تلابغا، ثم أخوه جفطاي، ثم ابن أخيه أزيك، وهو الذي كان في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية. قال في "التعريف": "وبطلب إليه السلطان فزوجه بنتا تهرب إليه، ثم ابنه جاني بك، ثم ابنه بردي بك، ثم ابنه طقمش، ثم نائبه ماماي، ثم عبده بن أزيك،

(١) في تاريخ أبي الفدا "سنة ثمانين" - (٢) الزيادة عن تاريخ أبي الفدا.

ثم قطعتهم، ثم مامأى ثانياً، ثم حاجى جركس، ثم أريك خان، ثم أبته قانى بك خان، ثم أروى خان، ثم طقتمش خان ابن بردى بك خان. قال: ومنه أترعها تمرلك وقتله. قلت: المعروف أن تمرلك لم يملك هذه المملكة أصلاً ولا قتل طقتمش، وما ذكره وهم فيه.

وأول من أسلم من ملوك هذه المملكة من بنى جنكرخان بركة بن طوجى ابن جنكرخان، وكان إسلامه قبل تملكه حين أرسله أخوه باطوخان لإجلاس متكونان على كرسي جده جنكرخان، فأجلسه، وعاد فتر في طريقه على الباتخريزى شيخ الطريقة، فأسلم على يديه وحسن إسلامه، ولم يملك بعد أخيه باطوخان إلا وهو مسلم، وتلاه من تلاه من ملوكهم بهذه المملكة في الإسلام حتى كان أرك بك خان منهم، فأخلص في الإسلام غاية الإخلاص، وتظاهر بالديانة والتمسك بالشرعة، وحافظ على الصلاة وداوم على الصيام.

وقد حكى في "مسالك الأبصار" من زين الدين عمر بن مسافر أن ملوك هذه الطائفة مع ظهور الإسلام فيهم وإقرارهم بالشهادتين عالقون لأحكامها في كثير من الأمور، واقفون مع ياسة جنكرخان التي قررها لهم وقوف غيرهم من أتباعه، مع مواخنة بعضهم بعضاً أشد المواخنة في الكذب والزنا وتبذ الموافيق والغشود. وقد جرت عادة ملوكهم أنهم إذا غضبوا على أحد من أتباعهم، أخذوا ماله وأبوا أولاده، وأن في سلطان هذه المملكة طوائف الجركيس والرويس والآيس، وهم أهل مدن عامرة أهلة، وجبال مشجرة مثمرة، ينبت عندهم الزرع، ويكثر لهم الفروع، وتجري الأنهار، وتجنح الأشجار، وهم وإن كان لهم ملوك فهم كالزنايا، فإن داروه بالطاعة والتخف كف عنهم، وإلا شق عليهم الفارات، وضايقهم، وحاصرهم،

وقتل رجالهم، وسبي نساءهم، وذرائعهم، وجلب رقيقهم إلى أقطار الأرض .
ثم قال: والقسطنطينية مجاورة لأطراف ملك القباقي، وملك الروم معه في كليب دائم،
وأفتراحات متعددة في كل وقت، وملك الروم على توفد جرته، وكثرة حمايته وأنصاره،
يخاف غارته وشره، ويتقرب إليه، ويداريه، ويدافع معه الأيام من وقت إلى وقت
منذ تدمير ملوك بني جنكخان هذه المملكة . وما تخلو بينهم مدة عن تجديد عهود
ومسالة إلى مدة تجل بينهم، وأشياء تحمل من جهة ملك الروم إلى ملكهم .

الجملة الثامنة

(في مقدار عسكر هذه المملكة ، وترتيبها ، ومقادير الأرزاق)

الجلارية عليهم ، وزيم في اللبس)

اما مقدار عسكرها ، فقد ذكر في "مسالك الألبار" عن الشيخ علاه الدين
ابن النعمان أن عساكرها كثيرة تخوت الحصر، لا يعلم لها مقدار إلا أنه خرج مرة
عليه وعلى القان الكبير اسبضا سلطان ما وراء النهر خارج، فجوز إليه من كل عشرة
واحدا فيبلغ عدة المجوزين مائتين وخمسين ألفا ممن دخل تحت الإحصاء سوى من
أنضم إليهم، وألزم كل فارس منهم بغلامين وثلاثين رأسا من الغنم ونحسة أرؤس
من الخيل وقدرين نحاس وعجلة .

وأما ترتيب مملكتهم فذكر عن الشيخ نجم الدين بن الشحام الموصل أن ترتيب
هذه المملكة في أمر جيوشها وسلطانها كما في ترتيب مملكة العراق والعجم في عدة
الأمرء والأحكام والنظم . ولكن ليس لأمر الألبوس والوزير بها تصرف . أمير
الألبوس والوزير بتلك المملكة، ولا سلطان هذه المملكة نظير ما لتلك السلطان من
الدخل والمجاوي وعدد المدن والقرى، ولا منشي أهل هذه المملكة على قواعد الخلقاء
مثل أولئك، ونحو اثنين هؤلاء مشاركة في الحكم معهم وإصدار الأمور عنهم مثل

أولئك وأكثر ، إلا ما كانت عليه بغداد بنت جويان امرأة أبي سعيد بهادر بن خدابندا ، فإنه لم ير من يحكم حكمها . قال المقر الشهابي بن فضل الله : وقد وقفت على كثير من الكتب الصادرة عن ملوك هذه البلاد من عهد برّكة وما بعده ، وفيها " وأتفقت آراء الخوامين والأمرء على كذا " أو ما يجري هذا المجرى .

وحكى عن الصدر زين الدين عمر بن مباقر عن أربك خان سلطان هذه المملكة في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون أنه لا آتفات له من أمور مملكته إلا إلى بُحَلِيَّات الأمور دون تفصيل الأحوال ، يَقَعُّ بِمَا حَلَّ إِلَيْهِ ، ولا يبحث عن وجوه القبض والصرف ؛ وأن لكل امرأة من خواتمته جانباً من الحمل ، وأنه يركب كل يوم إلى امرأة منهن ، يقيم ذلك اليوم عندها ، يأكل من بيتها ويشرب ، وتلبسه بدلة قماش كاملة ، ويغسل التي كانت عليه من اللبس على من يتفق من حوله . ثم قال : وقماشه ليس بفاق الجنس ولا غلى الثمن ، مع قربه من الرعايا القاصدين له ، إلا أن يده ليست مبسطة بالمطاء ، ولو أراد هذا لما وفّ به دخل بلاده ، فإن غالب رعاياه أصحاب عملي في الصحراء ، أقوائهم من مواشيهم . وتقل عن نظام الدين بن الحكيم الطياري أن لسلطان هذه المملكة على جميعهم خراجاً يستأديه منهم ، وأنهم ربما طولبوا بالخراج في سنة مُعْجَلَة لوقوع المواتن بدوايهم ، أو سقوط الثلج ونحوه ، فيأعوا أولادهم لأداء ما عليهم من الخراج .

وأما مقادير أرزاق جندهم ، فقد حكى عن شجاع الدين عبد الرحمن أن كل من كان بيد آبائه شيء من الإقطاع فهو بيد أبنائه . ثم قال : والأمرء لهم بلاد ، منهم من تَقِلُّ بلاده في السنة مائتي ألف دينار راجح وما دون ذلك إلى مائة ألف دينار راجح . أما الجند فليس لأحد منهم إلا نقود تؤخذ ، كلهم فيها على السواء ، لكل واحد منهم في السنة مائتا دينار راجح .

وأما زِيَهُم في اللبس ، فحكى عن شجاع الدين التبرجان أيضا أنه كان زِيَهُم زِيَّ
عسكر مصر والشام في الدولة الإسلامية وما يناسب ذلك ، ثم غلب على زِيَهُم زِيَّ القتر
إلا أنهم بهائم صفار مُتَوَرَّة .

القسم الثالث

(من مملكة تُوْرَانَ مملكة القان الكبير)

قال في "التعريف" : وهو أكبر الثلاثة ، (يعني ملوك الأقسام الثلاثة المتقدمة
الذكر) . وهو صاحب الصَّيْنِ والخيَطِ ووارث تخت جنكرخان . قال : وقد تواترت
الأخبار بأنه أسلم ودان بدين الإسلام ، ورَقَم كلمة التوحيد على ذوائب الأعلام .
قال : وإن صَحَّ وهو المؤمل ، فقد ملأت الأمة الحمديَّة الخلفيين ، وعمرت المشرق
والمغرب ، وأمتت بين صَفَتَي البحر المحيط . قال في "مسالك الأبصار" : وهو
القائم مقام جنكرخان وأجلالس على تخته . قال : وهو كالخليفة على بن عمه من بقية
ملوك تُوْران : من مملكة إيران ، وصاحب القَبْجَاقِ ، وصاحب ما وراء النهر .
فإذا تجدد في مملكة أحد منهم مُهمٌ كبير ، مثل إلقاء عسكر ، أو قتل أمير كبير بذنب ،
أو ما يناسب ذلك ، أرسل إليه وأعلمه به ، وإن كان لا اقتدار إلى استئذانه ،
ولكنها عادة مَرَعِيَّةٌ بينهم .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى أنه لم
يزل يكتب إلى كلٍّ من القانات الثلاثة ، يأمرهم بالاتحاد والألفة ، وإذا كتب إليهم
بدا باسمه قبلهم ، وإذا كتبوا إليه بدؤوا باسمه قبلهم . قال : وكلهم مُدْعَنون له بالثقم
عليهم . قال في "مسالك الأبصار" : وأهل هذه المملكة هم أهل الأعمال اللطيفة ،
والصنائع البديعة ؛ التي سلت إليهم فيها الأمم . وقد تكتب^(١) الكتب من أحوالهم
بما أغنى عن ذكره . قال : ومن عادة المجيدين في الصنائع أنهم إذا عملوا عملا

(١) لعله "وقد تكتلت الكتب الخ" .

يديها، حملوه إلى باب الملك، وعلق عليه ليراه الناس، ويوقى سنة، فإن سلم من عائب أسدى إلى صاحبه الإحسان، وإن عيب عليه وتوجه العيب، وضع قدر الصانع ولم يوجه العيب [على] من تابه .

وقد حكى المسعودى فى "مروج الذهب" أن صائغا منهم صور عصفورا على منبلة فى نقش ثوب كعفا وعلقه، فاستحسنه كل من رماه، حتى مر به رجل فعابه باستقامة المنبلة، لأن المصنوع من شأنه أنه إذا وضع على المنبلة أملاها .

وحكى فى "مسالك الأبصار" عن بدر الدين حسن الإسعردى أن بعض صناعهم عمل ثيابا من الورق، وباعها على أنها من الكيفات الخطائية، لا يشك فيها شاك، ثم أظهرهم على ذلك فنجروا منه .

وحكى عن الشريف حسن السمرقندى أنه كان بهذه البلاد، فشكا ضرسه، فأراه لرجل من الخطا، فوضع يده عليه، فأخرج منه قطعة متأكلة، ووضع مكانها قطعة من ضرس أجنبي، وبعثه بثمن وأمره أن لا يشرب ماء يومه، فالتصق حتى صار كأنه من أصل الحلقة، إلا أن لون الأول يبين من اللون الثانى. وذكر المقرئ الشهابى أنه أراه له بحضرة الشيخ شمس الدين الأصفهاني وجماعة من أهل العلم. قال بدر الدين حسن الإسعردى : ولقد رأيت منهم من هذه الأعمال ما يحار فيه العقل .
ويحصل الغرض منه فى محسب جميل :

الجملة الأولى

(فما أشقمت عليه هذه الملكة من الأقاليم)

وأعلم أن هذه الملكة هى أوسع ممالك بنى جنكشخان وأفسحها جوانب، وأكثرها أقاليم، وأوفرها مدنا، غير أنها بعيدة المسافة، مقطعة الأخبار، فبهلت لذلك أسماء

(١) كما بالأمل، ولعل السواب "وقع".

أقاليمها، وتمذرت الإجاطة بأقطارها؛ ونحن نورد منها ماشاع ذكره في سائر الآفاق
وأنشُر، ونَقَّح من التفصيل بالجملة، ونكتي من البحر بالنقبة .
والقول الجلي في ذلك أنه يشتمل على إقليمين عظيمين :

الإقليم الأول (الصين)

بكر الصاد المهمل وسكون الياء المثناة تحت وفون في الآخر . قال في "تقويم
البلدان" : ويحيط به من جهة الغرب المفاوز التي بينه وبين الهند، ويحيط به من
جهة الجنوب البحر (يعني بحر الهند) ، ويحيط به من جهة الشرق البحر المحيط،
ويحيط به من جهة الشمال أرض يأجوج ومأجوج وغيرها من الأراضي المقطعة
الأخبار عنا . ثم قال : وقد ذكر أصحاب المسالك والممالك في كتبهم بلادا كثيرة،
ومواضع وأنهارا وغيرها في إقليم الصين، ولم يقع لنا ضبط أسمائها، ولا تحقيق
أحوالها، فصارت كالمجهولة لنا لعدم من يصل من تلك النواحي من المسافرين إلينا
لنستعلم منه أخبارها فأضربنا عن ذكرها .

وقد ذكر في "مسالك الأبحار" عن الشريف تاج الدين حسن بن الجلال
السمرقندي، وهو من السفار، ومن جال الآفاق، ودخل الصين وجال بلاده، وجاب
آفاقه، وجاس خلالها، وجال في أقطاره : أن بالصين ألف مدينة، وأنه دار الكثير
منها . قال : وبلاد الصين كلها عمارة متصلة من بلد إلى بلد، ومن قرية إلى قرية .
وقاعدة هذه المملكة (خان بالقي) . قال في "تقويم البلدان" : يفتح انطاء المعجمة
ثم ألف ونون ساكنة وباء موحدة مفتوحة ثم ألف ولام مكسورة وقاف في الآخر .
قال : وهي مدينة من أقاصي الشرق عند بلاد انططا، واقعة في الإقليم الرابع من
الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول مائة وأربع عشرة درجة، والعرض

خمس وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . وهى قاعدة مشهورة على ألسنة التجار وأهلها من جنس الخطا ، وعندهم معادى القضة . قال ابن سعيد : ويُذكر عن عظم هذه المدينة ما يستعده العقل . قال فى "مسالك الأبصار" نقلا عن الشريف حسن بن الجلال السمرقندى : إن مدينة خان بالى المذكورة مدينتان ، قديمة وجديدة ، والجديدة منهما اسمها ديدو ، بناها (ديدو) آخر ملوكها فسميت باسمه ، والقان الكبير يزل بوسطها فى قصر عظيم يسمى كوك طاق ؛ ومعناه بلعة المغل القصر الأخضر ، لأن طاق معناه عندهم القصر ، وكوك معناه الأخضر ، ومنازل الأمراء حوله خارج القصر ، قال : وهى مدينة طيبة ، واسعة الأنواء ، رخيئة الأسعار ، ويمجد بها المساء فى زمن الشتاء فيصير كالثلج ، فيرفع إلى أيام الصيف حتى يبرد به المساء كما يبرد بالثلج . ويشق مدينة ديدو المذكورة نهر .

وبها أنواع الفواكه إلا الصب فإنه قليل بها ، وليس بها نارٌ ولا يَمُونٌ ولا زيتونٌ ، ثم يعمل بها السكر . وبها من الزرع والجمال واللب والبقرة والغنم ما لا يدخل تحت الإحصاء .
وبالصين مدن مشهورة سواها .

(منها) قراقوم . قال فى "تقويم البلدان" : يفتح القاف والراء المهمله ثم ألف وقاف مضمومة وواو ساكنة وميم . قال : وهى مدينة فى أقصى بلاد الترك الشرقية ، ومعنى قراقوم باللغة التركية الرمل الأسود ، لأن قرا فى لغتهم بمعنى الأسود ، وقم بمعنى الرمل ، ويقع فى كثير من الكتب قراقوم بإبدال الواو راء وهو خطأ ، وإنما كتبت الواو بها بعد القاف دليلا على الضمة على عادتهم فى ذلك - وموقعها فى الإقليم الثالث من الإقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول مائة وست وخمسون درجة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال : وهى كانت قاعدة التتر ، وفى جهاتها بلاد المخل : وهم خالصة التتر . ومنها خاناتهم . قال الشريف

حسن بن الجلال السمرقندى : وفيها غالب عساكر القان الكبير. وبها يُعمل القماش الفانصر، والصنائع الفاخقة، وغالب ما يحتاج إليه القان يُستدعى منها لأهل دار استعمال، وأهلها أهل صنائع فائقة. قال في "مسالك الأبصار" : وهى قرية جنكرخان التى أخرجته، وعمرته التى أدرجته.

(ومنها) الخنساء. قال في "تقويم البلدان" : بالخاء المعجمة والنون والسين المهملة وألف. وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة. قال فى "تقويم البلدان" : حيث الطول مائة وخمس وستون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثمان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة. قال : وعن بعض المسافرين من بلادنا أن الخنساء فى هذا الزمان أعظم فُرْص الصَّين، وإليها ينتهى وصول التجار المسافرين من بلادنا. قال الشريف السمرقندى : وطول الخنساء يوم كامل، وعرضها نصف يوم، وفى وسطها سوق واحد ممتد من أولها إلى آخرها، وأسواقها مبلطة بالبلاط، وبنائها خمس طبقات بعضها فوق بعض، وكلها مبنية بالأخشاب والمسامير، وشرب أهلها من الآبار، وأهلها فى قَشَفٍ عظيم، وغالب أكلهم لحم الجاموس والإوز والديج. وفيها الأرز، والموز، وقصب السكر، والليمون، وقليل الرمان، وأسعارها متوسطة، وتجلب إليها النعم والتمتع على قلة، ولا يوجد فيها من الخيل إلا ماقل عند أعيانها. وأما الجمال فلا توجد فيها البتة، فإن دخلها جمل تعجبا منه. ونقل فى "مسالك الأبصار" أن بينها وبين جالق بالى أربعين يوما. وحكى عن الصدر صدر الدين عبد الوهاب بن الحقدادى أنه وصل إلى الخنساء ووصف عظمة بنائها ومنعة رقة مدينتها مع تسخط الأنواء بها ووفور المكاسب فيها ورخص التقيق^(١) الجيسد فيها وفى جميع تلك البلاد. قال : وأهلها يتفانحون بكثرة الجوارى السرارى، حتى إنه ليجد لأحد التجار وأحد الناس أربعون سرية فما زاد على ذلك.

(ومنها) الزُّيْتُونُ . قال في "تقويم البلدان" عن بعض المسافرين الثقات : هي بلفظ الزيتون الذي يُعْتَصَر منه الزيت ، وهي قُرُصَةٌ من قُرُصِ الصِّين - موقعها في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول مائة وأربع عشرة درجة ، والعرض سبع عشرة درجة . قال : وهي مدينة مشهورة على السنة التجار المسافرين إلى تلك البلاد ؛ وهي على خَوْر من البحر ، والمراكب تدخل إليها من بحر الصِّين في الخَوْر المذكور ، وقدره نحو خمسة عشر ميلاً ، ولها نهر عند رأس الخور المذكور .

وذكر في "سالك الأبصار" عن الشريف السمرقندي أن مدينة الزُّيْتُون على البحر المحيط وهي آجر العارة . قال : وبينها وبين جائق بالي شهر واحد .

(ومنها) السَّيْلُ . قال في "تقويم البلدان" : بالسَّيْن المهمة والباء المثناة التحتية ولام وباء ثانية ، ثم قال : هكنا وجدناه في الكتب . قال : ويقال لها سَيْلاً يعني باللام ألف ، ورأيت في بعض الكتب سيلان بزيادة نون بعد اللام ألف . قال : وهي مدينة في أقصى الصِّين الشرقي ، خارجة عن الإقليم الأول إلى الجنوب . قال في "القانون" : حيث الطول مائة وسبعون درجة ، والعرض خمس درج ، وهي في أعلى الصِّين من الشرق بجزائر الخلادات في بحر الغرب ، لكن هذه معمورة في رخصب بخلاف تلك .

(ومنها) جحكوت . قال في "تقويم البلدان" : بلجم والميم والكاف ثم واو وطاء مشاة فوقية في الآخر . قال : كذا وجدناها مكتوبة ، وأسماها عند الثُّرَيْس جحا كرد . قال : وهي مدينة في أقصى العارة الشرقية ، خارجة عن الإقليم الأول من الأقاليم السبعة إلى الجنوب . قال في "الأطوال" : وهي على خط الاستواء لا عرض لها . قال في "تقويم البلدان" : وهي على النهاية الشرقية مثل ما يصح عن الجزائر الخلادات في النهاية الغربية . قال : وليس شرقي جحكوت عمارة أصلاً .

(ومنها) مدن أخرى مذكورة في الكتب مجهولة الضبط .

إحصاها مدينة (ينجو) - وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول مائة وخمسة وعشرون، والعرض اثنتان وعشرون . وقد ذكر في "القانون" أنها مستقر ملكهم الأكبر الملقب بطمنج .

(ومنها) مدينة خاقو . ببناء معجزة وألف ونون وقاف ثم واو - وهي مدينة على النهر واقعة في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول مائة وستون درجة، والعرض أربع عشرة درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي من أبواب الصين . قال ابن سعيد : وموقعها على شرق نهر خمدان . قال ابن خرداذبه : وهي المرفأ الأكبر، وفيها الفواكه الكثيرة، والبقول، والحنطة، والشعير، والأرز، والعنب، والسكر .

(ومنها) مدينة خانجو - بإبدال القاف من المدينة السابقة جيا - وهي مدينة على النهر، واقعة في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول مائة وأثنان وستون درجة، والعرض أربع عشرة درجة . قال في "القانون" : وهي من أبواب الصين .

(ومنها) مدينة سوسة - بسنتين مهملتين بينهما واو ساكنة وفي الآخر هاء . قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة مشهورة كثيرة التجار متصلة بالعارة، وبها يُصنع القطار الصيني الذي لا يفوقه ولا يسله شيء من أعمال الصين . قال : وهي على شرق نهر خمدان .

الإقليم الثاني

(بلاد الخطأ)

بكسر الخاء المعجمة وفتح الطاء المهملة وألف في الآخر، وهم جنس من الترك لا دم في متاحة بلاد الصين .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" مدينة (قجوهي) بقاف وميم وجيم وأوهم هاء وياه آخر الحروف . وقال : إنها أوّل بلاد الخطأ، وإن منها إلى جالق بالقي أربعين يوما، بل ذكر أن مدينة جالق بالقي التي هي قاعدة هذه المملكة من بلاد الخطأ .

الجملة الثانية

(في معاملة هذه المملكة وأسارها)

أما معاملتها فقال في "مسالك الأبصار" : حدثني الفاضل نظام الدين ابن الحكيم أن معاملتهم بقشور من لحاء شجر التوت مطبوعة باسم القان، فإذا عتق ذلك حله صاحبه إلى أبواب هذا القان وأخذ عوضه مع خسارة لطيفة، كما يؤخذ في دار الضرب مما يُجَلَّ إلىها من الذهب والفضة ليضرب بها . وذكر عن الشريف حسن السمرقندي أن فيها بكارا وفيها صفارا، فثما ما يقوم في المعاملة مقام الدرهم الواحد، ومنها ما يقوم مقام درهمين، ومنها ما يقوم مقام خمسة دراهم وأكثر إلى ثلاثين وأربعين وخمسين ومائة . وقد تقدّم في الكلام على جالق بالقي والخنساء ذكر ما بهما من الحيوان والحبوب والبقول وغير ذلك .

الجملة الثالثة

(في الطريق الموصل إلى هذه المملكة)

قد حكى في "مسالك الأبصار" عن الشريف تاج الدين السمرقندي : أن من سمرقند من بلاد ما وراء النهر إلى سبلى عشرين يوما، ومن سبلى المذكورة إلى المالق عشرين يوما، ومن المالق إلى قرا خوجا إلى قجوهي إلى خان بالقي أربعين يوما . ثم قال : ومن خان بالقي إلى الخنساء طريقان : طريق في البر، وطريق في البحر،

(١) كذا في الأصل، وسبق له مثله مرارا من "المسالك" ولكن الذي ضبطه فيا تقدّم عن "التقويم" خان بالقي بالخلاء المحجمة والنون .

وفى كل من الطريقين من خان بالى إلى الخنساء أربعون يوما . وذكر فى الكلام على مملكة بيت بركة عن حسن الإربلى أن المسافر إذا سافر من جولان على شريقها وصل إلى مدينة قراقوم .

الجملة الرابعة (فى ذكر ملوكها)

قد ذكر المسعودى فى "مروج الذهب" عدة ملوك من ملوك الصين قبل الإسلام وبعده ، استأثروهم أعجمية لاجبة بذكرا ، والمقصود معرفة حالها فى أيام بنى جنكرخان القائمين بها إلى الآن .

قد تقدم فى الفصل الأول من هذا الباب الكلام على مبتدأ أمر جنكرخان وكيفية مصير الملك إليه فأغنى عن إعادته هنا .

ثم لما ملك جنكرخان أوصى بفتحته المستولى فيه على هذا القسم من المملكة لولده الصغير أوكداى ، ومات جنكرخان فاستقر ولده أوكداى ، [ثم استقر فى هذه المملكة مكانه أبنة كيوك ثم مات

فلك بعده (منكوقان) بن طولى بن جنكرخان ، ومات سنة ثمان وخمسين وستمائة .

فلك بعده (أرى^(١) بك)، ثم قبلى خان ، ثم دمرياق ، ثم قرماى ، ثم ترقاى كيزى ، ثم قبان فان ، ثم سند مرقان بن طولى بن جنكرخان ، وهو الذى كان فى الأيام الناصرية محمد ابن قلاوون صاحب الديار المصرية ، ثم أقطع خبرهم فلم يعلم من ملك منهم . وملوك هذه المملكة من بنى جنكرخان كُفَّارٌ يدينون بتعظيم الشمس ، واقفون فى الأحكام مع ياسة جدتهم جنكرخان المتقدم ذكرها فى الفصل الأول . قال فى "مسالك الأبصار" :

(١) وجدنا فى "العبر" ج ٥ ص ٣٠ اختلافًا فى الأسماء فأتينا الأصل وأجلنا فى التنبيه .

(٢) فى العبر "سند مرقان بن طرمالابن جنكرن قبلاى بن طولى" .

ذكر لي الفاضل نظام الدين بن الحكيم الطيارى الكاتب البوسعيدى أنهم على ما هم عليه من الجاهلية على السيرة الفاضلة الشاملة لأهل مملكتهم ومن يرد إليها . قال الشريف السمرقندى : ومن عجائب ما رأيتُ في مملكة هذا القان أنه مع كفره في رعاياه من المسلمين أُمُّ كثيرة وهم عنده مكرمون محترمون ، ومتى قتل أحد من الكفار مسلماً ، قُتِلَ القاتلُ الكافر هو وأهل بيته ونُهبت أموالهم ، وإن قتل مسلمٌ كافراً لا يقتل به ، بل يُطلب يديته ، وديته الكافر عندهم حمار لا يطلب بغيره .

الجملة الخامسة

(في عسكره)

قال بدر الدين حسن الإسعردى التاجر : وهذا القان ذو عسكر مديد . قال : والذى أعلم من حاله أن له آتني عشر ألف بازدار يركبون الخيل ، وعساكره من المغل عشرون توماناً ، وهى مائتا ألف فارس ، أما من الخطأ فما لا يحصى .

الجملة السادسة

(في ترتيب هذه المملكة)

قال الشريف تاج الدين السمرقندى : وترتيب هذه المملكة أن لهذا القان أميرين كبيرين هما الوزراء ، يسمى كل من يكون في هذه الرتبة جنكصان ، ودونهما أميران آتريان يسمى كل منهما بنجار ، ودونهما أميران آتريان يسمى كل منهما زوجين ، ودونهما أميران آتريان يسمى كل منهما بوجين . قال : وله كاتب هو رأس كتّابه يسمى لنجون ، وهو بمنزلة كاتب السر في بلادنا ، والقان يجلس في كل يوم في صدر دار فسيحة تسمى شن ، بمثابة دار العدل عندنا ، ويقف الأمراء المذكورون حوله عن اليمين وعن الشمال على مقادير رتبهم ، ورأس الكتّاب المسمى لنجون . وإذا

شكا أحد شكوى أو سال حاجة ، أعطى قصته رأس الكتاب المذكور فيقف عليها ، ثم يوصلها إلى أحد الأميرين الذين يليانه وهما أصغر الكل فيقف عليها هو ومن معه ، ثم يوصلها إلى من يليهما في الرتبة ، وهكذا إلى أن تصير إلى القان ، فيأمر فيها بما يراه . وذكر عن الشريف أبي الحسن الكربلاي وكان من أجمع بالقان في هذه البلاد أن لهذا القان أربعة وزراء يُصدرون الأمر في مملكته كلها ، ولا يُراجع القان إلا في القليل النادر . قال : وإذا أراد القان أن يركب ركب في حجة ولا يظهر للناس إلا في يوم واحد ، وهو مثل يوم مولده في كل سنة ، فإنه يركب فرسا ويخرج إلى الصحراء ويعمل بها من الأطعمة والسماطات ما ينمر الناس ، ويكون مثل يوم العيد عندهم .

تم الجزء الرابع . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الخامس .

وأته المقصد الثاني

في ممالك جزيرة العرب الخارجة عن مضافات الديار المصرية

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ،

وآله وصحبه والتابعين وسلامه .

وحسبنا الله ونعم الوكيل

